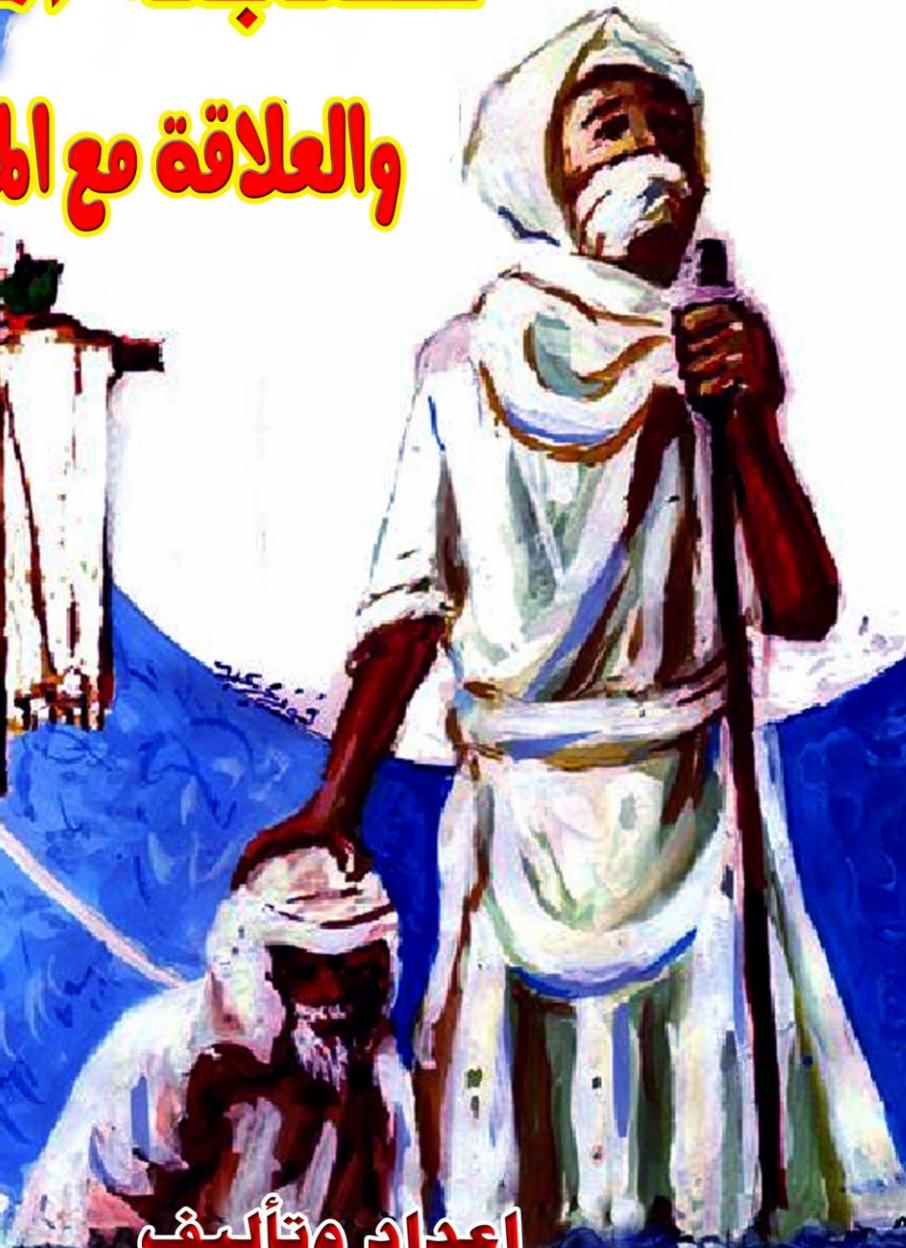


العمق التاريخي والديني

للصائبة المندائيين

والعلاقة مع المجتمع الاسلامي



اعداد وتأليف

خضر حميد عبيد الزهيري

بكالوريوس لغة عربية / جامعة البصرة

الشيخ الدكتور زين العابدين عبد علي

جامعة ميسان / كلية التربية الاساسية

العمق التاريخي والديني للصابئة المندائيين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي

اعداد و تأليف

د. زين العابدين عبد علي الكعبي

جامعة ميسان / جامعة ميسان

خضر حميد عبيد الزهيري

بكالوريوس آداب / قسم اللغة العربية / جامعة البصرة

تم الاطلاع عليه من قبل مركز البحوث والدراسات المندائية في بغداد

نقحه

عبدالرزاق عبدالحسين الجشعمي

بكالوريوس اللغة العربية / جامعة بغداد

الطبعة الثانية - المنقحة سنة الطبع ٢٠١٩م

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٧٢٦ العام ٢٠١٦

سورة من القرآن المجيد

ورد ذكر الصابشة كفتة دينية متميزة في عهد الرسول الكريم محمد «ص» في
ثلاث آيات بينات من القرآن الكريم...

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحاً فلا خوفًا عليهم ولا هم يحزنون...

من سورة المائدة

٦٩

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

من سورة البقرة رقم

٦٢

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا
إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد...

من سورة الحج

٧

الأهداء

اقدم هذا المجهود المتواضع . . . إلى . . . عائلتي المندائية الكبيرة .
إلى . . . اخواني في الحق والايمان . . . إلى . . . كل المؤمنين الصادقين .
وكذلك اقدم شكري وتقديري لكل من ساهم في دعم وانجاح هذا الكتاب
بالمصادر والمعلومات ومنهم:

- الترميذا الشيخ نظام كريدي وكيل رئيس الطائفة .
- الترميذا الشيخ امجد حميد .
- الدكتور قيس مفضفش المانيا .
- الاستاذ امين فعيل استراليا .
- الباحث عدنان الجيزاني كندا .
- الشاعر سلام عزيز .

بأسم الحي العظيم

شكر وتقدير

جهد مضني وسعي حثيث لحقل يصعب ان لم يكن من المستحيل الدخول فيه لتعقد ظروفه وتداخل مغيراته، والاهم من ذلك شحة توافر المصادر وتاريخ الحوادث والبحث فيه يعد بجد ذاته صعباً ولكن سعي ورغبة من ولح في ذلك كان قوياً لتوضع الحقائق في نصابها ويكشف الغموض والجهل الذي يحيط بهذه الطائفة العريقة ورفع ما اصابها من ظلم وتجن سياسي واجتماعي .
عسى الله ان يوفق الكاتب ويأخذ بيده إلى ما يصبو إليه انه نعم المولى واليه المآب .

الدكتور

كامل كريم عبـيد

٢٠١٥/٩/١٧

بأسم الحي العظيم

شكر وتقدير

لقد اطلعت على هذا الكتاب وقرأته كلمة كلمة بل حرفاً حرفاً وكنت كلما أتمعق في غور هذا الكتاب الثمين يزداد أعجابي به وبالمجهود المضي الذي بُذل في اظهار الكثير من الحقائق المدعومة بالبراهين التي كشفت النقاب على جوانب كثيرة جداً أخفاها البعض من اجل طمسها واخفائها عن مسامع كل من الصابئة المندائين والمسلمين على السواء، تلك الحقائق التي اظهرت بجلاء الاخوة الطيبة بينهما التسامح المضي إلى خير وسعادة الجميع كما اني لا أخفي عليكم ان هنالك بعض المآخذ تتجلى في متون هذا المطبوع لكن جودة هذا الكتاب استطاعت تذليل هذه المآخذ، وقد أشرت إليها أن يؤخذها في الوقت نفسه تجرأت واضفت بعض الشروحات التي تجعل هذا الكتاب الثمين أكثر فائدة لو أضيفت، وأنا اعتذر عن ذلك، وفي الختام اتمنى ومن كل جوارحي ان يكون هذا الكتاب الثمين في متناول كل صابئي مندائي وكل مسلم كي يطلع الجميع على الحقائق التي تكشف النقاب عن الغموض والجهل الذي اصاب هذا المجتمع العريق، وايضاً الصلة الوطيدة بين المجتمع الصابئي والمجتمع الاسلامي، ولا يسعني إلا أن ابارك هذا الجهد الكبير المضي الذي قام به كل من الاستاذ خضر حميد عبيد، والاستاذ الدكتور سماحة الشيخ السامي زين العابدين عبد علي، وأقدم لهما جزيل شكري وامتناني راجياً لهم الموفقية والنجاح المشر الدائم.

الاستاذ الناصورائي

أمين فعييل خطاب

٢٠١٨/٢/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۝

يزخر كتاب الله بالواضحات ، التي تُعتبر امهات القرآن ، والتي تحترم الاخر المختلف ، لانها مشينة الله قبل كل شيء ، واكثر من ذلك ، فقد حثنا القرآن على التعارف ، وإفشاء السلام ، وثقافة العيش المشترك .. والبلدان المحظوظة فقد ، تتكون من شعوب مختلفة ، ولهجات متنوعة ، وثقافات متعددة ، لانها في النهاية تمثل ثروة البلد المعرفية .. والعراق احد هذه البلدان ، فكل شعوبه ، ودياناته ، وقومياته ، تشترك بصناعة تاريخ وحضارة هذا البلد ، ومنهم الصابئة ، السكان القدامى لارض السواد ومياهه السيالة . هؤلاء يمدون جذورهم بعمق ، قبل آلاف السنين ، بجنوب العراق ، قرب الاهوار والقصب ، وتعايشوا مع غيرهم بسلام ، وما زالوا يفرسون اصابعهم مع النخيل ، لانهم يعرفون ان الارض كحظن أم ، ومعابدهم شاخصة ، بكل مدينة ، قرب مصبات الأنهار ، مندمجين مع اقربانهم الاخرين ، بالوظيفة وفي ساحات الجهاد ، وممارسة الطقوس .. واصبح وجودهم ، كغيرهم من الأقليات ، ضرورة من ضرورات الحياة المتمدنة .

وللأقليات ومن ضمنهم الصابئة طقوس معينة ، ولغة خاصة ، وعادات محددة ، تميزهم عن اقربانهم ، والناس يحترمون ذلك ، من دون ان يجبرهم احد ، على فعل اي شيء يخالف معتقداتهم ..

وهذا الشعب انجب الكثير من المبدعين ، ومنهم عبد الرزاق عبد الواحد ، وعبد الجبار عبد الله وغيرهم ..

وللأمانة أقول لطالما أوصى السيد الشهيد محمد الصدر (قد) والقائد السيد مقتدى الصدر اعزه الله بالانفتاح ورعاية الأقليات الدينية التي لديها عمق تاريخي في العراق يمتد بعمر الارض التي تشرفت ان تهبها السماء رعاية وأحتضان الأديان السماوية التوحيدية

- الكتاب الذي بين أيدينا يلقي الضوء على العمق التاريخي والارتباط الروحي للديانة المندائية في بلاد ما بين النهرين نسال الله لنا لكم السداد والتوفيق

السيد ستار البطاط

عضو مجلس شورى الخط الصدري



بسمه تعالى

اطلعنا على الكتاب اجمالاً وبدورنا نشكر هذا التواصل مع
المرجعية الدينية في النجف سائلين المولى القدير التوفيق لكل
من يحافظ على وحدة شعبنا الكريم وبناء هذا البلد العزيز



بسم الله الرحمن الرحيم

نبارك هذا الجهد العلمي الكبير الذي قام به كل من الاستاذ الدكتور الشيخ زين العابدين عبد علي وخضر حميد عبيد ونؤيد هذا الاتجاه الذي يهدف إلى نشر روح الاخوة بين المسلمين وباقي الاقليات الدينية ومنهم الصابئة المندائيون الذين يمثلون ركيزة مهمة من ركائز المجتمع العراقي لما فيه من تاريخ اصيل تمتد جذوره في العمق التاريخي . .

د.علي الشاوي

رئيس جامعة ميسان

٢٠١٥\٨\١٩

مباركة الشيخ الترميذا الشيخ غازي الشيخ خلف الشيخ جثير

مباركة الترميذا الشيخ امجد حميد عبيد الزهيري

اطلعنا بمزيد من الفخر والاعتزاز على البحث (العمق التاريخي والديني للصابئة المندائيين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي) ووجدناه بحثاً مميّزاً من جميع الجوانب وقد ازال الضغط الكبير الذي تتعرض له الطائفة بغياب المصادر المترجمة واناار الطريق امام ابناء الطائفة للاطلاع الواسع على تاريخهم المشرق وفتح الافق امام ابنائنا للتعارف والتواصل مع اخواننا المسلمين بدون قيود او طائفية فبارك الله بجهود كل من الاخ الاستاذ العزيز خضر حميد عبيد والدكتور زين العابدين عبد علي جهودهم وفقهما الله لخدمة المجتمع العراقي الموحد ومن تقدم إلى تقدم... .

الترميذا الشيخ غازي خلف جثير

الترميذا امجد حميد عبيد

سنة ٢٠١٥

بسم الحي العظيم

جاء في كتابنا المقدس (كنز ربا - اليمين) ص ٢٤-٢٥ ما يلي :

٢٤٠) ايها الصادقون... لا تقولوا ما لا تعرفون (٢٤١) ولا تدعو الوحي فلا يوحى الا
العلي العظيم (٢٤٢) سلحوا نفوسكم بامضى من الحديد . سلاح ناصروثا وكلمات ربكم
الصادقة (٢٤٢) ليشر بعضكم على بعض بالحسنى (٢٤٤) انكم كما تنقذون تنقذون
(٢٤٥) ولا تكونوا كالنبت الرديء... يشرب الماء ولا يعطي الثمر والحي المزكي .

بعد اطلاعي على دراسة الاخ المندائي الغيور على دينه واهله ووطنه الاستاذ (خضر حميد
عبيد الزهيري) وجدت ان عمله يستحق المباركة والتشجيع لما فيه من معلومات قيمه و
مفيدة وتاريخية... ابارك جهوده المكثفة وادعو الحي العظيم ان يلهمه ايمانا واسعا ويعمق
فيه حبه لأهله ولدينه ووطنه.. وأثني عليه بالاستمرار والمتابعة لغرض اعمام الفائدة
للأجيال القادمة بالمندائية واصلها...

والحي يزكي عمل الخير والخيرين

اخوكم

ترميذا نظام كريدي رحيمه

- ناصروثا: تعني العلم والمعرفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب
سماحة المرجع الديني آية
الله الفقيه السيد حسين
الصدر (دام ظلّه)

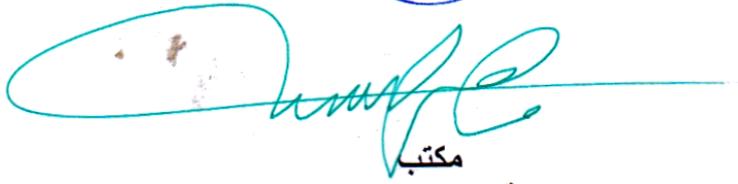
بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم بالصواب

بِسْمِ تَعَالَى

ببارك مكتبنا بالجهود المبذولة من قبل الاستاذ (خضر حميد عبيد الزهيري و الدكتور زين

العابدين عبدعلي) متمنين لهما السداد والتوفيق.

مكتب
سماحة آية الله العبد الحقير
الصدر
دام ظلّه



مكتب
سماحة المرجع الديني آية
الله الفقيه السيد حسين
الصدر (دام ظلّه)

كلمة لا بد منها

بقلم: عبد الرزاق الجشعمي

بعيداً عن الحجج والبراهين والأدلة التي تبغي أن تثبت وتؤكد أن الصابئة المندائيين موحدون يعبدون رباً واحداً لا شريك له ، خالقاً مبدعاً لهذا الكون ، وأنهم أصحاب ديانة سماوية ، ولهم أنبياء يوحى لهم ، وكتب مُنزلة مقدسة ، وبعيداً أيضاً عن آراء العلماء المختصين بالدراسات الدينية وفتاوى رجال الدين... أريد أن أعالج أمراً وقضية هامة ، هي :

إن الله جلّت قدرته خلق البشر جميعاً لمهمة مقدسة وعظيمة ، مفادها هو أن يكونوا خلفاء له في هذه الأرض ، ليقوموا بتعميرها وإصلاحها وإدامة الحياة فيها. وهو جلّ وعلا لم يحدد ماهية هؤلاء البشر ولا ديانتهم المحددة ولا أشكالهم وألوانهم ، اللهم إلا أن يكونوا صالحين معتدلين عارفين مهامهم المكلفين بها ، حريصين على قانون التعايش والتعاون والتعارف ، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات: ١٣).

إذن فالبشر جميعاً هم خلفاء الله سبحانه على هذه الأرض ، كما أكد عزّ وجلّ في محاورته مع ملائكته الصالحين ، إذ قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (البقرة: ٣٠) ، فهل يمكن أن يكون من بين هؤلاء الخلفاء الذين خلقهم الباري مَنْ هو نجس لا يتعامل معه الآخرون؟ وهل يحق لبعض هؤلاء أن يفتنوا بنجاسة البعض منهم وطهارة الآخرين؟

والناس منذ خلقهم الله سبحانه وتعالى يختلفون بألوانهم وأجسامهم وعقائدهم وقومياتهم واتجاهاتهم الفكرية والفلسفية والمعرفية فمنهم الأسود والأبيض ، والطويل

والقصير، والعالم والجاهل، والعاقل والظالم، والمسالم والعدواني، والمتدين والعلماني، والملتزم والملحد، والصالح والطالح، والمؤمن الموحد والمشارك، والهاتك للحرمان والمحافظ عليها، والتمسك بحدود الله والخارق لها، وهذا ما أشار له رب العرش، إذ قال: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (الشورى: ٨)، فَمَنْ أعطى الحق لبعض المفتين والمشرعين أن يحكموا على أحد من هؤلاء البشر بالنجاسة؟ وهل الفكر الذي يحمله إنسان ما يؤدي إلى نجاسة جسده؟ وما علاقة الفكر بالجسد؟ أليس من الأولى أن يفتوا بالنجاسة على الدواعش الذين قطعوا الرؤوس وسبوا النساء وقتلوا الأطفال وهدموا بيوت الله وكفروا أصحاب كل الديانات السماوية والمذاهب؟ أليس الأحق بالنجاسة من أذابوا أبناء شعبهم في أحواض التيزاب، وقتلهم في الشوارع، ودفن الآلاف منهم في المقابر الجماعية، وإعدام رجال دين أفاضل، وأبرياء آخرين بلا ذنب اقترفوه.

هؤلاء وأمثالهم من سراق قوت المواطنين وأموال الشعب، ومثيري الحروب القذرة التي أبادت النسل والزرع أحق بالنجاسة والتخوين والذم والعزل واللعن والتهميش. ثم اننا لم نسمع بأن رسول الله (ص) قد أفتى بنجاسة من ظلوا على شركهم، وحاربوا الدعوة الإسلامية منذ بزوغها، وآذوا رسول الله (ص) وقتلوا صحابته الميامين، كأبي لهب وأبي جهل ومسيلمة الكذاب وأبي الأسود العنزي وسجاح وغيرهم، فضلاً عن ضرورة الاطلاع المركز، والتعرف الجيد على قول سيد البلغاء وإمام الأمة علي بن أبي طالب (ع) في وصيته لأحد ولاته: ((الناس صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)).

ومن خلال هذا القول السامي يمكن لنا أن نخرج إلى أن الصابئة المندائيين هم اخوتنا في التوحيد وعبادة الواحد الأحد نظراء لنا في الخلق، فكيف يكون نظيرك نجساً وبالتالي تعرضه لكل أنواع الذل والإهانة والتهميش والتكفير وسلب الحقوق؟ فضلاً عن انه مواطن يعيش معك على هذه الأرض، وربما سبقك عليها زمنياً، ويحمل بطاقة

..... "العمق التاريخي والديني للصابئة المندائيين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي"

تعريفية تشبه بطاقتك التعريفية ، وهو مضمون وفق قانون حقوق الإنسان العالمي ، مادام حاملاً قيم السلام والحب والاحترام والتعايش ، ومساهماً معك في العمل والإنتاج والعطاء ، ويعرف حدود واجباته وحقوقه الاجتماعية والأنسانية ، ويتطلع معك إلى حياة أرقى وعيش أرغد في وطن يتساوى فيه الجميع أمام القانون والدستور ، والعادات والتقاليد ، وتتبارى فيه طبقاته في تقديم الخدمة وبناء الحياة وترشيدها ، وإصلاح ما فسد منها ، والنهوض بهذا الشعب المعطاء نحو الاستقرار والأمان والرفاه والإبداع^(١).

(١) عبدالرزاق الجشعمي: بكالوريوس اللغة العربية – كلية التربية – جامعة بغداد ، مدرس في مدارس محافظة ميسان الثانوية، مؤلفاته: ديوان شعر مطبوع بعنوان (تستفزني تجاعيد وجهي) ، ديوان شعر (في أعماق المتاهة) ، قصص قصيرة (حينما يكون القمر بعيداً).

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠-١٧	المقدمة
٢١	القسم الأول: أمة حية ودين سماوي
٢١	تمهيد: التعريف بالصابئة المندائية
٢١	التعريف بالصابئة
٢٤	أصل التسمية
٢٥	معنى كلمة صابئة
٥٠-٢٨	المبحث الأول: الجذور التاريخية للصابئة المندائيين
٣١	أولاً: الارتباط بالأنبياء (ع)
٣٢	ثانياً: النبوة والارتباط الصابئي
٣٢	ثالثاً: الارتباط الروماني والتحول إلى النصرانية
٣٥	رابعاً: الصابئة وبيت المقدس
٣٦	خامساً: الصابئة والبابليون
٣٩	سادساً: التسميات التي أطلقت على الصابئة المندائيين
٤٠	سابعاً: طوائف الصابئة الأقدمين
٥٠-٤٨	أهم من تحدث عن الصابئة من المؤرخين العرب القدامى
٧٧-٥١	المبحث الثاني: أماكن تواجد الصابئة المندائيين القديمة
٥١	١- مصر

رقم الصفحة	الموضوع
٦٣	٢- فلسطين
٦٨	الصابئة المندائيون والفتح العربي الإسلامي
٧٣	٣- العراق
٧٩	٤- إيران
٧٩	٥- صابئة الهند
٩٠-٧٨	المبحث الثالث: الاضطهادات التي مرَّ بها المندائيون - مراحل التاريخ بداً من القرن الأول الميلادي.
٧٨	الاضطهاد الديني
٧٩	أحداث سنة ٢٧٣م قبل القرن الأول الهجري في إيران
٨٠	أحداث (القرن الرابع عشر) في مدينة العمارة جنوب العراق
٨٠	أحداث سنة ١٧٨٢ في الجنوب الفارسي
٨١	أحداث سنة ١٨٣١ في مدينة شوشتر
٨٣	أحداث سلطان محسن بن مهدي سنة ٥٨٨ هـ
٨٥	الصابئة في زمن المغول
٨٧	حال الصابئة المندائيين في العصر الحديث في العراق
١٠٥-٩١	المبحث الرابع: تاريخ الصابئة الحرائيين
١٣٨-١٠٦	المبحث الخامس: معتقدات الصابئة الحرائية
١٠٧	١- عقيدتهم بالله

..... "العمق التاريخي والديني للصائبة المندائين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي"

رقم الصفحة	الموضوع
١١٠	٢- عقيدتهم في النفوس والتناسخ
١١٣	٣- عقيدتهم بيوم المعاد وبعث الأجساد
١١٦	طبقات المجتمع الحراني
١١٨	أنبياء حران
١٢٢	الآلهة
١٢٤	الشخصيات الأسطورية
١٢٥	الفلاسفة والحكماء والأطباء والشعراء
١٢٩	الأنبياء المحليون
١٣٢	أبرز آراء الباحثين
١٣٢	١- ابن النديم
١٣٤	٢- من كتاب أبي عيسى المغربي
١٣٥	٣- البيروني
١٣٦	٤- مسز ليدي دراور
١٣٦	٥- أبو سليمان السجستاني
١٣٧	٦- أبو فرج بن العبري
١٣٧	٧- ابن وحشية
١٣٨	٨- أبو إسحاق الصابي
١٣٨	٩- ميتشل تارديو

رقم الصفحة	الموضوع
١٣٩-١٥٤	المبحث السادس: أوجه التشابه والاختلاف بين الصابئة المندائيين والحرانيين.
١٣٩	١- الماء الجاري (يردنا) رمز الحياة العظمى
١٤٠	٢- خلود النفس (نشمتا)
١٤٠	٣- الخضوع لما يقوله الكهنة الموكلون بالكتب المقدسة
١٤٧	بعض التشابهات المهمة بين الصابئة في حران والصابئة في البطائح
١٥١	١- فرقة الهياكل
١٥٢	٢- فرقة أصحاب الأشخاص
١٥٥-١٧٥	المبحث السابع: عقائد الصابئة المندائيين
١٥٥	أولاً: التوحيد (إيمان المندائيين بالله)
١٦٢	ثانياً: المندائية ديانة التوحيد
١٦٤	ثالثاً: التوحيد المندائي (شهدوثا ادهيي)
١٦٦	رابعاً: المندائيون أصحاب الروحانيات
١٦٨	خامساً: إيمان المندائية بالملائكة
١٦٩	سادساً: الإيمان المندائي بالأنبياء
١٧١	سابعاً: قصة الخلق المندائية
١٧٦-١٨٩	المبحث الثامن: النبي إبراهيم الخليل (ع) في العقيدة المندائية
١٧٩	الخليل والاختتان

رقم الصفحة	الموضوع
١٨١	سارت أو شارت
١٨٤	تاريخهم عمود البشرية العاقلة
١٩٠-٢٢٠	المبحث التاسع : يهيايهانا (يحيى) نبي الصابئة المندائيين
١٩٠	١- إيمانهم في نبوة يحيى (ع)
١٩٠	ولادته
١٩٣	صفاته
١٩٧	عمود النبي يحيى (ع)
١٩٧	نبي المندائية
١٩٩	يهيا والسيد المسيح
٢٠١	صباغة يهيا (المصبتا)
٢٠٢	وفاة النبي يهيايهانا
٢٠٤	يحيى بن زكريا في المعتقدات الإسلامية
٢٠٤	يحيى في القرآن الكريم
٢٠٦	يحيى في الحديث الشريف
٢٠٧	يحيى في التراث الإسلامي
٢٠٩	الصلة بين يحيى وعيسى
٢١١	يحيى في تراث المسلمين الشيعة
٢١٢	أعياد ومناسبات يحيى

رقم الصفحة	الموضوع
٢١٤	ضريح النبي يحيى
٢١٥	معجزاته
٢١٦	أقواله
٢٢١-٢٣٥	المبحث العاشر: مقدسات مندائية
٢٢١	أولاً: القبلة: الشمال قبلة الصائبة
٢٢٢	ثانياً: المندا
٢٢٢	ثالثاً: قدسية بيوت العبادة
٢٢٤	رابعاً: الشهادة الدينية المندائية
٢٢٤	خامساً: الكتب الدينية المقدسة
٢٣٢	١- الكتب السرية
٢٣٣	٢- كتب طقسية
٢٣٤	٣- كتب معرفية
٢٣٥	٤- الكتب تاريخية
٢٣٦-٢٦١	المبحث الحادي عشر: العبادات المندائية
٢٣٨	المرحلة الأولى: الوضوء (الرشاما)
٢٤١	أولاً: الصلاة (ابراخا)
٢٤٣	- صلاة البركات (براخا)
٢٤٦	- صلاة الصبح

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٧	- صلاة الظهر
٢٤٨	- صلاة العصر
٢٥٠	ثانياً: الصباغة أو التعميد
٢٥٥	- الصيام
٢٥٧	- حساب الأيام المبطلات
٢٦٠	٥- الصدقة (زدقا)
٢٦٨-٢٦٢	المبحث الثاني عشر: الكهنوت المندائي الأسرة والمجتمع
٢٦٢	السلك الكهنوتي
٢٦٣	مراتب رجال الدين
٢٦٥	ترسيم رجل الدين (طراصة)
٢٦٦	الدرافشا - العلم أو الراية
٢٩١-٢٦٩	المبحث الثالث عشر: الزواج وفق المعتقدات المندائية
٢٧١	مراسيم الزواج
٢٧٣	شرح طقوس الزواج عند الصابئة المندائيين
٢٨١	أهم الأمور الواجب اتباعها أثناء عقد المهور
٢٨٢	تعدد الزوجات ضمن النصوص المندائية المقدسة
٢٨٦	الطلاق (فساقا)
٢٨٧	الزواج المختلط

رقم الصفحة	الموضوع
٢٨٩	خامساً: الزواج المندائي (دينياً)
٣١١-٢٩٢	المبحث الرابع عشر: التشريعات في الديانة الصابئية المندائية
٢٩٢	المحرمات في الديانة المندائية
٢٩٤	التجديف بأسم الخالق (الكفر)
٢٩٥	شرب الخمر
٢٩٦	تحريم البكاء على الميت ولبس السواد
٢٩٦	تحريم تلويث الطبيعة والأنهار
٢٩٧	تحريم الطلاق (التفريق الجسدي)
٢٩٧	تحريم الرهينة و(عدم الزواج)
٢٩٩	تحريم نحر بعض الحيوانات والطيور والتشدد في ذلك
٢٩٩	تحريم النحر
٣٠١	تحريم التلون
٣٠٢	تحريم الحنث باليمين
٣٠٢	الارتداد عن الديانة المندائية
٣٠٣	النهي عن السحر والشعوذة
٣٠٣	النهي عن الربا
٣٠٤	الالتزام بوحدانية الله
٣٠٤	تحريم تكنيز الذهب

رقم الصفحة	الموضوع
٣٠٥	تحريم معاشرة غير الزوجة
٣٠٥	تحريم السجود لغير الله
٣٠٥	تحريم الختان
٣٠٥	تحريم معاشرة النساء أثناء الحيض
٣٠٦	تحريم تزويج المرأة المندائية لغير ملتهم
٣٠٧	صحف يحيى
-٣١٢	المبحث الخامس عشر: مراسيم طقوس الوفاة عند الصابئة المندائية
٣١٢	أولاً: مراسيم الموت
٣١٥	ملابس الموت (قماشي)
٣١٨	اتجاه القبر
٣١٩	٣- البانيه والتابوت
٣٢٠	٤- السكندولة
٣٢١	قصة الموت المندائية
٣٢٢	الجنة والنار عند المندائيين
٣٢٢	أنواع المطهرات (المطراشي): ديوان أو اثر أو (اباثر)
٣٢٤	قصة الموت المندائية
٣٣٣	الجنة والنار عند المندائيين
٣٣٦	القسم الأول: انواع المطهرات (المطراشي): ديوان أو اثر أو (أباثر)

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٤	القسم الثاني (المطهرات)
٣٤٤	المحور الأول
٣٤٧	المحور الثاني: (مطهر الكواكب السبعة)
٣٤٩	المحور الثالث: مطهر (الهبشبا)
٣٥٠	القسم الثاني: الصابئة والإسلام
٣٥٠	المبحث الأول: الصابئة والإسلام
٣٥٢	أولاً: الصابئة في القرآن الكريم
٣٧٨	المبحث الثاني: آراء الفقهاء المسلمين والباحثين والعلماء
٣٧٨	أقوال الفقهاء في الصابئة
٣٨٣	أثر العداوات في تشويه الأديان والمذاهب
٣٨٤	آراء العلماء والباحثين حول الصابئة المندائيين
٣٩٣	المبحث الثالث: المشتركات بين المسلمين والصابئة المندائيين
٣٩٣	ملامح التشابه بين الطقوس الإسلامية والمندائية
٣٩٨	المبحث الرابع: الصابئة المسلمون المؤمنون
٤٠٤	من هو الطاهر؟ ومن هو النجس؟
٤٠٦	مواجهة الاضطهاد بالانفتاح
٤٠٧	ابتهال مبارك اسمه
٤٠٩	المبحث الخامس: الصابئة في فتاوى المسلمين

رقم الصفحة	الموضوع
٤٠٩	الإمامية الاثني عشرية
٤١٢	فتاوى حول صائبة الأهواز بإيران
٤١٧	الحنابلة
٤١٧	الحنفية
٤١٧	الشافعية
٤١٨	المالكية
٤٢٠	المبحث السادس: الوصايا والأحاديث النبوية الشريفة بالمعاهدين من أهل الديانات التوحيدية
٤٢٠	الديانات التوحيدية
٤٢٠	الأولى: حرمة القتل بغير حق
٤٢٠	الثانية: حرمة القذف
٤٢١	تحريم ظلم الذمي
٤٢١	موقف الدولة الإسلامية من الموحدين من الديانات الأخرى
٤٢٢	شهادات علماء الغرب في الإسلام بالموحدين من أهل الكتاب
٤٢٦	المبحث السابع: التأثيرات المندائية في التراث الإسلامي
٤٢٦	الطقوس الدينية
٤٢٧	المندائية والاسماعيلية
٤٣٠	المندائية والغنوصية

رقم الصفحة	الموضوع
٤٣٢	المندائية والمعتقدات الرافدية القديمة
٤٣٤	المندائية والمنوية
٤٣٦	المندائية واليهودية
٤٣٨	المندائية والمسيحية
٤٤٠	بماذا تنفرد المندائية
٤٤٣	المبحث الثامن: العلاقة الأنسانية بين الصابئة المندائيين والمسلمين
٤٤٣	من روائع نهج البلاغة للإمام علي (ع) التي دعمت وجود الصابئة وأهل الكتب الأخرى
٤٤٦	الصابئة وذكرى عاشوراء
٤٤٦	أمثلة على مشاركة الصابئة المندائيين اخوانهم المسلمين الشيعة في عاشوراء
٤٤٦	خلاوي ناصح عبد الله
٤٤٨	قصيدة الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد
٤٥٢	الصابئي المندائي
٤٥٣	شعاع النور للإمام المهدي (عجل الله فرجه)
٤٥٤	مصادر الكتاب

بأسم الله الحي العظيم

المقدمة

لكل شعب تراث ديني يواكب مسيرة حياته ويميزه عن غيره من الشعوب الأخرى ، ومن هذه الشعوب من ضرب تراثه في عمق التاريخ مثل المندائيين ، الذين تجذر تراثهم الديني مع بدايات تاريخ الوعي البشري ، لذلك فإن البحث في التراث المندائي : الديني والحضاري ، هو بحث في بدايات الفكر الأنساني الذي يبدأ مع قصة الخلق والوجود .

تعد الديانة المندائية من أقدم الديانات السماوية التي ظهرت ليس في العراق فقط بل في الشرق القديم كله ، فهي ديانة حنيفية توحيدية آمن أتباعها بأنبياء الله الذين بشروا بكل الديانات السماوية : آدم وشيث ونوح وإدريس (عليهم السلام) ، وكان آخر أنبيائهم وأعظمهم يحيى بن زكريا (عليهما السلام). وقد ربطوا قصة وجودهم مع أبي البشر وأول الأنبياء ، فكتابهم المقدس بدا تنزيل صحائفه على آدم (عليه السلام) ، وتتابع حتى نبي الله يحيى (يهيا) الذي امتاز بعظمة العفة وسمو الخلق ، وكانت وصاياه لأتباعه أن يتابعوا السير على هدي النبوة وتعاليم السماء ، فجسد المندائيون معنى الإيمان الحقيقي الذي أرادوه بالحب لكل الأمم والشعوب والطوائف .

وربما بسبب إيغال المندائية في الزمن فان جذور وأصول هذه الديانة غير معروفة على وجه الدقة ، ويشوبها شيء من الغموض . ولعل انعزال أتباعها وانغلاقهم الديني الشديد نتيجة تعرضهم لاضطهادات ومضايقات متواصلة على مر العصور ، كان أيضاً من جملة الأسباب ، مما أدى إلى تشتتهم وقيامهم بهجرات لا تنتهي ، تسببت بضياح الكثير من الوثائق والمدونات التي سجلت مسيرتهم كشعب ، ووثقت نمط حياتهم وفكرهم ومعتقداتهم الدينية . كذلك يواجه الباحث قلة المصادر التي توضح بعض الفترات والأحداث التاريخية للمندائيين ، كما أن بعض المندائيين ، ذوي المرتبات الدينية

والاجتماعية، أحجموا عن المساهمة في توضيح الفكر المندائي خوفاً من الاستهداف والتطرف. إضافة لهجرة كثير ممن يمتلك معلومات ومصادر تاريخية ودينية قيمة. لهذا لا يمكن للدارسين أن يرسموا من خلال الوثائق المندائية صورة متكاملة لهذا الشعب ولديانته القديمة، أو حتى أن يحددوا زمان أو مكان تواجهه على وجه اليقين، فهناك بالتأكيد جوانب هامة ومراحل طويلة اختفت تحت غبار المجهول.

لكن هناك حقيقة يدركها كل باحث بأن أي دراسة لتأريخ المندائيين لا يمكن أن تنفصل عن تأريخ بلاد الرافدين، فعلى كل شبر من شواطئ أنهارها نجد لهم فيه أثراً، فقد كانوا في البداية منتشرين في بلاد الرافدين وفلسطين، ولا يزال الكثير منهم يسكن بقاع الأرض المختلفة. وكذا لم تكن مدن أو قصبات جنوب العراق أو الأهواز في إيران لتخلوا من المندائيين، وإن كانوا قلة، فهم أصحاب مهن وحرف امتهنوها منذ الأزل وعاشوا معها واعتاشوا منها، وصنعوا حياة جميلة لهم ولأسرهم ولجوارهم. لقد كان المندائيون بحق شعباً مسالماً وودوداً في كل جوانب حياته ومراحلها، كانوا أمة لعبت دوراً حضارياً ملحوظاً في تطور الحياة في وادي الرافدين، وخاصة في النواحي الروحية والفكرية، وهم كما يقولون عن أنفسهم: أمة ولدت منذ الأزل، وهي أقدم من سكن الأرض وشارك في إعمارها.

نحن نرغب اليوم بالقيام بهذه المحاولة المتواضعة، لتسليط الضوء على بقايا الأمة المندائية الحريصة على ارتباطها بأرضها ووطنها وحضارتها ودينها، عمدنا إلى تبيان تاريخهم وتجزهم بهذه الأرض، مع التركيز على ارتباطهم الديني والاجتماعي بالأديان والمذاهب الأخرى المجاورة لهم، حتى ليبدو للباحث كأن المندائية فرع من مجموعة معتقدات المنطقة، تشاركهم في كثير من الطقوس والعبادات كالصلاة والصيام والطهارة، وكذلك في القيم الأخلاقية التي دعت إليها الديانات السماوية كلها: الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى نتأكد بأن الديانة المندائية واحدة منها ومتلاحمة معها. وبالمقابل فان

هذه الأديان قد نصت في كتبها المقدسة على ما يثبت صدق المندائيين وعمق ارتباطهم الروحي بالأنبياء الأولين، عندما ذكرت أنبيائهم، ولبت من أتباعها الإيمان بهم. لقد نشأت الديانة المندائية في أرض الرسالات السماوية، وبشرت في حيز جغرافي واحد معها، كما نستطيع ان نعد أن هذه الديانات السماوية كلها نتاج ثقافات وأفكار وتقاليد هذا الحيز الواحد.

لكل ذلك حاولنا أن يكون هذا الكتاب مدخلاً للتعريف بحقيقة الديانة المندائية، ولْيُمْكِنَ القارئ، الذي يتمتع بمتابعة واعية، من أن يتبين مدى التقارب في التشريعات والفروض والأحكام بين تلك الأديان. ونتوقع بأنه سيخرج بنتيجة مهمة جداً وهي وحدة القيم والأهداف البعيدة للأديان السماوية جميعاً لأنها تنطلق من الإيمان بإله واحد خالق رحيم، وكلها ترجو خير الأنسان، وراحة نفسه. ومنها بل وأقدمها كانت الديانة المندائية التي لم تخرج بشيء عن عالم الأديان السماوية، بل نجد فيها حالة فريدة من التماثل معها.

كما حاولنا من خلال هذا الكتاب التأكيد على ما يلي:

- ١- إبراز دور الأمة المندائية كواحدة من أقدم الأمم التي عاشت في أرض الرافدين، وانهم دليل تاريخي حي على عمق الحضارة الرافدينية.
- ٢- التعريف بموطن المندائيين القديم، وامتداد هجراتهم التي لازمت مجاري الأنهار العظيمة: الفرات ودجلة وكارون وتوزعهم الحالي في مناطق الاهوار جنوبي العراق وشمال غرب إيران.
- ٣- توضيح ان الديانة المندائية هي أقدم الرسالات السماوية الموحدة، وان الديانات السماوية الأخرى تشترك معها في تقديس أنبيائها من آدم وحتى يحيى.
- ٤- التأكيد على وحدة الكتاب المقدس للمندائية (كنزاربا)، المكتوب باللغة الآرامية، مع الكتب المقدسة للديانات السماوية من حيث الشكل والمضمون، فهو مثلها يدعو إلى

مكارم الأخلاق وتبيان الحلال والحرام ، كما يماثلها بانقسام فقراته إلى آيات وسور
(بوث ٩).

٥- التعريف باللغة المندائية التي هي فرع من اللغة الآرامية الشرقية ، وتضم : البابلية
والسريانية والمندائية .

٦- شرح الواقع الحالي للمندائيين ووسائل عيشهم ، من خلال المهن الحرفية التي كادت
أن تكون خاصة بهم ، كالحدادة ، وتصنيع أدوات الصيد والزوارق ، ومهنة الصياغة
التي هي من أقدم المهن التي احترفوها .

٧- ما واجهه ويواجهه المندائيون من اضطهاد بسبب الجهل وعدم المعرفة الحقيقية
بالديانة والشعب المندائي .

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذا العمل فهي تتلخص بما يشوب التاريخ والعقائد
المندائية من الغموض والسرية ، وندرة المصادر تاريخية كانت أم دينية ، يضاف لكل ذلك
صعوبة الاطلاع على الكتب المندائية الروحية المقدسة ، والبحث في نصوصها لأنها دونت
باللغة الآرامية القديمة غير متداولة في يومنا هذا .

الشيخ الدكتور
زين العابدين عبد علي الكعبي
كلية التربية الاساسية - جامعة ميسان

خضر حميد عبيد الزهيري
بكالوريوس آداب لغة عربية
جامعة البصرة

القسم الأول أمه حية ودين سماوي تمهيد التعريف بالصابئة المندائية

– التعريف بالصابئة المندائية :

هي ديانة النداء الإلهي الأول، النداء التوحيدي، اول الديانات واقدمها، هي ديانة أتباع آدم ابي البشر، شيث بن ادم(شيتل)^(١)، وأنش (انوش بن شيث)، وإدريس(دنانوخت)، ونوح(نو)، وسام بن نوح(شوم)، ويهيا يهانا (يحيى بن زكريا) أنبياء الله الحي الأوحد العظيم مباركة اسماؤهم ومبجل اسم خالقهم - هذه الديانة تعدُّ الحي العظيم وهو العالي فوق كل الاعمال ولا شريك له به من اولوياتها ويعدُّ يحيى عليه السلام نبياً لها، والتعميد في المياه الجارية من أهم اركان هذه الديانة فضلاً عن التوحيد والصلاة والصوم والصدقة.

وقبله الصابئة المندائيين تكون في أقصى الشمال حيث ملكوت الحي العظيم ، ويستدلون بالنجم القطبي كدالة لتحديد إتجاه الشمال . فقد ورد في الكتاب المقدس كنزاربا (الكنز العظيم). بأسم الحي العظيم ، قوله :

(١) لقد جاء في كتابنا المبارك كنزا رباً في عروج شيتل ((بَر تمانن إشنئي وشيفولي إد أنوث لا أرَدخلا وفوري لا هوالي)) انه ابن الثمانين سنة لم يسبق له أن تزوج وليس له أبناء وفي نص آخر يقول: ((شيتل نيصبنا طابا إد إشنل بالمي وداري)) شيتل هو الغرس الطيب في العوالم والأجيال أمّا شيت بر آدم هو من سلالة آدم وآدم هو الأب الروحي له كما تعلم أنّ كل البشر هم أبناء آدم ولهذا ((آدم ير هَوا)) تصلح أن تكون ملواشة لكل مَنْ لا نعرف له ملواشة كذلك ((هَوا بث هَوا)) لكل امرأة لا نعرف ملواشتها. الاستاذ امين افغيل استراليا.

((لاتسبحوا للكوكب والأبراج ولا تسبحوا للشمس والقمر المنورين هذا العالم (الأرض)

فإن الله هو الذي وهبها النور)) . الحي المزكي^(١) كنزاربا اليمين.

المندائي يختم الموضوع (الرشامة) بالعبرة التالية ((لغريّ إيديّهون إد شبا وترسر
لاتشتلط إليّ)) ليكن طريقي بعيداً عن تناول السبعة والاثنى عشر وهذا يعني أن
المندائيين يعتبرون تأثير الكواكب والأبراج على الإنسان سلبياً أما الكواكب السبعة والتي
يعبر عنها بالمندائية (شوا شوياهي) أو (الشوا) فقط فهي [شامش (الشمس)، سين
(القمر)، نيرغ (المريخ)، أنبو (عطارد)، بيل (المشتري)، كيوان (زحل)، ليبات
(الزهرة)].

قديمًا كان الإنسان يعتقد أن هناك تأثيراً من الكواكب والنجوم (منزلاً) على حياته
ومستقبله، ودخلت تأثيرات الكواكب معتقدات المجتمعات القديمة ولازال من يعتقد
بها، فبات لزاماً من يوم ولادة الإنسان أن يتحدد برجه ونجمه ليتمكن من قراءة طالع
ومستقبله مُدُ عُرُفت ساعة ولادته، ومصداقية ذلك في مخطوطة سفر البروج (أصفر
ملواشي)، وعلى ضوء ذلك تقرر حياة الإنسان، واستطاعوا تصنيف البشر على أنواع
محددة لا تتغير لأن معلومات كل برج معروفة ومحددة، كما كانت معلومات طبيعة
الإنسان في السابق لا تخرج عن أربع طبائع وهي الترابية والمائية والهوائية والنارية،
ولكل طبيعة مواصفات محددة تكبل حياة الإنسان وتجعله أسيراً لغرائزه وتبعده عن
الإرادة والتفكير في المستقبل الزاهر. لذلك مهما كانت تأثيراتها إيجابية أم سلبية
فالصابئة المندائيون ينظرون إليها كحالة شريرة يجب الاحتياط منها والتسلح بالمعرفة
ضدها كما في هذه العبارة المقتطفة من متون الكنوز المندائية [يا آهي إد كُشطا زِينِيخون

(١) والحيّ المزكي: (إلهيّ زاكُن)، كلمة ختامية، تبين انتهاء النص، وهي ليست من أصله، ربما
أضيفت فيما بعد، وهي تماثل (صدق الله العظيم) للنصوص القرآنية.

ناصروثا]، [يا أخوان العهد ليكن سلاحكم الناصورائية]، كما أن في طقس الصباغة لا تكون الشمس والقمر والنار شهوداً لأنها باطلة أي زائلة وكل مَنْ يسجد لها باطل.
بأسم الحي العظيم ((لا تمجدوا الشَّمْسَ والقمر (٢٠٨) هو الله الذي أمر (٢٠٩) فكان لهما وللكواكب هذا الضياء ، لكي ينيروا به الظلماء(٢١٠) فأذا نادى الحي العظيم، سقطت كلُّها في قرار بهيم)). الحي المزكى كنزاربا .

اصل التسمية

وأُشتقت كلمة (صابئة) من الفعل (صَبَا) أو (صَبَغ) كما تلفظ اليوم، وهي كلمة مندائية آرامية تعني انغمر في الماء أو تعمّد، وكلمة الصابئة تعني الصابغة أو المتعمدين بالماء. وأطلقت على أتباع هذه الديانة بسبب ممارستهم التعميد الذي يُعدّ طقساً أساسياً ورئيسياً من طقوسهم الدينية. فهم يقولون نحن الصابئة، أي الصابغة (اذ لا وجود لحرف الغين في اللغة المندائية)، ولا علاقة لهذه الكلمة بكلمة (صبا) العربية التي تعني خروج الفرد من ديانة أسلافه إلى ديانة اخرى موحدة. أما كلمة (مندائي) المقترنة بهم أيضا فهي مشتقة من كلمة (مندا) الآرامية والتي تعني المعرفة أو العلم. والمعرفة المقصودة هنا هي المعرفة اللاهوتية التي تتمحور حول الخالق وطبيعته وصفاته.

بينما ذهب المستشرق الانجليزية : الليدي دراوور : بأن الصابئة كلمة مأخوذة من كلمة — صبا — ومعناها : الاغتسال بالماء الجاري، أو من صبا الآرامية بمعنى : يغطس و يتعمد^(١) وهم يطلقون على الماء الجاري او النهر اسم : يردنه ، وليس لها علاقة بنهر الأردن ، فالأردن و النيل كلاهما عند الصابئين يسمى : أردنه ، أو: يردنه.

يؤكد البعض أن كلمة صابئة جاءت من جذر الكلمة الآرامي المندائي (صبا) أي بمعنى (تعمد، اصطبغ، غط، غطس) وهي تطابق أهم شعيرة دينية لديهم وهو طقس (المصبتا — الصباغة — التعميد) فلذلك نرى أن كلمة صابئي تعني (المصطبغ أو المتعمد).. أما كلمة مندائي فهي آتية من جذر الكلمة الآرامي المندائي (مندا) بمعنى المعرفة أو العلم، وبالتالي فالمندائي يعني (العارف أو العالم بوجود الخالق الأوحد).

(١) ظ: الصابئة المندائيون / ٨.

ان التسمية جاءت من فعل (صبغ) الذي يعني الأتس في الماء أي اصطبغ بدينهم فهو (الصابغون) والاصطباغ^(١) في الماء (التعمدي) من اهم طقوسهم واركان دينهم ولكون حرف الـ(الغين) لا يوجد في لغتهم يحولونه همزة فاصبحت التسمية صابئة. ومع وضوح الأسم الدال على هذا المكون الذي ضرب جذره في أطناب التاريخ إلا أن هناك من يرى نوعاً من الغموض والضبابية في التسمية واعطاها مسميات اخرى، كالمندائية والحرائية وغيرها، ولكن الاكثر وضوحاً هي (الصابئة المندائيون). كما إن اختلاط المسميات عند بعض الباحثين أوقعهم في حال من التشويش والضبابية إنعدمت معها رؤية الصورة الناصعة لهم، مما ادى ذلك إلى الخلط وإلى القصور في التحليل فذهبت نتائج الأبحاث بعيداً عن الصابئة المندائيين بدلا من الاقتراب منهم. وقد ذكر الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد في كتابه (إبراهيم ابو الأنبياء) أن الصابئة المندائيين سُموا بهذه التسمية لكثرة الأختسال في شعائرهم وملازمتهم شواطئ الأنهار.

- معنى كلمة صابئة^(٢) :

يختلف تفسير كلمة صابئة في المراجع اللغوية كما تختلف تسمياتهم الأخرى ولهذا التبس الأمر حتى على بعض المفسرين وعلماء اللغة ومن هذه الشروح ما هو منطقي معقول ومنها ما هو غير منطقي ولا معقول، فمن الشروح المعقولة:

- ١- إذا كانت كلمة (صبا) بمعنى رفع رأسه إلى السماء تعبداً فهم كذلك.
- ٢- وإذا كانت الكلمة من (صبغ) والآرامية بمعنى التعميد فهم الصابغة أي المتعمدون وهي التسمية المناسبة بل التسمية الحقيقية الصحيحة وقد ورد ذلك في طقوس

(١) الاصطباغ: أو الصبغة، تعني العمادة في الماء، وصفة الصباغة دقيقة التعبير هنا، يُغطس الثوب في ماء الصباغة يكون بلون، وعندما يخرج، يكون زاهياً، بلون آخر، الإنسان. ومن المعروف أن طقوس التطهر بالماء استمرت على ضفاف الأنهار، وربما الأقرب منها للطقوس المندائية هي طقوس الإله ميثرا في الزردشنتية (٢) الباحثة والشاعرة لميعة عباس عمارة ، مجلة مندائيي.

الصابغة (التعميد) في قولهم: ((اصبيني بمصبتة اد بهرام ربا))، أي عمدني بعماد إبراهيم الكبير.

ووردت في القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)

صدق الله العلي العظيم

ووردت في الإنجيل على لسان السيد المسيح (ع):

((وبالصبغة التي اصطبغ بها تصطبغ)).

٣- وإذا كانت من كلمة سبأ، التي تعني (شيخ) بالآرامية أو دولة سبأ دولة الشيوخ

فالصابئة يطلقون لحاهم وشعور رؤوسهم فلهم هيئة الشيوخ وقد ورد في كتاب

دراشد يهيا بالمندائية:

((يا أبا صبا زكر))

أي: يا أبانا الشيخ زكريا

وهذه أيضاً تسمية مقبولة لأن رجالهم شيوخ.

٤- وإذا كانت من (صاب) بن إدريس (ع) وإليه تنسب الصابئة كما يقول المؤرخون

فهذا أيضاً معقول.

٥- وإذا كانت من صب الماء للاغتسال وهي كلمة عربية فهذا أيضاً مقبول لأنهم

مغتسلة.

وكيفما اجتهدنا في تفسير كلمة صابئة يكون معناها (المندائيون الصابئة - اسم دين)

وكل التفاسير هي مجرد اجتهادات تحاول أن تعتمد على أصل لغوي أو تاريخي أو

وصفي.

ولكن من غير المقبول وغير المعقول وغير الواقعي هو:

أن الصابئة من الفعل صبأ أي خرج من دين إلى دين لأن الخروج من دين إلى دين حالة مؤقتة وسريعة تنتهي بتسمية جديدة ولا تلتصق بالشخص أو المجموعة إلى الأبد كما نسمي الماء المتجمد ثلجاً أو الثلج الذائب ماءً أي انه يأخذ اسم الحالة الجديدة بالسرعة التي يخرج بها من حالته السابقة ومن الأدلة على أن الصابئة دين ثابت وليس حالة متغيرة هو ما يروى عن الشاعر الجاهلي لبيد حين أرسله قومه ليستطلع حقيقة الدعوة من الرسول (ص) فعاد لهم مسلماً والرواية من كتاب الأغاني.

قال سراقه بن عوف الأحوص في لبيد الشاعر بعد أن أرسله قومه إلى الرسول (ص)

ليرى خبره:

لعمري لبيد انه لابن أمه	ولكن أبوه مسه قدم العهد
دفعناك في أرض الحجاز كأنما	دفعناك فحلاً فوقه قرع البلد
فجئت بدين الصابئين تشوبه	بألواح نجد بعد عهدك من عهد

هذه الابيات تدل أن الصابئة دين معروف العصر الجاهلي دين قائم بذاته وتلقي ضوءاً على المفاهيم السائدة في ذلك الوقت فالناس كانوا يعرفون الكثير من عقائد الصابئة ولمسوا الشبه الكبير بينه وبين الإسلام - هذ- الدين الجديد.

المبحث الاول

الجذور التاريخية للصابئة المندائيين

أولاً : الأرتباط بالأنبياء(ع) :

- آدم :

أنزل الله تعالى عليه إحدى وعشرين صحيفة، وهب الله الحياة لآدم(ع) لمدة ألف عام، ولكن آدم (ع) وهب اربعين عاماً منها إلى ابنه داود لذا فقد توفاة الأجل وهو في عمر التسعمائة وستون عاماً ٩٦٠ عاماً.

وأوصى بعده إلى ابنه شيث، وكان فيه وفي بنيه النبوة والدين والعبادة والقيام بحقوق الله تعالى وشرائعه.

وأنزل الله تعالى على شيث تسعاً وعشرين صحيفة، وكان مسكنه فوق الجبل وسكن ولد قابيل أسفل الوادي، وكان عمره ٨٠ سنة واثنيتي عشرة سنة واستخلف ابنه (أنوش) وكان عمره ٩٥٠ سنة، واستخلف ابنه قينان وهو الذي كانت الوصية إليه وقسم الأرض بين بني أبيه، فطاف وهو ابن تسعمائة وعشرين سنة، ودفع الوصية إلى ابنه (هطيل) وفي وقته بنيت الكعبة وكان عمره ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة وأوصى إلى ابنه(يرد) وعلمه وضع العلوم وأخبره بما يجري في العالم ويحدث بنظره في النجوم.

وولد ل(يرد) خنوخ وهو إدريس عليه السلام، وقد تقدم خبره مع يمحويل الملك ويقال إن يمحويل الملك بعث إلى أبيه أن يبعث اليه إدريس فامتنع، فوجه اليه جيشاً فمنعه منه أعمامه.

وجميع ولد (شيث)، فلم يصل اليه، ولم يكن بعد شيث وحي، حتى نبأ الله تعالى إدريس [عليه السلام] .

وكان عمر(يرد) سبعمائة وخمسين سنة، ويقال إنه أول من استوقد واستعبد وغزا بني قابيل، ونظر في علم الفلك، ووضع المكيال والميزان، وأوتي علم الطب والنجوم، وعلم الزيجات بحساب غير حساب الهند، وسأل ربه فأراه الصور الفلكية العالية. إذ كانت الارواح تخاطبه، وعلم أسماء الصعود والهبوط فصعد وهبط، ودار [حول] الفلك وعرف أشكال النجوم ووقف على مسير الكواكب، وعرف كل ما يحدث في العالم، فزبره على الحجارة وعلى الطين. إذ وزيد مع ذلك كل العلوم والصناعات، وكانت له قصص تطول مع ملك الموت ومات ثم عاش ونظر إلى النار ودخل إلى الجنة ولم يخرج عنها.

ورفع على رأس ثلاثمائة سنة من عمره، وكان يقال له (هرمس) بأسم عطارد، وعلم ابنه (صابيا) الخط فقيل لكل من كتب الخط بعده صابيا. وهو الذي أُخبر بالطوفان، وما يحدث في العالم ودفع الوصية، والصحف إلى ابنه (متوشلخ) وأمر صابيا بمعونته.

وكان ((صابيا)) قد بلغ مبلغاً جليلاً، وعاش متوشلخ تسعمائة سنة واثنتين وثلاثين. وانتقلت الوصية إلى ابنه(ملك) فأخذ في البحث وجمع العلوم، وأقبل على بني أبيه فجمعهم وأمرهم ونهاهم وحضهم على الجور لولد قابيل ونهاهم عن قربهم وعن الاختلاط بهم، وهو الذي رأى ناراً خرجت من فيه، فأحرقت العالم.

ولما ولد له نوح عليه السلام والملك يومئذ(درمشيل) بن يمحويل بن خنوخ ابن يحمور بن قابيل بن آدم عليه السلام، وكان قد تجبر وقهر الملوك على ما تقدم، لكننا نعيد ذكره هنا لما ورد في هذا الخبر من الزيادة والاستقصاء.

وكان إبليس قد استمال الملك ودعاه إلى عبادة الكواكب ودين ((الصابئة))، وقال له هو دين أجدادك، فأجابه وعمل له الشيطان هياكل واصناماً عبدوها.

ويقال إنه لم يستخرج أحد من المعادن والجواهر واللؤلؤ والمرجان أكثر مما كان في وقت (الدرمشيل)، وكان شديداً على نوح والله تعالى يحفظه منه وعاش الملك ثلثمائة سنة.

ونبأ الله تعالى نوحا عليه السلام وهو ابن مائة وخمسين سنة وارسله إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان مائة سنة، وكان أول نبي بعد إدريس عليهما السلام.

وكانت شريعته التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وجهاد الأعداء، فدعا قومه إلى الله تعالى وحذرهم عذابه، وكلما قام فيهم ودعاهم عنفوه وحذروه وأخفوا أمره عن الملك، وكان يحضر هياكلهم وبيوت أصنامهم، فاذا قال لهم قولوا لا إله إلا الله وأنني عبد الله ورسوله جعلوا أصابعهم في آذانهم وادخلوا رؤوسهم في ثيابهم تبرأ مما يقول. ولما قال لهم يوماً قولوا لا إله إلا الله وقعت الأصنام على وجوهها فقاموا اليه فضربوه حتى سقط على وجهه، وعرف الملك خبره فأحضره وقال له ما هذا الذي بلغني عنك من مخالفتك لديني وما عليه بنو أبيك، وسببك لآلهتنا؟ وما هذا السحر الذي اسقطت به الأصنام عن كراسيها؟ ومن الذي علمك ذلك؟^(١).

(١) ظ: أخبار الزمان : ١١٤/١ .

ثانياً: النبوة والإرتباط الصابئي

كَانَ زَرَادُشْتُ فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينَ يَخْدُمُ لِبَعْضِ تَلَامِيذَةِ إِرْمِيَا النَّبِيِّ خَاصًّا بِهِ، فَخَانَهُ وَكَذَّبَ عَلَيْهِ، فَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهِ فَبَرِصَ وَلَحِقَ بِبِلَادِ أَدْرَبِيجَانَ وَشَرَعَ بِهَا دِينَ الْمَجُوسِ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنَ الْعَجَمِ. وَصَنَّفَ كِتَابًا وَطَافَ بِهِ الْأَرْضَ، فَمَا عَرَفَ أَحَدٌ مَعْنَاهُ، وَزَعَمَ أَنَّهَا لُغَةٌ سَمَاوِيَّةٌ خُوِطِبَ بِهَا، وَسَمَّاهُ: أَشْتَا، فَسَارَ مِنْ أَدْرَبِيجَانَ إِلَى فَارِسَ، فَلَمْ يَعْرِفُوا مَا فِيهِ وَلَمْ يَقْبَلُوهُ، فَسَارَ إِلَى الْهِنْدِ وَعَرَضَهُ عَلَى مُلُوكِهَا، ثُمَّ أَتَى الصِّينَ وَالتُّرْكَ فَلَمْ يَقْبَلْهُ أَحَدٌ وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَقَصَدَ فَرْغَانَةَ، فَأَرَادَ مَلِكُهَا أَنْ يَقْتُلَهُ فَهَرَبَ مِنْهَا وَقَصَدَ بَشْتَا سَبَ بْنَ لَهْرَاسِبَ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ، فَحُبِسَ مُدَّةً.

وَشَرَحَ زَرَادُشْتُ كِتَابَهُ وَسَمَّاهُ: زَنْدًا، وَمَعْنَاهُ: التَّفْسِيرُ، ثُمَّ شَرَحَ الزَنْدَ بِكِتَابِ سَمَّاهُ: بَارَنْدًا، يَعْنِي: تَفْسِيرَ التَّفْسِيرِ. وَفِيهِ عُلُومٌ مُخْتَلِفَةٌ كَالرِّيَاضِيَّاتِ، وَأَحْكَامِ النُّجُومِ، وَالطَّبِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ. وَفِي كِتَابِهِ: تَمَسَّكُوا بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ إِلَى أَنْ يَجِيئَكُمْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، يَعْنِي مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَلِكَ عَلَى أَلْفِ سَنَةٍ وَسِتِّمِائَةِ سَنَةٍ. وَبَسَبَبِ ذَلِكَ وَقَعَتِ الْبَغْضَاءُ بَيْنَ الْمَجُوسِ وَالْعَرَبِ. ثُمَّ يَذْكَرُ عِنْدَ أَخْبَارِ سَابُورَ ذِي الْأُكْتَا فِ أَنْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِعَزْوِهِ الْعَرَبَ هَذَا الْقَوْلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ إِنَّ بَشْتَا سَبَ أَحْضَرَ زَرَادُشْتَ، وَهُوَ بَبْلَخَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ شَرَعَ لَهُ دِينَهُ، فَأَعْجَبَهُ وَاتَّبَعَهُ وَقَهَرَ النَّاسَ عَلَى اتِّبَاعِهِ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا حَتَّى قَبِلُوهُ وَدَانُوا بِهِ. وَأَمَّا الْمَجُوسُ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ أَدْرَبِيجَانَ، وَأَنَّهُ نَزَلَ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ سَقْفِ إِيوَانِهِ، وَبِيَدِهِ كَبَّةٌ مِنْ نَارٍ يَلْعَبُ بِهَا وَلَا تَحْرِقُهُ، وَكُلُّ مَنْ أَخَذَهَا مِنْ يَدِهِ لَمْ تَحْرِقْهُ،

وَأَنَّهُ اتَّبَعَهُ الْمَلِكُ، وَدَانَ بِدِينِهِ، وَبَنَى بُيُوتَ النَّيِّرَانِ فِي الْبِلَادِ، وَأَشْعَلَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ فِي بُيُوتِ النَّيِّرَانِ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّ النَّيِّرَانَ الَّتِي فِي بُيُوتِ عِبَادَتِهِمْ مِنْ تِلْكَ إِلَى الْآنَ. وَكَذَبُوا فَإِنَّ النَّارَ الَّتِي لِلْمَجُوسِ طُفِنَتْ فِي جَمِيعِ الْبُيُوتِ لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى مَا نَذَرُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَانَ ظُهُورُ زَرَادُشْتِ بَعْدَ مُضِيِّ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِ بَشْتَأَسِبَ، وَأَتَاهُ بِكِتَابٍ زَعَمَ أَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُتِبَ فِي جِلْدِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ بَقْرَةَ حَفْرًا وَنَقَشًا بِالذَّهَبِ، فَجَعَلَهُ بَشْتَأَسِبُ فِي مَوْضِعٍ بِإِصْطِخْرٍ وَمَنَعَ مِنْ تَعْلِيمِهِ الْعَامَّةَ. وَكَانَ بَشْتَأَسِبُ وَأَبَاؤُهُ قَبْلَهُ يَدِينُونَ بِدِينِ الصَّابِئَةِ^(١).

وَمَاتَ بَشْتَأَسِبُ، وَكَانَ مُلْكُهُ مِائَةَ سَنَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَبِيلَ مِائَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقَبِيلَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَقِيلَ: إِنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ زَعَمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ أُرْسِلَ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعَ بِهِ بَبْلَخَ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْعِبْرِيِّ، وَزَرَادُشْتُ نَبِيُّ الْمَجُوسِ يُعْبَرُ عَنْهُ، وَجَامَأَسِبُ الْعَالِمُ هُوَ حَاضِرٌ مَعَهُمْ يُتَرَجَّمُ أَيْضًا عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، وَكَانَ بَشْتَأَسِبُ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ آبَائِهِ وَسَائِرِ الْفُرْسِ يَدِينُونَ بِدِينِ الصَّابِئَةِ قَبْلَ زَرَادُشْتِ^(٢).

ثالثاً: الارتباط الروماني والتحول إلى النصرانية:

غرقت جزيرة الأندلس فهي منذُ في قديم الزمان عند الروم بجزيرة أشبانية، وكان دين أهلها في الدهر القديم دين الصابئة من عبادة الله وتقديس الكواكب واستنزال قواها والتقرب إليها بأنواع القرابين، شهدت بذلك طَلْسَمَاتُ وَجَدت بها وضعتها القدماء من

(١) الكامل في التاريخ ابو الحسن علي بن أبي الكرم(بن) بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الاثير: ٢٢٧/١.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٤٠/١.

أهلها؛ ثم انتقل أهلها إلى دين النصرانية حين ظهر على أيدي أصحاب المسيح -عليه السلام-^(١).

أما ملوك الروم وتحولهم من الصابئية إلى النصرانية فهذا ما نلاحظه في كتب التاريخ، الذي يدل على عمق الديانة الصابئية وتجزرها :

تغلّب اغوستس أول القياصرة على ملوك اليونانيين وأضاف مملكته إلى مملكتهم فصارت مملكة واحدة رومية عظيمة الشأن كما فعلت مملكة الفرس بمملكة الكلدانيين حتى استولت عليها وصيرت المملكتين مملكة واحدة فارسية. وصارت مملكة رومية قاعدة هاتين المملكتين إلى ان قام قسطنطينوس بن هيلاني بدين المسيح ورفض دين الصابئة وبنى مدينة بوزنطيا وعظّمها وسماها بأسمه القسطنطينية واستوطنها فصارت حينئذ قاعدة ملك الروم إلى سنة ألف ومائتين واثنين وستين للإسكندر حتى قوي العامل على رومية وكثرت جموعه فلبس التاج وسمي ملكا بكافة ملك قسطنطينية ورضي بسلمه وتميّزت^(٢).

تملك مقسنطيوس على مدينة رومية وما اتصل بذلك من أرض الافرنجة وتملك معهما على بلاد بوزنطيا وما يليها قسطنس أبو قسطنطين ثم هلك قسطنس فأفضى أمر المملكة إلى ولده قسطنطين المعروف بأمه هيلاني، وكانت له مع مقسيميانوس ومقسنطيوس برومية وغيرها حروب طويلة إلى ان هلك مقسنطيوس وخلع مقسيميانوس نفسه، وكانت مدة ملكهما نحواً من تسع سنين قال ابو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي: فهذه الطبقة الاولى من ملوك الروم الذين كانوا على دين ((الصابئة)) وهي الحنيفية الاولى وهم أربعون ملكا وفي زيج ثاون الإسكندراني ان عدة الملوك من أوغسطس إلى قسطنطين بن هيلاني تسعة وعشرون ملكا، وسبيل هؤلاء الملوك من أوغسطس إلى قسطنس أبي قسطنطين سبيل ملوك الفرس الاولى والطوائف من جيومرت إلى أردشير مضطرب

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى آخر عصر الموحدين: ٢٦٣/١.

(٢) تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس، ابو الفرج المعروف بابن العبري: ٦٤/١.

تاريخهم متنازع في أعدادهم غير محصلة أوقاتهم، وإنما يعول على تاريخ ملوك الروم من قسطنطين المظهر لدين النصرانية والمحارب عليها كما تعول الفرس في تاريخ سنيها وتحصيل أيام ملوكها مذ ملك أردشير بن بابك على أنا لم نأل جهدا في تحصيل أعداد ملوكهم ومدة أيامهم، ونحن ذاكرون الطبقة الثانية من ملوك الروم المنتصرة قبل ظهور الإسلام وبعده إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥م أول ملوك هذه الطبقة قسطنطين بن قسطنس يعرف، بأمه هيلاني، واليه ينسب على ما قدمنا، ملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذي أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت في البلاد إلى هذه الغاية، وقد ذكرنا في كتاب (الاستذكار، لما جرى في سالف الاعصار) التنازع في سبب تنصره وتركه ما كان عليه من مذاهب الحنفاء، وما قالت الحنفاء في ذلك من ظهور الوضح في جسمه وإجماعهم على خلعه، إذ كان في أصل دياناتهم وواجب عباداتهم أن من كان به ذلك لا يصلح للملك، وانه مايل من فشا فيه دين النصرانية واستظهر بهم وبخاصته وصنائه على من خالفه وأظهر النصرانية، إذ كان غير محظور فيها تمليك من به ذلك وقول من قال منهم انه كتم ما ظهر به وأفشاه إلى بعض وزرائه ممن كان يخفى النصرانية، وأعلمه انه يخشى خلعه عن الملك، فضمن له القيام بكفايته ذلك وأنفذ عدة عساكر إلى من حوله من الأعداء مرة بعد أخرى، بأسماء الأصنام السبعة التي كانت على أسماء الكواكب السبعة، ومثالات لها من النيرين والخمسة وكان ((الصابئون)) يقربون لها القرابين ويعتكفون على عبادتها، بعد أن جعلها في غاية الضعف فعادت منكوبة مهزومة، فأظهر الإزراء بها والتنقص لمن يرى عبادتها، وأشار عليه حينئذ بالانتقال إلى النصرانية ففعل وما ذهب اليه النصارى من أن السبب في ذلك ظهور صليب له نوري^(١).

(١) التنبيه والاشراف: ١١٨/١.

ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة من القانون ولثلاث مضت من ملكه، انتقل من رومية إلى قسطنطينية وبنى سورها وتنصّر، وكان اسمها البيزنطية فسمّاها القسطنطينية، وزعمت النصارى أنه بعد ست سنين خلت من ملك قسطنطين المذكور، ظهر له في السماء شبه الصليب، فأمن بالنصرانية وكان قبل ذلك هو ومن تقدمه على دين الصابئة^(١).

وما يذكره صاحب المختصر من تنصر الروم وخروجهم وانعزالهم كلياً عن الصابئة الأم. إذ يذكر الأمم الخارجة فيقول:

فمنها أمة الروم قال أبو عيسى: وهذه الأمة على كثرتها وعظم ملوكها واتساع بلادها، إنما نجمت من بني العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وكان أول ظهورهم في سنة (٣٧٦) لوفاة موسى عليه السلام، وساروا إلى البلاد المعروفة ببلاد الروم وسكنوها، بدأ تواجد الروم.

ومن كتاب ابن سعيد المغربي إن الروم يعرفون ببني الأصغر، والأصغر هو روم العيص بن إسحاق على أحد الأقوال من الكامل، وغيره أن الروم كانت تدين بدين ((الصابئة))، ويعبدون الله وتقديس أسماء الكواكب، وما زالت الروم ملوكها ورعيّتها كذلك حتى تنصر قسطنطين وحملهم على دين النصارى، فتنصروا عن آخرهم ومن أمم النصارى الأرمن وكانت بلادهم أرمينية، وقاعدة مملكتها خلاط^(٢).

رابعاً: الصابئة وبيت المقدس

في الحديث الصحيح أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَوَّلِ بَيْتٍ وَضِعَ فَقَالَ: «بين مكة وبين بيت المقدس» قيل فكم بينهما؟

(١) المختصر في اخبار البشر، ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي: ٦٤/١.

(٢) المختصر في اخبار البشر: ٩٢/١.

قال: «أربعون سنة» فإنَّ المدَّة بين بناء مَكَّة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين إبراهيم وسليمان لأنَّ سليمان بإنه وهو ينيف على الألف بكثير. واعلم أنَّ المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنَّما المراد أوَّل بيت عيَّن للعبادة ولا يبعد أن يكون بيت المقدس عيَّن للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدَّة وقد نقل أنَّ الصَّابئة بنوا على الصَّخرة هيكل الزَّهرة فعمل ذلك أنَّها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهليَّة تضع الأصنام والتَّمائيل حوالي الكعبة وفي جوفها، والصَّابئة الذين بنوا هيكل الزَّهرة كانوا على عهد إبراهيم عليه السَّلام فلا تبعد مدَّة الأربعين سنة بين وضع مَكَّة للعبادة ووضع بيت المقدس وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وأنَّ أوَّل من بنى بيت المقدس سليمان عليه السَّلام فتفهَّمه ففيه حلُّ هذا الإشكال^(١).

وكان بيت المقدس وهو المسجد الأقصى أول أمره أيام الصابئة موضع الزهرة وكانوا يقربون إليه الزيت فيما يقربونه، يصبونه على الصخرة التي هناك ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو إسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم^(٢).

خامساً : الصابئة والبابليون :

إنَّ ملك الأرض من بعد نوح عليه السلام كان لکنعان بن كوش بن حام، ثم لابنه النمرود من بعده، وانه كان على دين الصابئة الحرائيين، وإنَّ بني سام كانوا حنفاء ينتحلون التوحيد الذي عليه الكلدانيون من قبلهم. قال ابن سعيد: (معنى الكلدانيين الموحدون). ووقع ذكر النمرود في التوراة منسوباً إلى كوش بن حام، ولم يقع فيها ذكر لکنعان بن كوش، فالله أعلم بذلك. وقال ابن سعيد أيضاً: وخرج عابر بن شالخ بن أرفخشذ فغلبه، وسار من كوثا إلى أرض الجزيرة والموصل فبنى مدينة مجدل لك، وأقام بها إلى أن هلك، وورث أمره ابنه فالغ من بعده، وأصاب النمرود وقومه على عهد سيدنا

(١) تاريخ ابن خلدون: ٤٤٤/١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٤/١.

إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت البلبله وهي المشهورة. وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أدري معناها. والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها، ثم أصبحوا وقد افتقرت لغاتهم، قول بعيد في العادة، إلا أن يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذ ولم ينقلوه كذلك. والذي يظهر أنه اشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم، ولا يعقل في أمر البلبله غير ذلك.

وقال ابن سعيد: سوريان بن نبيط وواه فالغ على بابل، فانتقض عليه وحاربه، ولما هلك فالغ قام بأمره بعده ابنه ملكان، فغلبه سوريان على الجزيرة، وملكها هؤلاء الجرامقة إخوانه في النسب بنو جرموق بن أشوذ بن سام، وكانت مواطنهم بالجزيرة وكان ابن أخت سوريان منهم (الموصل بن جرموق)، فولاه سوريان على الجزيرة وأخرج بني عابر منها، ولحق ملكان منها بالجبال فأقام هناك، ويقال إن الخضر من عقبه، واستبد (الموصل) على خاله سوريان بن نبيط ملك بابل، وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط. وملك بعد الموصل ابنه (راتق) وكانت له حروب مع النبط، وملك من بعده ابنه أثور وبقي ملكها في عقبه وهو المذكور في التوراة، وملك بعده ابنه (نينوى) وبني المدينة المقابلة للموصل من عدوة دجلة المعروفة بأسمه، ثم كان من عقبه (سنحاريق بن أثور بن نينوى بن أثور)، وهو الذي بنى مدينة سنجار وغزا بني إسرائيل فصلبوه على بيت المقدس وقال البيهقي: إن الجزيرة ملكها بعد مقتل سنحاريق أخوه (ساطرون)، وهو الذي بنى مدينة الخضر في برية سنجار على نهر الترتار لتولعه بصيد الأسود في غيضاها.

وقد ملك بن ساطرون مدينة الخضر والذي كان يدين ((بالصابئة))، ويقال إن يونس بن متي بعث إليه ويونس من الجرامقة من سبط بنيامين بن إسرائيل من ابنه، فأمن به (زان بن ساطرون) بعد الذي قصه القرآن من شأنه معهم، ثم ان (بخت نصر) لما غلب على بابل زحفت إليه ودعاه إلى ((دين الصابئة))، وشرط له أن يبقيه في ملكه فأجاب.

ولم يزل على الجزيرة حتى زحف إليه جيوش الفرس مع أرتاق، فضمن القيام بالمجوسية على أن يبقوه في ملكه، وكتب بذلك (أرتاق) إلى (بهمن) فيضمن له، فأجابه بأن هذا رجل متلاعب بالأديان فأقتله، فقتله (أرتاق) وانقرض ملكه بعد ألف وثلاثمائة سنة فيما قال البيهقي. وصارت الجزيرة لملوك الفرس، والذي عند الإسرائيليين سنجاريف من ملوك نينوى وهم أولاد موصل بن أشوذ بن سام. وأنه كان قبله بالموصل ملوك منهم وهم (فول) وتلفات وبلناص، وأنهم ملكوا بلد الأسباط العشرة، وهي شمورون المعروفة بالسامرة، وأنه غرب الأسباط الذين كانوا فيها إلى نواحي أصبهان وخراسان، وأسكن أهل كومة وهي الكوفة في شمورون هذه، فسلط الله عليهم السباع يفترسونهم في كل ناحية. فشكوا ذلك إلى سنجاريف وسألوه أن يخبرهم عن بلد شمورون في قسمة أي كوكب هي كي يتوجهوا إليه، ويستنزلوا روحانيتها على طريق الصابئة، فأعرض عن ذلك وبعث كاهنان إليهم من اليهود فعلموهم دين اليهودية، وأخذوا به. وهؤلاء عند اليهود هم الشمرة نسبة إلى شمرة وهي شمورون، وليس الشمرة عندهم من بني إسرائيل، ولان دينهم صحيح في اليهودية.

وزحف سنجاريف إلى بيت المقدس بعد استيلائه على شمورون فحاصرها، وداخله العجب بكثرة عساكره، فقال لبني إسرائيل من الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم إلهكم، وفرع ملك بني إسرائيل إلى نبيهم (مدليلا)، وسأله الدعاء فدعا له وأمنه من شر سنجاريف، ونزلت بعسكره في بعض لياليهم آفة سماوية، فأصبحوا كلهم قتلى. يقال أحصى قتلاهم فكانوا مائة وخمسة وثمانين ألفا، ورجع سنجاريف إلى نينوى، ثم قتله أولاده في سجوده لمعبوده من الكواكب، وولي ابنه أيسر حدون، ثم استولى عليهم بعد ذلك بخت نصر كما.

وأما ملوك بابل فهم النبط بنو نبيط بن أشوذ بن سام. وقال المسعودي: نبيط بن ماش بن إرم، وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط، وقال المسعودي:

هو أحد نبيط بن ماش ملك أرض بابل بولاية فالغ، فلما مات فالغ أظهر الصابئة، وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالنمروذ. وملك بعده ابنه كوش وهو نمروذ إبراهيم عليه السلام، وهو الذي قدم أباه آزر فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام لأن أرغو بن فالغ لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الذي دعاه إليه أبوه عابر، رجع حينئذ أرغو إلى كوثا، ودخل مع النماردة في (دين الصابئة).

وتوارثها بنوه إلى آزر بن ناحور، فاصطفاه هاجر بن كوش وقدمه على بيت الأصنام، وولد له إبراهيم عليه السلام، وكان من أمره ما ذكرنا فيما نصه التنزيل ونقله الثقات.

ثم توالى ملوك النماردة ببابل وكان منهم بخت نصر على ما ذهب إليه بعضهم، ويقال إن الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكها سنجاريف منهم واستعمل فيها بخت نصر من ملوكها، ثم انتقض عليه بالجزاء والطاعة، وغزا بني إسرائيل ببيت المقدس، فاقتحمها عليهم بعد الحصار، وأثخن فيهم بالقتل والأسر، وقتل ملكهم وخرّب مسجدهم وتجاوزهم إلى مصر فملكها. ولما هلك بخت نصر ملك من بعده فيما ذكره ابنه نشبت نصر، ثم من بعده بنيصر وغزاه أرتاق مرزبان كسرى من ملوك الكينية فقتله وملك بابل وأعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس، وانقرضت دولة النماردة ببابل^(١).

سادساً: التسميات التي أطلقت على الصابئة المندائيين:

جاء في الكتب الصابئية المقدسة عدة تسميات أطلقها عليهم بعض الاقوام المجاورة

لهم في معرض وصفهم، أقدمها:

(١) تاريخ ابن خلدون: ٦٩/٢.

• الكشطيون^(١): وتعني الصابئة اصحاب الحق أو دعاة الحق الصابئي (كشطا

تعني حق).

• الناصورائيون: وتعني الموحدين (المتبحرين في الكتب و العلوم الدينية المندائية)

• الداوي والمندائيون وهي صفة بمعنى العارفين بوجود الله ،

• اليحياويون نسبة إلى النبي يحيى (عليه السلام).

• الآدميون نسبة إلى آدم ابي البشر (عليه السلام).

• المغتسلة، المصطبغون، المتنورون.

سابعاً: طوائف الصابئة الاقدمين:

تنقسم الصابئة على طوائف عديدة منها:

الكاظمة^(٢) : وينتسبون إلى كاظم بن تارح ، اخ ابراهيم الخليل (ع) ومن قوله : ان الحق

بين شريعة ادريس و شريعة نوح وشريعة ابراهيم الخليل.

البيدانية: وينتسبون إلى بيدان الاصغر وقوله باعتقاد نبوة من يفهم عالم الارواح و ان

النبوة من الاسرار الالهيه.

(٢) أما في التسميات فالمندائيون هم كُشطيون أي مَنْ يعطوا العهد ولم يرتدوا عنه حتى تُبلى أجسادهم لأنَّ المندائيين هم من من آمنوا بالصوت الأول بينما اليهودي ارتدوا عنها ففي متون كنزا ربًا نص يؤكد على ذلك ((إبهربا كازرين نَفْشِيَهون وبزَمِيَهون طارنْ أَنْفِيَهون إفيخي من شوئا قَدَمِيئا وكتابا لِنَفْشِيَهون أبدي إشمي تورا)) يَكزروا أنفسهم بالسيف ويلطخون أوجههم بدمائهم ارتدوا عن الصوت الأول وصنعوا لهم كتاباً اسمه التوراة. الداوي هي مدينة تاريخية تقع في الجنوب الغربي من مدينة الطيب في جزئها الواقع في إيران معظم سكانها من المندائيين وقد سَمُوا بهذا الاسم نسبة لتلك المدينة التاريخية وقد عَمَّت هذه التسمية على كل المندائيين. أما المندائيون فهم مَنْ آمن بمندادهيي وارتسم برسمه لهذا كل الطقوس المندائية تبدأ باسم هيي واسم مندادهيي مذكورٌ عليك. فكلمة الصابئة مشتقة من الجذر الآرامي صبا أو صَبع وتعني صبغ، ارتسم، غطس لذلك كل الشعوب التي تؤدي طقوس الاغتال أو التطهير هم صابئة. الاستاذ امين فعيل حطاب.

(٢) الصابئة المندائيون في الفقه والتاريخ الاسلامي، عبد الحميد عبادة.

القنطارية: وينتسبون إلى قنطار بن ارفكشاد ، وانهم يقرون بنبوة نوح عليه السلام ،
ومن القنطارية :

– صابئة حران(صابئة الحنفاء) (١) :

وهؤلاء يقولون ان الاله المعبود واحد في ذاته ، أبدع اجرام الافلاك وما فيها من الكواكب ، وجعل الكواكب مدبرة لما في العالم السفلي ، فالكواكب ابناء احياء ناطقة ، والعناصر امهات ، وما تؤديه الالاء للأمهات تقبلها بأرحامها فتحمل عند ذلك المواليد ، وهي المركبات. والاله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته وقد يظهر ايضا في الاشخاص الأرضية الخيرة الفاضلة ، وهي ما كان من المواليد وقيد يتركب من صفوة العناصر دون كدرها واختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه ، اما بذاته واما بصفة من صفات ذاته على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص ، وتعتقدوا ان الله يتعالى عن خلق الشرور والقبائح والاشياء الخسيصة والديئثة كالحشرات الأرضية ونحوها بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعدة ونحوسة واجتماعات العناصر صفوة وكدرية. وزعموا ايضا انه على راس ستة وثلاثين الف وسنة اربعمائة وخمس وعشرين سنة يتحدث روحاني على راس الدور الاخر وكذا إلى ما يتناهى ، وان الثواب والعقاب على افعال الخير والشر كل دور واقع لكن في الدور الذي بعده في هذه الدار لا غيرها. ومن ابرز انبئاهم هرمس(ادريس) اغازيمون (شيت) وفيثاغورس وبابا الحراني.

ومما قيل منهم :

قال ابن كثير: "اختار الرازي ان الصابئين قوم يقدسون الكواكب بمعنى ان الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء ، او بمعنى ان الله فوض لها تدبير امر هذا العالم" .

(١) فرق الصابئة، د. سامي عطا.

قال ايضاً نقلاً عن القرطبي : والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكر بعض العلماء انهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وانها فاعلة ، ويبدو ان ما اختاره الرازي وما حصله القرطبي متعلق بنوع معين هم الكلدانيون. إما ما رآه ابو حنيفة فيقصد على اتباع " هرمس" إذ يقول: يرجع تقديسهم الكواكب لما يقررونه عن "روحانية الوسيط" فلما وجدوا في النيرات^(١) ونورها شفافية الروحانيات قدسوها ، كما نقّس الكعبة او كما نقّس الرسل تقديساً دون العبادة .

ويقول الالوسي: (انهم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم). فهؤلاء هم الصابئة الاولى او صابئة الحنفاء يؤكد على أنّ: صابئة الحنفاء شاركوا اهل الاسلام في الحنيفة . ومنهم هلال بن محسن الصابئ صاحب الديوان الانشائي والرسائل. وابو اسحاق الصابئ وكان صابئاً وعرض عليه عز الدولة ان يسلم فامتنع ، وقيل بذل له الف دينار على ان يأكل الفول فلم يفعل ، والصابئون يحرمون الفول والحمام. يقول الدكتور زكي مبارك بحق ابي اسحاق الصبابي : (ولكن حرصه على دينه لم يحل بينه وبين التحلي بأكرم الخصال في رعاية الاسلام ، فقد كان يصوم رمضان مساعدة وموافقة للمسلمين ، وحسن عشرة منه لهم ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه).

حتى انه لما مات بكاه الشريف الرضي في قصيدته المشهورة :

أُعلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْاَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ الْوَادِي

واستكثر الناس عليه في دينه وجاه ، ان يبكي رجلاً صابئاً بمثل هذا الشعر الحزين ولكنه أجاب بأنه انما ابكاه لفضله .

ونحن هنا نأخذ على تعليل زكي مبارك بأن صدا أبي اسحاق الصبابي جاء مساعدة وموافقة للمسلمين وحسن عشرة منه لهم ، والصحيح أن صدمة هذا لهم راجع إلى شريعة

(١) النيرات: الكواكب والنجوم، لكن القصد هنا بأنه أصل كل ما هو نير وخير.

الصابئة الحنفية وقد يصلح هذا التعليل على قضية حفظه القرآن والذي ينفعه كأديب وشاعر.

ونرجع فنقول: أما تسميتهم صابئة حنفاء فورد ذلك في نظرنا إلى انهم وافقوا الحنيفية من حيث العقيدة في التوحيد ، ومن حيث الشريعة في بعض مبادئها لذلك صح تسميتهم حنفاء. وفاقوا الحنيفية في انكارهم ان يكون الوسيط " النبي " بشرياً . وقولهم: لأعتقادهم أن مقر الملائكة (ملكي) هو فيالكواكب نفسها، لذلك هم يعظمون الكواكب نسبة للملائكة.

وهناك فرقان شذت عن الديانة التوحيدية لصابئة حران(صابئة الحنفاء) وهي:

أولاً: اصحاب الهياكل:

وهم جماعة من اصحاب الروحانيات يقرون بالألوهية، وإن للعالم صانعا فاطرا حكيماً وأنه واحد حكيم مقدس عن السمات الحوادث، ومن العيوب والنقائص ويعتقدون بما اعتقده اصحاب الروحانيات من أنه لا بد للإنسان من متوسط، لكن قالوا لا بد للمتوسط من ان يرى ويشاهد، فيتوجب اليه ويقترّب به ويستفاد منه والروحانيات ليست كذلك فلا بد من متوسط بينها وبين الأنسان، واقرب ما اليها هياكلها، فزعموا ان هذه الأرواح ساكنة في الكواكب وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقرباً إلى الروحانيات، ويتقربون إلى الروحانيات تقرباً إلى الباري تعالى، لاعتقادهم بأن الهياكل أبدان الروحانيات، ونسبتها إلى الروحانيات نسبة أجسادنا إلى أرواحنا، فهم الأحياء الناطقون بحياة الروحانيات، وهي تتصرف في أبدانها تدبيراً، وتصريفاً، وتحريكاً، كما نتصرف في ابداننا. ولاشك ان من تقرب إلى شخص فقد تقرب إلى روحه.

ففزعوا إلى هياكل الأرواح وهي السيارات السبع، وفزع بعضهم إلى البروج الاثني عشر والقمر وبعض النجوم الأخرى ايضاً، يعبدونها ويصورونها في هياكلهم(أماكن العبادة)، ويتعرفون بيوتها ومنازلها، ومطالعها ومغاربها واتصالاتها على أشكال الموافقة

والمخالفة مرتبة على طبائعها، وتقسيم الايام والليالي والساعات عليها، وتقدير الصور والاشخاص والاقاليم والامصار عليها، فعملوا الخواتيم، وتعلموا العزائم والدعوات، وعينوا ليوم زحل مثلا يوم السبت، وراعوا فيه ساعاته الأولى وتختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنعتة، ولبسوا اللباس الخاص به، وتبخروا ببخور الخاص، من أفعاله واثاره الخاصة به، وكذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه وساعاته وجميع الاضافات التي ذكرنا اليه. وكذلك سائر الحاجات إلى الكواكب.

وكانوا يسمونها أرباب آلهه، والله تعالى هو رب الأرباب، واله الإلهة. ومنهم من جعل الشمس إله الإلهة، ورب الأرباب.

ثم استخرجوا من عجائب المرتبة على عمل الكواكب ما كان يقضي منهم. وهذه الطلسمات المذكورة في الكتب، والكهانة، والتنجيم، والتعزيم، والخواتم، والصور كلها من علومهم، وزعموا أن هذه الروحانيات تنزل إلى النفوس الإنسانية وتتصل بها بمقدار ما تقترب نفوس البشر من طبيعة الروحانيات، قالوا فالواجب علينا أن نتقرب اليه بتوسطات الروحانيات المقربة منه المقدسة عن الموارد الجسمانية، وعن القوى الجسدانية المجبولة على الطهارة، ولأجل نزول تلك الروحانيات على النفوس البشرية وحصول المناسبة بيننا وبين الروحانيات، واتصال أرواحهم بتلك الروحانيات يتعين تركية النفس بتطهيرها وتهذيب اخلاقها من اثار القوى الشهوانية والغضبية بقدر الامكان والأقبال على العبادة بالتضرع إلى الارواح بالتضرع والابتهاال بالدعوات: من الصلوات. والزكوات، وذبح القرابين، والبخورات، والعزائم، بتطهير الجسم والصيام والصدقات والطيب، والزموا انفسهم فضائل النفس الاربع الاصلية (وهي العفة والعدالة⁽¹⁾)، والحكمة والشجاعة) والاحذ بالفضائل الجزئية (المتشعبة عن الفضائل الاربع وهي الاعمال الصالحة) وتجنب الرذائل الجزئية (وهي اضداد الفضائل وهي الاعمال السيئة)، فقالوا

(1) تاريخ الفكر الديني الجاهلي: محمد ابراهيم الفيومي/ط4.

حينئذ نسأل حاجتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبوا في جميع أمورنا اليهم، فيشفعون لنا عند الهنا. وقالوا حينئذ يحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة الرسل، بل نأخذ من المعدن الذي أخذت منه الرسل. فيكون حكمنا وحكمهم واحدا: ونحن واياهم بمنزلة واحدة فنحن نتقرب اليهم، ونتقرب بهم إلى الله، فهم أربابنا والهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب واله الآلهة. (فما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى) وهم يعتقدون تأثيرها اي الكواكب، وانها فعالة وقد بنوا هياكل للكواكب لتكون مهابط الأرواح الكواكب وهي المتعبدات الكبار، كالكنائس للنصارى والبيع لليهود، وحرصوا على تطهيرها وتطيبها لكي تالفها الروحانيات وقد يجعلون للكواكب تماثيل من الصور يتوخون فيها محاكاة صور الروحانيات بحسب ظنهم، قال الشهرستاني في الملل والنحل: واما الهيكل التي بناها الصابئة على أسماء الجواهر العقلية الروحانية، واشكال الكواكب السماوية. فمنها: هيكل العلة الاولى، ودونها هيكل العقل، وهيكل السياسة، وهيكل الصورة، وهيكل النفس. مدورات الشكل. وهيكل زحل مسدس، وهيكل المشتري مثلث، وهيكل المريخ مربع مستطيل، وهيكل الشمس مربع، وهيكل الزهرة مثلث في الجوف مربع، وهيكل عطارد مثلث في الجوف مربع مستطيل، وهيكل القمر مثنى. قال ابن تيمية: وكان بحران هيكل العلة وهيكل العقل الاول هيكل النفس الكلية هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس، وكذلك الزهرة وعطارد والقمر.

قال الالوسي ملخصا مذهبهم: "(والصابئون): هم قوم مدار مذاهبهم على التعصب للروحانيات واتخاذهم وسائط، ولما لم يتيسر لهم التقرب اليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها، فصابئة الروم مفزعها السيارات، وصابئة الهند مفزعها الثوابت، فهذه الفرقة هم يقدسون الكواكب وهم اصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبدات⁽¹⁾.

(1) تاريخ الفكر الديني الجاهلي: محمد ابراهيم الفيومي/ط4.

ثانياً: الفرقة (اصحاب الاشخاص):

وهؤلاء زعموا أنه إذا كان لا بد من متوسط مرثي والكواكب وان كانت مرثية الا انها قد تُرى في وقت دون وقت، لطلوعها وافولها وظهورها وصفائها نهاراً فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه اليها، فدعت الحاجة إلى وجود اشخاص مشاهدة نصب اعيينا، تكون لنا وسيلة إلى الهياكل التي هي وسيلة إلى الروحانيات التي هي وسيلة إلى الله تعالى، فاتخذوا بذلك اصناما وصورا على صور الهياكل السبعة كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب، فدعوه وسألوه بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتختم، بما يناسبه والتحيز المناسب له، من اتصال محمود يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعي منه. فنقربوا الية في يومه وساعته، وتبخروا بالبخور الخاص به وتختموا بخاتمه، ولبسوا لباسه، وتضرعوا بدعائه، وعزموا بعزائمه وسألوا حاجتهم منه فيقولون: انه كان يقضي حوائجهم بعد رعاية الاضافات كلها. وذلك هو الذي أخبر التنزيل عنهم انهم عبدة الكواكب والأوثان واصحاب الاشخاص هم عبدة الاوثان، اذ سموها الهة في مقابلة الالهة السماوية، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قال الالوسي مبيناً: أنهم فرقة من الروحانيين والصابئون): هم قوم مدار مذهبهم على التعصب للروحانيات واتخاذهم وسائل وما لم يتيسر لهم التقرب اليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فرعت جماعة منهم إلى هياكلها، فصابئة الروم مفزعة السيارات، وصابئة الهند مفزعة الثوابت، وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الاشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن احد شيئاً - اي الاصنام - فالفرقة الاولى: هم عبدة الكواكب، والثانية: هم عبدة الاصنام وكل من هاتين الفرقتين اصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبادات.

وقد ناظر سيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) كلاً من اصحاب الهياكل واصحاب الاشخاص، وكسر مذاهبهم، فابتدأ بكسر مذاهب اصحاب الاشخاص والهياكل وله : (تعبدون ماتنحتون، والله خلقكم وما لا تعلمون)، ثم عدل إلى كسر مذاهب اصحاب الهياكل، كما اراه الله تعالى الحجة على قومه، قال (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) في الايات التي ذكرت في سورة الانعام فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي^(١).

• الصابئة^(٢) المندائيون:

تدور اعتقادات المندائيين حول وجود خالق أزلي واحد منزه، واعتقادهم في الله يشبه كثيراً اعتقاد بقية الطوائف الغنوصية، فهم يدركونه من طريق الفيض الالهي، وهم لا يعبرون عنه الا بصيغة الجمع، ويعتقدون انه انبعث من ذاته، وتليه مجموعة من المخلوقات النورانية(الملائكة) وهم مخلوقات متوسطة بين الروحانية والمادية، فالروحانيات لديهم مخلوقة من كلام الله، وكلام الله لا يصل الا بواسطة مخلوق بين النور والتراب، ويعد ذلك تجسيدا للمعتقدات الغنوصية بوجود وسائط بين الخالق وخلقها، وهذه المخلوقات، تعمل على ادارة الكون وتحقيق مشيئة الخالق. كما يعتقد المندائيون بالبعث والحياة الاخرى بعد الوفاة.

كذلك يؤمنون بانبيائهم وهم (ادم - شيت - ادريس - نوح - سام - يحيى) ولديهم كتاب اسمه (الكنزاربا) اي الكتاب المقدس وهو الصحف الاولى التي انزلت على انبيائهم على شكل مراحل وكا جاء ذكرها بالقران الكريم بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى)^(٣).

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي : محمد ابراهيم الفيومي/ط٤.

(٢) تعتبر الصابئة المندائيين من الطوائف الباقية التي تتواجد في العراق وايران وباقي دول العالم، اما الطوائف الاخرى فقد انقرضت.

(٣) تاريخ الفكر الديني الجاهلي : محمد ابراهيم الفيومي/ط٤.

• عوائل الصابئة المندائيون :

تفرقت طوائف الصابئة المندائية الى (٦٠) فرقة بسبب الحروب القائمة في زمن الملك اردوان ملكة، وتشتمت هذه ايضاً ولم يبق منها اليوم الا اربعة عشر عائلة وهي: المندوي، وصابور، والوريش ادراز، وكنيانه هواره، وعسيكر، وكحيل، وعزيز كيناني دراجي، وبهير، وبثربكاني، وفريجي. وقد وجدت هذه العوائل موجودة في كتاب الكنزا ربا الكبيرة، وادراشة يهيا، وبقيت منها اربع واكثرها من المندوية والصابور ولم يعثر على هذه العوائل المارة الذكر موجودة في يومنا هذا اكثرها رجال مندوية و صابور .
وابرز الكنيانات التي اندثرت هي (الدوداني، توتو، المعيلي، الغرابي، النيروزي، بهبير، شوكار، فراح، المعيكى، ساكيرا، دقانا، وبقيت في هوامش الكنزاربا.

• أهم من تحدث عن الصابئة من المؤرخين العرب القدامى :

لقد تحدث العديد من المؤرخين العرب على قدم الصابئة المندائيين عبر مراحل التاريخ ومنهم^(١) :

❖ قال ياقوت الحموي :

((يعتقد بأن الصابئة (المندائيون) كانوا يسكنون في بلدة الطيب الواقعة بمنطقة واسط وخوزستان. وقد حدثني داود بن احمد سعيد الطيبي التاجر قال: المتعارف عندنا أن الطيب من عمارة شيث بن آدم (ع)، ومازال أهلها على ملة شيث وهو مذهب المندائية إلى أن جاء الإسلام فأسلموا))^(٢).

وتحدث ابن الوردي عن المندائيين مشيراً إلى قدم ملتهم، وانهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس وصابيا بن إدريس الذي إليه ينتسبون، وقال :

(١) المندائيون الصابئة، محمد الجزائري.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، مادة الطيب، ج ٢.

((إن أهرامات مصر إنما هي قبور لهؤلاء الأشخاص الثلاثة))^(١).

وأهم الذين تحدثوا عن الصابئة المندائيون هو الشهرستاني الذي قال:

((إن الطوائف في زمان إبراهيم الخليل (ع) هي صنفين أحدهما: الصابئة،

والثانية: الحنفاء)). ثم تحدث عن معتقداتهم وكتب ملخصاً للأشياء التي يحللونها

والأشياء التي يحرمونها^(٢).

❖ وقال المسعودي:

((إن دين الصابئية المندائية كان موحداً، وحصل اعتناق المجوسية بعد

التوحيد، ولما وجدت المجوسية أن المندائيين على أصالة عقيدتهم، اضطر رؤساء

المجوسية - كي يمرروا عقيدتهم - من إدخال بعض النصوص المندائية القديمة

الموحدة إلى شعائرهم، كي يؤثروا على المندائيين، ويحاولوا جرهم إلى تعدد الآلهة أو

الشرك))^(٣).

❖ وتحدث الاضطخري عن قدم وجود الصابئة المندائيين في منطقة سوريا، فقال في

معرض حديثه عن دمشق:

((وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أحسن ولا أكثر نفعا منه، وأما الجدار

والقبة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن بناء الصابئيين وكان مُصلاهم، ثم صار في

أيدي اليونانيين فكانوا يعظمون فيه دينهم، ثم صار لليهود وملوك من عبدة الأوثان،

فقتل في ذلك المكان يحيى بن زكريا، ونصب رأسه على باب هذا المسجد بباب يسمى

(١) ذيل المختصر، ابن الوردي، ٢١٥.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ١٣١/٢.

(٣) التنبيه والأشراف، المسعودي، ٩٤/٣.

جيرون، ثم تغلب عليه النصارى فصار في أيديهم كنيسة يعظمون فيها دينهم، حتى جاء الإسلام فصار للمسلمين واتخذوه مسجداً^(١).

❖ وقال ابن خلدون:

((إن المسجد الأقصى، في أول أمره، كان مكاناً مقدساً للصابئة المندائيين، يقبرون إليه الزيت ويصبونه على صخرته... وان نزوح الصابئة عن القدس شرقاً إلى حرّان كان سنة ٧٠ للميلاد بعد اضطهاد لهم)^(٢). وهي الهجرة الثانية، فالكتابات المندائية تؤيد ان ستين ألف مندائي ناصوري هاجروا من القدس إلى حرّان مع الملك الفرثي ارديان الذي امتد حكمه في العراق من السنة ١٢ ق.م حتى ٣٨ م بعده، وهناك التحقوا بإخوان لهم في الدين وبنوا لهم معبداً (مندي) ثم انحدرت منهم جماعات جنوباً، فسكنت على شواطئ الفرات ودجلة ونهر قارون.

(١) مسالك الممالك، الاضطخري، ١٢٣.

(٢) تاريخ العرب والعجم والبربر، ابن خلدون، ٢٢٤/٣.

المبحث الثاني

اماكن تواجد الصابئة المندائيين القديمة

كان المندائيون يتواجدون في أماكن عدة، لكنهم لم يعمروا فيها، مثل: واحة تيماء في الجزيرة العربية وجبال الميمنية - الكردية - شمال العراق، وهناك أماكن مكثوا فيها طويلاً كـ(حاران كويثا)، وكذلك في سوريا وفلسطين وإيران، وأماكن ما يزالون فيها إلى الآن، كما في العراق، وكذلك انتشر المندائيون قديماً في مصر الفرعونية. واستناداً لتاريخهم في بلدان المنطقة يتبين أن المندائيين كانوا أمة كبيرة تمتد على مساحة كبيرة من الأراضي في الشرق القديم، وانهم نشروا العلم والمعرفة لفترات طويلة، لكن المضللين بتروا التاريخ وأفقده حلقه مهمة من حلقات تاريخ الحضارة الأنسانية.

١- مصر :

المندائيون في مصر

المصريون من أوائل الشعوب التي عرفت الله الواحد وآمنوا باليوم الآخر والبعث بعد الموت، وبالجنة والنار وبالْحساب والعذاب وبالْثواب والعقاب. لقد كانت مصر أول أرض أرسل إليها العزيز المقتدر واحد من رسله وأنبيائه العظام، وهو من أوائل الأنبياء الساعين بالخير والحق والعدل في الأرض، بل انه أول إنسان رفعه الله إليه في السماء، كان مصري الجنسية وبأرض مصر عاش وبأرض مصر رفع إلى السماء. لقد كان نبياً ورسولاً وداعياً بالحق تقياً نقياً مباركاً، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً، انه كلمة الله في الأرض سيدنا إدريس عليه السلام الذي ظهر في مصر قبل أكر من سبعة آلاف عام. وهو الذي ذكر في القرآن الكريم:

(وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا^(١).

• ويذكر الالوسي:

((وكان إدريس قد ولد بمصر، وعثرت على بعض كتاباته تحت اسم هرمس وتعرف بأسم الكتابات الهرمسية، وتتضمن عقيدة قدماء المصريين وترجمت عقائده وكتاباته إلى اللغة البابلية والسريانية وكذلك وجدت عند الصابئة المندائيين، ومنها: وع - وع / نو - سنو، يعني: أحد.. أحد لا ثان له))^(٢).

وآمن المصريون بالديانة المندائية على يد النبي إدريس، الذي يطلق عليه المصريون هرمس اخنوخ، وهو الذي حث المصريين عن البعث بعد الموت والآخرة. ونلاحظ ان لفظة موت، ونشرو (النشور)، وأخرت (آخرة) وقرارات (القرار والمستقر)، هذه الألفاظ وغيرها مصرية أصيلة، ومن مصر نقلت لكل اللغات والأديان. وكان الصابئة المندائيون من أتباع النبي إدريس مصريون عاشوا قبل عصر الأسرات، ومنهم من هاجر إلى العراق واستوطنوا في أرجائها، فمندائية العراق مصريون انحدروا من مصر وادنوا بالتوحيد، ولذلك تعد مصر هي مهد العقيدة المندائية الإدريسية. كما أن أصل التسمية (صبأ) بالمصرية القديمة بمعنى (يهندي / من الهداية).

• ويذكر الشهرستاني:

((إن الفراعنة كانوا على ديانة الصابئة))^(٣)، ومن المعروف ان الفرعون رمسيس الثاني كان فاضلاً متضلعا في العلم والحكمة. وان التعميد بالغطس كان طقساً مصرياً قديماً في بعض الأقاليم، إذ كان المولود في الأسبوع الأول من ولادته يعتمد بتغطيسه في

(١) سورة مريم: الآيات ٥٦ - ٥٧.

(٢) شهاب الدين الالوسي، روح المعاني، ٤٢٨/١.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ١١٤/٢.

نهر النيل المقدس، وما زالت هذه العادة سارية في بعض القرى في النوبة حول أسوان،
إن تقوم النساء فيها بممارسة هذا الطقس مع مواليدهن.

وفي مصر دعا النبي إدريس إلى التوحيد، وعبادة الخالق، وشدد على تخليص
النفس من عذاب الآخرة بالعمل الصالح والعدل والزهد في الدنيا، وأمر بصلوات ذكرها
ووصفها لهم، كما أمرهم بصيام خمسة أيام معروفة كل شهر، وحثهم على الجهاد،
وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء، وأكد عليهم الطهارة من الجنابة والحمار
والكلب. ومن تعاليمه انه حرم الخمر، وجعل للمندائيين أعياداً كثيرة في أوقات
معروفة ذات طقوس، وكلها مشروحة ومجموعة في كتاب (كنزا ربا) الكتاب المندائي
المقدس. وكان المصريون يعتقدون بوجود إله واحد، (يرى ولا يرى، معبود صمدي،
قديم أزلي، لا أول له ولا آخر)، وانهم كانوا يقدسونه، ويجلّونه ويخشونه فيبتعدون
عن السيئات. كما أظهرته المخطوطات القديمة بالكتابة الهيروغليفية، ذات التعاليم
والصلوات التي أطلقها إدريس والمعروفة في المندائية بـ(تعاليم آدم)، وسار عليها
أتباعه في مصر ومنهم الهكسوس.

((كل شيء خلقه الله العظيم بنفسه

وخلق الكائنات والأشياء

والخالق لكل مخلوق

وهو فاطر السماء والأرض

والوجود لكل ما يكون

أما ما لم يكن فهو مكنون علمه

الله معبود بأسمه الأزلي

خالق الأرواح في الأشباح
يمضي الدهور وهو باق دائماً
ذو الأزلية ووجود أزلي
لا حد له ولا يمسك بالذراع
ولا يقبض باليد
ولا تدركه الأبصار
سميع لمن يتضرع إليه
والذي يكون
والذي لا يكون
يختص به
الواحد الذي لا شريك له)).

ومن الباحثين الذين تحدوا عن تواجد الصابئة المندائيين في مصر:

● عبد الحميد السحار الذي قال:

((قد بعث الله إدريس (ع) إلى الناس يدعوهم إلى عبادة الله، ويشرح لهم البعث والحساب والميزان والجحيم، والخيرات التي أعدت للمتقين، فأمن المصريون بالله منذ فجر التاريخ، وذلك قبل أن يوحد الملك مينا الوجه القبلي مع البحري بآلاف السنين، وعرف أتباع إدريس بالصابئة أو الهرامسة، وعرف الكتاب الذي جاء به بأسم: (صحف آدم)، وهو نفسه الكتاب المندائي المقدس (كنزا ربا) أو الكنز العظيم. هذا ولم تقم دعوة إدريس داخل حدود مصر فقط، بل ذهب إلى بلاد العرب بين أهله وقبائله يدعو إلى عبادة الله وحده. وكان إدريس يعرف، قبل أن يدون البشر تاريخهم، ان

الأرض التي بين الفرات والنيل هي أرض أمة واحدة، فذهب إلى بلاد العرب يدعو أهلها إلى عبادة الله الواحد القهار فانتشر الصابئة المندائيون في أرض الجزيرة العربية بين دجلة والفرات وأرض الشام ووادي النيل^(١).

• الدكتور نديم السيار، قال:

((المندائيون تلك الملة العتيقة الغامضة، التي يذكر المؤرخون انها كانت أقدم الأديان على وجه الأرض.. والتي انقرض أصحابها الآن ولم يبقَ منهم في العالم أجمع سوى ما يقرب من عشرة آلاف فرد فقط، يعيشون منعزلين في بضع قرى صغيرة متناثرة في أقصى جنوب العراق على الحدود العراقية الإيرانية. ولا توجد طائفة دينية يحوطها الغموض وتختلف حولها الآراء، مثلما هو الحال بالنسبة لأولئك القوم.. البعض يرفعهم إلى أعلى درجات المؤمنين، وآخرون ينزلون بهم إلى أحط دركات الوثنيين الكافرين. وتزداد الإثارة عندما نعلم أنهم هم المذكورون في القرآن الكريم، ضمن طوائف المؤمنين المبشرين بالجنة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [سورة البقرة: الآية ٦٢])^(٢).

• السيوطي:

يؤكد السيوطي القدم التاريخي للصابئة المندائيين، ويجعل مصر القديمة موطنهم قبل أن تعمّ الأرض بأجمعها، ويقول:

((تنبأ إدريس وهو ابن أربعين سنة، وأراده الملك محويل بن اخنوخ بن قابيل بسوء، فعصمه الله، أنزل عليه ثلاثين صحيفة، ودفع إليه أبوه وصية جده، والعلوم

(١) قصص الأنبياء، عبد الحميد جودة السحار، ٢١٦.

(٢) قدماء المصريين أول الموحدين، نديم السيار، ٣١٠.

التي عنده، وولد بمصر، وخرج منها، وطاف الأرض كلها، وكانت ملته الصابئة، وهو توحيد الله، والطهارة، والصلاة، والصوم، وغير ذلك من رسوم التعبدات. وكان في رحلته إلى المشرق أطاعه جميع ملكوها، وابتنى مائة وأربعين مدينة أصغرها الرها، ثم عاد إلى مصر فأطاعه ملكها، وآمن به، فنظر في تدبير أمرها، وكان النيل يأتيهم سيحاً، فينحازون من مساله إلى أعلى الجبل والأرض العالية حتى ينقص، فينزلون فيزرعون حيثما وجدوا الأرض ندية، وكان يأتي في وقت الزراعة، وفي غير وقتها، فلما عاد إدريس جمع أهل مصر، وصعد بهم إلى أول مسيل النيل، ودبر وزن الأرض، ووزن الماء على الأرض، وأمرهم بإصلاح ما أرادوا من خفض المرتفع ورفع المنخفض وغير ذلك مما رآه في علم النجوم والهندسة والهيئة))^(١).

طاف إدريس أطراف الأرض، وأطاعته ممالك الشرق، ووصل إلى عمق أفريقيا حي منابع النيل، وعرف عنه شغفه بالعلم والتدريس، ومن ذلك اشتق اسمه، وله صحف مرسله أسوة بالأنبياء.

● ابن العماد الحنبلي:

قال: ((مات إدريس بمصر، والصابئة تزعم أن هرمي مصر أحدهما قبر شيث، والآخر قبر إدريس))^(٢).

● ياقوت الحموي:

قال بخصوص الهرمين: ((إليهما تحج الصابئة، وكان أولاً مكسوين بالديباج وعليهما مكتوب: وقد كسوناهما بالديباج فمن استطاع بعدنا فليكسهما بالحصير))^(٣).

(١) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ٢١١.

(٢) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١٩٨.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، مادة: مصر.

● المقريزي:

((قد كان يُحج إليهما، ويُهدى إليهما من أقطار البلاد))^(١).

فإذا صحّت كل هذه المعطيات، وأخذ بالاعتبار القدم التاريخي للصابئة المندائية، يكون حج الصابئة للأهرام أول حج عرفه أبناء آدم، وقد كُسيّت بالديباج، وهي شبه مكعبة، وتلك هي القبلة الأولى، وقد مرّ بها أنبياء ورسل كثيرون، منهم إدريس، وإبراهيم، وموسى، وعنها تناسلت سائر ضروب الحج وتقاليده في الديانات الأخرى، بما فيها تعظيم بيوت الله في أكثر من مكان، والتوجه إليها، والطواف حول بعضها، فالحج إليها هو التقرب إلى الخالق بالوصول إلى المكان الذي يعتقد أن له أثراً فيه، فتلك بيوت الله، مهما تعددت أشكالها، ومواقعها، وطقوس العبادة فيها.

● سليم برنجي:

يقول: ((يعد الصابئة المندائيون من الأقوام الآرامية، وكان موطنهم الأصلي مصر وفلسطين القديمة))^(٢).

● محمد محيط طباطبائي:

يقول في مقالة له بمجلة فرنسية:

((إن الصابئة المندائيون أنفسهم يرون أن نسبهم يصل إلى مصر، وقد اقترنت هجرتهم من مصر مع هجرة اليهود منها إلى أرض كنعان واليوم فإن تلك الأقوام يعرفون ويعرفون أنفسهم على أنهم من الأقوام السامية الكنعانية، في حين الحكايات المندائية والعبرية ترى أنهم مصريون)).

(١) السلوك، تقي الدين المقريزي، ١١٥/٢.

(٢) الصابئة المندائيون دراسات في تاريخ القوم المنسيين، سليم برنجي، ٢٧٦.

• إخوان الصفا:

يشيرون في رسائلهم إلى المصدر الذي استقى منه الصابئة المندائيون علومهم: ((وقد أخذوا أصول علومهم من السريانيين وعن المصريين، وعن نبي أوائلهم هرمس))^(١).

• القفطي:

قال: ((إن هرمس) خرج من مصر وجاب الأرض كلها، ثم عاد إليها ورفع الله بها، وأنه دعا إلى دين الله، والقول بالتوحيد وعبادة الخالق، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح))^(٢).

وقد تم العثور على كتب لهرمس في أرض مصر، وعن هذه الكتب الهرمسية، يقول لويس مینار بأنها: ((الآثار الوحيدة المعروفة التي يمكن تسميتها بالفلسفة المصرية))^(٣). أما مرسيا الياد فيقول: ((إن الأدب الهرمسي بممثليه وديكوره وأساطيره، يبدو مصرياً خاصة بالنسبة للنصوص القديمة^(٤)). وقد نُسب إلى هرمس عدد كبير من الكتب والرسائل، يبدو انها مؤلفات اشترك العديد من الكهنة في كتابتها بأسم هرمس، أو كما يقول المؤرخ والفيلسوف اليوناني (جامبليك): هرمس الذي يدبر الكلام، هو حسب التقليد القديم مشترك في كل الكهنة، وهو الذي يقود إلى العلم الحقيقي، وأنه واحد في الكل، ولهذا أسندوا إليه كل الاكتشافات ووضعوا أعمالهم تحت اسم هرمس))^(٥).

(١) رسائل إخوان الصفا، ١٥٩/٣.

(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين القفطي، ٤١٣.

(٣) هرمس المثلث العظمة، لويس مینارد، ٥٣٧.

(٤) استعادة المقدس، مرسيا الياد، ترجمة: محمد عبد الفتاح، ١١٦.

(٥) أسرار مصر، جامبليك، ٣٢٧.

● ويقول الأستاذ عبد الهادي عباس:

((والمعروف الآن هو أن هرمس المثلث العظمة هو المؤلف الوهمي للكتب التي تعرف بالكتب الهرمسية، وعلى الأخص المجموعة الأولى التي وصلتنا، والتي تعرف بأسم الأول منها (بوامندريس)، ويزعم عن الإله المصري تحوت المعروف بتحوت الأكبر، هو مؤلف تلك الكشوف الفلسفية وهو يظهر في بعض الكتب بصفته واحداً من المتحاورين. ومن المناظر الشائعة في معابد مصر، صور لتحوت وهو يقوم بصب الماء على الملك، قبل دخوله إلى المعبد، وكان التطهر بالماء شرطاً من شروط دخول المعبد. كما كان المعبد المصري يحتوي على بحيرة ماء مقدسة))^(١).

● ويذكر هيروودوت:

((ان الكهنة المصريين كانوا يتطهرون بالماء أربعة مرات كل يوم، كما كانت الطقوس التي تجري في المعبد تبدأ بغسل الكاهن ليديه))^(٢).
ويبدو ان طقس التطهر بالماء موغل في القدم، فلوحة الفرعون نعرمر الشهيرة، بالمتحف المصري، والتي يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، تظهر الملك وقد مضى خلفه رجل يحمل نعل الملك بيد وفي يده الأخرى يتدلى إبريق ماء، وهو ما تنص عليه أيضاً متون الأهرام: ((تقديم المياه إلى الموتى، المياه لكي تغسل يديك، اغسل يديك يا أوزير)). وكان المصريون القدامى يعتبرون الحرمان من الاغتسال بالماء حرماناً من بركة الله.

(١) عبد الهادي عباس، تقديم ترجمته لكتاب المقدس والمدنس، مرسيا الياد، ١٨.

(٢) هيروودوت يتحد عن مصر، ترجمة: محمد صقر خفاجة، ٣٩٢.

● ابن خلدون:

يقول: ((سميت مصر بالنسبة لمصر بن بيصر، أحد أحفاد النبي نوح، وكان أهلها صابئة، م حملهم الروم - لما ملكوها - على اعتناق النصرانية، فاعتنقوها بعد الصابئية. كما حملوا غيرهم من الأمم المجاورة لهم على ذلك، امثال: السلاجقة والصقالبة والروس والقبط والأحباش، فقد اعتنقوا كلهم النصرانية، ورجعوا عن دين الصابئية))^(١).

خلاصة الموضوع حول وجود المندائيين في مصر القديمة والرد على تخريصات المشككين بوجود الديانة والمندائيين بشكل عام، والذين يظهرون في أحاديثهم كأن المندائية نزلت من كوكب آخر، وينكرون وجودهم كأصحاب حضارة، وانه من عندهم انطلقت جذوة التوحيد الأولى على وجه الأرض. ومن كل ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى أن الصابئة المندائيين ليسوا يهوداً ولا مسيحيين، بل ينتمون إلى الحضارة المصرية - أصلاً وفكراً - ، وهم أحناف موحدون، تقوم عبادتهم على التطهر. ونضيف إلى ذلك ان كلمة (حنف) كلمة مصرية قديمة تعني: الموحد المتطهر. فالأحناف هم المندائيون، كما قال إخوان الصفا:

((وهؤلاء لهم عند الناس أسماء مختلفة، فمنها الصابئون والحرانيون والحنوفيون))^(٢). والحنوفيون هم الأحناف، فهم أيضاً صابئون ومندائيون. كذلك نجد لفظ حنف في النصوص العربية الجنوبية بمعنى صبا، ومما ذكر في عدة مصادر أن المندائيون قد جاءوا إلى بطائح البصرة من مدينة حرّان وما حولها من جبال ماداي، حي الينابيع الساخنة في الشتاء والباردة في الصيف. وهذا الوصف ينطبق على منابع

(١) المقدمة، ابن خلدون، ٣١٩.

(٢) رسائل إخوان الصفا، ١٢/٣.

نهر البليخ، التي يسميها العرب بعين الذهابانية، والتي ندعوها اليوم عين العروس، حيث مقام إبراهيم الخليل. هكذا هو سعي الأحناف المندائيون إلى ينابيع ومجاري الماء، وإلى مقام إبراهيم الخليل أيضاً، فإذا كان الماء هاماً لطقوس عبادتهم فقد كان النبي إبراهيم الخليل نبيهم.

● يقول عماد الصباغ:

((إن في جميع المصادر التاريخية التي أتت على ذكر حنفاء الجاهلية، ورد ذكر المندائيون من حي انهم على دين إبراهيم، كما ان الحنفاء أنفسهم أكدوا هذه النقطة من خلال أدبهم الشعري والخطابي))^(١).

ونستخلص من ذلك العديد من الدلائل وهي:

☒ الدلالة المكانية على وجود المندائيين وانتشارهم في بقاع واسعة من الأراضي العربية منذ أقدم العصور.

☒ وجود المعلمين الأوائل في مصر القديمة مثل: أبونا دنانوخ (إدريس) مبارك اسمه، وأبونا إبراهيم الخليل الحنفي.

☒ ثورة الفرعون أخناتون الدينية للقضاء على الشرك وإعادة البلاد إلى التوحيد، واتخاذ مدينة طيبة عاصمة له.

☒ كانت مدينة طيبة مركزاً مهماً للديانة التوحيدية الأولى، حيث وجدت المقابر المندائية وطريقة الدفن واتجاه دفن الأموات نحو الشمال، أي قبلة المندائيين.

☒ وجد المنقبون الكثير من الكتب المقدسة في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي تضم لفائف من نصوص الكنزا ربا وسفر ملواشة.

(١) الأحناف قبل الإسلام، د. عماد الصباغ، ٢٧١.

- ✘ وجود راية السلام (الدرفش) على نقوش الحجر، والتي أطلق عليها المؤرخون (رمز الحياة).
- ✘ وجود المراكز العلمية المهمة حيث تتلمذ الفلاسفة الإغريق والرومان على يد دنانوخ مثال: أفلاطون، وأرسطو، واقتبسوا الكثير من الفلسفة المندائية في نظرياتهم، وخاصة مدرسة الأفلاطونية المحدثة.
- ✘ نزوح اليهودي وأتباع النبي موسى (ع) وكثير من المندائيين إلى أورشليم بسبب الاضطهاد الفرعوني لهم بقيادة رمسيس الثالث.
- ✘ يعد هذا النزوح هو الهجرة الأولى للمندائيين قبل ميلاد يحيى (ع).
- ✘ مسلة رمسيس الثالث التي تكتم لديها الباحثون لأنها تصب في صلب عقائد المندائيين، فالفرعون رمسيس يروي فيها سيرة حياته والانجازات العمرانية والحربية التي يذكر فيها بطشه ببني إسرائيل البطشة الكبرى وإغراقهم في البحر.
- ✘ الروايات اليهودية تقول عكس ما هو موجود في مسلة رمسيس الثالث، إذ كيف غرق رمسيس كما يدعي اليهود وموميائه مدفونة في الأهرامات واكتشفت مؤخراً.
- ✘ استمر حكم الفراعنة بعد طرد النبي موسى (ع) وهذا عكس ما قاله اليهود حول تدمير المملكة الفرعونية.
- ✘ النبي موسى (ع) والنازحون معه هربوا نحو أورشليم وأصلهم موسى (ع) في صحراء سيناء أربعين عاماً ليقضي على الجيل الخانع للبطش الفرعوني.

☒ مدينة طيبا وهي تعني مدينة الاشكندا أي مدينة الحلالية كما موجود في اللغة الآرامية.

☒ هذه الروايات التاريخية حصرياً من تراث المندائيين، وليست من الروايات اليهودية أو غيرها.

٢- فلسطين :

نزع المندائيون من مصر بسبب الاضطهاد الفرعوني بعهد رمسيس الثالث وباتت الهجرة الاولى للصابئة المندائيين تحت رعاية الملك الفرثي اردبان ملكاً^(١) نحو فلسطين وحران و بعد هذا الوقت قوّت شوكة اليهود في فلسطين فبدأ الاضطهاد اليهودي للمندائيين فتبعثروا في مدن اخرى من فلسطين و القسم الآخر فضل الانزواء و اخفاء دينه خوفاً من بطش اليهود، و بعد قرون عديدة من الهجرة المندائية ظهرت الولادة المعجزة لأبينا يهيا(يحيى) مبروك اسمه ليحيى الدارة من جديد و يعيد الناس إلى ديانة التوحيد الاولى ديانة آدم مبروك اسمه ويعيد شعيرة التعميد لاعادة الناس إلى دين الحق بدل الشرك فدخل الالوف من المندائيين اليهودي و اليهود إلى ديانة التوحيد الاولى لكن هذا لا يوافق افكار اليهود فبدأوا يوجهون (إبينا يهيا مبروخ اسمه) لكنه لم يتوقف عن نشر رسالة الحق التي امره بها الحي العظيم و استمرت هذه الدعوة ٤٢ عاماً في اورشليم حتى وفاته المعجزة .

وبعد وفاة النبي يحيى(ع) ب٦٠ سنة^(٢) حدث اضطهاد يهودي روماني للمندائيين بسبب دخول بنت الملك(مرياي) إلى الديانة المندائية و تركها للديانة اليهودية فحدثت مجزرة بحق المندائيين حيث قتل على اثرها ٣٦٥ تلميذاً(ترميذا) و ١٠٠ ناصورائي وبعد

(١) هو احد الناصورائيون الذي قاد الهجرة الاولى من مصر في عهد (فروخ ملكا).

(٢) ديوان حران كويثا،ترجمة: نعيم بدوي.

هذه المجزرة قرر الملك المندائي اردوان ملكاً^(١) الرحيل من فلسطين مع كثير من اتباع ابينا يحيى (مبروك أسمه) إلى البلدان البعيدة من نفوذ اليهود والرومان، فقسم منهم ذهب إلى حران الداخلية حيث وجدوا لهم اخواناً في العقيدة و الدين، والقسم الآخر قرر الذهاب إلى وادي الرافدين فاتخذوا من بغداد مركزاً وخلال هذه المدة جلبت (الروهة) أولاد اليهود عبر (سوف زابا) وبنيت لهم . جاءت بالآجر المقدس وأقامت بناء ونصبوا عمودا بعد عمود ورفعوا كل عمود ساقط . (وكانت لأورشليم الجديدة) ثلاثة أسوار متباعدة الواحد عن الآخر، وقد علموا بخصومها وحمت الروهة^(٢) أورشليم بالأسوار الثلاثة واحاطت اليهود ولم يكن في وسعهم إزاحة الأسوار عنهم.

ثم صعد الملك أنش أثرا إلى آباءه و قال لهم: (لقد أتيتم باليهود و الروهة عبر سوف زابا و الروهة بنت بناء وأحاطتهُ بسبعة أسوار بحيث أنا عاجز عن مساعدة جيوشهم).

فماذا أمرتم بخصوصنا؟ (بهذه الحكمة). تكلم أنش أثرا مع آباءه و أخبرهم كيف حدث الأمر، وبعد ذلك جاء و نهض ذو المجد العظيم و معه أبنة اللطيف هيبيل، وقاما بإجراء ثم جاء هيبيل نحو أنش اثر و قال له: (أهبط إلى ميديا و خذ سبعة نبال و أذهب و أنطق الكلمات (السرية) عليهم ثم خذ معك سبعة حراس من جبل بروان لتكن معهم أقواسهم و سوف ينطقون عليهم سبع كلمات (سرية))، و سيحطمون الآجر المقدس في بيت الروهة ففي كل محل تصيبه تلك النبال، النار تشتعل فيه و تلتهمه و ترتفع به إلى

(١) ويعتقد الباحثون بأن اردوان ملكا هو الملك البارثي أرتبانوس، ولكن هذا الاسم حمله خمسة من ملوك الاسرة، ويقول بعضهم انه الثالث ١٠-٤٠م، ولكن المرجح ان هجرة المندائيين جنوباً ربما بدأت بعهد هذا الملك، ولكنه استمر ابعد بكثير حيث انها كانت هجرة تدريجية وليست جماعية كالهجرة من فلسطين.

(٢) الروهة: هي تجسيد رغبات الانسان وشهواته والارواح الشريرة.

السماء. و تغرز في الأرض إلى عمق اثني عشر (ناسكا) بفضل تلك الطلاسم الطاهرة المهمة و سيتحول إلى العدم حكم الروهة و أولادها السبعة و اليهود من الآن و إلى يوم القيامة). ولم يخالف أنش آثارا أي شيء مما أمره به هيبيل زيوا(الملاك جبرائيل) و أحرق و دمر أورشليم و جعلها أكثر من الخراب، وذهب إلى بغداد و قتل هناك جميع (الكوهينين^(١)) و سحقهم كالغبار وكل مدينة كان فيها يهود و أكثر من هذا فأن حكومتهم التي ظلت تحكم في بغداد ثمانمائة عام و قد مارست حكماً ذاتياً فيما بينهم – أربعمائة حاكم – من أجل استمرار الاستقلال اليهودي في بغداد و (المجتمع اليهودي) قد ارتقوا وظيفة الملوك و هكذا وصل بيت اليهود إلى العدم و النهاية و تجرد الظلام من قوته. أولئك الحراس السبعة الذين كانوا النخبة المختارة دعوا من أنش آثارا بكلمة و بأمر من هيبيل زيوا، و جاءوا كما أمر ذو المجد العظيم، وكان أحدهم هو (زازاي بر هيبيل آثرا) و قد أنابه أنش آثارا في مدينة بغداد . كما أناب أنش آثارا واحد أسمه (بابا بر كودا) في دجلة الكبير و على مصب (أولاي) (نهر الكرون) و أناب واجداً أنشر بن نظر هي أنابه أنش آثارا على نبع ذلك النهر .و(أنش شايار بر نصاب) أقامه في بمبت (بمبيرينا^(٢)) و هي أصقاع تقع في نهاية(سورا^(٣)) وواحد أسمه (نصاب بر بهرام) أقامه في جبل "جبال" كلالزلان و آخر أسمه(سكا مندا) أقامه في أطراف جبل الينابيع الواقع في نهاية سلسلة بروان في المكان هذا نشأ فيه هؤلاء الملوك السبعة و تفرقوا (أي هؤلاء الحراس السبعة) الذين بصحبة أنش آثارا أقام اللوفاني في زوايا البيت(العالم) السبع؟ لأجل سحق قوى الظلام، و تثبيت دعوة الحياة و جعل معرفة العصاة تذهب هباء.

-
- (١) كوهينون: هناك مكان في العراق دفنت فيه جثة ذو الكفل وحواله خمس الى ستة قبور ويقولون الاليون هناك انهم كوهينين.
(٢) يلزمون ان تكون على الفرات توجد اكااديمية يهودية مشهورة والموقع قرب مدينة الفلوجة - على الفرات.
(٣) مدينة في بابل الجنوبية وكانت هناك اكااديمية يهودية.

وحين فعل أنش آثرا ذلك بأمر من هيبيل زيوا الذي أمر ذو المجد العظيم . ذهب أنش آثرا إلى طور اد مادي ، "جبال ميديا"^(١) المسماة حران كويثا و جاء ب :
بهيران بر شيتل أحد أحفاد أرطبانوس ملك الناصورائيين و نصبه في بغداد (بابل) و منحه السلطة و السيادة ومعه كان ستون ناصورائيا و تضاعف الناصورائيون في بغداد (بابل) وتكاثروا بض آل بهيرا بر شيتل ، و الناصورائيين الذين كانوا في بغداد أربعمائة شخنته ؟ و كشف لي وإلى الجميع من جاء منهم في هذا الكتاب ، وعملوا بموجب هذا الموثوق ؟ الذي منح لآدم الأنسان الأول و إلى ذريته" و إلى جميع أولئك ، الذين يشهدون هذا النور و هذا النور إلى نهاية العالم . أن العدم لا يصيب دنيا المجد العظيم تبارك اسمه .

ثم ان زازاي المذكور احد المختارين الصادقين ارتفع إلى السماء العليا وسكن مع يوربا اثنين وستين يوماً ثم صعد إلى ابائه اما اولئك(الآخرون) الستة المختارون الصالحون فقد نشروا ذريتهم في الدنيا وفي العالم الدنيوي يوجد بعض من نسل الرسل الذين علمهم يهيا يهانه وبينهم الناصورائيين من هم من اغراس الملوك في بغداد فانهم ينسون بان مائتين وثمانين عاما قد خلت منذ ان نشأ بعض اولاد يهيا يهيانا وهكذا جاءت الروهة واضلتهم^(٢) وحرقت كلماتهم وافسدت اختامهم وخدمت التعابير والصلوات وكان نسل اولئك المريدين الذين ولدوا من بذرة يهودية لان ابن البذرة الطاهرة ما كان لليهود من

(١) ميديا: الاصح انها (مادي) فقد وردت في الاصل (طور ادماي)، وهي المرتفعات التي تجاور حران وكانت الخطوة الاولى في التحرك نحو الجنوب وقول الليدي دارور في كتابها (الصابئة المندائيون) أن اسم مندائي جاء نسبة من مرتفعات (مادي) فالمندائية قومية ترتبط بارض، ولم تأت تسميتهم من مندا التي تعني المعرفة.

(٢) ديوان حران كويثا، ترجمة: نعيم بدوي.

اورشليم اليهود وقد اغرتهم الروهه في ان يطيعوا شهوات الجسد وهكذا ابتعدوا عن الطهارة وعن العقيدة الحقّة.

وفي مدينة الطيب، وتسمى محلياً مدينة أشكندة^(١) بسبب ما قام به من عمل في بغداد أثناء حكمه، ولأن الأشكندا سكن في الطيب وكانت وطنه وكانت تسمى مدينة شكندا أيضاً لأن فيها ناصورائيين و وريشمي، و كان فيها ريش أمه^(٢) واحدة أسمه (قيقل).

(١) شكانده او (شكنده) يستعمل احيانا كملواشة والطفل او الشاب من نسل كهنوتي والذي يساعد الكهان في اثناء الطقوس يدعى اشكنده وفي السومرية يسمى (اشكانده ومعناها مراسل وفي الاكدية اشكاندو).

(٢) ريش امه مرتبه دينية وهي اعلى المراتب الدينية في المندائية وتعني رئيس أمة.

الصابئة المندائيون والفتح العربي الاسلامي

و أرسل أودوناي شربيش روهة إلى هذا العالم و قال لها :

إذهبي وإظهري لقيقل الناصورائي بزي هيبيل زيوا. لأجل أن تسلمي منه علمه و
حرفي الكلمات التي يتحدت بها أبناء عقيدتهم وحين تفعلين ذلك فأن جميع أتباع
الناصرائيين^(١) سيرتدون إلينا. وذهبت روهة شربيش زوجة أودوناي^(٢) و سكنت مع قيقل
الناصرائي. و تزينت بزي هيبيل زيوا فشهد به عشرة من الناس و سلبت من قيقل العلم
وعلمته و قالت له : "أنا هيبيل زيوا قد أتيت بقرطاس و قلم لتكتب أساس الحياة قولاً
وسراً وإنشرها وأرسلها وإعمل بموجبها. لأن رب الحياة أرسلتني وها أنا قد أتيت".
لذلك أخذ قيقل "قرطاساً وقلماً وكتب ووزع العقيدة المنبعثة من الروهة بينما فارقتة
المعرفة".

وهكذا نشأ إنقسام بين الناصورائيين و المرشحين للكهانة نتيجة تلك الكتابات التي
دونها، بعد ذلك إنسلت هي من حضرته فعادت معرفة قيقل إليه و ذهب وأستعاد أقواله
وأنكر الطلاسم التي كانت من تعليماتها، والتي علمتها له الروهة، جمع كل ما كان لديه
مما أملت عليه الروهة وأحرقه في النار وأرسل الناصورائيين والمرشحين للكهانة قائلاً:
هاتوا الكتاب الذي أعطيتكم أياها، إحرقوها بالنار. لأن الروهة ظللتني حين كنت
أجهل من بعثها.

(١) العارفون بالدين، أو المؤمنون المندائيون.

(٢) ادوناي: هو سيد او رب وهو آلهة اليهود وهو الشر الذي تعبده اليهود.

راح الناصورائيون الذين يمارسون العقيدة الحقبة يجمعون الكتب و سلموها له فأحرقها بالنار ولكن أولئك الذين كانوا منحدرين من عرق يهودي^(١) لم يعيدوها و لم يسلموها إلى قيقل و بقي بعضها معهم حدث ذلك قبل الفتح الإسلامي المدة ب ٨٦ سنة .
وأرسل هيبيل زيوا^(٢) (الملاك جبرائيل) نداءً و إنذاراً إلى الناصورائيين الذين كانوا يعيشون في نهاية ذلك العصر "إحذروا ثم ثانية إحذروا و أعملوا فقط حسب كتابات الوحي العظيم (الكنزا ربا)" (وان هذه العقيدة المندائية ستظل ثابتة وستظهر وتذكروا هذا التحذير الطاهر وبذلك سيرتفع إلى مقام الاب و لكن أي إنسان لا يسير في هذا السبيل أو يهمله فإنه يبحث عن الظلام و سوف يسقط).

أيها الناصورائيون الذين سيعيشون حتى نهاية الزمان الأخير إنني لكم نذير أثبتوا وأعملوا حسب هذا الكتاب و إسمه الكشف العظيم ، لأنه و منذ ذلك الوقت ستتضاعف الشعوب و الأقوام و الألسنة و سوف يبحث كل واحد عن ربحة الخاص ، سوف تكثر الكتابات والمذاهب الدينية التي تخص الروهة و أدوناي و بسببها ستهبط النفوس إلى الظلام. هكذا قبل الفتح العربي كثر العرب و أنباري و الأدوميين و اليهود وأساسانيون و إنقسمت الأقوام، وهذا عندما سلبت السيادة من ذرية أرطبانوس

(١) عمد يهيا يهانا بعض اليهود فاصبحوا مندائيين ورحلوا مع الراحلين من المندائيين الى بابل.
(٢) هيبيل وزيوا: وهو ملكا من عوالم النور العليا، ومعنى اسمه (واهب أو معطي الضياء)، وهو بمثابة جبرائيل (كبرائيل). وله أدوار مهمة وكبيرة في الفكر الديني والروحي المندائي. ويدعى أيضاً برسول النور (شليها اد نهورا) أو برسول الحياة أو الحي (شليها اد هبي)، فهو الذي جلب الحياة إلى الأرض وأزهرها وجعلها صالحة لخلق الإنسان الأول (آدم وحواء)، وذلك بأمر وتسلية من الحي العظيم (مسيح اسمه). ويعطى صفة (المخلص). ولقد قام هيبيل زيوا بالنزول إلى عوالم الظلام لتقويض الشر والشيطان وذلك بأمر الحياة. ويطلق اسمه على الصياغة الكبيرة المعروفة باسم (صباغة ملكا هيبيل زيوا) والتي هي ٣٦٠ صباغة. ولقد شارك هذا الملاك بعملية خلق العالم الأرضي، وهو الذي نزل إلى عوالم الظلام بأمر من ملك الأنوار السامي، ليكبح جماح الشر ولينشر نور الحياة. ويلقب بـ(الابن الطيب، ابن الحياة) وان هذا الملاك له مكانة مميزة في نفوس المندائيين المؤمنين لأنه حافظ السلالة الحية على هذه الأرض. والملاك هيبيل زيوا (م) هيبيل المنور هو ابن (الروحي منداد هبي (م) عارف الحياة) ملكا مارا إد رابوثا إليثا (م) رب العظمة) وأمه الملك (سيمات هبي (م) أم الحياة).

وطردوا من بغداد تعددت الألسن وحتى لغة الناصورائيين تعددت و هكذا حكمت سلالة الهاداديين(الساسانيين^(١)) لمدة ثلاثمائة وستين سنة ثم طردهم ابن العربي و تملك وأنتشر ملكه و تميز شعبه بممارسة الختان. وحتى بعد ذلك الوقت بعد إن حدث هذا و وقعت تلك الحوادث، بقى ستون علماً(معبد) في بغداد. وحكم العرب الجميع و سيطروا على بلاد و مرتفعات فارس الذين يسمون هاردامايي (الساسانيين) و أنتزعوا منهم الحكم.

ثم لما حدث هذا ظهر في ذلك الوقت من يدعى أنش بن دنقا كان من ذرية أرتبانوس وجاء من مرتفعات أرسايي إلى مدينة بغداد و دخلوا في حكم محمد بن عبد الله العربي حين كان حكمه قد بلغ السبعمئة عام^(٢).

ثم أخذ من مدينة سوف زابا التي تدعى البصرة و أراه مرتفعات فارس إلى بغداد و أخبر أنش آثرا ابن العربي كما كان قد أخبر إنش بن دنقا ، عن هذا الكتاب الذي جمعه آباؤه، والذي تبعه جميع ملوك الناصورائيين و الذي جاء فيه ذكر الله فقد تناقله ملوك العالم من آدم ملك الدنيا حتى الملك أرتبانوس و إلى أنش بن دنقا. و كانوا جميعهم من المختارين. ثم أخبره عن ملك الساسانيين و عن كل ما كان يريد فعله مع أولاد غرس الله العظيم. و أن لا يضطهد الملوك الناصورائيين الذين يعيشون في مناطق حكمه.

هكذا يتحتم أنش بن دنقا و يوضح أنه لوساطته قوة ملك النور السامي و تمجد إسمه لم يعمل بإيذاء المندائيين نتيجة للجباية التي ضمننت لهم بعد إضاحات ملك النور العظيم تمجد إسمه.

وبالنسبة لما وجدته في هذه الشروح على الكشف العظيم لم أجد ما يساويه بين جميع ما هو موجود في حوزتي وتحولت وذهبت إلى جميع رؤساء الأمة الناصورائيين الذين كانوا موجودين، وشاهدت كثيراً من المخطوطات والكتب الدينية وكتابات وبحوث

(١) حكم الساسانيون من عام ٢٢٦ - ٦٣٠ ب . م . واستمر حكمهم ٣٦٠ سنة.

(٢) الفروض أن هيبيل زيوا هو المقصود ل/ أعرف موقع هذه الأسماء.

حول اسم الكشف العظيم^(١) تبين لي أنني لم أرَ ما يشبه هذا المصدر الموثوق . لأنه موثوق به ولأنه قد وجد منذ ازمان قديمة وإلى الابد منذ بدء العالم الدنيا الثامنة وإلى نهاية العالم وهذه الكتابات تعلم اجراء العقيدة الصحيحة وبكل وضوح. تعاليم عن بدء النور ونهاية الظلام موجودة في مثل هذه الكتابات كتابات الكشف العظيم ولا توجد في اي كتب اخرى وان ما يعلم في مثل هذا الكتاب هو السبيل سبيل الاصلاح ونسخ للصالحين إلى نهاية الدنيا سبيل الصالحين هذا نسخ لكل ابن من ابناء الاصل الحق لكل ابن من ابناء النطفة الطاهرة.

ثم أن هيبيل زيوا (جبرائيل) تمجد اسمه أخبر الناصورائيين حول نهاية الزمن الأخير. فالشر سوف يزداد و التلوث سيتضاعف كثيراً في العالم ! وهذا ما هو مقدر لهذا الزمن. وهكذا لن يرتفع إلى النور (نصف درهم من شيكل كبير ذهبي) و سوف يغمر كل شيء في الظلام و تلك الفترة من حكم ابن العربي إلى نهاية العالم. وكان في بغداد اربعمائة راية (معبد) وتسلم الساسانيون المملكة. ومع ذلك بقيت مائة وسبعون (١٧٠) راية و بيت مندا في بغداد. و سوف يزداد الإضطهاد و تكثر البلبلة بين الناصورائيين ، وستقل الطهارة ويزداد التلوث والزنا والسرقه والخداع سيفسد الأنسان. وسوف يختفي كل ما هو جميل. ولكن من بين الناصورائيين من يظل ثابتاً محتفظاً بهذه التعاليم وهذا الكشف العظيم سيرتفع ساطعاً في سبيل المؤمنين وسيشاهد سيماء المجد العظيم.

في العصر العربي تتضاعف المخلوقات من جميع أنواع الشر كما يكثرُ العشب الضار وينمو بسرعة و الأقوام و الشعوب و الألسن تشتت تصبغ لا يحصى عددها كالظلام الذي

(١) اظن انه يشير بذلك الى كتاب (الف ترسر شياله) الذي يعالج ادق التفاصيل وبأسئلة كثيرة عن الطقوس والمعتقدات يوربا لها صلة بالشمس فمظهر شامش "الشمس" هو الذي يمر به اتباع الاديان الاخرى.

- وقد يعني الكهان
- اي الرتر سيم بالماء والزيت اثناء التعميد

تكاثروا و تضاعف و علم هيبيل زيوا: (في نهاية العالم ، وحين يكون الحكم العربي قد أنهى أربعة آلاف سنة كما مدبر له فالمسيح سيأتي بعده، سيأتي ويظهر أربع علامات (معجزات) في العالم حتى أن الطيور والأسماك في البحر تفتح أفواهها و تباركه و تشهد له ، يشهد له القرميد وأحجار اللبن في الابنية و البيوت و حتى مخلوقات ذات الأربع تفتح أفواهها و تشهد له). و أوضح هيبيل زيوا أكثر: (لكن) أنتم أيها ((الناصرانيون و أيها الأتقياء الصالحون لا تؤمنوا به ولا تعتنقوا دينه انه يقول لكم (انا هو الله انا ابن الله الذي بعثه ابوه اليكم ويشرح لكم انا هو الرسول الأول أنا هو هيبيل زيوا الذي نزل من ملكوت السماء لا تصدقوه ولا تؤمنوا به)). أعلن لكم أيها الصالحون المختارون وأنتم أيها الناصورانيون الذين ثبتوا . أصمدوا في هذا السبيل الطاهر المتميز و لا تحرفوا كلمة واحدة أو أمراً من أوامر ذي المجد العظيم ذلك أنه قد يأخذ بأيديكم ويحرسكم و ينجيكم من ايدي كرون... و علم هيبيل زيوا: " و حين يكون المسيح قد عاد و عرج إلى السماء و حكمه سيستمر ستة آلاف سنة فهو سيعرج و يلتحق بسره الأول و من تلك الفترة إلى نهاية العالم ستزول الشرور و تغادر العالم ، و ما نشأ من الأرض سيدخل في الأرض و ما هبط من السماء سيعود و يدخل السماء. وسيكون هناك في العالم أناس لا يشتهي أحدهم مال جاره . و ستعود أحاسيس الناس إليهم و لا يمارسون الختان . سيهتدون و يتكاثروا الناصورانيون في العالم . سترفع عنهم عين الحسد و يختفي السيف من العالم ... و يكون الأمر كما لو أن سلطان ابن الظلام و الذي سلطانه من دنيا الشيطان كأنه لم يكن في العالم و معه تذهب قواته التي كان يمتلكها في هذا العالم إلى أن جاء ابن العربي (مارس) و منحه علامته و قيده بيمين القسم^(١) .

(١) القدر استمر حكم اولاد يهيا يهانا ٢٨٠ سنة.

أجل سيوجد أناس صالحون، و ستعود السلطة إلى أبناء أسرة الحياة العظمى وسيكونون مؤمنين مجتهدين. لكن الملوك^(١) سينهون العصر، تماماً كما فعل أوائل الناصورائيون، لأنهم أهتموا بالزراعة قبل كل شيء و بإدخال المسرة على قلوب الملوك . سيعود جميع الناس إلى الدين و سوف يزداد عدد الصالحين و يعم الإصلاح و يستمر خمسون ألف عام بهدوء و بدون اضطراب. سيحافظ الناس على كلمة واحدة و يتكلمون لغة واحدة. لن يكون هناك كره و حسد و شقاق فيما بينهم . ستزول الإرادة الشريرة من عقول جميع الناس والشعوب والألسن ووضح هذا هيبيل زيوا أكثر : حين تحدث هذه المعجزات حين يحين الوقت، ستكون هذه الآلاف الخمسون من السنين من حصتي ونصيبني أنا يارو زيوا لأن العصر الأول كان عصر آنوش آثرا و مهمة تماماً و تطويره ومنحت لي أنا هيبيل ياور زيوا.

٣- العراق :

لا أحد يعلم متى ظهر الصابئة المندائيون فيها على وجه التحديد، والصابئة المندائيون هم شعب آرامي عراقي قديم ولغته هي اللغة الآرامية الشرقية المتأثرة كثيراً بـ "الأكادية".

يوجدُ الصابئة المندائيون في قرى أو قصبات جنوب العراق على ضفاف الأنهار ويزاولون المهن اليدوية لصناعة العدد التي يحتاجها الفلاحون والصيادون في قراهم والحدادة والنجارة وصناعة الحلبي والقوارب الخشبية، وقد اتجه بعضهم نحو المدن الكبيرة، وانصرفوا عن ممارسة حرفهم البدائية السابقة وطوروا صنعة الصياغة التي

(١) يقصد بالملوك هنا الكهان و غرس الله المقصود بهم المندائيين.
- الحكاية توحى أن أنش آثرا قد ألهم سمييه أنش بن دنقا بان يقنع المسلمين بأن المندائيين كانوا من أهل الكتاب و يريه كتاب (كنزا ربا) أو أي كتاب مقدس آخر معلنا بأنهم ليسوا بوثنيين.
- جاء في شرح صلاة (تشديهان فيه).
- ديوان حران كويثا ترجمة نعيم بدوي.

احتفظوا بها وحولوها إلى صناعة عصرية وبعد تزايد النشاط الاقتصادي والاجتماعي الحديث في العراق توجهوا بعوائلهم صوب المدن الكبرى لاسيما بغداد والبصرة، وبأعداد كبيرة، حتى خلت القصبات والقرى منهم واستقرت غالبيتهم في هاتين المدينتين إلى يومنا هذا.

يقول الدكتور خزعل الماجدي: من حقنا ان نفتخر بان ديانة التوحيد الأولى ظهرت في وادي الرافدين و شبه الديانة المندائية بانها جوهر الديانات و لب الاشياء^(١) نحن عن ديانات موحدة موجودة في وادي الرافدين مثل الديانة السومرية والبابلية والاكديّة و الاشورية وغيرها من الاديان التي بات تأثير الديانة المندائية واضحاً عليها في نصوص الكنزا ربا اليسار تصف هناك ملائكة من العالم المادي مسيطرون على هذا العالم و لكل كوكب ملاك مادي مسير هذا الكوكب، مثل سين ملاك القمر وشامش ملاك الشمس وملاك انبو وليبات ونيرغ وعطارد وعشتار ولكن الاقوام المذكورة بدأت تؤله هؤلاء وتترك عبادة الله مبارك اسمه وهناك نصوص مندائية تذكر تأثيرات الكواكب على الكرة الأرضية مثل الكواكب السبعة والاثنى عشر وهذه النصوص تنسجم مع الديانة المندائية التي تقول بان ملائكة هذه الكواكب والكواكب نفسها لها تأثير مباشر على الخلق البشري مثلاً عند اكتمال القمر عندما يبذر الرجل بذرته في زوجته يكون الولد بسران سره (وجود عوق معوي في هذا الوليد) وظاهرة المد والجزر وكذلك تأثر الأرض بالتغيرات المناخية نتيجة تسلط الكواكب على الأرض^(٢)، ونستشهد بأمثلة اخرى حيث تأثرت الديانة السومرية بالديانة المندائية حيث هناك وجود كلمات ارامية مثل كلمة الناظري(الملاك) الحارس والناطور في المندائية تقابلها في السومرية كلمة الحارس وهو الملاك الذي يسجل الحسنات والسيئات للناس وكذلك كلمة صريفة وتعني(البيت) في المندائية ايضاً اقتبست من قبل

(١) الحضارات الارامية حاضنة الاديان التوحيدية الاربعة، خزعل الماجدي ١٨٣.

(٢) حقيقة الصابئة المندائيين، في امة حاضرة منسية. حامد\ نزال سعودي.

السومريين وتعني البيت ايضاً، كذلك اجراء طقوس التعميد، إذ يشبه لباس المندائيين خلال التعميد باللباس السومري وهو الرسته عند المندائيين.

اضافة إلى التشريعات اقتبست من المندائيين مثل شريعة اورنمو الذي تعني بالمساواة بين الرجل والمرأة والمحللات والمحرمات وتنظيم الحياة بـ٣٢ مادة معظمها مستوحاة من الفلسفة المندائية قوة جديدة، كذلك اقتبس البابليون شعيرة التعميد واتخذوا من رأس السنة المندائية بداية لسنتهم التي تكون في شهر تموز ويقومون الاحتفالات مثل المندائيين وهناك نصوص كثيرة تدل على ان البابليين اقتبسوا عقيدة المندائيين حول الشمس وتأثيرها المباشر على الأرض وهناك في مسلة حمورابي يستلم شارات العدل من الشمس وجعلوا ملاك الشمس الآله لهم.

كما اقتبس الأكديون والأشوريون شعيرة التعميد وغيرها من الطقوس المندائية ونسبوا لهم ، فضلاً عن اللغة الآرامية الواضحة في هذه الاقوام، وهذا دليل على وجود الديانة المندائية في وادي الرافدين منذ فجر التاريخ.

رغم التضليل والتشويه واخفاء الحقائق يظل المندائيون شاهداً على هذا العصر انهم اهل حضارة وعراقة وبداية التوحيد وعبادة الواحد الأحد لا شريك له في سلطانه، في الغربية عن العراق، تشتت الأفراد ومعهم من الفضول ليعرفوا اصلهم، لهم نكتب ونكتب بلغة بسيطة مفهومة ان الغرض هو التبيين وليس البيان، هذه الديانة التي كانت منتشرة في العالم، كيف تقلصت بهذا الشكل، المندائيون بناه حضارة وتجمعات يحكمها العقل والمعرفة لم يستطيعوا ان يحافظوا على وجودهم بالسلاح وانجازاتهم الحضارية مغريه للجيوش الغازية.

هذه القلة القليلة (الصابئة المندائيون) لله حكمته في بقائهم، ولكل الاديان منفعة من استمرار هذ البقاء لانهم يحملون ارث المعتقدات القديمة من قبليه وفينيقية ويونانية إلى سومرية وبابلية واشورية لم يتخلوا عنها مع تمسكهم بوحدانية الخالق.. انهم ذاكرة

الاديان وحياة الناس القديمة المنسية ولذلك ترك القدر على من الرغم محاولات التذويب- هذه البقية القليلة كي لا تنقطع دائرة الوجود وان الفت انظار العالم إلى اول دين وحد الله وقدس الطبيعة والكون وميز الخير من الشر والنور الظلام ونادى بالسلام والمعرفة. هذا الدين التبشيري وقد اغلق أبواب الانتماء اليه منذ مئات السنين بعد كوارث وقعت لهذه الاسباب ان اعتزازنا الكبير بأن يعتز المسيحيون بديانتهم ويعتز المسلمون بديانتهم فنحن نشعر بالفخر لان هذه الفروع من ذلك الاصل ونحن نعرف تماماً نقاط الالتقاء في المعتقدات مع المسيحية والاسلام.

٤- إيران :

كان في العاصمة الشتوية للفرس الساسانيين "طيسفون"، الكثير من الآراميين والمندائيين، ولهم فيها معابد عديدة، وازدادت أعدادهم في الفترة الساسانية خصوصاً في شرق دجلة وضاف الكرخة والكارون، استوطنوا ديزفول "عاصمة بلاد عيلام" والأهواز و الخفاجية والبسيتين والمحمرة، ووصل المندائيون إلى بلاد عيلام "عربستان الحالية" في القرن الثاني الميلادي عبر شمال بابل وبلاد ميديا، وكان أغلب سكان شوشتر من الصابئة المندائيين، كما أصبحت الطيب "طيب ماثا" أهم حاضرة لهم، وتفوقوا في صناعة الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي كانت تجلب من مملكة آراتا في المرتفعات الإيرانية، ولكن القسم الأكبر منهم امتهن الفلاحة وزراعة الأرض واستوطنوا الأهوار وضاف الأنهار وقاموا بتنظيم قنوات الري في أرض السواد، وأسسوا لهم حواضر مهمة مثل كوئا وسورا.

٥- صابئة الهند:

انتشرت المندائية في الهند عن طريق (بوداسف)، الذي يعد أحد أبرز أنبياء صابئة حران، وقد ظهر بأرض الهند وكان هندياً، وتنبأ وقال انه رسول الله، وانه واسطة بين الله وخلقه. ومن الواضح أن دعوة (بوداسف) أخذت منابعها من التراث الهندي،

وانتشرت دعوته عبر السند وسجستان إلى أن بلغت فارس وذلك في أوائل عهد الملك (طهمورث). ويقول المسعودي: هو - أي بوداسف - أول من أظهر مذاهب الصابئة^(١)، وصابئة الهند يدعون الثوابت لأنهم ربطوا عبادتهم بزحل، وزحل شأنه البقاء والثبوت. وهم الذين قالوا: بالتناسخ الذي يعني أن تتكرر أدوار الولادة وتتكرر إلى مالا نهاية، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، وهذا منتهى العذاب. وان الثواب والعقاب يحدث في الدنيا فالآخرة لا عمل فيها. وقالوا بالحلول، ويعني أن الشخص ربما تحل ذاته وربما يحل جزء من ذاته وذلك على قدر استعداد المزاج الشخصي.

أما حران فهي مدينة في شمال العراق، عُرفت مدرستها في التاريخ الفكري بأنها مدرسة وثنية، وكانت المدينة ذات أهمية كبرى لمرور طرق القوافل بها. وقد اشتق اسم المدينة من البابلية (حرانو) التي تعني الطريق. كما ذُكرت في التوراة في سفر التكوين: ٢٤، ٤، ٢٩، ٢١، وقد كانت الموطن الأصلي للآباء العبرانيين الأوائل قبل ذهابهم إلى فلسطين. والمرجح كثيراً أن إبراهيم وأحفاده كانوا من سكان أراضي هذه المنطقة كما تشير إلى ذلك التوراة نفسها^(٢)، وفي هذا المركز عاشت الصابئة، وهي كما يقول الشهرستاني: ((الحرانية هم جماعة من الصابئة))^(٣).

(١) مروج الذهب، المسعودي: ٢٢١/٣.

(٢) سفر التكوين: ٣١/١١ - ٣٢.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني: ١٢٦/٢.

المبحث الثالث

الأضطهادات التي مر بها المندائيون مراحل التاريخ بدءاً من القرن الأول الميلادي

- الأضطهاد الديني:

كان الاضطهاد الديني أمراً مألوفاً وعادياً في العالم القديم وعالم العصور الوسطى، ومع الأسف انه أمتد أحياناً حتى زماننا الحاضر. وقد نال المندائيون منذ القدم شتى أنواع الأضطهاد الفكري والديني والسياسي والأجتماعي، ودائماً يكون السبب هو عدم فهم لحقيقة المندائيين بأنهم أتباع أقدم ديانة سماوية توحيدية على وجه الأرض، فلو أزلنا الجهل الديني الموجود لدى كثير من الناس، لعرفوا حقيقة الواقع الديني السماوي الحنيف للمندائيين، ولقدروهم كطائفة نادرة اتبعت أول نداء سماوي للتوحيد.

كان أول اضطهاد واجهه المندائيون قبل آلاف السنين، حين تعرضوا إلى اضطهاد اليهود، ومحاولتهم الجادة للقيام بعملية إبادة كاملة للمندائيين، انتهى بقتل أعداد كبيرة منهم من ضمنهم ٣٦٠ من علماء الدين، وعلى اثر ذلك هجر المندائيون ديارهم الأولى في فلسطين. وقد دون باللغة المندائية أحداث تلك المجزرة وما تلاها من هجرة أحد الذي بقوا أحياء، وقد انتقلت إلينا ضمن إحدى المخطوطات القديمة لكتاب: (حران كويثا).

ثم تلا ذلك صراع المندائيين مع صابئة حران والذي نتج عنه هجرتهم الثانية نحو الجنوب. ثم صراع المندائيين مع المسيحيين في وقت مبكر من انتشار المسيحية، وما أعقب ذلك من اضطهاد للمندائيين واتهامهم بالهرطقة والثنوية، وبالتالي تم إعلان الحرب المسيحية ضد كل من ينطق الآرامية، متهمه إياه بالمندائية، حيث اعتقدوا أن كل من يتحدث الآرامية مندائي.

- احداث سنة ٢٧٣ م قبل القرن الاول الهجري في ايران :

حين جاء إلى السلطة الملك الساساني بهرام الأول سنة ٢٧٣م). فقام بحملة اضطهاد شعواء قادها الحبر الاعظم للزرادشت (كاردير) ضد المندائيين، إلا انه لم يستطع القضاء عليهم تماماً، مما أدى إلى توقف التدوين تماماً لعدة قرون ولم نشاهد التأشيرات والكتابات المندائية الا فيما يسمى بأوعية (قحوف) الاحراز والأشرطة الرصاصية.

إن معظم الصحون والقحوف التي عُثِرَ عليها يرجع تاريخها إلى العصر الساساني أي ما بين القرن الثاني والسادس الميلادي وخاصة ما كتب منها باللغة المندائية وبالخط المندائي الذي كُتبت به جميع المخطوطات والكتب المقدسة للصابئة المندائيين أو ما يسمونهم بصابئة البطائح، وفي المتحف العراقي التاريخي ستة عشر صحناً يعود تاريخها إلى القرن السادس والثاني عشر ميلادي عثرت عليها التنقيبات في منطقة هيت والشرقاط وعانة والبصرة ومعظمها مكتوب باللسان المكسور وليس النحوي وهي اللغة المحكية لدى الصابئة، وتتضمن هذه الصحون نوعاً من الأدعية التي كان من يقننيتها يعلقها داخل الغرف وعلى جدرانها الغرف سواء كان من الصابئة أو من غيرهم الذي يعتقدون بتأثيرها لجلب الخير والحظ والأمان بوجود منها الآن واحداً في المتحف السوري، مكتوب بالخط المندائي لا بالسرياني كما يعتقد البعض، وان الصحون والقحوف نوعان منها ما يُقرأ من الداخل ومنها ما يُقرأ من الخارج كما ان معظمها يصعب قراءتها لأنها كتبت بأحبار تتأثر بالمتغيرات البيئية والظروف الأخرى ولذلك يحتاج لقراءتها خبرة واسعة ودراية كبيرة في اللغة وقواعدها. كما عثر في نفس الحقبة الزمنية على أشرطة رصاصية سميت بالمخفية فبعد كتابتها واطلاع طالبها على ما كتب فيها يعاد رصعها من جديد كي يختفي ما كتب فيها ولم يبقَ ظاهراً فيها سوى بعض الأحرف التي حفرت بعمق.

- احداث (القرن الرابع عشر) في مدينة العمارة جنوب العراق:

حدثت مذبحه للشعب المندائي في القرن الرابع عشر في مدينة العمارة وهي موثقة في كتاب (الليدي دراور) بعنوان(الصابئة المندائيين) إذ اشاروا الى قهر الاضطهاد للصابئة ، ترجمة المرحومين غضبان رومي ونعيم بدوي في الصفحة ٥٦ و ٥٧ جاء فيهما:
ومهما كان الامر فأن الصابئين في القرون الوسطى فقد تركت احد الكوارث في القرن الرابع عشر طابعها في ذكرياتهم حتى هذه الايام وقد عثرت على تسجيل لهذه المذبحه في نهاية احد الاحراز الطلسمية التي تفحصتها اخيرا، كما وجدت نفس الشيء مسجل في(التاريخ) وهو مخطوط يمتلكه الشيخ(دخيل) يحكي المخطوط عن مذبحه رهيبه تعرض لها الصابئون في الجزيره حين كان السلطان محسن بن مهدي حاكما على العمارة وكان ابنه فياض حاكما على شوشتر حيث تعرض بعض الاعراب على امرأة صابئية ونشب القتال واعلنت الحرب على الصابئيين فذبح الكهان والرجال والنساء والاطفال وبقيت الطائفه مهيبه وبلا كهان لعدة سنين.

- احداث سنه ١٧٨٢ في الجنوب الفارسي:

ورد ذكر هذه المذبحه في مجلدات جان دي مورغان ، الجزء الخامس

Jean de Morgan (mission scientifique en Perse)

:Volume 5

و عنها ننقل هذا النص:

المسلمون في بلاد فارس ارادوا الحصول على الكتب الدينيه للمندائيين ولكنهم لم ينجحوا بالحصول عليها لا عن طريق الشراء ولا عن طريق السرقة، لذلك قاموا بأعتقال قادتهم فتعذروا لهم انهم يتبعون الديانة المندائية عن طريق التقليد عند القيام بالطقوس المندائية الدينيه خوفا على كتبهم، عند ذاك تم رمي قادتهم الدينين في السجن وتحت التعذيب، ولكنهم استمروا في انكار وجود اي كتاب مندائي لديهم

ولكن المسلمين من اهل فارس هددوا الكثير من قادة المندائيين بالقتل ، البعض خوزقوا واخرون مزقوا ، واحد المعذبين المندائيين تم قطع اطرافه الواحد بعد الاخر بدءاً من اصابع الارجل ثم الايدي ، وبعض قادتهم تم جلدهم وآخرون تم احراق اعينهم بوضع حديدة حامية جدا في اعينهم ، ثم بعد ذلك تم ذبحهم ، والبعض الاخر تم احراقهم احياء.

الكنزبر(ادم) الذي تم قطع يده اليمنى من قبل المسلمين الفرس كان واحداً من هؤلاء المساجين وقد هرب إلى تركيا(من المحتمل المقصود شمال العراق في العصر العثماني) ولكن قبل هربه اخذ معه نسخه من الانباني(الكتاب الرئيسي للمراسيم الدينية المندائية)، وتم استنساخه من قبله رغم ان يده اليمنى كانت مقطوعة وهذا (الكتاب الانباني هو المصدر الوحيد الذي أعتمد عليه في منطقة العمارة).

- احداث سنة ١٨٣١ في مدينة شوشتر:

في مدينة شوشتر حصلت مجزرة قتل فيها ٣٥٠ رجل دين على تلة (برج عيار) قبل أكثر من(١٨٥) عاما وشوشتر هي مدينة حصينة قديمة تقع شمال الأهواز في جنوب إيران ويعود تاريخها للملك الفارسي داريوش (أو داريوس) الكبير الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. وأكثر ما يميز المدينة من الناحية الجمالية هي الطريقة التي تصب بها قنوات الري في النهر حيث تشكل شلالات تنساب من المنحدرات الصخرية على ضفاف النهر لترسم لوحة فنية رائعة الجمال. يعد هذا النظام المائي المدهش من أروع إبداعات العقل البشري خاصة حين نتخيل أنه ومنذ تم بناؤه قبل آلاف السنين وحتى اليوم لا زال يعمل بكفاءة مدهشة ليروي ٤٠,٠٠٠ هكتار من البساتين التي تقع جنوب المدينة. عند مدخل المدينة توجد لوحة من المركز الثقافي في ولاية شوشتر مكتوب عليها هذه الولاية تأسست في زمن العصور القديمة وهو مكان معروف للمندائيين. حدثت مذبحه

شوشتر في عام ١٨٣١ تقريباً في زمن القاجارية (ناصر الدين شاه) في ذلك الوقت كان المندائيون يسكنون في شوشتر و دزفول وكذلك المناطق المجاورة لها مثل مدينة ويس و ملا ثاني.

كان تجمع المندائيين في جنوب شوشتر وبالتحديد قرب بستان يطلق عليه (نارنج ستان) اي بستان النارج وكانت هذه المنطقة تحتوي على تل يسمى (برج عيار) لقياس نسبة الماء عند صعوده وهبوطه^(١).

ويقال اذا سار شخص مندائي ملتحي في الشارع يقولون عليه اهالي شوشتر (هؤلاء المنداي كثروا هنا) بسبب عدم محبة اهالي شوشتر للمندائيين، وفي ذلك الوقت لم يكن الماء متوفراً في البيوت فكان الاهالي يذهبون إلى النهر للملئ الماء، وذات يوم ذهب بنت مندائية ولم تعد للبيت (خطفت) وعندما شعر اهل البنت بغياب ابنتهم ذهبوا إلى حاكم الولاية وابلغوه بالامر. فاوصى حاكم الولاية رعيته بالبحث على البنت المخطوفة ولكن دون جدوى، وبعد عدة ايام واثناء تجوال احد المندائيين في احد الشوارع الضيقة (دربونة) سمع صوتاً من سطح احد البيوت (عمي انا محجوزة هنا). ذهب هذا الرجل وابلغ اهل البنت بالامر، فذهب الاهالي إلى الحاكم وابلغوه بما حدث واعطوه عنوان البيت، ولما ارسل الحاكم بطلبها انكروا ذلك.

بعدها اصدر حاكم الولاية امراً بتفتيش البيت وقاموا بأحضار البنت المخطوفة. بعد هذه الحادثة اصبح الخلاف اعمق بين اهالي شوشتر والمندائيين، وبعد مدة حدثت مشكلة بين بعض المندائيين ونفس العائلة التي خطفت البنت. وكبرت المشكلة مما ادى إلى اصدار كبير شوشتر فتوى بالهجوم على المندائيين وقتلهم. فقتل من قتل من المندائيين وفر البعض هاربين إلى مدينة (شاولي) فاعطى اهلهما الامان. وراح ضحية هذه المجزرة ما يقارب (٣٥٠) رجل دين من كنزبري وترميذي واشكندي واكثر من الف مندائي وكان

(١) الاشكندا سالم سلمان الجحيلي والترميذا خالد الشاوي.

مكان قتلهم على تلة (برج عيار). وحين وصلت اخبار المذبحة إلى حكومة المركز في طهران، اصدر رئيس الوزراء (امير كبير) قراراً بوقف قتل المندائيين واعادتهم إلى بيوتهم. علماً ان حاكم ولاية شوشتر لم يستطع ان يوقف هذه الهجمة على المندائيين لكثرة اعداد المهاجمين واندلاع الفوضى. ولم نجد ذكر لهذه المذبحة في التاريخ الفارسي ولكن اشار لها بعض المؤلفين في كتبهم.

- احداث سلطان محسن بن مهدي سنة ٥٨٨ هـ^(١) :

(مذبحة ششتر) نشرت المجلة المندائية ترجمة السيد ناصر رحمون صبي الوثيقة المندائية المهمة التي يقدر عمرها باكثر من ٥٤٠ سنة و التي تعتبر شاهدا مهما على بعض ما تعرض له المندائيون من اضطهاد و مذابح من قبل جيرانهم حيث روت هذه الوثيقة المترجمة و التي كانت بخط الترميذا يهيا بهرام الشيخ ادم يهيانا ما يأتي ثم (يا اخوان والذين تأتون من بعدنا ان عبدكم سام يهيانا بر ربي و برهام كتب هذه التاريخ من كتاب الربى رام زهرا بر ربي سام بهرام كنيانه اللقب عزازي و هو كتبها نقلا عن كتابة يهيانا شتلان بر ربي زكي شتلان بر ربي سام يهيا بن بدر سروان بهران بن ادم بختيار برسام بهرام بر يهيا بر زمي بر يهيانا و لقبه بهير الذي كتب هذا التاريخ و هو تاريخ سنة (٥٨٨ هـ) بتاريخ العربي الهجري وكان الحاكم العربي سلطان محسن بن مهدي بن سيد حسان من المنطقة اي المحافظة و كان الحاكم في ششتر فياض ابن محمد يا اخوان الذين تأتون من بعدنا كان في ششتر أربعة الاف بيت مندائي و اربعمائة ترميذي و خمسون كنزفري الذي كان عليهم الحساب يعني كثيرين و تسلطو عليهم و امرو بقتلهم و الذي بقى منهم الذي نجى قسم هرب إلى الجبال و قسم صوب الانهار و منهم اربعة كنزفري و واحد اسمه يهيا رام ايهان

(١) حقيقة الامة المندائية في البحث وتاريخ امة حاضرة منسية. حامد نزال سعودي.

و الثاني بهرم بر ربي سام يهيانه و الثالث ربي برهم يهيانا بر يهيا زكن سابوري و الرابع يهيا سام برسام زهرون و بقى في الجبال اربعة اشهر لم يذوقو الطعام و اكلهم كان من نبات الأرض مات ثلاثة منهم في الجبال و بقى واحد منهم ترميدا اسمه ربي زكي شتلان بر ربي سام يهيا بر سروان بهرام بر ادم بختيار برسام بهرام بر يهيا زكي بر يهيانا و لقبه بهير و مقدار الذين نجوا من المندائي في ششتر خمسون بيتا قسم منهم ماتوا في بيوتهم و حتى في الحويزة بقوا اربع سنوات ما عندهم ترميدي و جاء واحد ترميدي من بغداد و قطع لهم مهر لقمة و جاء ايضا إلى كل المنطقة لقطع المهر إلى ان وصل ششتر و قطع لهم المهر ايضا و قام بتكريس اربعة عشر ترميدي إلى ان توفى يوم الثلاثاء سنة ثمانين و ثمانون و تسعمائة (٩٨٨ هـ).

الصابئة في زمن المغول

ما عاناه المندائيون^(١) في زمن المغول، ففي سنة (١٣١٥ ميلادي) كان التقويم المندائي يوافق التقويم الميلادي وأغلب الظن يمثل هذا التاريخ وهو تدوين التقويم المندائي فقبل هذا التاريخ بثلاثة عقود وبعدها بعقدين كانت المنطقة تغلي حين سجلت نهاية السلالة الايلخانية التي قامت على القوة والبطش لاسيما بسبب الصراع على السلطة وقد ظهرت بداياتها مع موت الايلخان الثاني (اباقا) بن هولانكو مما فسح المجال لتدخل زعماء المغول فسبب قيام الفتنة التي أدت في نهاية العصر إلى انهياره وبالأخص بعد تسلّم السلطة من قبل الايلخان التاسع (أبو سعيد سنة ١٣١٣م) ولم يخلف وريثاً فتسابق الطامعون إلى استغلال الفرصة أثر ذلك اندلعت حرب أهلية عانت منها الطوائف غير الإسلامية كالمسيحية والصابئية واليهودية وتعرضت إلى اضطهادات عنيفة من ذبح وقتل وتسليب ونهب ممتلكات سبب ذلك إلى رحيل الكثير من العوائل المندائية من بغداد باتجاه الجنوب حيث الاهوار التي كانت شبه مستقرة فرحب بهم أهالي مدينة الطيب ومدينة قلعة صالح فاستقر معظمهم هناك وعقدوا هناك عدة اجتماعات، الغاية منها دراسة أفضل السبل لتثبيت موقفهم وهويتهم الدينية وكيفية التآلف مع الطوائف الأخرى من أجل درء العواقب وإبعاد شبح الخوف الذي انتابهم من جرّاء الوضع المأساوي الذي خيم على المنطقة والذي استمر حتى بعد عهد الاحتلال الجلائري (١٣٣٧ - ١٤١١) م.

(جلائر) هي إحدى القبائل المغولية التي ارتبطت بجنكيز خان ونال زعمائها نفوذاً لديه ولم يهدأ الوضع إلا بعد تسلّم السلطة من قبل معز الدين فشهدت المنطقة حقبة من الهدوء والاستقرار وفي خضم الأحداث قرر المندائيون الاهتمام بكل السبل التي تبرز وجودهم وكيانهم وتاريخهم وديانتهم فاختراروا من مثقفيهم ورجالات دينهم وباشروا

(١) الاستاذ امين فعيل خطاب سدني.

بإدامة ونسخ كتبهم الدينية والتاريخية تعويضاً عن ما تلف منها أيام الغزو المغولي السافر والمدمر وقرروا أيضاً كتابة تقويم وفق حساباتهم السابقة وثبتوا فيه أيام الأعياد والمناسبات الدينية وأيام المبطلات أي الأيام غير الطقسية وذكروا أهم الحوادث التي ألمت بهم عبر تلك الحقبة الزمنية وكان ذلك على شكل هوامش ذيلوا بها تقويمهم هذا متخذين من مدينة الطيب مركزاً لهم فمدينة الطيب كانت منذ العهد الفرثي والعهد الساساني وحتى في زمن الفتوحات الإسلامية تسمى لديهم مدينة (شكندا) أي الرسول فكل من كان منهم بحاجة للمعارف والعلوم الدينية المندائية يسافر إلى تلك المدينة للدراسة وتلقى المعرفة والعلم، لأن هذه المدينة كانت بوابة اشبه بالجامعة وكانت تحتضن مجموعة كبيرة من الناصورائيين بدرجة الريش أمه وفيها مجموعة لاثقة من المثقفين والنساخ المهرة.

- العراق :

نال الصابئة أنواع شتى من الاضطهاد الفكري والديني والسياسي والاجتماعي، ولست هنا بصدد سرد لتأريخ طائفة الصابئة ومعاناتها بشكل كامل، لكنني سوف أتناول بعض أهم الأحداث الكبيرة والمشهورة في تأريخ الطائفة بهذا الخصوص والتي أثرت سلبياً بمسارها، فأولها قبل آلاف السنين تعرض الصابئة إلى اضطهاد اليهود لهم ومحاولة إبادتهم وقتل ٣٦٠ من علماء دينهم، وقد هجر الأحياء ديارهم، إذ دونها الصابئة ضمن إحدى مخطوطاتهم القديمة (حران كويثا) باللغة المندائية. ومن ثم صراع الصابئة مع المسيحية منذ بداية نشأتها واضطهاد الأخيرة لهم واتهامها لهم بالهرطقة والثنوية وبالتالي محاربتها كل من ينطق بالآرامية واتهامها إياه بالمندائية إذ كانت تعتبر كل من يتحدث الآرامية صابئياً أو مندائياً.

وكذلك حالها مع الإسلام، إذ عانوا في فترات عصيبة أكبرها فتوى الأمام أبي سعيد الأصبخري الذي حرض على عدم اخذ الجزية منهم واعتبرهم ليسوا أصحاب دين أو كتاب، وقد نالهم من جراء فتواه أقسى أنواع الاضطهاد والذل .
والذي يريد الاطلاع بإمكانه أن يبدأ من كتاب(الخراج) الذي ألفه أبو يوسف للخليفة هارون الرشيد ويحكم بنفسه على الواقع الذي كانت تعيشه الاقليات الدينية غير المسلمة، والكتاب يعد من أول كتب القانون في الجزية والخراج في الإسلام .
كل هذه الأسباب وغيرها جعل طائفة الصابئة تتمحور حول نفسها وتتخذ من الاهوار وحافات المياه والأماكن القصية والبعيدة عن مراكز الحضارة أماكن لسكنائها في ذلك الزمن .

وحتى في هذه المناطق النائية والقصية وعند بداية حملات التبشير المسيحية في القرن السادس عشر الميلادي نالهم من الاضطهاد والتحريرض عليهم من قبل البعثات التبشيرية المسيحية والتي عمدت إلى تحريض الوالي العثماني في ولاية البصرة آنذاك على إجبارهم على اعتناق الإسلام بحجة كونهم ليسوا أصحاب دين وليسوا من اتباع المسيحية كما كانوا يدعون .

وذلك بعد أن تيقنت (البعثات التبشيرية) بأنهم لا يدخلون المسيحية وبعد أن تفاجئ المبشرون بوجودهم بهذه الأعداد وتزمتهم والتزامهم بدينهم.

– حال الصابئة المندائيين في العصر الحديث في العراق:

نال الصابئة الكثير من الظلم والحيث والاضطهاد رغم تفانيهم وحبهم وتضحيتهم في سبيل وطنهم سواء أكان ذلك في العهد الملكي أو العهد الجمهوري وقد تجلى الحقد الكبير والواضح بعد (انقلاب ٨ شباط الدموي الأسود عام ١٩٦٣) ، وكانت حصة الصابئة من الاضطهاد كبيرة، وراح ضحيته العديد من الشهداء وزج بالآلاف من أبنائها

(من النساء والرجال والشيوخ) بالسجون والمعنقات لسبب سياسي أو غير سياسي إذ اعتبر كل من تحدث بالديمقراطية والتقدمية والحرية والمساواة هو شيوعي وملحد وراح كل الحاقدين من الرجعية الدينية و من حملة الأفكار القومية العربية الشوفينية يمارس ابشع أنواع الاضطهاد والإذلال لهم وقد لحقت بالطائفة مآسي كبيرة من جراء ذلك ، وخير دليل هو ما صدر منذ اليوم الأول (لهيئة انقلاب ٨ شباط) بحق أحد أبنائها النجباء العالم الجليل(عبد الجبار عبد الله) البيان الذي يحمل الرقم(٦) وقد ناله من التعذيب والإذلال والتحقير الشيء الكثير، لا لذنب اقترفه ألا لكونه صابئياً أولاً ولكونه يحب العراق ويعمل وعمل بإخلاص له... (تصور بيان رقم (٦) وفي اليوم الأول بأسم شخص و كان كل عمله رئيس جامعة بغداد ، والذي لم تستلم طائفة الصابئة أي مركز مثله أو اقل منه أو مشابه له من مؤسسات العراق التي زاد عددها اكثر من آلف مؤسسة ووزارة بعد هذا المنصب إلى يومنا هذا . وقد امتد الاضطهاد والتعسف والغبن على طوال فترة الحكم العارفي للأخوين (عبد السلام وعبد الرحمن).

وفي حقبة حكم البعث و صدام وجلاوزته التي امتدت اكثر من خمسة وثلاثين عاماً نالهم الشيء الأكثر من الاضطهاد الفكري والديني والسياسي و الاجتماعي . أخذوا حصتهم من حروبه التدميرية القذرة التي لا يوجد لها أي مبرر أساس والتي راح ضحيتها شعب العراق وخيراته.. لقد زج الصابئة بالجيش وفي محرقة الحروب مرغمين مجبرين رغم تحريم ديانتهم القتل والقتال بكل أنواعه وأشكاله . سوف أكتفي ببعض الأمثلة والتي لازالت تتكرر عن ما كتبتة أعلاه من تجاوزات بحق أبناء الصابئة المندائيين :

لقد مورست ضدهم صنوف شتى من الذل والتمييز وطالتهم أنواع لا حصر لها من الشتائم والسباب (يكفي انه ما من صابئي لم يشتم ويعير انه ((صبي نكس)) أي ((صبي نجس)) أو تضعيف أسم الصابئي إلى أسم الصّبي وتصغيره إلى (الصبيبي) إمعاناً بالتحقير والسخرية ، ويحدث هذا في الشارع أو في المدرسة ، ويزيد هذا في حالة حدوث

أي خلاف مع إخوانهم في الوطن والأيمان بالله، لقد ذاقوا شتى أنواع الذل والتمييز وطبقت عليهم (قوانين الأحوال الشخصية) لدين الدولة عليهم بينما كان للطائفة المسيحية والموسوية قانونها الخاص بها. (علماً أن لديهم مبادئ وقوانين دينية ومدنية خاصة بهم لم يؤخذ بها) ولم يأخذوا استحقاقهم من المناصب العليا والمهمة في مؤسسات الدولة.

كانوا ومنذ آلاف السنين (يصرخون) بأننا: (نعبد الله ولنا كتاب ونبي) ولكن يظهر بين الحين ولآخر من يروج عكس ذلك مستغلاً ضعف إمكانيات الصابئة وخوفها وقلة عددها وعدم امتلاكها وسائل إعلامية أو قوة تردع من يسئ لها متهمين الصابئة المندائيين بانهم (عبدة كواكب ونجوم) وأخرها في عصرنا الحديث (مثال ذلك) مقالات و كتاب (المؤرخ عبد الرزاق الحسني) وقد امتدت هذه الافتراءات المشينة في منتصف التسعينات من القرن الماضي إلى المناهج الدراسية في المدارس المتوسطة والثانوية مثال ذلك ما دون في شرح كلمة الصابئة في كتاب (القرآن الكريم) للصف الثاني المتوسط والخامس الثانوي، فيكتب تفسير الصابئة عند ورود ذكرهم في آياته بأنهم (قوم عبدة كواكب ونجوم) بدلاً من أن يشار إلى أنهم امة قوم من أوائل الموحدين بالله ولهم كتاب ونبي وأنهم شركاء في الوطن، وقد أمتد هذا التعريف المدسوس إلى البلدان العربية المجاورة نتيجة تبادل الخبرات بين الدول العربية في المناهج الدراسية.

بعد معرفة الطائفة بما ورد من تفسير في كتاب (القرآن الكريم) في المناهج الدراسية انفة الذكر راجعت الطائفة وزير التربية والمسؤولين عن المناهج ولكن لم يجدوا الآذان الصاغية لطلبهم، وأستمر هذا التعريف في المناهج الدراسية لسنوات عديدة إلى ان راجع وفد كبير من الطائفة رئيس النظام آنذاك وكان أول مطلب لهم تغيير ذلك التفسير.

وقد مورست اشكال عديدة من أساليب الترغيب والترهيب على أبناء طائفة الصابئة لإجبارهم على تغيير دينهم. ناهيك عن استغلال بعض أئمة الجوامع (بيوت الله) في الترويج للعداء للصابئة، والتي زادت هذه الظاهرة في السنوات العشر الأخيرة من بعد

السقوط ٢٠٠٣، (في خطب الجمعة وبمكبرات الصوت وعلى الهواء مباشرة) وبدون أي حياء أخلاقي، متسترين بأسم الدين (والدين منهم ومن أعمالهم براء) مستغلين دعم السلطات أن لم يكن بتوجيهها نافذين سموماً فتاكة في محاربة الديانة المندائية و الحط من كرامة معتنقيها، وقد كانوا بأفعالهم هذه يعطون الضوء الأخضر ويشجعون أصحاب النفوس المريضة والحاقدة من الجهلة وذوي الاتجاهات التكفيرية وحملة الأفكار الهدامة من الأجهار بعدائهم وإيذائهم لأبناء الصابئة.

ويعلم الجميع ان(بيوت الله) هي ليس فقط للعبادة وإنما هي البيئة الصالحة للتربية على الأيمان الصحيح المبني على المحبة والعدالة و الأنسانية والسلام والتسامح وهي أيضاً المكان المناسب لبث الوعي والتربية الثقافية التي بشرت فيها الأديان لخير المجتمعات والبشرية ! ولا اريد الاطالة عليكم لكن في نهاية بحثي هذا عن الاضطهاد الذي تعرضت له الطائفة على مر العصور لا زلنا نعاني من الاضطهاد من قبل الاديان الاخرى بالإضافة لتكتم رجال الدين على الكتب الدينية لحرصهم عليها لحمايتها من التحريف وهناك محاولات جادة لترجمة الكتب الدينية بشكل مباشر من المندائية إلى العربية لكنها تحتاج إلى وقت طويل ودعم مالي كبير وقد ترجم كتاب الكنزا ربا والبقية تأتي تبعاً.

لو ترجمت كل الكتب المندائية البالغ عددها (٢٦) كتاب لوصلت الطائفة إلى اعلى المستويات واخرست جميع الالسن التي تتهمنا بالوثنية وعبادة الكواكب و النجوم و اننا خليط من الاديان والحضارات القديمة، وعليه وضعت مجموعة من المطالب الملحة على المجلس والخيرين من ابناء الطائفة البدء بدراستها و محاولة تنفيذ اكبر قدر منها وفق جدول زمني لافضلية الطلبات و اشعار رئيس الطائفة الشيخ ستار جبار حلو بتسليمه نسخة من هذه الشروط .

المبحث الرابع

تاريخ الصابئة الحرائين

حرّان "حرانو": برزت مدينة حرّان "حرانو"، التي تقع في الشمال من سورية الحالية، بالقرب من عين عيسى في الرقة، كواحدة من المراكز الرئيسية للحضارة الآرامية ووارثة حضارات الشرق الأدنى القديم، من بابلية وآشورية وكنعانية وكلدانية، والبوابة التي تمر من عبرها حضارات فارس والشرق من جهة وحضارات اليونان والرومان من جهة اخرى، خصوصاً بعد فتوحات الاسكندر الأكبر (٣٢٣) قبل الميلاد، ونتيجة لذلك برع صابئة حران في الترجمة، وأصبحوا النقلة الأساسيون للحضارة الغربية الهلنستية إلى الدول العربية الإسلامية فيما بعد، وبرعوا في علم الفلك والتنجيم، ومنهم ثابت بن قرة و البتّاني، ولعب علماء صابئة حران دوراً هاماً في تاريخ النهضة العلمية العربية في العصر العباسي الأول، بصفتهم من النقلة الأساسيين للفكر الإغريقي.

(هاران) نسبة إلى اخي ابراهيم الخليل لانه اول من بناها فعربت اخيراً و اصبحت حران و ذكر قوم آخرون انها اول مدينة بنيت بعد الطوفان و كانت منازل الصابئة و هم الحرائيون نسبة إلى محل سكناهم حران فنزح اليها كثير من الناصورائيين وسميت مدينة البياض اي اصحاب الملابس البيضاء وهذه البقعة الواسعة كان يسكنها المندائيون قبل نزوح جماعات كثيرة من مصر اليها.. وقال المفسرون عن ياقوت الحموي^(١) (اني مهاجر إلى ربي) و اراد بها حران و قد اختار هاران هذا الموقع لجماله و لمرور القوافل فيه بين العراق و الدول الاخرى.

(١) ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٢٣٥. الطبعة الاولى، ١٩٠٦م.

وكانت مركزاً لدويلة (فدان ارام)^(١) الارامية فازدهرت فيها اللغة والثقافة الارامية، وبقيت المدينة محل استجمام الملوك والامراء في العهد الاسلامي وتعتبر من ولاياتهم و اكثر سكانها من الصابئة المندائيين القدامى، إذ كان الناس على دين الصابئة^(٢) قبل ابراهيم الخليل، ولم يكن ذهابهم إلى مدينة حران دون وجود من يحتضنهم من اخوانهم الصابئة المندائيين فأوهم و كانت هذه هجرة من عدة هجرات سابقة قبلها قبل ميلاد النبي يحيى(ع) و المسيح (ع) و كانت بعض هذه الهجرات الاخيرة تحت رعاية (اردوان ملكه)^(٣) الملك الصديق واقاموا لهم مراكز سكنية هناك وسميت مدينة بابل السفلى (الجنوبية) بأسماء صابئية كما في طيب مائه "الطيب" وميسان عند عودتهم اليها من حران حيث تذكر مخطوطاتهم الدينية المندائية واستقبلتهم حران المدينة التي كان فيها الناصوريون بقيادة اردوان ملكه ودخلوا جبل ماداي اي جبل ميديا (او يسمونه جبل المندايي لكثرتهم فيه واعتصامهم به في وقت الضيق).وقد تعددت الهجرات وكان اول الهجرة الاولى من مصر^(٤) بقيادة الملك الفرثي ارديان ملكا حيث جاءت هذه الهجرة من مصر ونقلت الحضارة المصرية إلى حران وقال ابن خلدون (بالمقدمة) كان اهل مصر صابئية ثم حملهم الروم لما ملكوها على اعتناق النصرانية فاعتنقها بعض الصابئة كما حملوا غيرهم من الامم المجاورة لهم على ذلك وكانت المدارس واكاديميات الفلاسفة قد اغلقت في مصر وقد قتل الكثير من الطلبة الدارسين وفلاسفتهم اعقاب الدين الجديد في الاسكندرية في مصر، وقد سعى العديد من الفلاسفة والمفكرين والعلماء باللجوء إلى حران بكتبهم ومؤلفاتهم، إذ وجدوا لهم اخوة في الدين والعقيدة وفي عام ٥٢٩م اصدر جولستيان اوامره باغلاق مدرسة(اثينيا) التي كانت ابرز مدارس الفلاسفة التي خرجت العديد من

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ١ ص ٤٩٣ للاستاذ طه باقر ١٩٧٤م.

(٢) العرب و اليهود في التاريخ ص ٤٦٦ الدكتور سوسه.

(٣) الصابئون للدكتور عليان و ما قاله الرازي، ص ٦٨.

(٤) الصابئة في القران وصابئة حران، ميشيل تارديو.

الفلاسفة اليونانيين ولقد تزامن هذا الأغلاق الرسمي للاكاديمية بسيطرة المسيحيين دينياً على المدرسة الأسكندرية وان منفيي مدرسة اثينيا للمدينة كانت اخر موقع للمقاومة اليونانية في وجه المسيحية وقد هاجر معظم الفلاسفة إلى مدينة حران وقد لاق لهم المقام في حران ، إذ كانت مدرسة (الهييلين) في حران وهي واحدة من اكبر المدارس في العالم فضلاً عن مدرسة نصيبين المنتشرة في بلاد فارس ومدينة حران وقد قدر لها ان تصبح عاصمة الامبراطورية مع صعود مروان بن محمد إلى سدة الخلافة عام ١٢٧هـ (٧٤٤ م) وكان هناك علماء وفلاسفة من اصول يونانية او ارامية قد هاجروا إلى حران، وكانوا يتكلمون اللغة الآرامية التي حوت آمالهم وأفراحهم وكانوا يتبعون ديانة توحيدية سرية، لها أسرارها وطقوسها، ومن يتح له الاطلاع على أسرارها يبلغ الخلاص. وكانت تقبل الأتباع باحتفالات خاصة، أما المطلع على الأسرار فيصعد بعد الموت، إلى العالم الإلهي ويسكن مع الآلهة، وكانوا يمارسون طقوسهم في معابدهم أو في الخلاء حول العيون والمياه الجارية (التعميد) ولهم لباس خاص بهم يميزهم عن حولهم.

ولا زال وجود عين ماء تسمى(عين الذهبائية أو عين العروس) الان في جنوب تل ابيض مقابل احدى ابواب مدينة حران التاريخية، والتي كانت تسمى من قبل اهل حران بـ(المصبتا) بمعنى التعميد او الصباغة وهو طقس مشهورة به ديانة الصابئة سواء كانوا في حران او في بطائح العراق، ويقال ايضاً ان هذه العين تابعة لابراهيم الخليل، هذا حسب ما اورده الكتب والمؤرخون العرب ومنهم ابن جبير، ويروي احد المشاهدين لهذا المكان بان عينه الجارية قد جفت في بداية التسعينات من (قرن ٢١) ويذكر ايضاً بان هذه العين كانت تنبع بالمياه الجارية الساخنة، لذا يقصدها الناس من اجل الشفاء من بعض الامراض الجلدية بالتحديد. وهذا يذكرنا بالقصة المندائية المتوارثة التي تروي حول وجود اجداد المندائيين في منطقة جبلية، وكانوا يتعمدون في مياه ساخنة شتاءاً.

وذكرت رسائل اخوان هذه الطائفة (إن آخر ما سمعنا عن ادعى علوم الطلسمات وأفعالها ممن نقلت إلينا أخبارهم وبلغتنا آثارهم اليونانيون، وهؤلاء لهم عند الناس أسماء مختلفة فمنها (الصابئون والحرانيون والحنوفون (أي الأحناف) وقد أخذوا أصول علومهم عن السريانيين وعن المصريين على حسب نقل الصنائع والعلوم في البلدان، بما يحدث لها من السياسات والأديان وقد كان رؤساء أوائلهم (عازيمون(شيت) وهرمس(ادريس)) ثم تفرقت جيوشهم إلى الفيثاغورية والأفلاطونية والأرسطورية والأبيقورية.

وبعد وفاة النبي يحيى (ع) كما مر ذكره اعتنق بعض اليهود المسيحية ظاهراً لخوفهم^(١)، وكانوا يبغضون الناصورائيين ولم يكن هذا جديداً عليهم فاضطر الناصورائيون إلى الهجرة مجدداً إلى حران الجميلة ومناخها الطيب الذي جلب لها احسن السكان وانضحهم فكراً و عقلاً) وقد هاجر اليها اكثر الناصورائيين المحنكين علمياً ودينياً ولا يصل درجة ناصورائي محنك ما لم يكن ذكياً ماهراً لذا انجبوا نسلا من احفادهم كانوا (فلاسفة و اطباء) اذكياء، وبرزوا في مختلف الميادين و منهم (آل قرة وآل زهرون) وهذا ما يثبت انهم موحدون و ليسوا وثنيين كما اشارت بعض المصادر للمؤلفين غير المتبصرين في امور الدين المندائي الذين نعتوهم بالوثنية . قال ثابت بن قرة الحراني في كتابه(مشاهير اسرته وسلسلة ابائه) ولقد اضطر الكثيرون منهم ان ينقادوا للضلال خوفاً من العذاب(يشير بهذا إلى الحادثة التي اسلم فيها الكثيرون عندما مر المأمون بهم ٢٨هـ/٩٣٣م)، اما آباؤهم فقد احتملوا ما احتملوا بعونه تعالى ونجوا ببسالة، ولم تتدنس مدينة حران هذه المدينة المباركة بضلال

(١) الصابئة من ظهور الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، الدكتور احمد العدوي، ط١، القاهرة، ص٢١٢.

الناصره قطعاً فنحن الوارثون والموروثون للصابئة المنتشرة في الدنيا فالذي يحمل برجاء وثيق ائقال الصابئة يعد ذا حظ سعيد. ليت شعري من عمر المسكونة وابتنى المدن، اليس خبرة الصابئة وملوكهم من اسس المرافئ والانهار والقنوات ومن شرح العلوم الغامضة؟ لمن تجلت الالوهية الملقنة للكهانة والمعلمة للمستقبلات الا لمشاهير الصابئة..؟ فهم الذين اوضحوا ذلك كله وكتبوا عن طب النفوس وخلصها ولقنوا كذلك طب الاجساد وملؤوا الدنيا اعمالاً صالحه وحكيمة، هي دعامة الفضيلة فلولا علوم الصابئة لامست الدنيا قفراء فارغة متقبلة في العوز).

- يشير هذا النص التاريخي إلى عدة حقائق هي :

- اعتزاز الصابئي الحراني بماضيه، وافتخاره بانتمائه الديني وبأصوله السلالية في زمن بدأ يتداعى فيه ذلك الصرح من المجد، وأعلن الكثيرون عن اسلامهم (لقد اضطر الكثيرون ان ينقادوا للضلال خوفاً من العذاب) بعد ان حافظوا على طهارة حران من الدنس وضلال الناصرة(المسيحية) مدة من الزمن.
- التأكيد على وحدة ديانة الصابئة (الحرانية والمندائية) بقوله(نحن الوارثون والموروثون للصابئة المنتشرة في الدنيا).
- ويشير النص إلى الموروث اليوناني الذي ورثه الصابئة من كهانة تنبئ عن المستقبل وحكمة وطب للنفوس وطب للاجساد و لولا علومهم لأمست الدنيا قفراء فارغة متقلبة في العوز والجهل وإلى ذلك اشار المسعودي عندما دعاهم (عوام اليونان ، وحشوية الفلاسفة المتقدمين).

ولكتابات المسعودي عن عقائد صابئة حران أهمية بالغة ، ذلك أن المسعودي إقترب منهم و زار معابدهم ، و ربطته أواصر الصداقة بعالم حراني منهم يدعى مالك بن عقبون ، ترجم له بعضاً من النقوش اليونانية على جدران هياكلهم ، يقول المسعودي :-

((ولهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين و الصابئة فلاسفة، إلا أنهم من حشوية
الفلاسفة و عوامهم مباينون لخواص حكمائهم في مذاهبهم، و إنما أضفناهم إلى
الفلاسفة إضافة سبب لا إضافة حكمة، لأنهم يونانية، و ليس كل اليونانيين فلاسفة،
إنما الفلاسفة حكماؤهم. ورأيت على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوباً مدقة
الباب بالسريانية قولاً لأفلاطون، فسره مالك بن عقبون و غيره منهم و هو: «مَنْ
عَرَفَ نَاتَهُ تَأَلَهُ» و قد قال أفلاطون: «الإنسان نبات سماوي، و الدليل على هذا أنه
التشبيه الشجرة المنكوسة أصلها إلى السماء و فروعها في الأرض».

وحسب الشهادة المباشرة الواردة في (مروج الذهب) فالمكان الذي كانت مدقة
مدخله تحمل بالنقش السرياني القول – المحوري في الجزء الاول من (السيبياد) كان
يقال عنه باللغة العربية: (مجمع)، وترجمها بمكان اجتماع وهذا هو المعنى الحرفي
للكلمة. أما باربيبي دومينار فكان قد ترجمها بـ(معبد)، متأثراً دون شك بكولسن، وكان
كولسن قد اندفع إلى هذه الترجمة دون سواها لان ابن النديم في حديثه عن اعياد
الصابئة أورد ايضاً ما أطلق عليه اسم (مجمع) وكانت تقدم فيه في ٣/ ايلول وجبة دينية
عقب الانتهاء من العيد: في ذلك اليوم، كانوا يضحون بثمانية حملان ذكور. سبعة منها
للإلهة وواحد للرب [شمال]، ثم يأكلون في مجمعهم، وبالنسبة للعالم الروسي،
فالـ(مجمع) هو الذي كانوا يأكلون فيه لحم الاضاحي المقدسه، والذي كان بابه الخارجي
يحمل نقشاً يذكر بنفس معبد (دلف)، ما كان له ان يكون الا: (مجمع) هي مرادف
لمعبد^(١).

إن مجمع السعودي الذي تحمل مدقة بابه الخارجي قولاً افلاطونياً ماثوراً ليس
سوى المكان الذي كان يجتمع فيه فلاسفة حران . وشهادة مروج الذهب حاسمة حول

(١) صابئة قران وصابئة حران، ميشيل تاراديو.

هذه النقطة فالمسعودي يصف الحرانبيين في جماعتين : جماعة الفلاسفة الحشويين اي من الطبقة الدنيا والعوام وهؤلاء هم اتباع الديانة لحران وجماعة الحكماء بالمعنى الدقيق ، وهؤلاء هم ورثة فلاسفة الروم . ويوضح المؤلف . (ونقول عنهم حكماء فلا نعني بذلك الحكمة لا غير وانما المصدر الذي صدروا عنه لانهم روم وكي يضرب مثلا على المستوى الرفيع لحكماء الروم في حران يورد المسعودي ان ذلك ما قرأه على باب مجمعهم وينطلق مباشرة على سبيل أستخلاص النتيجة النهائية في عرض تخصصي للفلسفة اليونانية . وضمن مثل هذا السياق لا يمكن لكلمة مجمع ان تدل الا على مكان مخصص لإجتماع رجال الفكر . ويميز المسعودي تمييزاً كاملاً امكنة العبادة او معابد الديانة الشعبية عن المجتمع الذي يجتمع فيه الحكماء الروم واما بصدد المعابد فيعترف انه حين اجري مراجعة مروج الذهب اي في ٣٣٦هـ / ٩٤٧م لم ي يوجد سوى معبد وحيد وهو معبد يسمونه ميلطية وموقعه داخل مدينة حران قرب باب الرقة ، واما المركز الثاني للحرانية الذي كان ما يزال قيد العمل فهو مقر الصابئة الروم اي الافلاطونيين ويكون معنى مجمع في هذا المجال هو اكااديمية والمكان الذي طلب المسعودي ان يشرحوا له النقش السرياني الذي كان يزين مدقة بابه لم يكن الا اكااديمية حران الافلاطونية واولئك الذين رافقوا المسعودي اثناء قيامه بزيارته كانوا اعضاء تلك الاكاديمية اما مالك بن عقبون الوارد ذكره كمترجم ذلك النقش فهو حسب كل الظواهر رئيس الاكاديمية ويذكر المسعودي فيما يذكر انه استوضحه عن بعض المسائل التخصصية والتاريخية بصدد الفلسفة اليونانية واثناء هذا الاستيضاح علم من مالك بن عقبون ومن غيره منهم اي من باقي فلاسفة المدرسة انهم كانوا يرفضون رفضاً قاطعاً طقوس الاضاحي والعرافة لدى الحرانبيين وكذلك الاحتفالات الباطنية والسرية.

إن المسعودي والحال هذه يميز كل التمييز بين الوثنيين العاديين في حران وبين الفلاسفة الحرانيين وما اهتمامه بعرض لقائه مع مالك بن عقوبون إلا أن هذه الشخصية كان لها موقع وسلطته في المدرسة ولا يشهد خبر المسعودي ذاك على مجرد أن فلسفة اولئك الصابئة المزعومين في حران مصدرها من الافلاطونية الحديثة وتحديدًا لأفضل ماوصلت اليه من تصورات وانما يكشف لنا علاوه على ذلك الوجه الثاني في تلك الفلسفة فهؤلاء المفكرون الحرانيون كان لهم اعيادهم العامة وصلواتهم وصيامهم ونظامهم الغذائي ومثل هذه الشعائر الصعبة في اثينا بروكلس وداما سكيوس وفي اسكندرية امونيوس و اولمبيودور صعوبتها في بغداد العباسيين ايضا حيث استقر فيها بعد ذلك ثابت بن قره كان يمكن بكل حرية القيام بها في حران في وسط اجتماعي كانت ماتزال على قيد الحياة على مقربة من معبد محدد معبد الاله قمر وهو المعبد الذي لم يتوقف نشاطه ابدأ منذ العهد الحوري وكان هؤلاء الافلاطونيون الذين يعيشون حياة جماعية داخل مدرستهم يستطيعون الانصراف على مهل إلى ممارساتهم في تحضير الالهة مثلما كانت تقضي به فلسفتهم وكان الخطأ المنظور عند المؤلفين العرب – وعلى خطاهم سار الاستشراق الغربي هو الخلط تحت العنوان الصابئي بين شعائر هؤلاء الفلاسفة وبين شعائر ابناء مدينتهم الذين كانوا يقصدون المعابد فاختلطت عقيدة هؤلاء بديانة اولئك اما الكاتبان الوحيدان اللذان تجنبنا هذا الخلط فكان احدهما فيلسوفاً والثاني سائحاً: الكندي والمسعودي وكلاهما من بلاد ما بين النهرين. وكانت معلومات الفيلسوف مستقاة من مصدر ثقة لان مقدمها وتلميذه في الوقت نفسه السرخسي كان يتكاتب مع ثابت بن قره واما معلومات السائح فليس ما

يضاهيها قيمة ان انها رجع الصدى المباشر لما كانت وماتزال عليه في اواسط القرن

الرابع للهجرة مدرسة حران الافلاطونية.

و بطبيعة الحال فان الحرمانية يعدون من بين تلك الأقوام التي أطلق عليهم المسلمون لقب الصابئة و مع ذلك فان هناك عدداً من الأدلة التي تثبت أن الحرانية كانوا يدعون بالصابئة قبل عصر المامون يأتي على راسها:

أولاً : الصابئي الحراني الذي كان مسؤولاً عن ديوان الخاتم في أيام الوليد بن عبد الملك و الذي كان يدعى (شعيب الصابئي).

ثانياً : فتوى أبي حنيفة النعمان في عصر أبي جعفر المنصور في شأن صابئة حران و جواز أخذ الجزية منهم.

ثالثاً : ما جاء عند الصفدي في ترجمة حماد عجرد، (قال خلف بن المثني كان يجتمع بالبصرة عشرة في مجلس لا يعرف مثلهم : الخليل بن أحمد صاحب العروض، سني و السيد الحميري الشاعر رافضي وصالح بن عبد القدوس ثنوي وسفيان بن مجاشع صفري وبشار بن برد خليع ماجن وحماد عجرد زنديق وابن راس الجالوت الشاعر يهودي وأبن نظير النصراني متكلم وعمر بن أخت المؤيد مجوسي وروح بن سنان الحراني الشاعر الصابئي فيناشد الجماعة أشعاراً وأخباراً).

وحماد عجرد الذي توفي عام ١٥٥هـ / ٧٧١م، أي في خلافة أبي جعفر المنصور. وهذا يعني أن الحرمانية كانوا يتلقبون بالصابئة قبل ميلاد المأمون نفسه. كل هذه الأدلة من شأنها أن تهدم رواية القطيعي من أساسها فيما يخص إنتحال صابئة حران أسم الصابئة.

لم تغلت حادثات الدهر بني جلدتهم بحران نفسها (فقد سقط آخر معاقلهم بالمدينة على أيدي البدو من بني نمير عام ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م الذين أستولوا على هيكل القمر آخر هياكلهم المقدسة ، مما أدى إلى أعتناق عدد منهم للإسلام ، فيما فر من المدينة عدد آخر منهم و تشتتوا بعد ذلك في البلدان المجاورة، وكان يحيى بن سعيد الأنطاكي المؤرخ الوحيد الذي أبى إلا أن يقص علينا كيف آل مصير مدينة القمر و قطانها من الصابئة الحرانية ، يقول الأنطاكي):

(... و كان بنو نمير قد أستولوا على جميع حصون الجزيرة و حصل كل منها في يد أمير من أمرائهم ، و تغلب على حران بعض الاشراف فاستعانوا بأحداثها و تقووا بهم على غيرهم، و أستضاموا أهل المدينة و نهبوهم، و أفسدوا أحوالهم، و خرج أكثرهم عنها هاربين، وأخذوا أيضاً مجمعا للصابئة، و هو المسمى الهيكل الذي على إسم القمر ، و لم يكن بقي لهم بالمسكونة هيكل سواه، و جعلوه معقلاً، و أسلم كثيرون ممن في حران من الصابئة — كانوا جماعة وافرة العدد — مخافة منهم).
ولم نسمع عن الحرانية مرة أخرى أي اخبار قبل أن تقتحم جحافل هولاكو خان حران عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م ، و التي أعملت القتل في سكانها ، ثم سوا المدينة في الأرض ، فلم تقم لها بعد ذلك في التاريخ قائمة ، حتى أعادتها معاول الآثاريين إلى سطح الأرض مرة أخرى و يبدو أن قليلاً من الصابئة الحرانية فروا بأنفسهم من حران إلى دمشق مع أستيلاء بني نمير على هيكل القمر ، فمنشور الأمان بأهل دمشق الذي أصدره قازان قائد جيوش سلطان المغول غازان خان المؤرخ بعام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م ، أشار إلى الصابئة ، حيث جاء في المنشور ((إن لا يتعرضوا ((أي المغول)) لأحد من أهل الأديان من اليهود والنصارى والصابئة ، فأنهم إنما يبذلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا)).
وهذه هي المرة الأخيرة التي تأتي فيها المصادر العربية على ذكر الصابئة الحرانية.

اما تاريخ رؤساء الصابئة المندائيين والحرانيين الذين جلسوا على كرسي الرئاسة في الاسلام منذ عهد عبد الملك ابن مروان وحتى سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨ ميلادية ، فهم.

سنان بن جابر بن قرّة بن ثابت بن إيليا رأس تسع سنين. عمروس بن طيبا ، الذي ترأس لمدة تسع سنوات وسبع عشرة سنة . ميخائيل بن أهر بن بقراريس ، ثلاث عشرة سنة وتقين بن قسرونا ، رأس خمس سنين . مغلّس بن طيبا ، رأس خمس سنين . عثمان بن مالي ، رأس أربعاً وعشرين سنة . قرّة بن الأشتر ، رأس تسع سنين ، القاسم بن القوقاني ، رأس تسع سنين ، و كان هذا الرجل – أعني القاسم – مسافراً ثم عاد فرأس أربع سنين ، نسطاس بن يحيى بن زونق ، رأس اثنتين وأربعين سنة . وأخيراً الذين نهجوا نهج الرؤساء السابقين سعدون بن خيرون من بني هرقليس ، حكيم بن يحيى من بني هرقليس^(١).

(١) جدول بقوائم رؤساء الصابئة استناداً الى قائمة ابن النديم ورسائل ابي اسحاق الصابئي.

..... "العمق التاريخي والديني للصابئة المندائيين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي"

رئيس الطائفة ^١	تاريخ الرئاسة بالتقويم اليوناني	تاريخ إنتهاء الرئاسة بالتقويم اليوناني	مدة الرئاسة (بالعام)	المكافئ بالتقويم الميلادي	المكافئ بالتقويم الهجري	المطابقة بعصور الخلفاء
ثابت بن أحوسا	١٠٠٤	١٠٢٨	٢٤	٦٩٣ - ٧١٧	٧٤-٩٩	عبد الملك بن مروان - الوليد بن عبد الملك - سليمان بن عبد الملك - عمر بن عبد العزيز
ثابت بن طبون	١٠٢٨	١٠٤٤	١٦	٧١٧ - ٧٣٣	٩٩ - ١١٥	عمر بن عبد العزيز - يزيد بن عبد الملك - هشام بن عبد الملك - الوليد بن عبد الملك
ثابت بن قرثيا	١٠٤٤	١٠٦١	١٦	٧٣٣ - ٧٥٠	١١٥ - ١٣٣	الوليد بن يزيد - يزيد بن الوليد - إبراهيم بن الوليد - مروان بن محمد - أبو العباس السفاح
ثابت بن إيليا	١٠٦١	١٠٨١	٢٠	٧٥٠ - ٧٧٠	١٣٣ - ١٥٣	أبو العباس السفاح - أبو جعفر المنصور
قرة بن ثابت بن إيليا	١٠٨١	١١٠٢	٢١	٧٧٠ - ٧٩١	١٥٣ - ١٧٥	أبو جعفر المنصور - المهدي - الهادي - هارون الرشيد
جابر بن قرة بن ثابت	١١٠٢	١١١٢	١٠	٧٩١ - ٨٠١	١٧٥ - ١٨٥	هارون الرشيد
سنان بن جابر بن قرة بن ثابت بن إيليا	١١١٢	١١٢١	٩	٨٠١ - ٨١٠	١٨٥ - ١٩٥	هارون الرشيد - الأمين
عمروس بن طيبيا	١١٢١	١١٣٨	١٧	٨١٠ - ٨٢٧	١٩٥ - ٢١٢	الأمين - المأمون

(١) جدو زمني بأهم الاحداث التي تناولت الصابئة.

..... "العمق التاريخي والديني للصابئة المندائيين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي"

رئيس الطائفة ^١	تاريخ الرئاسة بالتقويم اليوناني	تاريخ انتهاء الرئاسة بالتقويم اليوناني	مدة الرئاسة (بالعام)	المكافئ بالتقويم الميلادي	المكافئ بالتقويم الهجري	المطابقة بعصور الخلفاء
ميخائيل بن إهر بن بقراريس	١١٣٨	١١٥١	١٣	٨٢٧ - ٨٤٠	٢١٢ - ٢٢٦	المامون - المعتصم
نقين بن قصرونا	١١٥١	١١٥٦	٥	٨٤٠ - ٨٤٥	٢٣١ - ٢٣٦	المعتصم - الواثق
مغلس بن طيبيا	١١٥٦	١١٦١	٥	٨٤٥ - ٨٥٠	٢٣١ - ٢٣٦	الواثق - المتوكل
عثمان بن مالي	١١٦١	١١٨٥	٢٤	٨٥٠ - ٨٧٤	٢٣٦ - ٢٦١	المتوكل - المنتصر - المستعين - المعتز - المهدي - المعتد
قرة بن الأشرتر	١١٨٥	١١٩٤	٩	٨٧٤ - ٨٨٣	٢٦١ - ٢٧٠	المعتد
القاسم بن القوقاني	١١٩٤	١٢٠٣	٩	٨٨٣ - ٨٩٢	٢٧٠ - ٢٧٩	المعتد - المعتضد
قسطاس بن يحيى بن زونق	١٢٠٣	١٢٤٥	٤٢	٨٩٢ - ٩٣٤	٢٧٩ - ٣٢٣	المعتضد - المقتدر - القاهر - الراضي
سعدون بن خيرون من بني هرقليس	يقوم مقام الرئيس	؟	؟	؟	؟	؟
حكيم بن يحيى من بني هرقليس	يقوم مقام الرئيس	؟	؟	؟	؟	؟

..... "العمق التاريخي والديني للصابئة المندائيين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي"

المطابقة بعصور الخلفاء	المكافئ بالتقويم الهجري	المكافئ بالتقويم الميلادي	مدة الرئاسة (بالعام)	تاريخ إنتهاء الرئاسة بالتقويم اليوناني	تاريخ الرئاسة بالتقويم اليوناني	رئيس الطائفة ^١
؟	؟	؟	؟	؟	يقوم مقام الرئيس	نمر بن حكيم

قبل الميلاد^(١)

إبراهيم يسكن حرّان	١٨٥٠	حوالي
هيكل سين في حرّان يذكر في رسالة من ماري	١٨٥٠	حوالي
سين وشاماش من حرّان يُذكران في معاهدة ميتاني	١٣٦٥	حوالي
شلمناصر الثالث يُعيد ترميم هيكل سين في حرّان	٨٥٠	حوالي
سين الحرّاني يُذكر في معاهدة ارباد	٧٥٠	حوالي
إسارحدون يزور حرّان في طريقه إلى مصر	٦٧٥	حوالي
آشوربانيبال ينصّب أخاه كاهناً أعلى في حرّان	٦٥٠	حوالي
أمان - ماندا ينهب حرّان	٦١٠	حوالي
نابونائيد يرمّم هيكل سين في حرّان	٢/٥٣٣	حوالي
البارثيون يدمّرون كراسوس قرب حرّان بعد الميلاد	٥٣	حوالي
نشاط شيعة القيسانيين	١٠٠	حوالي
تنصيب الصور النافرة والكتابات المنقوشة لمارالاهيا في سرماتار	١٦٥	حوالي

(١) اسرار الصابئة ومذهب تقديس العبادات في حران، ترجمة يوسف ابراهيم جبران.

القرن الثاني عملة مسكوكة لسين - مارإلاها في الحفر

العام	٢٠٥	أبجر الكبير يعتنق المسيحية في الرها
العام	٢١٧	اغتيال الإمبراطور كركلاً عند رجوعه من حرّان
العام	٨/٢٢٧	صُنِعَ فسيفسائية "أورفيوس" في الرها
العام	٦/٢٣٥	صُنِعَ فسيفسائية "العنقاء" في الرها
العام	٨/٢٧٧	صُنِعَ فسيفسائية "الأريكة الجنائزية" في الرها
العام	٣٦٣	الإمبراطور جوليان يزور الرها

القرن الخامس: الحاجة إيثيريا تزور الرها في رحلة الحجّ

ملك خسروان يرفض أخذ فدية من حرّان.

القرآن يذكر الصابئة

العام	٦٣٩	الحرّانيون يستسلمون للمسلمين
العام	٧٤٥	الخليفة مروان الثاني يجعل حرّان عاصمته
٥/٨١٤	٥/٨١٤	حاكم حرّان يسمح للحرانيين بأن يُقيموا طقوسهم علانية
٢/٨٣٠	٢/٨٣٠	الخليفة المأمون يقابل الحرانيين في حرّان
العام	٨٣٦	ولادة ثابت بن قرّة في حرّان
العام	٨٥٤	ولادة البتاني في جوار حرّان
العام	٨٨٠	يصف أحمد بن الطيّب وثنيي حرّان
العام	٩٢٥	ولادة إبراهيم بن هلال
العام	٩٤٣	المسعودي يزور حرّان
العام	١٠٣٢	هدم هيكل الصابئة المستدير في حرّان على ايدي البدو من بني نمير ^(١)

(١) اسرار الصابئة مذهب وتقديس العيادات في حران، جورج سيغال ترجمة يوسف ابراهيم جيرا.

المبحث الخامس

معتقدات الصابئة الحرنانية

إن محور إعتقادات الحرنانية هو أن للعالم صانعاً مدبراً حكيماً ، منزهاً عن مماثلة المصنوعات واحداً في ذاته وكثيراً في رؤى العين و هو الإعتقاد ذاته الذي ذهب إليه الفيلسوف الإغريقي ((بُرقلُس)) PROCLUS (ت ٤٨٥م) من أن المعبود واحد أزلي في الأصل يتكثر بتكثر مخلوقاته و تعدد صورها بإعتبار كل صورة فيضاً عنه كما أن هناك أرسطية ملحوظة في عقائد الحرنانية ، فقد جاء على لسان أحمد بن الطيب السرخسي بأن الحرنانية يقولون بالهَيُولي و الصورة و العدم و الزمان و المكان و الحركة كما قال أرسطو في ((سمع الكيان)).

واعتقدوا أيضاً أن البارئ أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام و الكواكب ، وجعلها مدبرات في هذا العالم وهم الآباء و العناصر هُنَّ الأمهات و المركبات هُنَّ المواليد و الآباء أحياء ناطقون يؤدون الآثار إلى العناصر فتقبلها العناصر في أرحامها فيحصل من ذلك المواليد فيتشخص به الإله في العالم المادي.

وهم يقرون بأنهم عاجزون عن الوصول إلى البارئ بدون الوسائط والواجب التقرب إليه بتوسط الروحانيين المقدسين المطهرين عن المواد الجسمانية ، والمنزهين عن الحركات المكانية.

ومن الجلي أن تقديس الأجرام السبعة السيارة كانت ميراث مدينة حران العريقة مما تبقى من أطلال الديانة البابلية القديمة التي كانت حران أحد قلاعها ، و لما كانوا يعتبرون أنفسهم ورثة المصريين القدماء و الإغريق و الرومان فقد قدسوا كل ما

كان من بنائهم، وأعتبروه رمزا لهيكل من الهياكل السبعة المخصصة وتقديس الكواكب السيارة، فهيكل الحرانية الرئيسي بحران والأهرام بمصر والمسجد الأموي في دمشق والذي زعموا أنه بني على أطلال هيكل قديم لهم وبيت المقدس، وهيكل قديم بفرغانة وهيكل قديم ببلخ كان بيتاً مقدساً للنار عند المجوس وحتى الكعبة المشرفة اعتبرها الحرانية ضمن هياكلهم السبعة وكانوا يصلون لردّها عليهم و عودة دولتهم كما كانت أيام إزدهارها.

١ - عقيدتهم بالله:

كان صابئة حران، يعتقدون أن الصانع المعبود، واحد وكثير في آن واحد، أما انه واحد، ففي الذات والأصل والأزل، وأما انه كثير، فلأنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين، فانه يظهر بها ويتشخص ولا تبطل وحدته في ذاته^(١).

أصل هذه الفكرة، جاءتهم من الفيلسوف الأفلوطيني المحدث برقلس(٤١٢) - (٤٨٥) الذي عرفّ الباري بالجوهر الفرد الذي يتكشف لخلقه في الكثرة، وان الكثرة تسعى لتحقيق الوحدة وان البارئ سبحانه يظل أصل هذا العالم، وهو ماثل أمامنا في كل دور ودور.

قال نجم الدين الكاتبي (المتوفى ٦٩٣هـ/١٢٩٢م) قال الحرانية: ((إن الباري لاشك انه حي فاعل في هذا العالم المحسوس)) ولا بد من انتهاء الممكنات إلى مؤثر واجب الوجود ولا يجوز أن يكون حادثاً وإلا اقتصر إلى محدث، فيلزم التسلسل وهذا هو الحال المطلوب)).

(١) صابئة حران والتوحيد الدرزي، الدكتور محمد عبد الحميد.

كان الحرانية ينفون عن الله صفة العلم بالموجودات في هذا العالم، ظناً منهم أن هذا العلم يضيف إلى الله الكثرة، فالله غني عن معرفة العالمين، وهو لا يعلم إلا ذاته أولاً ودائماً لأن الله عقل العقل.

ويجيّبون عن السؤال التالي: إذا كان الله خالقاً لكائنات عاقلة، فكيف يكون لها علم، ولا يكون للباري خالقها علم؟ بأن الباري، هو المدبّر لهذا العالم بواسطة الكواكب الصادرة عن النفس الكلية، والعقل الفعال الذي صدرت عنه النفس الكلية، يعرف الأشياء معرفة تامة، والله أو الباري سبحانه هو التام الحكمة الذي لا يلحقه سهو ولا غفلة، وهو الذي تفيض منه الحياة كفيض النور عن قرص الشمس.

هذه الفكرة عن الباري سبحانه أخذوها عن أفلوطين (٢٠٤ - ٢٧٠م) الذي أخذها عن حكماء حران عندما عاش بينهم (٢٤٤ - ٢٥٤) جاء في كتاب التاسوعات ((انه يصدر عن الواحد الخيّر، العقل (النوس) كصدور الإشعاع عن قرص الشمس ولما كان العقل عاقلاً ومعقولاً أي يعقل نفسه، صدرت عنه النفس الكلية، وهي مبدأ الوحدة في الكون، فالنفس هي الحلقة المتوسطة بين عالم المعقولات والعالم المحسوس الذي صدر عنها فهي سفير القدرة، وان وجود العالم مرتهن ببقاء الباري تعالى، فمادام الفيض والوجود والعطاء متواتراً متصلاً، استمر وجود العالم، وان الباري لا يجوز عليه خبر موجب)).

كيف أبدع الباري هذا العالم؟ هل أبدعه دفعة واحدة، أم أبدعه على تدرج؟ يجيب الحرانية: إن الله غير عاجز عن إبداعه دفعة واحدة وإخراجه على ما هو عليه، ولكن الباري سبحانه أخرجه على دفعات متتالية على مر العصور، والأدوار والأكوار، وكان الإله يظهر بظهورات بشرية، كاشفاً هويته في كل دور.

نشر الحرانية في منتصف القرن الرابع الهجري كتاب جماعة الفلاسفة تضمن معتقداتهم مع روايات إغريقية عن أصل العالم، وقد غلفوا أفكارهم بالصبغة الهرمسية قالوا فيه: إن الكون حيوان حي كبير حركته من نفسه لأنه مكون من مبدئين:

– أحدهما: مبدأ سامٍ عاقل حكيم هو الباري تعالى صدر عنه العقل وعن العقل صدرت النفس الكلية.

– والثاني: هو الهيولى المضطربة رغم انها صدرت عن النفس الكلية وان الباري قد نظمها ولكنها تمردت عليه فخرج العالم مضطرباً ناقصاً طافحاً بالشر أما الباري سبحانه، فمنزه عن خلق الشرور والقبائح.

وأشاع الحرانية فلسفة، تبشر بالقدر المحتوم، وانه لا فكاك للإنسان، إلا بالتوسل والدعاء الأفلاطوني والتوسل الهرمسي، وصارت فلسفتهم دعوة للخنوع، وركون الإنسان المظلوم لقدره المحتوم المثير سلفاً، والسلوك القويم لا يتم بتحطيم القيود بل بضبط سلوك الناس عن طريق الحكمة التي تجلب الفرج للإنسان بتدبير الكواكب السبع، مدبرات هذا العالم، وموجبات أحكام النجوم.

هذه الفلسفة هي ترديد لفلسفة الحكيم اليوناني أفلوطين الذي يرى ((ان العالم كائن حي واحد، وان الكواكب تعرف صلواتنا، لأنها تتصل بنا مباشرة على نحو ما، بالتعاطف الكوني)).

وكان الصابئة الحرانية يكثر من ترديد (لا إله إلا الله) دون أن يقرنوها بشهادة (محمد رسول الله).

٢ - عقيدتهم في النفوس والتناسخ:

ظهرت فكرة النفس عند شعوب الشرق القديم، إما نتيجة لخبرة الموت، عندما تغادر النفس جسد الأنسان، ويفقد الحركة والإحساس، أو نتيجة للأحلام التي يراها الأنسان أثناء نومه.

تساءل الأنسان في مرحلة لاحقة من تطوره، ما النفس؟ فأجابه الكهنة أن النفس شبيهة بالنفس والهواء فهي جسم لطيف على غرار الأشباح التي نراها في أحلامنا.

وعندما دخل الفكر الفيثاغوري إلى حران ((أصبحت الطبيعة كلها زاخرة بنفوس شبيهة بما هو داخل الأنسان، فالعالم مغمور بنفوس، هي كذرات الغبار المتحركة التي نراها في عمود الضوء الداخل إلى المنازل. ولكن أرسطو انتقد تصوراتهم هذه قائلاً عنها انها مجرد خرافة فيثاغورية، ونفى أن تكون النفوس انسجاماً للبدن)) لان أصحاب النحلة الفيثاغورية ((كانوا يشبهون النفس بالانسجام في أوتار الآلة مع بعض الاختلاف في المعنى، والنفس هي التي تأمر الجسم وتسوده وغالباً ما تقمعه)). لم يقتصر الحرانية على فكر فيثاغورس وحده، بل لجؤوا إلى تصورات هرقليطس ((عن النفس التي تتكون من أبخرة حارة ويابسة وكلما كانت النار صافية كانت النفس كاملة. وعندما تتوقف شعلة النفس في الموت فان شعلة العقل تنطفئ إلى غير رجعة)).

وكان ديمقريطس قد قال هو الآخر ((إن النفس ذرة دقيقة، مصقولة مستديرة، يعني انها ذرة نارية تنتشر في أجزاء البدن وهي تدخل وتخرج في الزفير والشهيق)). ولكن هذه الأفكار لم تلقَ رواجاً عند الحرانية لأن النفس تزول بزوال الجسد. والرأي الذي اعتمده ودعموا به آراءهم الفيثاغورية هو قول أفلوطين الذي ترسم خطى أفلاطون بقوله ((إن النفس جوهر لا يطرأ عليه استحالة ولا فساد، فهي بالضرورة لافانية،

وهي من جنس الطبيعة الإلهية)) وهي عند الموت تنتقل إما إلى عالم الغيب إذا كانت خيرة أو تذهب إلى جسد آخر كي تتطهر. قال أفلوطين ((كم من نفس كانت من قبل في أناس لا تكف عن أن تضيفي الخير على الناس فتتفعنا بأن تعرفنا النبوءات، وتعلمنا كل الأشياء)).

وأكدت الفلسفة الحرائية ((على أن أجزاء النفس الكلية، توجد في الأجرام السماوية، وفي النفس الأنسانية التي تحرك بدن الأنسان، على نحو ما يدير الملاح دفة السفينة، وإذا مات الأنسان انتقلت نفسه إلى جسد آخر، وهي جوهر، وليست بجسم ولا تلحقها لواحق الجسم.

لم هبطت النفس من عالم البهاء؟ تقول الحرائية ان النفوس الأنسانية، مستقرة منذ البدء في الكواكب، وان هبوطها كان بتدبير الكواكب لتتحد بالأجسام عندما تصبح النطفة مهياة لذلك)).

ولصعود النفس وهبوطها، طريقان متعاكسان، مثلما قال هيرقليطس: ((ان هناك طريقين للنفس، الصعود إلى أعلى والهبوط إلى أسفل، لأن الشيء مع تغيره يظل في سكون، من هنا كانت الراحة في الفرار والهبوط)). وهذا الهبوط ليس فراراً من الممل بل هو عند انبادوقليس ((قانون محتم على النفوس الخاطئة)) وقد علل ذلك أفلوطين بقوله ((إن الحرية في الهبوط لا تتناقض مع الضرورة، فالمرء لا يتوجه إلى الأسوء كرهاً، ولكن لما كان توجهه بحركته الخاصة، ففي وسعنا أن نقول إنه يتحمل عقوبة ما اقترفه، ومادام الهبوط من المحل الأعلى يلبي عند وصوله حاجات موجود أو جسد آخر، فان المرء لا يكون متجنباً على نفسه أو على الحقيقة حين يقول: (إن الباري هو الذي أرسله)).

قال ثابت بن قرة الحراني: إن أجزاء النفس الكلية التي توجد في الأجرام السماوية تجعل العالم كله حياً يتنفس له نفس واحدة، خلقه البارّي حسب نسب رياضية تمثل همزة الوصل بين المعقول والمحسوس وهي مبدأ كل معرفة، والرموز الرياضية هي الوسيط بين المعقول والمحسوس بين المثل والممثل لأنها أزلية ليست خاضعة للتغيير، وهي تتميز عن المثل الأفلاطونية بأن الرموز الرياضية كثيرة ومتشابهة.

وأورد المرزوقي الأصفهاني، عبارة ثابت بن قرة الحراني القائلة ((إن النفس تفيض منها الحياة فيض النور عن القرص، لكنها جاهلة لا تعلم الأشياء ما لم تمارسها)) لأن الذاكرة لا تنسب إلى الله ولا إلى الموجود والعقل الذي لا ينطوي على زمان وإنما على أزل.

لم لا تتذكر تلك النفوس أنها رأت البارّي سبحانه أو حياتها السابقة؟ هناك إجابة للحرانية وأخرى لأفلوطين وكلاهما معتمد عند الحرانية وعند ثابت بن قرة.

قال الحرانية: ((إن النفس وإن كانت من جوهر البارّي، ومن نوره الفاض، فإن جريها وراء اللذات بعد اتصالها بالجسد، حال دون معرفة الأشياء الشريفة. وإذا فارقت النفس البدن، تذكرت عالمها الأزلي، والتذت لذة كبيرة، لهذا لم يخش سقراط الحكيم الموت وشرب السم طوعاً واختياراً. وأما تحرك النفس نحو جسد آخر فيتم دون روية، كما يندفع الإنسان نحو الزواج، وإلى إتيان أعمال مجيدة في بعض الأحيان)).

وقال أفلوطين حول عدم تذكر النفوس لباريها أو لحياتها السابقة، أن له أسباباً هي:

أولاً: ليس من الضروري أن تحتفظ ذاكرة المرء بكل ما يراه، لأنه حين توجه النفس انتباهها إلى أشياء أخرى، لا تحتفظ بذكرى الانطباعات السابقة.

٣- عقيدتهم بيوم المعاد وبعث الأجساد:

في عقيدة الحرائية، الموت هو استمرار للحياة، حياة قد تكون أفضل، أو هو استعداد لمرحلة أخرى تقربه من يوم القيامة التي وعد بها الأنبياء عليهم السلام، وعلى الإنسان الحكيم أن يكون مستعداً لاستقبال الموت بالرضا والتسليم. والقيامة عندهم قيامة النفس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، وهذه هي القيامة الصغرى، أما القيامة الكبرى، فهي التي تشمل الجنس البشري وانتهاء الدور وابتداء دور جديد.

قال الشهرستاني: قالت الحرائية ((ان طبيعة الكل والأجرام والكواكب، تحدث في كل إقليم من الأقاليم المسكونة على رأس كل (٣٦٤٢٥) سنة شمسية، زوجين من كل أجناس الحيوان، ذكراً وأنثى من الإنسان وغيره، فيبقى ذلك النوع تلك المدة، ثم إذا انقضى الدور بتمامه، انقضت الأنواع، فيبتدئ دور آخر، كذلك أبد الدهر، والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها))، ونحن نعيش في الدور السابع. وقد عبّر إخوان الصفا بلسان صابئة حران، قالوا: المنتظرون لأمر القيامة طائفتان من الناس:

- الطائفة الأولى:

الذين ينتظرون حدوثها في المستقبل عند خراب السموات والأرض، ولا يتصورون حقيقة القيامة، إلا إعادة هذه الأجساد برمتها، ثم يحشرون ويجازون بما عملوا، فان عملوا خيراً دخلوا الجنة، التي يتصورونها أموراً محسوسة (أشجاراً وحوراً وغلماناً) على مثال نعيم الدنيا، وإن عملوا شراً دخلوا جهنم، التي يظنون أنها خندق عميق مملوء نيراناً مستعرة، يرمى فيها البشر، وكلما نضجت جلودهم، أعاد الباري إليها الرطوبة ثم كبّهم من جديد فيها.

– الطائفة الثانية:

وهؤلاء هم صابئة حران، ينتظرون يوم القيامة كشفاً وبياناً، لإدراكهم الأمور العقلية، وحقيقة الموت، انه ترك النفس لاستعمال الجسد، والقيامة عندهم هي يقظة النفوس الجاهلة، وهم لا ينتظرون بعث الأجساد ولا يأملون نشرها)). وما دعاهم إلى هذا التصور هو إيمانهم بالتناسخ^(١).

- قال الشهرستاني:

إنما أصل التناسخ والحلول، نشأ من هؤلاء القوم (أي الحرانية) والتناسخ أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية. ويحدث في كل دور ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها. وحياتنا الحاضرة، إنما هي أجزبة على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية. فالراحة والسرور هي جزاء أعمال البر التي سلفت منا في الأدوار الماضية. وكذلك الضنك والحزن التي نعاني منها اليوم، هي جزاء على أعمال الفجور التي سبقت منا^(٢).

أما الحلول فهو التشخيص، ربما يكون ذلك بحلول الإلهي في ذات الأنسان وربما يكون بحلول جزء من الإلهي على قدر استعداد مزاج الشخص.

يفسر الحرانية الجنة والنار تفسيراً رمزياً، فالجنة هي سعادة النفوس الصالحة عندما تتخرج بالآداب والنظر في العلوم الإلهية، وكتب الحكماء القدماء، فتصعد نفس الرجل الصالح شيئاً فشيئاً إلى عالم المقعولات، وتتحد بالباري سبحانه عن طريق الوجود، وفي هذه الحالة تضع النفس يدها على جزئها الحقيقي الذي هو الوحدة

(١) صابئة حران توحيد الورزي، الطبعة الاولى، الرابط محمد عبدالحميد، سورية ٢٠١١.

(٢) المصدر نفسه.

المطلقة، والخير المحض، وتسعد برؤية الله، وأخيراً تأوي تلك النفوس إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأما جهنم، فلا وجود لها، إلا أن تظل النفوس الشريرة تهيم تحت فلك القمر، تتخطفها الجن والشياطين، وتمنعها من معرفة الحقيقة واستعمالها من أجل الخير، لتعاد بالتناسخ إلى أجساد بشرية أو حيوانية، ثم لتتطهر من أوزارها وتدخل ملكوت الله ثانية.

يعيش الإنسان حياته ويمارس أفعاله، تبعاً لميوله الباطنة، ووفقاً للعدالة التي تسود الوجودات، وما من أحد يفلت من العقوبة التي يستحقها نتيجة لسلوكه، وقضاء الله لا يرد، وقبل أن يتطهر الإنسان من إثمه، عليه أن يظل مدفوعاً بحركة غير هادفة، يهيم في كل مكان، ثم يهبط بتدبير الكواكب السبعة في المكان الذي أعد له، ويستسلم لمصير لا سلطان له عليه.

كيف يحصل الإنسان على الخلاص من الخطيئة؟

أجاب الحرائية عن هذه المسألة:

إما بالتوسل الإلهي أو بالفضائل النفسية وبالمعرفة الإلهية، قال أفلوطين (يحدد القانون الإلهي مدى العقاب وزمنه، فإذا ما انتهى منه، أمكن الإنسان ترك مكان الجزاء، تبعاً لما يقضي به الانسجام الذي يسود كل الأشياء)، الذي هو الجنة.

طبقات المجتمع الحرائي

كان المجتمع الحرائي مقسماً إلى أربع طبقات:

١ - طبقة الصديقين:

سموا بهذا الاسم لتصديقهم صاحب الشريعة، ونصرتهم له، وهؤلاء هم ((أصحاب العرفان)) اطلعوا على الأسرار الإلهية من صاحب الشريعة وسمح لهم بتفسير الكتب الإلهية وأعطاهم السلطة في قيادة الجماعة في غيبته وكانوا زاهدين في ملذات الدنيا، يلبسون الثياب البسيطة ولا يتحلون بالذهب ولا يأكلون إلا اليسير من الطعام ولا يشربون الخمر، ويمتازون بصدق اللسان وعفته عن هجر القول وكانوا يعطفون على الرعية في حل قضاياهم، ويتعاونوا مع الضعيف حتى يأخذوا حقه. كان الكاهن الأكبر ينتخب من بيوت الرئاسة وكانوا يشترطون فيه سلامة العقل، وغزار العلم، وتكامل الأعضاء الجسمية، وأن يكون خالياً من الأمراض الوراثية (كالبهاق والبرص والصرع).

٢ - طبقة الشهداء:

سموا بذلك لمشاهدتهم صاحب الشريعة، أو لاطلاعهم ومشاهدتهم الأمور الروحانية المفارقة للهيولى، عرفوا الأسرار الإلهية، وهم كالصديقين في مآكلهم وملبسهم وصدق ألسنتهم إلا انهم دون أصحاب العرفان في المعرفة الإلهية وفي تفسير الكتب. وكان بعضهم يتولى رئاسة مجالسهم السرية في القرى والبلدان الصغيرة أحياناً.

٣ - طبقة المؤمنين:

وهؤلاء آمنوا بتعاليم صاحب الشريعة، ولكن فهمهم يقتصر على معرفة الأسرار الإلهية، وتصور الأمور الروحانية، ومزيتهم أنهم أقرؤا بما أخبر به صاحب الشريعة، وقاموا بنصرتهم وهم صابرون.

٤ - طبقة العامة:

وهؤلاء هم صابئة بالنسب دون أن يأخذوا أسرار الدين، ولم يؤمنوا بما أقروا بلسانهم، وقد يراودهم الشك، وهم كالأعراب الذين ذمهم القرآن بقوله: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا".

- صلاتهم:

كان الصابئة يصلون ثلاثة أوقات بداية وآخر النهار قبل الليل، في مجالس خاصة يتوسلون إلى الباري سبحانه بالدعاء الأفلاطوني والتوسل الإدريسي، وهذه الأدعية والصلوات موجودة في كتاب ثابت بن قرة الحراني المسمى (أوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة) ^(١).

٥ - عقيدتهم في النبوة:

يؤمن الحرانية بأن النبي هو البريء من المذمومات في النفس والآفات في الجسم، ومذهب الحرانيين صلاح للفرد وللعمارة في الأرض، ولا يكذبون الأنبياء ولكنهم في الوقت ذاته لا يوجبون إتباعهم، فمن أطاعهم فهو سعيد ناج، وإن من أدرك بعقله ما دعوا إليه فوافقهم فيه و عمل بوصاياهم فهو سعيد أيضاً وإن لم يتقيد بهم فدعوة الأنبياء حق، لكنها ليست الطريق الوحيد للنجاة وعدد الأنبياء الذين دعوا إلى الله لا تحصى، ولا يرى الحرانية النبوءات عن طريق الوحي، كما تعرفها الأديان السماوية بل عندهم أن النفوس الطاهرة التي سلمت من أدناس هذا العالم تتحد بها مواد علوية، و بالتالي فهم يرون ما

(١) صابئة حران توحيد الدرزي، الطبعة الاولى، الرابط محمد عبدالحميد، سورية، ٢٠١١.

لا يرى الناس من أنبيائهم و معلميهم هَرَمِس (ادريس) و أغاذيمون ٥٢ (شيث) ،
وفيثاغورس ، وبابا الصابئ^(١).

- أنبياء حران :

بسبب من غياب الرُّقْم الطينية عن تراث حران الروحي وغياب المخطوطات
الخاصة بهم فقد تناقلت الأمم والشعوب المجاورة لهم أخبارهم مثل الإغريق والرومان
والسريان والعرب ، بل وترجم هؤلاء لهم بعض الأعمال الروحية والأدبية هنا وهناك .
ولكن حران في بعض آثارها تذكر أنبياءها الزاخرين وتعتبرهم الآباء الروحانيين الكبار
لها ، ورغم ان بعض أو أغلب هؤلاء الأنبياء لا ينتسبون لها ، بل هم من أمم أخرى ، لكن
التراث الحراني يعتبرهم أنبياء لحران وشعبها .
وفي الجرود المتوفرة أمامنا لهؤلاء الأنبياء وجدنا أنهم يمكن أن يصنفوا إلى أنبياء
شركيين ظهوروا في الشرقين الأدنى والأقصى وأنبياء غربيين أغلبهم من الآلهة والفلاسفة
والحكماء الإغريق بشكل خاص وهناك أنبياء أو أحبار كبار من حران هم المحليون :

(١) أغاذيمون : هو شيث بن آدم عليه السلام ، الشهرستاني : الملل و النحل ، ٤:٢ ، و يقال أن
شيث حملت به حواء بعد فجيعة آدم وولديه هابيل و قايين ، و معنى اسمه ((هبة الله)) و يرتبط
أسم شيث بن آدم عند الحرانية بالحكمة ، و ينسبون إليه تعاليمه عند القديس الخمسة و هم
الباري ، و النفس ، و العقل ، و المكان ، و الخلاء .

- (الوجود والعدم) الشهرستاني : نفسه ، ٤٥:٢ و عن شيث و حياته انظر :- المسعودي : مروج
الذهب ، ١ : ٢٧-٢٩ .

٥٣ ليس لدينا شيء موثوق عنه بابا الحراني هذا ، كل ما نعرفه عنه مستمد من مجادليه من
كتاب النصرانية ، و كان أكثرهم يطلق عليه اسم (نبي حران) . مراد كامل ، محمد حمدي
البكري: تاريخ الأدب السرياني ، ٤١-٤٢ .
- الصابئة منذ ظهور الاسلام وحتى سقوط الدولة العباسية/دكتور احمد العدوي .

أنبياء حران^(١)

<u>الغربيون</u>	<u>المحليون</u>	<u>الشرقيون</u>
١- إسكلابيوس	١- بابا الحراني	١- هرمس (ادريس)
٢- فيثاغورس	٢- أواضي (أوادي)	٢- اغاديمون (شيت)
٣- إيلون (نوح)		٣- أيانا (عوان، عون، أون)
٤- أراني (أورفيوس أورانوس)		٤- بوداسف
٥- سولون		٥- تايوس (تحوت، هرمس طوط)
٦- أميروس (هوميروس)		
٧- أراتاس (أراتوس ملكي طيت)		
٨- أواضي (أراجي) (أرض)		

الأنبياء الشرقيون: يتداخل الأنبياء الشرقيون لحران مع أنبياء وملوك وآلهة رافدينية ومصرية وهندية مصحفة (مثل بوداسف) وهكذا يكون البحث في هرمس، وأعادة ديمون، وأيانا وبذافس وتايوس كأنه بحث في شخصية واحدة لها عدة أسماء عاشت في عصور ما قبل التاريخ.

فمن هو هرمس؟

يُعدُّ هرمس واحداً من أكثر الشخصيات غموضاً في التاريخ وقد تنازعت نسبه أمم كثيرة في روايات ومراجع مختلفة وسنقوم بتلخيص شديد الإيجاز لأصوله المتعددة هذه عند الأمم القديمة :

(١) كتاب انكي، الادب في وادي الرافدين، دكتور خزعل الماجدي.

١- الأصل البابلي: حيث يروى أنه كان بابلياً، ويقرن ببناء بابل بعد الطوفان ويتعزز أصله هذا بارتباطه بعلوم الفلك والتنجيم البابلية وبنناء الهياكل أو المعابد الخاصة بالكواكب والنجوم في بابل.

٢- الأصل المصري: ويروى أنه كان مصريةً بعد الطوفان وانه بنى الأهرام ويرتبط بشخصية (ايمحتب) الحكيم والمهندس المصري الذي هندس بناء الهرم المدرج وكان وزير الملك المصري (الفرعون) زوسر من الأسرة الثالثة في مصر.

٣- الأصل الحراني: حيث يروي الحرانيون أن هرمس هو (بوزاسف) الذي بنى هياكل الكواكب في بلادهم.

٤- الأصل المندائي: حيث يرد ذكره في كتابهم المقدس كنزا ربا بأسم دنانوخت^(١) صاحب الكتب والمعارف الكثيرة الذي صعد إلى السماء ثم عاد إلى الأرض.

٥- الأصل العبري: حيث تذكره التوراة على انه (أخنوخ) الذي صعد إلى السماء، وله سفر بأسمه في مخطوطات البحر الميت.

(١) دنانوخت: أو (نواة الدين) من عظماء الناصورائيين في المندائية، يسمّى أخنوخ في اليهودية، وإدريس في الإسلام، وهرمس في بعض المعتقدات. هو السابع من نسل آدم، يُعد أول معلم في علم الفلك والتقاويم، وأول من تنبأ بالرمل. عرج إلى السماء وفق التوراة: (وسار أخنوخ مع الله، ثم توارى من الوجود، لأن الله نقله - تكوين / ٥: ٢٤). وكذلك في الإنجيل: (انتقل أخنوخ إلى حضرة الله دون أن يموت. وقد اختفى من على هذه الأرض لأن الله أخذه إليه - رسالة إلى العبرانيين / ١١: ٥). ويراد - بذلك - انه انتقل حياً بالجسد. كذلك في الإسلام، حي توجد إشارة غامضة لرفعه إلى السماء: (وَانْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا - مريم / ٥٦ - ٥٧). أما في هذا النص المندائي المقدس، فتروى قصة معراجه للسماء ذاتها، ولكن باختلاف مع جميع الأديان، حيث يعود بعد معراجه إلى الدنيا، وهذا ما يرفضه الإنجيل: (وما صعد أحد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، وهو ابن الإنسان الذي هو في السماء - يوحنا ٣: ١٣)، يعني السيد المسيح فقط، وكذلك في الإسلام، فالمعراج للسماء والعودة لم يتما إلا للنبي محمد (ص).

٦- الأصل العربي: الذي نادت به المراجع اليمانية حيث رأت في هرمس أخنوخ أو إدريس وهو قحطاني وأب لـ(صابي) الذي تختلط شخصيته بشخصية إدريس.

٧- الأصل الفارسي: اسمه عند الفرس (أبجهد) وكان جده (جيومرث) أي آدم في التراث الفارسي القديم.

٨- الأصل الإغريقي: الإله هرمس (رسول الآلهة) وإله اللصوص والمسافرين والتجار وهو ابن الإله زوس من الآلهة مايا وكذلك اختلطت شخصية بالإله (إسكلابيوس) إله الطب عند الإغريق. ويرتبط بكوكب عطارد (ميركوري) عند الرومان.

٩- الأصل الهندي: بوذا (غوتاما سدهارتا) والحقيقة أن هناك جدلاً واسعاً حول أصل هرمس وشخصيته المتراوحة بين الألوهية والنبوة والحكمة والملوكية ويعتقد أن تسمية هرمس هو مثلث العظمة أو المعظم ثلاثاً أو مثلث النعم أو مثلث الرحمة وقد أطلقت عليه لأنه جمع بين (النبوة والحكمة والملوكية) وهي ألقاب يجمعها مصطلح (Hermes Trimagestus).

كما ذكر سفر التكوين في التوراة بأسم أخنوخ وذكره الإنجيل بالاسم نفسه وذكره القرآن الكريم بأسم (إدريس).

وتجمع المرويات على أنه أول من اخترع الكتابة وأول من كتب الصحف وأول من خاط الثياب ولبسها، وفي صفاته ما يدل على اهتمامه بالحكمة والكيمياء والفلك والتنجيم والطب... الخ، وأنه أول من حصل على الخلود وأول من صعد إلى السماء وغير ذلك كثير^(١).

(١) كتاب انكي، الادب في وادي الرافدين، دكتور خزعل الماجدي.

الأنبياء الغربيون:

بعد التحري في أسماء هؤلاء الأنبياء الذين ادعى الحرانيون أنهم يؤمنون بهم اتضح لنا أن هؤلاء يمكن تصنيفهم إلى آلهة ورجال أسطوريين وفلاسفة وأطباء وشعراء.

الآلهة:

حوّل الحرانيون بعض الآلهة الإغريقية إلى أنبياء لهم وهم:

١- إسكلابيوس: وهو إله الطب الإغريقي وتلفظ أيضاً إسكلابيوس أو إسقلاب، وقد عبّد كإله عن الإغريق منذ العصر الكلاسيكي، وقد نبغ على يدي القنطور (خيرون) الذي علّمه فن الطب.

ولعل حران أشهر مدينة طب في العالم القديم منذ نهاية العصور القديمة وبداية العصور الوسيطة حين تحولت مدرسة الطب من الإسكندرية إليها في العصر الأموي ولذلك ارتفع نجم هذا (النبي) الحراني (الإله الإغريقي) وأصبح شعاره رمزاً للمدينة. في الأسطورة تزوج إسكلابيوس وأنجب خمسة أبناء (٣ إناث وولدين):

١- هيجيايا (Hygieia) آلهة الصحة.

٢- ياسو (Jaso) إله الشفاء.

٣- بناكيا (Panacea) إله العلاج التام.

٤- بوداليريوس (Podalirius) الطبيب.

٥- مخاؤون (Machaon) الطبيب.

وقد تطور فن الطب على يدي إسكلابيوس لدرجة انه استطاع أن يعيد الموتى إلى الحياة فقد طلبت إليه أرتيميس أن يعيد الحياة إلى الشاب (هيبوليت) الذي قضى نحبه بعد أن هاجمه وحش البحر، ولما رأى زوس أن إسكلابيوس جاوز حدّه البشري وتدخل في عالم الموتى أرسل عليه صواعقه وقتله. فغضب أبولو فقتل الصقالبة الذي سخّروا

الصواعق لزوس، فقضى زوس أن يقضي أبولو مدة عام في عالم البشر على الأرض وأن يخدم أدميتوس (ملك فيراي) الذي رأى في مقدم أبولو الخير (دون أن يعرف حقيقته) فقام أبولو بتقديم خدمة أخرى له بإطالة عمره فطلب من أحد أن يفديه فافتدته زوجته (ألكسيتس) ففعلت ورمت بنفسها على المحرقة، لكن هرقل أنقذها إذ طلب إلى ثاناتوس ملك الموت أن يعيدها إلى زوجها.

وبعد أن قضى أبولو مدة عقوبته عاد إلى جبل الأولب واستعطف زوس كي يرفع إسكلابيوس إلى مصاف الآلهة فقبل زوس وعند ذاك أقيمت الطقوس والشعائر لإسكلابيوس في إبيداوروس قرب ينابيع المياه حيث يتم شفاء المرضى وكذلك في جزيرة كوس وكنيدوس وبرجامون وهذه هي أشهر معابد إسكلابيوس، ((وكان المرضى ينفذون إلى المحاريب المقدسة فينامون بالقرب منها بعد تناول جرعة مخدرة وينتظرون أن يزورهم الإله في رؤاهم ليرشدهم إلى طريقة شفائهم الناجعة، وليس ببعيد أن الكهنة كانوا يهمسون في آذان المرضى المخدرين فيتوهم هؤلاء ان الإله قد تحدث إليهم في نومهم)).

كان الثعبان والكلب والديك رموز الإله إسكلابيوس، إذ يشير الثعبان للدواء الذي يستخرجونه منه سمه، بسبب سمّه الذي كان دواء والكلب ومن الشفاء بين المادة الموجودة على لسانه حين يلدغها يشفى الجرح، وهذه رموز لآلهة الطب في وادي الرافدين والديك لقدرته على الوقاية من السوء وطرد الأرواح الشريرة ومحاربة السحر الأسود ((وقد اقترنت صور الإله بعضا يلتف حولها ثعبان ويرجع ذلك إلى الاعتقاد بأن للثعبان خواص شفاوية مثله مثل الكلب الذي يشاهد أحيانا برفقة إسكلابيوس))^(١).

(١) كتاب انكي، الادب في وادي الرافدين، دكتور خزعل الماجدي.

وكان إسكلابيوس يُلقب بالمنقذ (Store)، إذ دخلت عبادته في دولة أثينا عندما انتشر فيها وباء (لعلة الطاعون) عام ٤٣٠ ق.م أي بعد سنة من قيام الحرب البلوبونيزية وقيل انه دخل المدينة برفقة ثعبانه المقدس، وهذا معناه أن الأثينيين صنعوا تمثلاً لإله الطب في صورة ثعبان. ورحّب الأهالي بمقدم إسكلابيوس، ونظم بعض الشعراء أناشيد في تمجيده، وقد شيّد أول معبد له بالمدينة عام ٤٢٠ ق.م.

٢- أراني: يمكن أن يكون هذا هو كوكب أورانوس وهو الذي سمّي بأسم الإله أورانوس وهو أحد الكواكب السيارة، وفي الميثولوجيا الإغريقية هو ابن وزوج الآلهة جيا (الأرض).

وكذلك يمكن أن يكون اسم شخصية خرافية أسس مدينة (حران) وأخذت اسمه وهكذا يمكن أن يكون أخ إبراهيم (حران). وعمول كنبي وهناك من طابقه مع (هيرون) الشيخ الحكيم أو (هوروسي) أو أورفيوس المغني الأسطوري الإغريقي.

- الشخصيات الأسطورية :

١- إيلون: وهو المقابل الإريقي لشخصية (نوح) المنقذ من الطوفان رغم استبعادنا لهذا لأنهم لا يقدسون نوح، ولذلك نرى أنه يمكن أن يكون الإله إيل أو عليون محرفاً، وربما إله الشمس الإغريقي (هليموس).

٢- أوزي (أرادي) (واليس): ربما كان (عوص) (أوس) الكنعاني ويقال انه منع أكل بعض الخضار في حران وربما كان أريدي الذي ذكره ابن النديم في (الفهرست) حيث قال انه رئيس مذهب (أهل خيفة السماء) دعى إلى مذهبه في طيسفون وما حولها.

- الفلاسفة والحكماء والأطباء الشعراء :

١- فيثاغورس: لعل هذا الفيلسوف، النبي هو الأهم بين هؤلاء من ناحية الإغريق فهو يشكل صورة حقيقية لمعتقدات حران الهلنستية.

الفيثاغورية (نسبة إلى فيثاغورس وأتباعه) اقرب إلى أن تكون ديانة سرية ذات طابع فلسفي ورياضي عميق، ويمكن وضعها مع النحل والمذاهب البشرية ولكنها تفوق هذه النحل والمذاهب بنظامها الفلسفي والعلمي الدقيق الذي يجعلها ترقى إلى أن تكون طريقة نظر كاملة في الحياة.

الفيثاغورية انعطاف نوعي في الأديان والفلسفة الإغريقية ولولا القمع الذي ووجهت به الفيثاغورية لأصبح تاريخ الفلسفة الإغريقية مختلفاً، نرى أن الأب الروحي لأفلاطون هو فيثاغورس وليس سقراط، إذ ان سقراط علم أفلاطون كيفية الجدل، لكن فيثاغورس أعطاه المادة المثالية اللازمة لفلسفته. كذلك نرى ان الفيثاغورية هي الجسر الرابط بين هرمسية الشرق والأفلاطونية ولولا هذا الجسر لما ظهر أفلاطون بفلسفته المثالية التي لا شك أن فيها أصداء من الهرمسة مرّت عبر الأسلاك الفيثاغورية إلى الإغريق.

بعد أن ولد فيثاغورس (٥٧٢ - ٤٩٧) ق. م في اليونان رحل إلى الشرق وزار مصر وبابل واتصل بتراثهما ولا شك أن نهل من علومهما والديانات التي كانت سائدة فيهما ونرى أنه اكتشف واطلع في هذين البلدين على العقائد الهرمسية والعرفانية وعلى علوم التنجيم والرياضيات فيهما ويكفينا معرفة نظريته الشهيرة حول استخراج وتر المثلث القائم من معرفة ضلعيه القائمين، وهي النظرية التي ظهرت على ألواح تل حرمل (في بغداد) من الحضارة البابلية.

ولما بلغ فيثاغورس الأربعين عاماً عاد إلى المدن الإغريقية الموجودة في جنوب إيطاليا وتحديداً في (أقرنوطا) حيث كانت هناك مدرسة طبية معروفة. وسرعان ما أنشأ فرقة

دينية علمية فلسفية تشبه الأورفية وكانت هذه الفرقة ذات طبيعة أرستقراطية مفتوحة للرجال والنساء ولكنها تعيش على التعفف أو البساطة وإتباع تعاليم في الأكل والملبس والطقوس والرياضة البدنية وكانوا يرون في العلم أهم الطرائق لتهديب الأخلاق والنفوس، فقد حوّلوا العلم إلى طقس شعائري وديني (وهو أمر نادر الحصول) كانت أهم علومهم هي الرياضيات وتأتي بعدها علوم الفلك والتنجيم والموسيقى، ثم الطب والأدب والأساطير.

ويبدو أن الرعاع والمضروبة مصالحهم من الأغنياء عملوا على تقويض هذه الفرقة المتنورة وتمكنوا من ذلك يوم هجموا على المكان الذي كانوا يمارسون فيه تعاليمهم وطقوسهم فأحرقوهم وأحرقوا زعماء الفرقة ولم ينجُ منهم سوى اثنين بينما كان فيثاغورس بعيداً عن المكان، لكنه فرّ من أقروطونا ثم مات بعيداً، ولكن أتباعه واصلوا الأخذ بتعاليمه وأثروا في مدرسة أثينا حتى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، ثم بعثت الفيثاغورية الجديدة في العصر الهيلنستي في منتصف القرن الأول قبل الميلاد واستمرت بتأثيرها الواضح حتى القرن الرابع الميلادي. ولم يبقَ من مؤلفات فيثاغورس إلا كتب منحولة منها الأشعار الذهبية والكتب الثلاثة - المذهب والسياسي والطبيعي.

لقد حافظت الفيثاغورية على أن تكون منظومة هرمسية مكونة من (الدين والفلسفة والعلم) وتخلطها ببعضها في نظام واحد ومتجانس، كان مذهبهم المركب هذا يعتمد على الأعداد ونسبها والتي تتبعها دراسة الحركات والأصوات وهو ما قادهم إلى الربط بين الرياضيات والموسيقى وان العالم يسوده نظام داخلي عميق وتناسب عددي دقيق (ورأوا أن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، أو أن الموجودات دون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها إلا في الذهن. والقولان يرجعان إلى واحد مؤداه التوحيد بين عالم الموجودات وعالم الأعداد).

كان العالم بالنسبة إلى الفيثاغوريين أشبه بحيوان كبير حي يستوعب بتنفسه خلاء لا متناهي هو عبارة عن هواء في غاية اللطافة ضروري للفصل بين الأشياء ومنعها من أن

تتصل فتكون شيئاً واحداً. أما الأشياء فتتكون بالتكاثف والتخلخل، لا يتحول بعضها إلى بعض. ورأوا أن الأشياء لها نظام دوري من التكون والانحلال وهو ما ندعوه بالعود الأبدي خلال (السنة الكبرى) دون نهاية ولا شك في أن هذه الفكرة أخذت من الدورة الكونية الكبرى (سار) البابلية.

وتبعاً لذلك كانت النفس عندهم تخضع لمفهوم الدورة أو العود الأبدي فهي تتردد بين الأرض والجحيم في حركة أبدية، فالنفس (التي هي علة توافق الأضداد في الجسد) بعد أن تموت تهبط إلى الجحيم تتطهر هناك بالنار والتعذيب ثم تعود إلى الأرض وتنقصد جسماً بشرياً أو حيوانياً أو نباتياً وتبقى كذلك بين الأرض والجحيم حتى تتطهر تماماً. وهكذا فإنهم آمنوا بالخلود والتناسخ، أما إيمانهم بإله واحد فمشوبٌ بالغموض ولكنهم يقيناً سعوا إلى تنزيه الآلهة من الكثير من الأساطير والصفات التي لحقت بها من قصص العامة وقد جاء ذلك عن طريق التأويل الرمزي للأساطير ولقصص الآلهة.

أما العلوم الفيثاغورية فقد نشطت بها الرياضيات أولاً ثم الفلك الذي أحدثوا فيه إضافات نوعية فهم أول من قال بالكواكب العشرة (وليست السبعة) وقالوا بمركزية (النار المركزية) في وسط العالم وان الشمس والأرض والكواكب تدور حولها، وهي نار لا ترى لأنها تقع في مقابل الأرض من الأسفل وقد قام في ما بعد أحد الفيثاغوريين وهو (أرسطرخوس بجعل هذه النار المركزية هي الشمس نفسها وهو أول من قال بمركزية الشمس في النظام الكوني).

وكانوا يعتبرون صعود النفس إلى الأعلى لا بدافع الالتحاق والالتحام بالإله الواحد، بل بدافع تشوق النفس (المنسجمة المتناغمة) مع أصوات الكون والنجوم في الأعالي ودافعوا عن وجود (موسيقى كونية) تجذب النفوس البشرية وتجعلها تتشوق وتصدع إلى الأعالي من طريق قهر طبيعتها المادية والتخلص من الشهوات وهو ما نادى به الأورفية ولكن

الفيثاغورية جعلت من موسيقى النجوم والكون سبباً لجذب النفوس والصعود التطهري إلى الأعلى. وهكذا فإن دورة النفس تكون سفلية تناسخية وعلوية تطرية.

لقد كانت الفيثاغورية بؤرة عالية جمعت الأشعة الروحية الخاصة للشرق وجعلتها تنفذ إلى العقائد الإغريقية الدينية والفلسفية بنورها حتى يجيء دور أفلاطون الذي سيجمع هذه الأشعة من جديد في بؤرة جديدة ويرمي بها إلى الشرق الهيلنستي وهكذا، وهذا ما يجعل من الفيثاغورية ((نهضة عظيمة متعددة الوجاهات، هي نحلة دينية كانت أصدق نظراً في الدين من الأورفية وهي مذهب فلسفي يعد أول محاولة لارتفاع عن المادة التي وقف عندها فلاسفة أيونية، ولفهم العالم والموسيقى والفلك والطب، وعرفت بضع قضايا حسابية وهندسية، ووضعت في الهندسة ألفاظاً اصطلاحية وهي هيئة سياسية ترمي إلى إقرار النظام في المدينة على أيدي الفلاسفة)).

أومروس: وهو الشاعر الإغريقي المعروف بـ(هوميروس) مؤلف الإلياذة والأوديسة، وربما وضعه الحرانيون في أنبيائهم لمكانته الكبيرة في التراث الإغريقي.

سولون (سولون) (٤٦٠ - ٥٥٩) ق. م :

هو أول مصلح اجتماعي وسياسي كبير وهو أحد الحكماء السبعة في الإغريق (ومنهم طاليس أول فلاسفة الإغريق). وقد ظهر معه مصلحون آخرون في بلاد اليونان تزامنوا مع وقت ظهوره مثل المشرع (فيلولاوس) الكورنثي الذي وضع دستور طيبة و(ديموناكس) الذي وضع دستور قورينا في (ليبيا). بدأ إصلاحاته بإجراء اسمه (نفض الأعباء) فقد علّق جميع الديون والرهن التي كان ضمانها المدين أو الأرض ((وبهذا تحرر الفلاحون الذين كانوا قد أصبحوا عبيداً، كما أزيلت أعمدة الرهن المشؤومة من أراضي أصحابها وزالت معها ديونهم، وأصبح في استطاعة الذين فضلوا الفرار والنفي على العبودية أن يعودوا إلى أوطانهم، وانتهت الأحوال القديمة الغاشمة إلى غير رجعة إذ تقرر عدم شرعية

إقراض المال بضمن شخص المدين. وكذلك حدد صولون مساحة الأرض التي يمكن أن يملكها شخص واحد حتى يوقف اتساع ونمو الضياع الضخمة)).

- أراناس: وهو فلكي وطبيب إغريقي.

- الأنبياء المحليون :

باب الحراني (باب الصابئي الحراني): ربما كان كاهناً كبيراً أو نبياً بسبب تنبؤاته حين أطلق عليه الحرانيون هذا اللقب (النبي). ذكره البيروني كـ(رب حران) أي كإلاله الذي ربما كان إلهاً رافدينياً بأسم (بابا) وهي آلهة سومرية تدعى بأنها حامية شعب الرؤوس السود من السومريين، آلهة الطب والزراعة، وهناك آلهة سريانية اسمها (بابايا) ربما كانت مصدر التسمية.

لكن ديونسيوس برساليبي يذكره على أنه (نبي حران) ونقتبس نصاً من كتابه، وكذلك يقتبس كمال الدين بن العديم نصاً من كتابه في كتاب أخبار حلب.

- كتاب النبي بابا الحراني لـ(ديونسيوس برساليبي) :

ونبي حران هذا لا نعرف عنه شيئاً سوى كتابه هذا الذي دلتنا على بعض فصوله كتب إغريقية وعربية وعرفنا أنه يشبه كتاب التنبؤات حول ما سيحصل في المستقبل لبعض البلدان والمدن. والنص الذي بين أيدينا مقتطف من كتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب) لكمال الدين بن العديم (المتوفي ١٢٦١/٥٦٦٠م) ويقع في الجزء الأول منه، وهو يخبرنا عن ما سيحصل بحلب والمناطق المجاورة لها، يقول ابن القديم في كتابه في صفحة (١٥٤-١٥٥) ما نصه :

(سير إليّ ابن تيمية خطيب حران كتاب بابا الصابئي الحراني يشتمل على سبع مقالات ذكر فيها ما يكون في الأزمان، وقيل انه تكلم بذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثمائة سنة وسبعة وستين سنة.

-الجزء الأول ص ٢٢٢- ٢٢٣ :

قال في المقالة الرابعة: والأسرار الخفية ظهرت لي وانزعجت نفسي، ورعب قلبي أن أتكلم، وتكلمت بغير اختياري لأنني أمرت رب الأرباب بذلك حتى أعرف وأبين ماذا يكون في الأزمان، وذلك انه تنتبه الحبشة الذين هم أفاضل أهل القبلة، ويخرج ملكهم الذي اسمه حسن بقوة عظيمة، ما لا يحويه عدد من كثرته مع دوابهم وسوادهم، وأعوادهم كالحياة، ودوابهم كالسباع تهج، ويكون خروجهم من قبلة المغرب، ويكون عددهم كعدد الرمل والجراد ويكون أشد شراً من الحياة، والشرابين التي على رؤوسهم من الخوص، وهم فارغون من المال والنفقة، ولا في قلوبهم رحمة لوالد ولا ولد، وتجتمع أجنادهم وجيوشهم كالجراد الذي يطير ويعبر البلاد الخربة، ويصل إلى البلاد العامرة، ويملكون بلاد النوبة وبلاد مصر، ويصعدون من هناك إلى دمشق ويفسدونها ويخربونها، ويأتي نهر الأردن ويعبر على فلسطين، وينزل على الفرات، وتأمين مدينة الأحبار المسماة مابوغ - هي حلب، وحينئذ يأتي إليك يا حران، وأنت أيضاً تكونين في الأمن والسلامة، وأهل السماء فيك يسكنون، ويرفع شأن أهل حران إلى المنزلة العليا ويحاربون ويقهرون البر والبحر بعقد قوي، ويطرد واحد لمائة وعشرين، ويطرد عشرون لألفين، وكل من لا يقبل منهم ويسمع كلامهم يقتلونه.

وذكر في المقالة السادسة، إذا ما انتهت مملكة الأهواز يكون قتال عظيم، ويسفك في الأرض دم عظيم، ويكون في المغرب قتال شديد مدة أيام، ومع هذا فالويل لكم يا مدن عظيم، ويكون في المغرب قتال شديد مدة أيام، ومع هذا فالويل لكم يا مدن بهيات، والويل للقرايا والمدن الصغار من شعب نجس ينجسون الأرض بأعمالهم، وهم الذين لا يعرفون الله ولا يوقرون أهل السماء، سلكوا طريق الشهوات الردية وزاغوا عن

الحق، فسخط عليهم أهل السماء، الويل لك يا دمشق البهية يا مدينة حسنة الملك، كيف تخرب أسوارك وتهدم أسواقك إلى الأرض، والويل لك يا بعلبك يا مدينة الشمس، كيف تنتقل قوى الطلسمات التي فيك إلى جبل الباجوك - وهو الجبل الشرقي من حران - ويتبدل بخورك وعطرك وقرابينك، وتصيري إلى الخراب حتى تسمع أصوات الهدم، فيك وأنت يا مابوغ - وهو حلب - مدينة الأحبار يأتي رجل سلطان ويحل بك، ويعلي أسوارك، ويجدد أسواقك، ويجوز المعين الذي فيك، وبعد قليل يؤخذ منك، فالويل لك، وما تلتقين من القتال والحروب، والويل لك يا سميساط. وقال: وبالْحَقِيقَةُ أَقُولُ إِنَّ الرَّهَاءَ تَخْرَبُ وَالْمَاءَ الَّذِي أَخَذَ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى حِرَانَ، وَتَخْرَبُ سَمِيْسَاطُ، وَالْمَاءَ الَّذِي لَكُوْزَنُ يَأْخُذُوْنَهُ إِلَى الْقَبْلَةِ.

وقال في هذه المقالة: وتشال حجارة الرها إلى حران، ويبني بها لحران سور وفصيل، وفي الباب الذي بين الشرق والقبلة يبني بيت للعبادة، وذلك بأمر من قوة سيدنا الأعمى، وهو أمرني أن أعرفكم بهذه الأشياء، وأول إن مابوغ - وهي حلب - تستعير من الأحبار وتكون الأمن والسلامة على جميع العالم.

وقد ذكرنا هذا الفصل فيما تقدم، وانه أنهدم موضع سور حران في سنة اثنتين وخمسين وستمائة، فاحتيج إلى أن ننقل إليه من سور الرها حجارة بُني بها ما أنهدم من سور حران، ونقلت ما نقلته من هذا الكتاب على ما فيه من اللحن وركّة الألفاظ بغية الطلب في تاريخ حلب.

كما يذكر كتاب الأخلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد جزءاً من النص السابق وكما يلي:

وكانت حلب تُعرف بمدينة الأحرار عند الصابئة، وُجد في كتاب بابا الصابئي الحراني في المقالة الرابعة في ذكر خروج الحبشة وفسادهم في البلاد: وينزل على الفرات وتأمين مدينة الأحرار المسماة مابوغ - هي حلب.

وقال في المقالة السادسة: وأنت ماموغ - وهي حلب مدينة الأحرار يأتي رجل سلطان ويحل بك ويعلي أسوارك ويجدد أسواقك ويحوّز العين التي فيك وبعد قليل يؤخذ منك. ولما شرع السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في بناية الأسوار والأبرجة بمدينة حلب وعمّر اليوقين الذين أنشأهما شرقي الجامع بحلب أحدهما نقل إليه الحريريين والآخر نقل إليه النحاسيين، قال لي بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخنّاب الحلبي وهو من رؤساء حلب وكبرائها وأعيانها: إنني خائف أن يكون هذا الملك الذي يحل بها ويجدد أسوارها ويعمر أسواقها ويؤخذ منها. فوقع الأمر كما ذكر في سنة ثمان وخمسين وستمائة الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة.

ابرز آراء الباحثين

١- ابن النديم:

فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست من مذاهب الحرانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة. فأورد حكايتين مطولتين الأولى مكتوبة بخط احمد بن الطيب تلميذ الكندي ، والكندي كما يقول ابن النديم من عظماء الفلاسفة وأفذاذ المفكرين كان يعرف السريانية واليونانية والهندية والفارسية لذا فان ما ورد في حكايته يطابق ما نجده في الكتابات المندائية ولا سيما فيما يخص الأيمان بالله واليوم الآخر قال ابن النديم (حكاية من خط احمد بن الطيب في أمرهم حكاها عن الكندي: اجتماع القوم على أن للعالم علة ولم

يزل. واحد لا يتكاثر لا يلحقه صفة شيء من المعلولات كلف أهل التمييز من خلقه الإقرار بروبيته وأوضح لهم السبيل وبعث رسلا للدلالة وتثبيتا للحجة أمرهم أن يدعوا إلى رضوانه ويحذروا غضبه ووعدوا من أطاع نعيما لا يزول ووعدوا من عصى عذابا واقتصاصا بقدر استحقاقه) وتستمر الحكاية بان دعوة هؤلاء القوم كلهم واحدة وسنتهم وشرائعهم غير مختلفة وأن قبلتهم واحدة فقد صيروها لقطب الشمال وقصدوا بذلك البحث عن الحكمة وأن المفترض عليهم من الصلاة في كل يوم ثلاث ولا صلاة عندهم إلا على ظهور والمفترض من الصيام ثلاثون يوما وعليهم الغسل من الجنابة وتغيير الثياب ومن مس الطوامث ويتركون الأختتان ولا يحدثون على فعل الطبيعة حدثا ويتزوجون بشهود وفريضة الذكر والأنثى سواء ولا طلاق إلا بحجة بينة عن فاحشة ظاهرة) وتستمر الحكاية(بأن الثواب والعقاب عندهم إنما يلحق الأرواح ويقولون النبي هو البريء من المذمومات في النفس والآفات في الجسم والكامل في كل محمود ويكون مذهبه ما يصلح به العالم.وقولهم في النفس أنها دراية لا تبديد وأنها جوهر وليس بجسم ولا يلحقها لواحق الجسم) (وقال الكندي أنه نظر في كتاب يقر به هؤلاء القوم وهو مقالات في التوحيد على غاية من الأتقان في التوحيد لا يجد الفيلسوف إذا اتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها)، أن حكاية الكندي هذه توضح أن صابئة حران هم قوم موحدون وهم كصابئة جنوب العراق المندائيين يؤمنون بالله وباليوم الآخر. وتتفق مع مضمون الآيات القرآنية وهذا يضعنا أمام حقيقة أخرى أن صابئة حران هم أخوة في الدين مع صابئة البطائح في جنوب العراق على الرغم من وجود أقوام انتحلت هذه التسمية في حران^(١).

(١) صابئة منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دكتور احمد العدوي، ط١، مصر، ٢٠١٢.

ثم يذكر ابن النديم الحكاية الثانية التي ترجع إلى زمن المأمون وهي منقولة عن أيشع القطيعي النصراني أراد بها الإساءة إلى صابئة حران وعموم الصابئة فلفق الكثير من الأفكار ودس العديد من التهم التي لا تمت إلى الصابئة بصلة وذلك بدافع الحقد والضعينة حيث كان البلاط العباسي يزخر بالعلماء والأطباء والفلكيين والمترجمين والأدباء من الصابئة المندائيين ، وقد أشار العالم العربي المعروف البيروني في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ما ذكره بعضهم عن الصابئة يقول(حكي عنهم ابن سنكلا النصراني في كتابه الذي قصد فيه نقص نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل ، ونحن لا نعرف عنهم إلا أنهم أناس يوحدون الله وينزهونه كما تحدث الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) عن الصابئة لا سيما عن الجانب المتعلق بالمعرفة أو العلم الإلهي ويشير إلى ان الصابئة يوحدون الله تعالى وتشتمل عقائدهم على تلقي المعرفة العليا الإلهية بواسطة الروحانيات . ويجري بينهم وبين الأحناف مناظرة كانت تدور حول الروحانيات التي يتعصب لها الصابئة ويتعصب الأحناف للماديات ويقول عن فعل الروحانيات والملائكة يستمدون القوة من الحضرة القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية ثم يذكر ان الصابئيين كلهم يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت وحرموا أكل الجزور والخنزير ومن الطير كل ماله مخلب وأمروا بالتزويج بولي أو شهود ولا يجوز الطلاق إلا بحكم حاكم.

٢- من كتاب أبي عيسى المغربي:

قال: أمة السريان هي أقدم الأمم، وكلام آدم وبنيه بالسرياني، وملتهم هي ملة الصابئين ويذكرون انهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ولهم كتاب يعزونه إلى شيث ويسمونه صحف شيث يذكر فيه محاسن الأخلاق مثل الصدق والشجاعة والتعصب

للغريب وما أشبه ذلك ويأمر به ويذكر الرذائل ويأمر باجتنابها وللصابئين عبادات منها سبع صلوات منهن خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلاة الضحى والسابعة صلاة يكون وقتها في تمام الساعة السادسة من الليل وصلاتهم كصلاة المسلمين من النية وأن لا يخلطها المصلي بشيء من غيرها ولهم الصلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود ويصومون ثلاثين يوماً وان نقص الشهر الهلالي صاموا تسعاً وعشرين يوماً وكانوا يراعون في صومهم الفطر والهلal بحيث يكون الفطر وقد دخلت الشمس الحمل ويصومون من ربع الليل الأخير إلى غروب قرص الشمس ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت أشرافها والشمسة المتحيرة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد.

ويعظمون بيت مكة ولهم بظاهر حران مكان يحجونه ويعظمون أهرام مصر ويزعمون ان أحدها قبر شيث بن آدم والآخر قبر إدريس وهو حنوخ والآخر قبر صابي بن إدريس الذي ينتسبون إليه ويعظمون يوم دخول الشمس برج الحمل فيتهادون فيه ويلبسون أفرح ملابسهم وهو عندهم من أعظم الأعياد لدخول الشمس برج شرفها^(١).

٣- يشير البيروني:

وهو من مؤلفي العرب المشهورين، إذ قدم تقريراً عادلاً في كتابه الذي يقول فيه انهم يعتقدون بالوحدانية ويصفون الله منزهاً عن كل باطل ويستعملون في وصفهم النفي فيقولون انه غير محدود، غير مرئي، لا يخطأ، ليس ظالماً، ويسمونه بالأسماء الحسنی مجازاً فقط لان الوصف الحقيقي له غير مسموح به دينياً وهم يعزون حكم العالم للكون السماوي وأجرامه التي يعتبرون فيها كائنات حية تتكلم وتسمع، كما للنار عندهم اعتبار أثناء طقوسهم التي تؤجج في خوان من طين ((ليذكي فيها البخور لأجل رائحته ولشي قطعة سمك وفطيرة أثناء الزواج - المؤلف)) ولهم ثلاث صلوات عند الشروق وفي الظهيرة

(١) ماتبه حران توحيد الورزي، الطبعة الاولى، الرابط محمد عبدالحميد، سورية ٢٠١١.

وقبل الغروب وصلاتهم يسبقها الوضوء والأغتسال كما يغتسلون من الجنابة ولا يختنون أما تعاليمهم بشأن المرأة والعقوبات فهي شبيهة بتعاليم المسلمين أما التي تتعلق بالنجاسة لدى لمس الميت فشبيهة بتعاليم التوراة.

٤- وقالت في الحرائين (مسز ليدي دراور)^(١):

واتخذت آل زهرون مثلاً لها... إذ قالت ان وجود اسم زهرون من بين أسماء فلاسفتهم في البلاط العباسي يمكن أن يقوم دليلاً على صلة الحرائيين بالصابئين الحقيقيين المندائيين... فزهرون هو أحد (ملائكة) النور لدى المندائيين كما ينتمون إلى هرمس (إدريس) ويقولون انه أحد أنبيائهم... ((يمكنني أن استنتج من انهم مندائيون على شريعة سماوية حين قال المحسن لابنه هلال الصابئي عند اعتناقه الإسلام حسب القصة التي سيرد ذكرها في بحث هلال الصابئي حيث قال له يا ولدي اكنم ما أنت عليه وأد فرائض الصلاة سراً إذ ليس من السهل التحول من شريعة إلى شريعة وهنا الشريعة لا تطلق إلا على الشرائع السماوية فقط ود أكد الشيخ عبد الله الشيخ سام انهم ناصورائيين مندائيين وآل قرّة أيضاً.. كما قلت إننا آل زهرون الصغير الحاليين من أسلافهم والذي ممكن أن يعمد منا عالم ديني.

٥- قال ابو سليمان السجستاني (٣٧٠هـ-٩٨١م) :

" كان ثابت بن قرّة من الصابئة، وله براعته في علوم الاوائل، رأسمال كثير ورياسة عظيمة في الصابئة. وقد رأيت له عدة كتب مصنفة في مذهبهم، هي عمدتهم الان. وقد بلغ من جلالة قدره، وعظم محله في العلم، ان جعل كالمتوسط بين يحيى النحوي وبرقلس... وقد اجتمعنا ليلة عند الملك. ابي جعفر بن بابويه في سجستان، فجرى حديث

(١) تاريخ الصابئة المندائيين العرب البائدة، عبد الفتاح الزهيري، ط١، العراق، ٩٨٣م.

فلاسفة الاسلام. فقال الملك : ما وجدنا فيهم - على كثرتهم - من يقوم في انفسنا مقام سقراط، او افلاطون ، او ارسطو طاليس.

ف قيل له: ولا الكندي؟. قال: ولا الكندي، على غزارة علمه، وجودة استنباطه. رديء اللفظ، قليل الحلاوة، متوسط السيرة، كثير الغارة على حكمة الفلاسفة، الا ثابت بن قرة فهو الزم لقطب الفلسفة واشد اعتناقاً لهذا الفن، ثم جميع الناس يتقاربون بعدهما في هذا النص قدر كبير من الصواب ، وتقييم لفلسفة ومكانه ثابت.

-فهو المقدم على فلاسفة الاسلام في عصره.

-وهو المعبر عن العقيدة الحمرانية.

٦- قال ابو فرج ابن العبري (المتوفي ١٢٨٦) :

لثابت بن قرة مصنفات في التعليمات الرياضية والطب والمنطق وله تصانيف في السريانية فيما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة والنجاسة وتقديم القرابين وما يصلح من الحيوان للضحايا، وما لا يصلح وفي اوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة. واقوالهم قريبة من اقوال الحكماء الالهيين في التوحيد وهي على غاية التقانة.

٧- قال ابن وحشية :

"واما هذه الطائفة ايضاً [يعني الحمرانية] فأنها لم تطلع احداً من الامم شيئاً من الاسرار الخفية والذخائر الهرمسية ، بل كانوا يتداولونه بينهم جيلاً جيلاً إلى يومنا هذا".

٨- قال ابو اسحاق الصابي:

" ونحن واسلافنا - رحمهم الله - منذ دهر طويل نقاتل القضاء والقدر في استبقاء هذه الثميلة الضعيفة ، والدماء القليل ". وسبيلنا ان نصبر ونثبت "

٩- ميمثل تارديو :

"يعتقد بأن صابئة حران لم يكونوا يعبدون النجوم كما تصورهم المصادر السريانية ، وان ديانتهم كانت ذات طابع غنوصي^(١) ، واستنادا إلى رواية المسعودي السابقة ميز تارديو بين عامة الصابئة الحرانية".

(١) صابئة حران وصابئة القرآن ، ٤٢-٤٣ .

المبحث السادس

أوجه التشابه و الاختلاف بين الصابئة المندائيين والحرانيين^(١)

أكدت الباحثة الانكليزية الليدي دراور التي عاشت فترة طويلة في جنوب العراق تدرس التراث المندائي، قالت: في جملة ما أورده المؤلفون العرب من روايات يوجد بها قدر لا بأس به من الحقيقة، وهو أن لدى الحرانيين ما يشتركون به مع الصابئة المندائية، الذين يسكنون أهوار جنوب العراق.

ثم ذكرت الليدي دراور اشتراك النحلتيين، إذ أوضحت أنّ النجوم والكواكب تحتوي على مخلوقات حية، وأرواح ثانوية، لأمر ملك النور، وانها تتحكم بمصائر البشر، ويصاحب هذه الأرواح الخيرة أضدادها من الأرواح الشريرة. ففي فلك الشمس، ينتصب (شامش) إله الخير النافع، ورمز الخصب والخضرة، ومعه الروح الشرير المهلك (أدوناي) إله الظلمة مع أرواح نورانية أخرى حارسة، وتوصلت الليدي إلى أن اعتقاد كلا الطائفتين، يقوم على ثلاثة أمور جوهرية، والصواب انه لا اتفاق بين الطائفتين في الأمور التي ذكرتها الليدي دراور.

١- الماء الجاري (يردنا) رمز الحياة العظمى:

للماء في الدين المندائي دور هام فمن يعتمد يقترب من الله ليغفر ذنوبه، ويحفظه من الأرواح الشريرة. وبالماء الجاري يتم دخول الحدث إلى المذهب ويحق له دخول المندى. وشعارهم الديني (من يعتمد بالمعمودية يسلم).

أما الحرانية فهم وإن كانوا يقصدون الماء الجاري مسكن الأرواح الخيرة إلا أن الخلاص عندهم يرتبط بالمعرفة الإلهية، وعلى التجربة الروحية، التي من خلالها يتحد

(١) صابئة حران واخواننا الصفا، محمد عبد الحميد.

الفرد بالإله، الكامل ويصبح مثله. ولا دور للمياه والعمادة في خلاصهم كما هو الحال عند المندائية.

٢- خلود النفس (نشمتاً):

كل الديانات تقول بخلود النفس، إذ كان المندائيون يرون أن للروح صلة بالنفس، بل إن النفس تعيش على صدقات الأهل والقربان التي تقدم للموتى (الوفاني) قبل انتقالها إلى عالم القدرة (عالم الأفلاك).

أما الحرانية، فالروح عندهم لا تتأثر بالصدقات، لأنها تنتقل من جسد إلى جسد آخر وتعاني قبل أن تتطهر. وان القربان، التي تقدم للآلهة تفيد الأحياء لا الموتى.

كتب ثابت بن قرة الحراني رسالة عن النفس بعد الموت قال فيها: إن من يتصرف تصرف البهية في الحياة، فان نفسه حالة في جثة الحيوان. وهذا الاعتقاد استفاده ثابت من الفكر الفيثاغوري. قيل إن فيثاغورس مرّ بقوم يضربون كلباً فعرف من عوائه ان صوته يشبه صوت صديق له مات منذ مدة. فصاح بهم كفى.

٣- الخضوع لما يقول الكهنة الموكلون بالكتب المقدسة:

يخضع الصابئة لرؤسائهم الذين يقومون بحل قضاياهم بدلاً من السلطة الزمنية. فهم يعمدون الأطفال، ويعقدون القران، ولا يوجد طلاق يقوم به رجل دين في المندائية، ويكفنون الموتى، ويترحمون على الميت، من خلال اعتمادهم على الكتب المقدسة، وأهم هذه الكتب عند المندائية.

١- كتاب الكنز ربا الكتاب المقدس الذي انزل على الانبياء الصالحين (آدم، شيت،

أدريس، نوح، سام، يحيى): وفيه أحكام الدين المندائي، وأسطورة خلق العالم، ترجم الكتاب إلى الألمانية عام ١٩٢٥ من قبل المستشرق ليدزبارسكي.

٢- كتاب سيدرا إد نشماتا أي (كتاب الانفس): وفيه كيفية إقامة الشعائر الدينية، ترجمته إلى الانكليزية الليدي دروار.

٣- كتاب أدراشا أديهيا أي (تعاليم يحيى): يحتوي على تعاليم ووصايا النبي يحيى (ع) . منها:

- يكمن سر السعادة، في أن لا تكون كذاباً أو منافقاً.

- من يعمل خيراً، يرى خيراً.

- الويل لعالم لم يُعلم شيئاً، من علمه للآخرين.

٤- كتاب التعميد (سيدرا إد مصبوثا): ترجمته الليدي دروار إلى الانكليزية.

٥- كتاب العبادات (انياني): يتضمن كيفية الصلاة (البراخا) والصوم، وكيفية الطهارة.

٦- كتاب الزواج (قلستا): يحتوي كيفية شعائر الزواج، وشروط الطلاق.

٧- سفر ملواشه: وفيه تحديد لطالع الغيب وتحديد أفضل أوقات العمادة، والزواج والسفر، والطبابة، وهو مجموعة تعاليم لقارئ الحظ (كصوما) وتحذير من عمل الساحر (كلدايا).

٨- كتاب حران كوثيرا: أي حران السفلى، وفيه تاريخ الصابئة المندائية وهو أقرب إلى القصص. وفيه ذكر لحكمائهم السبعة. وتنقلهم من أرض فلسطين إلى حران ومنها إلى بلاد ما بين النهرين. وفي الكتاب ذكر وصول العرب إلى العراق، زمن رئيسهم (انش بن دنقا) الذي تفاوض مع سعد بن أبي وقاص، وأخذ منه عهد الأمان، وأدوا الجزية، عند جبل (أرساي). ولا زالوا إلى اليوم يدعون في صلاتهم ((أيها المسلمون لا تتراجعوا عن عهدكم، الذي عاهدتم الله عليه)). فالمندائية حصاد ثقافة بيئة فقيرة في معطياتها الحضارية، لذا لم يكن لهم أي تأثير على الشعوب المجاورة.

وعلى العكس من ذلك فالحرانية وريثة ثقافة عريقة فيها من حضارة الكلدان والآراميين واليونان والعرب، وعنهم ظهر كبار أمثال ثابت بن قره الحراني وأبو روح الصابئي ومحمد بن جابر البتاني المعروف لدى الغرب ببطليموس العرب، وأبي إسحاق الصابئي شيخ كتاب عصره.

قال العلامة حسين مروة: (لعب علماء مدرسة حران دوراً بارزاً في نقل الفلسفة والعلوم اليونانية إلى العربية). حقاً هناك بعض النقاط التي تجسد تشابهاً في الممارسات الدينية بين الفرقتين، تتمثل في الاحتفال ببعض الأعياد التي لها سمات مشتركة بين الطائفتين كالاحتفال بعيد تموز، وهناك أيضاً بعض نواحي التشابه في تحليل ألوان معينة من الطعام عند كلتا النحلتيين وتحريمها كما رأينا من قبل، لكن هذه التشابهات يمكن ردها إلى التراث البابلي المشترك بين كلتا الطائفتين، أو إلى التأثيرات الغنوصية التي تسللت إلى كلتا النحلتيين في ظروف تاريخية مختلفة.

وربما يكون العامل الحاسم في هذا الصدد هو شكوى أبي إسحاق الصابئي - وهو الحراني المتشدد في دينه - من ذلك الفراغ الديني الذي تشكوه طائفته ببغداد نتيجة غياب رجال الدين، وقد تكون هذه الأسطر القيمة التي دونها أبو إسحاق من الأهمية بمكان عند دراسة ارتباط العقائد المندائية بمثلتها الحرانية، يقول أبو إسحاق في رسالته إلى نمر بن حكيم بن يحيى الزعيم الروحي للحرانية بحران: ((... وبالله لو كنا - معشر أهل هذا الدين قطيعاً من غنم، أو سرحاً من نعم، حتى نخلو من رعاة وحفظه تحفظنا!! ولما جاز أن يجمع الله منا أي بين، ولا يصلح لنا ذات بين، فكيف ونحن أمة - وإن قلّ عددها - لا بد أن تفرض فيها الوصايا، والمواريث، والمنازعات، والمداينات، والمناكحات، والمخالطات، والحاجة إلى تربية اليتامى، وتزويج اليتامى، وارفاد الضعفاء، ومواساة الغرباء، وإقامة الصلوات، وجباية الصدقات، وعمارة

المساجد، وإحياء السنن، ونظرية الرسوم، وتعييد الأعياد، وتثبيت الدين في قلوب أصاغر ما عرفوا فضله وأكابر قد استثقلوا حمله)).

يبدو واضحاً في تلك الأسطر – وبشكل جليّ – ذلك الفراغ الروحي الذي تشكوه طائفة الحرثانية ببغداد نتيجة غياب رجال الدين والكهنة، وقد يجدر بنا التساؤل؛ إذا كانت الفرقتان حقاً نحلة واحدة فلماذا يشكو أبو إسحاق الصابئ هذا الفراغ الروحي نتيجة غياب رجال الدين؟! في الواقع لن يستقيم فهم حديث أبي إسحاق الصابئ في ضوء اعتبار كلتا الطائفتين فرقة واحدة، وعلى هذا فإننا أقرب إلى التعاطي مع التيار الداعي إلى اعتبار كلتا النحلتين ملتتين منفصلتين.

رغم ذلك فهناك عدداً من الشواهد التي يستعصي فهمها في ضوء اعتبار كل من المندائية والحرثانية فرقتين دينيتين مستقلتين كل عن الأخرى، من هذه الشواهد اسم (زهرون) جد أبي إسحاق الصابئ، على الرغم من أن أبا إسحاق الصابئ حرثاني الأصل هاجرت عائلته من الرقة إلى بغداد وولد هو نفسه بعيد تلك الهجرة، فان اسم جده (زهرون) يستوقف النظر، فهذا الاسم مندائي صرف، وهو اسم أحد ملائكة النور في العقائد المندائية، فطبقاً للأساطير المندائية يستقل هذا الإثري (الملاك) بصحبة (شامش) (الملك الموكل بحفظ الشمس) فلك الشمس كل صباح وحتى غروب الشمس، ولا يمكن تفسير هذا التشابه في ضوء افتراض وجود مجال قوي للتأثير والتأثر في بيئة جنوب العراق حيث اختلط المهاجرون الحرثانية بالمندائيين المستوطنين بها. وذلك ببساطة لأن زهرون الجد كان حرثانياً قد عاش ومات بحران، قبل هجرة أحفاده إلى قصبه الخلافة العباسية بزمن طويل.

يعد أسلام هلال بن المحسن الصابئ حفيد أبي إسحاق الصابئ – الذي أسلم وحسن إسلامه، إذ أشارت المصادر إلى أن تزوج امرأة مسلمة وأنجب منها ولداً ذكراً أسماه محمداً غرسي النعمة، وقد استغربت الأوساط الإسلامية طبيعة ذلك الاسم، وفسره

البعض بأنه كالاسم المصحوب بلقب، تماماً كما استوقف دارسي المندائيات، إذ إن غرس النعمة هذه ربما كانت ترجمة عربية دقيقة للقب مندائي صرف وهو (شيتل طابا) وهو لقب يطلقه المندائيون على شيث بن آدم^(١).

ومن العجيب ان أبا إسحاق الصابئ - وهو الحراني الأصل - قد دُفن على الشعائر المندائية، فقد نقل لنا الشريف الرضي (ت ١٠١٥/٥٤٠٦م) في قصيدته التي رثا فيها أبا إسحاق الصابئ مشهداً فريداً لجنازته، يستنتج من خلاله ان أبا إسحاق الصابئ قد دُفن وفقاً للشعائر الدينية المندائية التقليدية كما رأينا من قبل، بل وربما على أيدي رجال الدين المندائيين أنفسهم، طالما انه كان دائم الشكوى من عدم وجود رجال دين حرانية ببغداد.

وهناك أيضاً بعض نواحي التشابه الأخرى بين كلتا الفرقتين، منها على سبيل المثال ذلك التأثير الغنوصي المتفاوت الأثر في كلتا النحلتين، والمتمثل بالإيمان بوجود الوسائط بين الباري وخلقه، وقيام كلتا النحلتين على أساس غير تبشيري، وباطنية كلتا النحلتين، وترتيب الكهنوت في كليهما، كما أن كليهما تفران بحتمية حفظ أسرار الديانة وفق نظام صارم، إذ يحرم فيه على العامة الاطلاع على أسرار الدين، ولا يجوز لرجال الدين أنفسهم من المعرفة إلا على قدر رتبهم التي ارتقوا إليها في سلك الكهنوت، ويحصر الكلام في الدين وممارسة الشعائر الدينية على طبقة الكهنة ورجال الدين فقط، وكلتاهما تتشابهان أيضاً في إقرارهما بحظر إطلاع الأغيار على دقائق الدين، ووجوب حفظ الكتب المقدسة بعيداً عنهم.

وليس أمانا بإزاء تلك النقاط التي تبقى مستعصية على الفهم إلا افتراض وجود مجال مشترك من العقائد ونقاط تماس عديدة بين كلتا النحلتين، تنظر كلتاهما إلى الأخرى

(١) الدكتور احمد العدوي، الصابئة منذ ظهور الاسلام وحتى سقوط الدولة العباسية، ط١، القاهرة، ٢٠١٢.

نظرة الأخوة في الدين حسبما جاء في كتاب حران جويثا حتى وان بدت هناك بعض الاختلافات الجوهرية بينهما. فالفقرات التي نقلها ابن العبري عن ثابت بن قرة وحديثه عن الصابئة المنتشرة في الدنيا كقيلة بتوضيح ان الحرانية كانوا يقرون بوجود فرق أخرى تشاركهم المعتقدات ذاتها منتشرة في أنحاء المعمورة، وان الحرانية - من وجهة نظره - كانوا هم الوارثون والمورثون لاعتقادات الصابئة في الأرض.

وفي المندائية هناك ما يوازي اعتقاد الحرانية في وجود إخوة لهم ينتحلون ديناً قريباً من دينهم، ففي ديوان حران جويثا نفسه عبارة ملفتة للنظر، ففي معرض حديث الناسخ عن الناصورائي قال ما نصه: ((كانت الأقوام تتجزأ واللغات تتعدد) ويردف بقوله: ((حتى لغات الناصورائيين قد تضاعفت))، فهل نستنتج من هذا أن المندائيين عاملوا صابئة حران كناصرائيين مثلهم، حتى وإن خالفوهم في الطقوس والاعتقادات؟ وهل اعتقد كل من المندائيين والحرانية أن جوهر النحلتيين واحد في نهاية الأمر؟

ورغم أننا لا نستطيع أن نحيط بشكل واضح بطبيعة العلاقات الاجتماعية التي ربطت بين المندائيين والحرانية، وهل قويت إلى مرحلة الزواج والمصاهرة، أم توقفت عند حد الاستعانة بالكهنة منهم لإجراء الطقوس الدينية كحل عملي لغياب رجال الدين الحرانية، مع ذلك فورود اسم أبي سعيد المندائي كأحد المصادر الرئيسية التي استقى منها غرس النعمة بن هلال الصابئ مادته في كتابه الهفوات النادرة توضح لنا أن الحرانية كانوا يختلطون بالمندائيين ويحضرون مجالسهم العلمية، وينقلون عنهم.

لا يمكنني الجزم بشكل بات وحاسم في قضية وحدة الطائفتين، مع ذلك فانني أقرب إلى الشك في وجود علاقة إثنية أو دينية ما بينهما، لكن هذا لا يمنع من ان كلتا الطائفتين نظرنا إلى بعضهما على انهما أتباع ديانة واحدة في جوهرها، وذلك بغض النظر عن التباين في العقائد والممارسات الدينية. ومع ذلك الموقف المبدئي فانني أعول أن تساعد الاكتشافات الأثرية في المستقبل في دفع النقصي في تلك القضية إلى الأمام باستئناف

التنقيب في موقع حران الأثري وما حوله ، والعثور على بعض الكتابات الدينية للحرنانية والتي يمكن أن نقف من خلالها بجلاء على طبيعة موقف الحرنانية الديني ، كما آمل في أن يكتشف الآثاريون موقع مدينة الطيب الغامضة ، وأن يستأنف التنقيب في نواحي ميسان لاكتشاف طبقات دستميسان الأثرية. والأمل ليس ببعيد أن يظهر إلى النور – مجدداً – عدد من النصوص سواء كانت مندائية أو حرنانية من شأنها أن بشكل أكبر عن طبيعة العلاقة بينهما.

وللأسباب نفسها التي اعتقد الحرنانية بوجود كتمان المعتقدات من أجلها، إذ تحدث إخوان الصفا صراحة عن أسباب كتمانهم لأسرارهم بقولهم إنهم لا يتكتمون أسرارهم ولا يبوحون بأسمائهم خوفاً من سطوة الملوك ذوي السلطة، ولا حذراً من شغب جمهور العوام ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل ويروون في ذلك قولاً مأثوراً عن المسيح (عليه السلام) وهو: (لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوا أهلها فتظلموهم). يلخص جوهر إيمان إخوان الصفا بقاعدة (الضن بالعلم على غير أهله)، وإذا قارنا ما ذكره إخوان الصفا في سبب حجبهم لأسرارهم مع ما ذكره ابن وحشية عن كتمان الحرنانية لأسرارهم خوفاً على تلك الأسرار كيلا تضيع مع من هم من غير أهلها من أولاد السفلة وفساد العالم وخرابه على حد قوله، فإنه لا بد وأن نشعرنا تلك التقاليد المشتركة بوجود جسر قوي تسللت من خلاله عقائد الحرنانية إلى إخوان الصفا.

هناك أيضاً معتقدات تشارك فيها إخوان الصفا مع الحرنانية^(١)، منها ذلك الأثر القوي للفيثاغورية والتي اعتنقها فلاسفة الحرنانية من الطبائعيين والتي تتعلق بالقيمة الروحية للعدد، وطبيعة الأعداد وعلاقتها بحقيقة العالم المادي، فأول ما يلفت النظر في رسائل إخوان الصفا هو حرصهم على افتتاح رسائلهم بالقسم الرياضي، وذلك يظهر ما

(١) الدكتور احمد العدوي، الصابئة منذ ظهور الاسلام وحتى سقوط الدولة العباسية، ط١، القاهرة، ٢٠١٢.

أولوه للأعداد من اهتمام في فلسفتهم التي أعلنوها، فقد اعتبروا العدد أصل الموجودات، ورتبوه على الأمور الطبيعية والروحانية وهو ما يمثل تبنيًا حقيقياً لمبادئ الفيثاغورية، وهو ما سبق ولاحظه الغزالي. وتقدير إخوان الصفا لفيثاغورس وللفيثاغورية من مساواتهم بين هرمس الحكيم - نبي الحرنانية - وبين فيثاغورس في قدسية الروح وصفائها والاطلاع على أسرار الكون.

– بعض التشابهات المهمة بين الصابئة في حران والصابئة في البطائح:^(١)

- الصابئة في حران يجيدون اللغة الآرامية، وكانت لهجتهم أفصح اللهجات الآرامية.. وهذا ينطبق على اللغة التي يتحدث بها المندائيون الآن والتي كتبت بها كتبهم المقدسة وغيرها من أدبياتهم وأشعارهم.. وهي (أقصد اللغة المندائية) إحدى اللهجات الآرامية^(٢).
- لديهم من الصلوات ثلاثة، وهي الواجبة يومية (صباحاً، ظهراً عصرًا)، ولا تتم إلا بعد الاغتسال أو الوضوء.. وهذا يشابه ما لدى الصابئة المندائيين الآن بما يعرف بـ(الرشاما والبراخا) وهي الصلاة الفرضية الواجبة والرسمية في أوقاتها الآنفة الذكر^(٣).
- الحرانيون يدفنون الميت... ويحرمون اللطم والبكاء والحزن على الميت، لأن هذه الأفعال سوف تعيق النفس في معراجها، ويحرمون الانتحار.. والمندائيون أيضاً يقومون بدفن موتاهم باتجاه الشمال ويحرمون الحزن والطم والبكاء وإيذاء الجسد على الميت، تحريماً قاطعاً، لأن هذه الأفعال تؤدي إلى عرقلة مسير النفس (نشمتا) إلى عوالم النور من قبل الأرواح الشريرة.

(١) معجم الادباء ياقوت الحموي.

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي.

(٣) صبح الاحشى للقشلندي.

- الحرائيون يقدسون المياه الجارية الحية، ويعتقدون بأنها محروسة من قبل الأرواح الخيرة النورانية.. وكذلك المندائيون يرون ان المياه الجارية الحية (اليردنا) مهمة في عملية الخلق والتكوين ومهمة في ولادة الإنسان في طقس التعميد (مصبتا)، ولا ننسى بأن اليردنا الأرضية محروسة من قبل اثنين من الكائنات النورانية الأثيرية وهما (شلمي وندبي) ^(١).
- الطائفتان تتشابهان في مسألة الإيمان بخلود الأرواح، وان أرواح الأفراد لها صلة بأرواح أسلافها وتعاني قبل أن تتطهر، إلى أن تتحد بالجسد النوراني في ملكوت الله.. وأصلاً ان عيشة الإنسان المندائي المؤمن (المتهمين) هي للحياة الأخرى في عوالم النور وليست للحياة الأرضية، ويجب أن تعود النفس (نيشمثا) إلى علة الوجود (الخالق) بدورة كاملة، لأنها نفحة من ذاته العظمى.. ولكن يجب أن يتم لها التطهير الكامل من الشوائب التي علقت بها أثناء حياتها الأرضية، لكي ترجع هذه الجوهرة (كيمرا) صافية نقية كما خلقها الحي (هيي)، فلذلك يجب أن تدخل في أماكن العقاب والتطهير المسماة (المطراشي)، وبعد أن يتم ذلك، تتحد النفس (نيشمثا) مع جسدها النوراني (دموثا) أي الشبيه النوراني الذي لا يتكون من اللحم والدم ^(٢).
- الحرائيون يخضعون إلى رؤسائهم الدينيين بدلاً من السلطة الزمنية في حل قضاياهم الدينية والديوية.. وكذلك يخضع المندائيون إلى رؤسائهم الدينيين لحل مشاكلهم أو لأداء المراسيم الدينية ^(٣).
- قبلتهم واحدة وقد صيروها نحو جهة الشمال، لاعتقادهم بأنها مركز علة الوجود.. إن الاتجاه الرسمي الذي يتجه به الإنسان المندائي أثناء أداء طقوسه وواجباته

(١) معجم الادباء ياقوت الحموي.

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي.

(٣) صبح الاحشى للقشلندي.

- الدينية، هي إلى جهة الشمال المسماة (اواثر)، وما النجمة القطبية (نجمة الشمال) التي اتهم بعبادتها الصابئة المندائيون سواء في حران أو في بطائح وادي الرافدين، فهي ليست سوى دليل وإشارة وطريقة علمية لمعرفة اتجاه الشمال، وبالتالي معرفة اتجاه مكان بوابة اواثر أي بوابة الرحمة لللكوت الحي (بيت هبي).
- لديهما الوضوء في الماء الطاهر المطهر، وتتنهران من الجنابة وعند الاتصال الجنسي ومن لمس الميت، كما يعتزلون الطامثة.. وهذا ما تنص عليه العادات والتقاليد المندائية.
 - يحرمان أكل إناث البقر والضأن والحوامل من الحيوانات، وهو نفس تحريم المندائية لها.
 - الطائفتين يتفقون في لا يتم الزواج إلا بولي وشهود، ولا يقرون مبدأ تعدد الزوجات، ولا يسمحون بالطلاق أو هو محرم إلا في حالات خاصة جداً.
 - عند الطائفتان يتم عقد القران(المهر)كاهن اما إذا كان لامرأة(تثيب) كاهن اخر خاص اقل مرتبة من الكاهن.
 - الطائفتان يحرمان لبس اللون الأزرق والأسود، ولباسهم المفضل الثياب القطنية البيضاء.
 - الطائفتان تقدمان الطعام من أجل راحة نفس الميت ولمدة ٤٥ يوماً.
 - يتفق الطائفتان في انهما يستعدان لتجهيز الميت قبل خروج الروح من الجسد، لأن الروح لا تتطهر إذا لم تخرج من بدن طاهر، لذلك يجب غسل المحتضر، وإلا تعذر تطهيره بعد موته.
 - كما يتفقان على أن يحمل نعش الميت أربعة رجال انحدروا من عائلة ليس لديهم نسل ابرص او مقطوع جزء من اعضاء الجسم لأحد الابوين واجدادهم او منحدرين من جدة او ام عزباء مؤمنة منذ ثلاثة أجيال.

- وكذلك تتفقان في انهما تقدسان الطبيعة بكل أشكالها، وواضحة في مفاهيمهم وطقوسهم التي تدعو إلى الرجوع إلى الطبيعة.
- لديهم أعياد تقام في مواعيد معينة، يذهبون بها للاغتسال في المياه الجارية، طلباً للطهارة وغفران الخطايا وهذا ما تتصف فيه الطائفتان.
- يجتمعون في تقديسهم لنبات الآس (الياس) المستعمل في طقوسهم وخاصة في أكاليلهم وهم.
- على في أيام معدودة متفرقة من السنة، إذ يمتنعون فيها عن أكل اللحوم.
- يجتمعون في تسمية الله في لغتهم بـ(مارا اد آلا) أي رب الكون.
- لا يأكلون أي شيء غير مذبوح بالطريقة الإيجابية، أي كل حيوان ميت بسبب مرض أو حادث أو لم يكن مذبوحاً على مراسيم الذبح الخاصة.
- على الطائفتان يتجنبان ويحرمان الختان (الطهور) فهم لا يعملون أي تغيير في عمل الطبيعة.
- المرأة مساوية للرجل في متابعة قوانين الدين وتستلم نصيباً مساوياً للذكر في الميراث.
- الحرانيون يعتبرون ان بعض الأمراض التي تصيب الأنسان غير نظيفة مثل الجذام وهو الأكثر نجاسة، وهذه الأفكار موجودة عند أديان أخرى مثل اليهودية.
- هذا بالإضافة إلى الكثير من التشابه الكبير في الأفكار والفلسفة واللاهوت الديني، وفي النظرة اللاهوتية للرب العظيم ووجوده وكيونوته.

وهناك فرقتان شذت عن ديانة الصابئة الحرانية التوحيدية وهما :

١- فرقة الهياكل:

أصحاب الهياكل هم أصحاب الروحانيات وحين عرفوا أن لا بد للإنسان من متوسط ولا بد للمتوسط من أن يرى فيتوجه اليه ويتقرب به ويستفاد منه فزعدوا إلى الهياكل التي هي السيارات السبع فعرفوا أولا بيوتها ومنازلها وثانيا مطالعها ومغاربها وثالثا اتصالاتها على اشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها ورابعا تقسيم الأيام والليالي والساعات عليها وخامسا تقدير الصور والأشخاص والأقاليم والأمصار عليها فعملوا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعوات وعينوا ليوم زحل مثلا يوم السبت وراعوا فيه ساعته الأولى وتختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنعتة ولبسو اللباس الخاص به وتبخروا ببخوره الخاص ودعوا بدعواته الخاصة به وسألوا حاجتهم منه الحاجة التي تستدعى من زحل من أفعاله وآثاره الخاصة به فكان يقضي حاجتهم ويحصل في الأكثر مرامهم وكذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشترى في يومه وساعته وجميع الإضافات التي ذكرنا اليه وكذلك سائر الحاجات إلى الكواكب وكانوا يسمونها أربابا آلهة والله تعالى هو رب الأرباب وإله الآلهة ومنهم من جعل الشمس إله الآلهة ورب الأرباب وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات ويتقربون إلى الروحانيات تقربا إلى الباري عالى لاعتقادهم بأن الهياكل أبدان الروحانيات ونسبتها إلى الروحانيات نسبة أجسادنا إلى أرواحنا فهم الأحياء الناطقون بحياة الروحانيات وهي تتصرف في أبدانها تدييرا وتصريفا وتحريكا كما نتصرف في أبداننا ولا شك أن من تقرب إلى شخص فقد تقرب إلى روجه ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة على عمل الكواكب ما كان يقضي منهم العجب وهذه

الطلسمات المذكورة في الكتب والسحر والكهانة والتنجيم والتعزيم والخواتيم والصور كلها من علومهم^(١).

٢- فرقة (أصحاب الأشخاص):

وأما أصحاب الأشخاص فقالوا إذا كان لا بد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع إليه والروحانيات وإن كانت هي الوسائل لكنا إذا لم نرها بالأبصار ولم نخاطبها بالألسن لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكلها ولكن الهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت لأن لها طلوعاً وأفولاً وظهوراً بالليل وخفاء بالنهار فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه إليها فلا بد لنا من صور وأشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا نعكف عليها ونتوسل بها إلى الهياكل فننتقرب بها إلى الروحانيات ونتقرب بالروحانيات إلى الله سبحانه وتعالى فنعبدهم (ليقربونا إلى الله زلفى) فاتخذوا أصناماً أشخاصاً على مثال الهياكل السبعة كل شخص في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل أعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره وصوره بصورته على الهيئة التي تصدر أفعاله عنه وراعوا في ذلك الزمان والوقت والساعة والدرجة والدقيقة وجميع الإضافات النجومية من اتصال محمود يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعي منه فتقربوا إليه في يومه وساعته وتبخروا بالبخور الخاص به وتختموا بخاتمه ولبسوا لباسه وتضرعوا بدعائه وعزموا بعزائمه وسألوا حاجتهم منه فيقولون إنه كان يقضي حوائجهم بعد رعاية هذه الإضافات كلها وذلك هو الذي أخبر التنزيل عنهم أنهم عبدة الكواكب والأوثان فأصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب إذ قالوا بإلهيتها كما شرحنا وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان إذ سموها آلهة في مقابلة

(١) المل والنحل ، الشهرستاني : ٥١/٢ .

الآلهة السماوية وقالوا(هؤلاء شفعاؤنا عند الله) حاولت رسائل اخوان الصفا والبيروني الدفاع عن العقيدة الصابئة الحرانية عندما قالوا (ان عبدة الاشخاص لا تتعارض مع توحيدهم لله وقال اخوان الصفا ان بدء عبادة الامم للاشخاص أولاً وكانت عبدة الكواكب وبعد عبادة الكواكب كانت عبادة الملائكة وبسبب عبادة الملائكة كان التوسل بهم إلى الله لانهم حكماء والربانيون والعارفون بالله حق معرفته وانقرضوا وخلفهم قوم اخرون ارادوا الاقتداء بهم في سيرتهم واتخذوا اصناماً على مثل صورهم وصور تماثيل على مثل ما فعلت النصارى في بيعهم مثل اشباه المسيح ومريم عليها السلام)^(١) وكان هؤلاء منتشرين ولهم عابد في النبط والفرس والروم والهند والأغريق والصين والاتراك قبل انتشار المسيحية^(٢).

فالصابئة الحرانية موحدون وما هذه التماثيل الاً تقربهم إلى الله زلفى ومن خلال استنتاجات الكاتب من خلال قراءة الفصل الثاني ان الصابئة الحرانين وهم موحدون بؤمنون بالله الواحد والانبياء أما فرقة الهياكل واصحاب الاشخاص وهم فرق شذت عن الديانة التوحيدية لصابئة حران كما هو الحال مع باقي فرق الديانات الاخرى ولكن مع الاسف الشديد فان الكثير من الباحثين حاولوا التضليل عن الحقائق الاصلية التي تثبت ان الديانة الصابئة الحرانية ديانة موحدة وكان معترفاً بها خلال فترة الفتوحات الاسلامية واذكر منها:

(١) رسائل اخوان الصفا .

(٢) الملل والنحل ، الشهرستاني : ٥١ / ٢ .

اولاً: عندما فتحت مدينة حران على يد القائد العربي (عياض بن غنم الفهري) سنة ٦٣٩ م ١٨هـ أمر باخذ الجزية من الحرانيين كونهم اصحاب ذمة وهذا اكبر دليل على انهم موحدون.

ثانياً: اعتراف الحكم في زمن الأمويين لصابئة حران على انهم موحدون وتنصيب ابرز قادتهم ليكون همزة وصل بينهم وبين الدولة واخذ هذا المنصب قرابة ٢٥ شخصية صابئية حرانية ابتداءً من حكم عبد الملك بن مروان وحتى سقوط الدولة الاموية ثم العباسية.

ثالثاً: في زمن الخليفة ابو جعفر المنصور سمح لصابئة حران في ممارسة طقوسهم الدينية بصورة علنية، بينما ظل الحضر على اليهود والنصارى فهذا أن دل على شيء فانما يدل على أن الحرانيين موحدون واصحاب ديانة سماوية^(١).

(١) الصابئة من ظهور الاسلام وحتى سقوط الدولة العباسية، د احمد عدوي، ط ١.

المبحث السابع

عقائد الصابئة المندائيين

أولاً : التوحيد (أيمان المندائيين بالله) ^(١):

ايمان المندائية بالله ...

يؤمن المندائيون بالله جل جلاله على أنه فوق الكائنات والوجود، وهو حي بنفسه أزلي أبدي لا تدركه الأبصار ولا تناله الحواس، وانه منزه عن كل شيء ويؤمن المندائيون أن الله لا أول لوجوده ولا نهاية له، إذ انبعثت من لدنه الحياة وإليه تعود ، وبه تتحد بعد أن تكمل قدرها، وأنه منزه عن عالم المادة والطبيعة، لا يفضي اليه مخلوق، وانه لم يلد ولم يولد، ليس له مثيل، ولا شريك، رب الخير الذي لا ينضب، منتشر القوة، متسلط على كل رغبة ، ويسمى بالمندائية عدة اسماء منها:

"ماري هبي" أي: ربي الحي، وأدليثلي هبره ابتاغي"أي: ليس مثله بتاجه، و"لا شوتافه بشلطاني" ولا شريك بسلطانه، و"ملك راما دنهوره " أي: الملك العالي النوراني، و"ربي قدمايي" أي: الرب الأزلي، ومما جاء في كنزا ربا:

بأسم الحي العظيم

لا أب لك ولا مولود كائن قبلك ولا أخ يقاسمك الملكوت ولا توأم يشاركك الملكوت ولا تمتزج ولا تتجزأ ولا انفصام في موطنك جميل وقوي العالم الذي تسكنه".

(١) تماثل توحيد وتنزيه الله في الإسلام: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ - الإخلاص/ (٣ - ٤).

تعد المندائية أن المعرفة بوجود الحق سبحانه هي أولاً وقبل كل شيء أمر فطري غريزي، وثانياً هي شيء عقلي يدرك بالعقل، وثالثاً هي شيء تجريبي يكمن ايصالها بالحس والإدراك.

التوحيد: "هو الايمان بوجود إله قادر يتصف بصفات الكمال جميعها، فهو واحد لا يشاركه في ملكه أحد، ولا تتدخل مع ارادة، لا شريك له، وأن التوحيد يظهر جلياً من خلال نصوص الكتب المقدسة مثل: كنزا ربا، وكتب الصلوات، والصبغة، والانفس ... وغيرها"، ونرى من خلالها أن الدين المندائي دين رفيع التوحيد يؤمن بالله المنزه العظيم، والمندائية هي الأمة السباقة إلى التوحيد، وأن هذه المسألة ليست مسألة تخمين بقدر ما هي مسألة يقين مدعومة بالقرائن، فالله سبحانه وتعالى ليس له اسم محدد بل يشار اليه بصفات: الحي "هبي"، القديم "قدمايا"، وبذلك ظلت مكانة الله متعالية، ويشير هذا إلى تنزيهه عظيم لله تعالى حتى في الاسماء والصفات حتى حتى بلغ التوحيد غاية مرتقاه، وتؤمن المندائية بأن الله سبحانه وتعالى خلق الوجود من العدم وأحاطت قدرته بكل شيء موجود في السماء والأرض، وأن الاعتقاد بوجود الله غريزة في الإنسان، وجذور هذه الغريزة الأنسانية هي احساس البشر بحاجتهم إلى الرب الخالق، ففكرة الله خالقي وأنا عبده منقوشة في الشعور الأنساني، وهي ميثاق سري مأخوذ على الإنسان منذ يومه الاول، وهو يسري في كل خليه من خلايا جسمه، فالعظيم خالق كل شيء حي، والله مجيد راسخ اله الحق، وقدرته تسع كل شيء بلا حدود الشعاع النقي الضوء الساطع الذي لا انطفاء له، اللطيف الغفور الرحمن الرحيم ومنقذ المؤمنين ومعين الصالحين، التقدير الحكيم البصير الواحد العليم المسيطر، رب

عوالم النور العليا والوسطى والسفلى ، البهاء الذي لا يدرك ، لا شريك له في تاجه ولا شريك له في سلطانه ، وماذل من اعتصم به .

ونرى مدى عمق التوحيد ان لا شائبة ولا نقص ، فالحي العظيم الذي انبعث من ذاته وانبعثت منه الحياة وينقذنا من كل سوء أو شر :

"أنت لا تحد وأبدي لا تنتهي ، إنك أنت الأب وانت الأخ وأنت الأبن ، وأنت المنبع وأنت أصل الحياة العظيمة ، وأنت الاول وانت المستقبل — سيدرا اد نشماتا".

إن صفات الخالق هي بعض الأسماء الحسنى التي تصل عند المندائيين إلى (٣٦٠) أسماً^(١) ، وهي مقاربة لعد أيام السنة ، وتعبّر عن صفات الخالق ومنزلة الأنسان بين مخلوقاته ، هذه الترتيلة (البوثة) ، وهي مقاربة الحسنى في القرآن الكريم ، وهذه الترتيلة تضم (٧١) ومنها :

"مسيح الرب ومزكاة ذاته ، رب العوالم كلها ، مسيح مبارك ومسيح معظم ، ذو الوقار ، القيوم الإله الرب العلي ، سبحانك ملك الأنوار العلية ، الله الحق القوي المتفرد ، اللامحدود ذو النور الزكي ، النور العظيم الباقي ، الغفور التواب ذو الرأي والرحمة ، مخلص كل المؤمنين ، ومقوم كل الطيبين ، العزيز الحكيم العليم البصير ، وسلطان الأشياء كلها ، إذ لا كفوء له بتاجه ، ولا شريك بسلطانه ، إذ لا يطول كيل ولا عدد ، نور لا يأتيه حسد وحقد ، سعادة لا يأتيها غم وألم ، طوبى لمن عرفك وطوبى لمن اعترف بك ، طوبى لمن تبصر بك وطوبى لمن دعا إلى التبصر بك ، ولمن دعا إلى تأملك ، طوبى لمن تأمل حكمتك وتخلص من شقاء وأذى هذه الدنيا".

(١) مفاهيم صابئية مندائية، ناجية المراني: ٢١٥.

وهذه تكملة الترتيلة من كنزا ربا، والتي يطلب فيها المندائي الغفران من الله: "كل يد من أيدينا سارقة، وكل شفة من شفاهنا كاذبة، وانت ذو الرحمة، حين تبرؤنا لا يخطئنا أحد، أحكمنا بقضائك لا بقضائك لا بقضاء الأرض، واغفر لنا جهلنا، ولا تحشرنا مع السادرين في غيهم من الناس، لقد قست علينا الحياة الدنيا ولكننا لم ننع لأننا مزودون بالحقيقة، حقيقتك أنت ومنها نستمد الثقة.

أنت الذي اسمعتنا كلمتك، وامرتنا بأمرك: أطلبوا على الأرض وسأزودكم من ثمرات السماء، فتشوا تجدوا، فتش وسوف تجد لنفسك ولأصحابك ولأصحاب اصحابك، ولهؤلاء الذين يحبون العائلة الأنسانية جمعاء.

أنت يا أبا الملائكة، أنت الملجأ والمنار، والفاهم ما في الأفكار والضمائر، ولا يخفى عنك حتى ما تخفيه اعمق الظلمات، من ينشدك يجد، ومن يسألك يلقي، أنت فاتح الأبواب المغلقة.

حين تطفئ الدنيا، الأنوار، ستغفر خطايانا وذنوبنا، وتقوم عثراتنا، استقبلنا طاهرين لا مذنبين، وفاضلين لا رذلاء.

ندعوك أن تدع قبساً من نورك يضيء دربنا، وشيئاً من جلالك يغمرنا، أنت الشافي فوق كل من يشفي، والرافع فوق كل من يرفع.

أنت يا من فتحت أبواب الحقيقة، وكشفت الغامض.

عظيم اسمك، ومسبح أنت الوجود الأزلي، وأنت العرق، وانت الأب وأنت فوق الأرض والسماء، وانت المهيمن".

ومن التراتيل الدينية المندائية من كتاب كنزا ربا^(١):

" موجود الحي ، موجود ماري ، موجود منداد هي بشهادة الحي ، وبشهادة ملك
عالم الأنوار^(٢) .

الإله الذي أنبعث من ذاته ، لا باطل بأسمك ولا مبطل ، يا هيي يا ماري يا
منداهي ، سبحانك ربي عهداً احفظه بأسماء الحي يا رب ، قوموا بخير متصدقين ،
قوموا .

انقياء مؤمنين ، قوموا .

اسجدوا وسبحوا العظيم ، وسبحوا الملك شيشلام العظيم ، وسبحوا الأسرار
الربانية الخفية ، وسبحوا الياور العظيم ، لا زلات الكبير
وسبحوا لسيمات هي ، الأم التي منها كل العوالم
سبحوا للعين

(١) مفاهيم صابئية مندائية، ناجية المراني: ٢١٦.

(٢) الصابئة المندائيون، الليدي دار اوور، ١٧٣.

..... "العمق التاريخي والديني للصابئة المندائين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي"

اسماء الله الحسنى في الارامية المندائية		
١- إلهاء: الله	٢٤- آسى: الشافي	٤٧- امشويانا: الصانع
٢- هبي: الحي	٢٥- اسينان: الطبيب	٤٨- امفرقتا: الحسيب
٣- ربأ: العظيم	٢٦- اشبيها: السبوح	٤٩- إمكبر: الأكبر
٤- ماري: المولى	٢٧- اشرازا: الحق	٥٠- امهيلا: المقندر
٥- منداد هبي: المدرك	٢٨- اشلاما: السلام	٥١- إنطيرا: الحافظ
٦- قدمايي: الأزلي	٢٩- اشليطا: الشديد	٥٢- ناطرا: الحفيظ
٧- قيوما: القيوم	٣٠- اشمينان: السميع	٥٣- إنهورا: النور
٨- ربّي: الرب	٣١- إلاوي: الأعلى	٥٤: أنيا: المجيب
٩- هاد: الواحد	٣٢- اماسيا: المعافي	٥٥- اهزانا: الرائي
١٠- اهدا: الأوحد	٣٣- اماطيبا: الكريم	٥٦- الايا: العلى
١١- اهيدا: الموحد	٣٤- امبرخ: المبارك	٥٧- ايقارا: الوقور
١٢- هد: الأحد	٣٥- امبرقا: المحرر	٥٨- ايمرا: الأمر
١٣- أبا: الأب	٣٦- امجدلا: المجيد	٥٩- باثر: الباعث
١٤- ابدأ: الأبدى	٣٧- امديرا: المدبر	٦٠- باروقا: المنجى
١٥- ابروشا: الخبير	٣٨- امدايبي: المتعال	٦١- بارويي: البارئ
١٦- ابريخا: البر	٣٩- امرهما: الرؤوف	٦٢- باسطا: الباسط
١٧- ابهيرا: الباهر	٤٠- امرورب: المعظم	٦٣- بان: الخلاق
١٨- اتريص: المنزه	٤١- امريوا: المهيمن	٦٤- برصوفا ربأ: السيماء العظيم
١٩- اتيقا: الخالد	٤٢- امزرزا: المتين	٦٥- برقانا: المنقذ
٢٠- اجبارا: الجبار	٤٣- امشبا: المسبح	٦٦- بنان: الفاظر
٢١- ازهيرا: البهي	٤٤- امشدخا: الحلیم	٦٧- بهرانا: البهي
٢٢- ازيزا: العزيز	٤٥- امشدرا: المشير	٦٨- تاكلايبي: الوكيل
٢٣- أسباسا: المحسن	٤٦- امشوزبا: المستعان	٦٩- توكلانا: الكفيل

أسماء الله الحسنى في الآرامية المندائية		
٧٠- تيايا: التواب	٩٥- زكايآ: المزكى	١٢٠- ماطرايبي: الرقيب
٧١- جالآيا: الكاشف	٩٦- المزكى- زكوثآ: الظافر	١٢١- ماطوتا: المعطى
٧٢- جبال: المصور	٩٧- زيوا: الضياء	١٢٢- ماليك: المالك
٧٣- دخيا: الطاهر	٩٨- سيرايبى: المرتجى	١٢٣- مانا: الحاكم
٧٤- ديآنا: الديآن	٩٩- شدقا: الأمان	١٢٤- ماهيى: المحيى
٧٥- مديانا: المدين	١٠٠- شروبيى: المجير	١٢٥- متقنا: المتقن
٧٦- رافايبي: الرافع	١٠١- شليا: الهادي	١٢٦- مشرا: المعز
٧٧- راما: السامى	١٠٢- شليطانا: السلطان	١٢٧- مشوزيبانا: المبدع
٧٨- ربايبي: الجليل	١٠٣- شليما: الكامل	١٢٨- مفرقانا: المغيث
٧٩- ربواثا: الجلال	١٠٤- شهبانا: السبحان	١٢٩- مقيم: المقيم
٨٠- رهصانا: الأمين	١٠٥- مشوزيبا: الناصر	١٣٠- مقيمانا: المقوم
٨١- رهمانا: الرحمن	١٠٦- شوزيبينا: النصير	١٣١- ملكا: الملك
٨٢- رهوما: الرحوم	١٠٧- طابا: الخير	١٣٢- مندا: العارف
٨٣- رهمايبي: الرحيم	١٠٨- طوبا: الطيب	١٣٣- ميقر: الموقر
٨٤- روربي: التقدير	١٠٩- فاروقا: الفاروق	١٣٤- مينهرا: المنير
٨٥- روشنايبي: البديع	١١٠- فاروشا: المطلع	١٣٥- ناجد: المنجد
٨٦- ريشان: الأول	١١١- فروانقا: المخلص	١٣٦- ناصبا: الخالق
٨٧- ريشايبي: المبدئ	١١٢- قايم: القائم	١٣٧- نخرايبي: الغريب
٨٨- ريوانا: الودود	١١٣- قدوشا: القدوس	١٣٨- نيها: اللطيف
٨٩- زاكن: الغالب	١١٤- قشيش: الرشيد	١٣٩- هادي: الهادي
٩٠- زاكيا: الزاكى	١١٥- كبرا: المجدد	١٤٠- هازيبي: البصير
٩١- زكايبى: الزكى	١١٦- كبرا: الكبير	١٤١- هاكيما: الحكيم
٩٢- زاهرا: المضيء	١١٧- كوشطا: المقسط	١٤٢- هانانا: الحنان
٩٣- زديق: الصادق	١١٨- كينا: العدل	١٤٣- هاوي: الباقي
٩٤- زديقا: العادل	١١٩- مارا: الولى	١٤٤- هايلا: القادر

أسماء الله الحسنى في الارامية المندائية		
١٤٥- هدر: المتميز	١٥٠- يادا: العالم	١٥٤- يايا: الجميل
١٤٦- هزنان: الفاحص	١٥١- يادويي: العليم	١٥٥- يتيري: الغني
١٤٧- هياسا: الغفور	١٥٢- ياهوبا: الوهاب	١٥٦- يقيرا: المهيب
١٤٨- هيللا: القوي	١٥٣- ياور: المعين	١٥٧- يورا: النير
١٤٩- وساخا ليثلي: الواسع		

ثانياً: المندائية ديانة التوحيد:

هي ديانة النداء الإلهي الأول، نداء التوحيد، أول الديانات وأقدمها، ديانة آدم أبو البشر، وأوائل الأنبياء من أبنائه وأحفاده، أنبياء الله الحي الأوحى العظيم مباركة أسمائهم ومبجل اسم خالقهم: شيث (شيتل) بن آدم، وأنش (أنوش) بن شيث، وإدريس (دنانوخت)، ونوح (نو)، وسام (شوم) بن نوح.

إنها ديانة التوحيد التي تعد إلاله هو الحي العظيم العالي فوق كل شيء، ومن أولوياتها الدعوة لعدم الإشراك به، وتعد يحيى بن زكريا (يهيا يهانا) عليه السلام نبياً لها.

لقد حاربت المندائية الشرك وقالت انه لا يجوز اقتران عبادة الله بغيره، إذ حُرمت عبادة الأصنام أو الأشجار أو الحيوان أو القبور أو الكواكب والنجوم أو القوى الطبيعية، أو الزعم والادعاء بأن لله الحي المزكى أب أو أخ أو أن له بنين وبنات. فهو واحد أوحى ليس له أخ ولا شريك، هو الأول فليس له أب وما من أحد قبله كان. جاء في الكتاب المقدس:

((لتشبهون لشوبا وتريش، ولا تشابا الشامش، وسيرا منهراتا إد هازن إلما منطول هازن زيوا، لا وديلون هو هنيلا اتبهلون)). أي: ((لا تسبحوا للكواكب والنجوم فإنه هو

الذي وهبها النور، ولا تسبحوا للشمس والقمر المنورين هذا العالم فان الله هو الذي وهبها النور)). كنزا ربا اليمين.

وقال: ((لا تكبشون ريشيكون ولا تسجدون لشطانا رجيمانا نافلا وتهبولاهما))
أي: ((لا تحسروا رؤوسكم وتسجدوا للشيطان الفاني الرجيم ولا تهبوه رحمة)) كنزا ربا اليمين.

ويقول المندائيون: إن التوحيد في الدين المندائي الحنيف، يعني أن الله مسبح اسمه محل عبادتنا، ومحل طاعتنا وولائنا له، هو ذات واحد لا شريك لها في قدرتها وقضائها، وهو الذي يصرف أمورنا كيفما يشاء، لذلك يجب أن تكون قناعتنا وإيماننا بقدسيته، والتصديق بخالقنا الحي القيوم الواحد تأكيد لانتسابنا لديننا المندائي الحنيف.

بأسم الحي العظيم

((الآها ربا واما وشبيها ولكلهن الميا هو ملكا راما إد نهورا)) أي: ((الله الرب العلي سبحانه هو ملك الأنوار العلي لكل العوالم)) - كنزا ربا اليمين.

والتوحيد كما هو عقيدة ثابتة في كل الأديان السماوية، فهو كذلك عقيدة في الدين المندائي، فلا يحقق الشخص إيمانه إلا إذا آمن بتوحيد الله الحي القيوم في كل شيء، وهذا ما أكدته الكتب المندائية في مجمل نصوصها:

بأسم الحي العظيم

((هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم (١) هو الأزلي القديم، الغريب عن أكوان النور (٢) الغني عن أكوان النور، هو القول والسمع والبصر، الشفاء والظفر، القوة والثبات (٣) هو الحي العظيم، مسرة القلب وغفران الخطايا(٤) يا رب الأكوان جميعاً... مسبح أنت مبارك، ممجد، معظم، موقر، قيوم (٥) العظيم السامي. ملك النور السامي (٦) الحنان التواب الرؤوف الرحيم الحي

العظيم (٧) لا حد لبهائه، ولا مدى لضيائه (٨) المنتشرة قوته، العظيمة قدرته (٩) هو العظيم الذي لا يُرى ولا يُحد، لا شريك ل في سلطانه، ولا صاحب فب صولجانه (١٠) من يتكل عليه فلن يخيب، ومن يسبح بأسمه فلن يستريب، ومن يسأله فهو السميع المجيب (١١) ما كان لأنه ما كان، ولا يكون لأنه لا يكون (١٢) خالد منذ الأزل، خالق كل شيء الأول (١٣) .. فوق الأكوان (١٤) لا موت يدنو منه ولا بطلان (١٥))) - كنزا ربا يمين.

وقال النبي يحيى (يهيا يهانا): ((ملعون وموصوم بالعار كل من لا يعرف وكل من لا يعلم أن ربنا هو ملك النور العظيم السامي، ملك السموات والأرض الواحد الأحد)) - مواعظ يحيى.

ثالثاً: التوحيد المندائي (سهدوثا ادهيي):

تبقى المندائية ديانة موحدة بالتأكيد، فهي تعتقد بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي، التي لا تناله الحواس، ولا يفضي إليه مخلوق، ولكنها تجعل لديه ٣٦٠ أثرياً أو ملاكاً، خلقهم لينوبوا عنه في بعض أفعاله، وهم يعلمون الغيب، ويختص كل منهم بمملكة في عالم الأنوار. وبالرغم من ان بعض الأثريين من سدنة العرش يتمتع بصفات تكاد تكون إلهية، لكن أعمالهم لا تتم إلا بأمر الواحد الأحد الفرد الحي الباقي. وكذلك فان اعتماد الإله عليهم في أعمال كثيرة، ومنها الخلق، فانها لا تتم إلا بقدرته. وهذا ما قد يخالف فكرة القدرة الكلية للإله في الإسلام الذي يقول للشيء: كن، فيكون، لكن؛ حتى في الإسلام توجد بعض المهمات للملائكة، مثلاً: مهمات جبريل في تبليغ الرسالات.

وفي المعتقد المندائي، فان الله لا يتم إدراكه إلا من خلال الفيض الإلهي، كما يتم الاستدلال عليه من مظاهر خلقه، وهذا الإيمان بالله هو إيمان غنوصي كامل. وتؤكد

المندائية بأن الحي العظيم، الخالق الأزلي القديم (هَيِّي قداميي) انبعث من ذاته، فهو حي لا يموت، طيب بلا سوء، وسعادة بلا هم، ولا ألم، وبأمره وجدت كل المخلوقات. وفي الكنزا ربا ورد ما يجعل المعتقد المندائي بوحدانية الله لا يقل عن أي من الديانات الموحدة، بل - ربما - فيه من التقديس والتوحيد ما يفوقها، يقول: ((هو الملك منذ الأزل. ثابت عرشه. عظيم ملكوته * لا أب له، ولا ولد. ولا يشاركه ملكه أحد * مبارك هو في كل زمان، ومسبح هو في كل زمان * موجود منذ القدم. باق إلى الأبد))^(١). ومن شدة تبجيل الحي العظيم، فان المندائيين يتجنبون ذكر اسمه المجرد، وينزهونه عن الوصف المباشر، وهذه عادة شرقية قديمة، ربما كان من أوائل من مارسها هم عبّاد الإله إيل.

ويرى المندائيون - الآن - بأنهم على ملة آدم، وان كتابهم (الكنزا ربا) يضمهم على أهل الكتاب وفق الرؤيا الإسلامية، وأن يحيى هو نبيهم المرسل. وقد يكون كل ذلك صحيحاً، لكن نبوة يحيى في المندائية مختلفة عن مفهوم النبوة العام، فهو ليس صاحب رسالة المندائية، بالرغم من أهمية الأعمال الدينية التي قام بها: فهو الذي عمّده (منداد هَيِّي)^(٢) أقدس المقدسين بعد الحي العظيم، ولكن فعل التعميد نفسه يقوم به كل الكهنة، وهو صاحب المعجزات، وهو الذي اختصر الصلوات، ولكنه ليس نبياً رسولاً، وقول المندائيين بنبوته لا يعني أكثر من انه جاء بأسم الرب. ثم ان هناك من الباحثين من يعتقد بأن المندائيين استعاروا يوحنا من الإنجيل، في زمن متأخر، من تاريخهم، يقع بعد الفتح العربي للعراق، ودخولهم تحت سيطرة المسلمين.

(١) كنزا ربا اليمين، الكتاب الأول، بداية التسبيح الأول.

(٢) منداد هَيِّي: أو منداد اد هَيِّي (manda d hiie) مصطلح غنوصي يعني العراف بالحياة، ويتألف من: منداد، أي المعرفة والعلم، وهَيِّي: أي الحياة، وهو من أقدس أسماء الرب، وأحياناً يعني أكبر الملائكة الأثريين، ويوصف بالرسول الأول. والاسم مشتق من صلب المندائية التي تدور حول الحياة والمعرفة للصعود إلى العوالم النورانية.

وبشكل عام، لا يوجد أدنى شك بأن المندائيين قريبيون جداً في المعتقد والتوحيد والفرائض والمحرمات والطقوس من الأديان السماوية، حتى ليبدو للباحث بأن المندائية دين سماوي رابع هو الأقدم ضمن تسلسل الرسالات السماوية التي أكدها الإسلام، واعترف بها كلها.

رابعاً: المندائيون أصحاب الروحانيات:

تدور اعتقادات المندائيين حول وجود خالق أزلي واحد منزه، واعتقادهم في الله يشبه كثيراً اعتقاد الطوائف الغنوصية، فهم يدركونه من طريق الفيض الإلهي، وهم لا يعبرون عنه إلا بصيغة الجمع، ويعتقدون أنه انبعث من ذاته، وتليه مجموعة من المخلوقات النورانية (الملائكة)، وهم مخلوقات متوسطة بين الروحانية والمادية، فالروحانيات لديهم مخلوقة من كلام الله، وكلام الله لا يصل إلا بواسطة مخلوق بين النور والتراب، ويعد ذلك تجسيدا للمعتقدات الغنوصية بوجود وسائط بين الخالق وخلقته. وهذه المخلوقات تعمل على إدارة الكون وتحقيق مشيئة الخالق، كما يعتقد المندائيون بالبعث والحياة الأخرى بعد الوفاة.

- الأرواح المقدسة:

يعتقد المندائيون بأن للعالم صناعاً، فاطراً، حكيماً، مقدساً عن سمات الحدثان، وعلى كل مندائي الإقرار بالعجز عن الوصول إلى جلال الله سبحانه وتعالى، وإنما يتقرب إليه بالملائكة المقربين لديه، وهم أرواح مطهرة مقدسة جوهرًا وفعالًا وحالة. تقول: الروحانيون هم الأسباب المتوسطون في الاختراع، والإيجاد، وتصريف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال، يستمدون القوة من الحضرة القدسية ويفيضون روحانيتهم على الموجودات السفلية.

الفاعل:

يتوجب على المندائيين أن يطهروا نفوسهم من دنس الشهوات الطبيعية ويهذبوا أخلاقهم عن علائق القوى الشهوانية والغضب حتى تتحقق الصلة ما بينهم وبين الأرواح المطهرة فحينئذ يسألونهم حاجاتهم ويعرضون أحوالهم عليهم، ويتطلعون في جميع أمورهم إليهم فيشفعون لهم لدى خالق الجميع. وهذا التطهير والتهديب للشخص لا يحصل إلا باجتهاده ومجاهدته النفس عن دنيا الشهوات، واستمداد العون من جهة الروحانيات، والأستمداد يكون بالتضرع والأبتهاال والدعوات، وإقامة الصلوات وبذل الصدقات والصيام عن المطعومات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبائح وحرق البخور وتعزيم العزائم، عندها تنال النفس الاستمداد من غير واسطة، بل يكون حكمها وحكم من يدعي الوحي سواء.

- جوهر الأرواح:

هم المقدسون عن المواد الجسمانية، والمبرؤون عن قوى الجسد، والمنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية، قد جُبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس والتسبيح: (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)^(١)، وإن من أرشد إليهم المعلمون الأوائل: آدم وشيث إدريس ويحيى، ولذلك يتم التقرب إليهم والتوكل عليهم.

الحالة:

أما أحوال الروحانيات فهي من النفس والريحان والنعمة واللذة والراحة والبهجة والسرور في جوار رب الأرباب، إذ يكون طعامهم وشرابهم التسبيح والتقديس والتهليل، أو التمجيد والتحميد، وأنسهم بذكر الله تعالى وطاعته، فمن قائم ومن راعٍ ومن ساجد ومن قاعد لا يريد تبديل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة، ومن خاشع بصره لا يرفع، ومن

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

ناظر لا يغمض، ومن ساكن لا يتحرك، ومن متحرك لا يسكن، ومن كروبي في عالم القبض ومن روحاني في عالم البسط.

خامساً: إيمان المندائية بالملائكة:

ويلي الرب الواحد العالي في المنزلة الإلهية ثلاثمائة وستون أثرياً، جاءوا إلى العالم ليفعلوا الأفعال الإلهية وليسوا بآلهة، ولم يكونوا داخلين في عداد القديسين لأنهم ليسوا من البشر ولا من الملائكة، ناداهم (هبيي قدمايي) بأسمائهم فخلقوا من اليردنا، ولم يُخلقوا كسائر المخلوقات. ولكن الله نادى كل واحد منهم بأسمه جهراً فكان من تلقاء نفسه، ولهم أزواج مثلهم من جنسهم، وان هؤلاء الأثريين متفاوتون في الدرجة، وانهم موظفون بوظائف روحانية، كمباشرة أعمال الخلق، كما انهم يعلمون المغيبات، وقد تولى كل منهم مملكة. اما أسماؤهم التي عُلمت فمنها: (مارادربوثا) وهو زعيم الأثريين المذكورين، ثم يليه (هيبيل زيوه)، و(شيشلام ربا)، و(هوشي ناته)، و(مندادهيي)، و(سام زيوه ادهيي)، وهو موكل بالشمس، و(هبشبه أوهو شابه) وهو صاحب يوم الأحد، و(سيمات هيا) وهي أنثى، و(مهزيون ملاله) وهي الشجرة ترضع أولاد المندائيين عند الممات، و(أباثر راما)، و(ابثاهيل^(١) بر زاهرثيل)، ويحيى (ع) (يهيا يهانا) و(بهرم زيوه).

والمندائي ينزه نفسه عن عبادة الأوثان والأصنام والنار، وعن السجود للشمس والقمر والكواكب، وهو يعتقد انها إنما خلقت من أجله. كما يعتقد أن في الإنسان شيئاً من الذات العظمى، وما عليه إلا ان يتحرك وأن يعمل، وما عليه إلا أن يطلب فيجد، وأن يسأل فيلقى، وأن يقرع فتتفتح أمامه أبواب السعادة.. السعادة المؤقتة على هذه الأرض، والسعادة الدائمة في السماء.

(١) بثاهيل: ابن أباثر الذي خلقه عندما حدّق في الماء العكر. ويعدّ من كبار الأثريين، ملائكة الحياة، يحل فجأة - هنا - مكان هيبيل زيوا في تنفيذ أمر الله بخلق العالم.

سادساً: الإيمان المندائي بالأنبياء:

آدم^(١): (آدم كبراً قدامياً)، أي آدم الكبير القديم، خلق جسده بأمر الحي العظيم من الطين مع زوجته هوا - حواء. وهو الأب الأول الذي نزلت عليه التعاليم الأولى (كنزاً ربياً)، وهو أول الأنبياء والآباء المقدسين للمندائية. وكان آدم معروفاً في أديان الشرق القديم، فهو في ديانة الكنعانيين ابناً للإله الأكبر إيل، وكان من أحسن المخلوقين وجهاً، وأنزل الله تعالى عليه إحدى وعشرين صحيفة، وتوفاه الله وهو ابن تسعمائه وخمسون سنة.

● شيث: أوصى آدم إلى ابنه شيث، وكان فيه وفي بنيه النبوة والدين والعبادة والقيام بحقوق الله تعال وشرائعه. وأنزل الله تعالى على شيث تسعاً وعشرين صحيفة، وكان مسكنه فوق الجبل وسكن ولد قابيل أسفل الوادي، وعندما توفي كان عمره ثمانون سنة واثنتي عشرة سنة.

● أنوش: وأوصى شيث لأبنه أنوش، الذي توفي وعمره تسعمائة وخمسين سنة.

● قينان: استخلف أنوش ابنه قينان، وإليه كانت الوصية، وهو الذي قسّم الأرض بين بني أبيه، ومن ثم مات وهو ابن تسعمائة وعشرين سنة.

● هطيل: أوصى قينان لأبنه هطيل، وفي زمنه بُنيت الكعبة، وتوفي في عمر ثمانمائة وخمساً وتسعين سنة.

● يارد: وأوصى هطيل لأبنه يارد، وكان قد لقنه العلوم كلها، وأخبره بما يجري في العالم، فكان يتنبأ بنظره إلى النجوم.

(١) بعد آدم، تم الفناء الأول بالأمراض والحروب، فغادرت الأرواح أجسادها، ماعدا رام وورود، أي: زوج وزوجة، فقد بقيا، ليجددا البشرية. بعد رام وورود، تم الفناء الثاني، بالنار، وبقي شورباي وشرهيبيل، وهما زوج وزوجة. وشرهيبيل، ستحول إلى ملاك. بعد خمسة عشر جيلاً، تم الفناء الثالث، ولم يبق سوى نوح وابنه سام، وزوجته نهريثة وتكاثر نسل البشر.

- **خنوخ:** ابن يارد، وهو إدريس (عليه السلام)، ولم يكن بعد شيث وحي، حتى أوحى الله تعالى إلى إدريس، ويقال إنه أول من استوقد النار واستعبد العبيد وغزا بني قابيل، ووضع المكييل والميزان، وأوتي علم الطب والنجوم وعلم الزيجات، وسأل ربه فأراه الصور الفلكية العالية، فدار حول الفلك وعرف أشكال النجوم ووقف على مسير الكواكب، وعرف كل ما يحدث في العالم، فزيره على الحجارة وعلى الطين. وكانت له قصص تطول مع ملك الموت، فقد مات ثم عاش، بعد أن نظر إلى النار ودخل إلى الجنة. ورفع على رأس ثلاثمائة سنة من عمره، وكان يقال له هرمس بأسم عطارد.
- **صابيا:** علم إدريس ابنه صابيا الخط فقيل لكل من كتب الخط بعد صابيا، وهو الذي أخبر بالطوفان، وما يحدث في العالم.
- **متشولح:** ابن إدريس، أوصى به أبوه قبل وفاته، وسلمه الصحف، وأمر أخاه صابيا بمعاونته. وكان صابيا قد بلغ مبلغاً جليلاً، وعاش تسعمائة واثنين وثلاثين سنة.
- **لامك:** أوصى متشولح إلى ابنه لامك، فأخذ في البحث وجمع العلوم، وأقبل على بني أبيه فجمعهم وأمرهم ونهاهم عن التقرب لأولاد قابيل أو الاختلاط بهم، وهو الذي رأى ناراً خرجت من فيه فأحرقت العالم.
- **نوح:** ابن لامك، ولد نوح (عليه السلام) في عهد ملك قد تجبر وقهر الملوك، وكان إبليس قد استماله ودعاه إلى عبادة الكواكب، وقال له هو دين أجدادك، فأجابه وعمل له الشيطان هياكل وأصناماً عبدها. وكان شديداً على نوح والله تعالى يحفظه منه. وأوحى الله تعالى إلى نوح (عليه السلام) وهو ابن مائة وخمسين

سنة، وأرسله إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان مائة سنة، وكان أول نبي بعد إدريس (عليهما السلام). وكانت شريعته التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وجهاد الأعداء، فدعا قومه إلى الله تعالى وحذرهم عذابه، ولكما قام فيهم ودعاهم عنفوه وحذروه وأخفوا أمره عن الملك، وكان يحضر هياكلهم وبيوت أصنامهم، فإذا قال لهم قولوا لا إله إلا الله وإنني عبد الله ورسوله جعلوا أصابعهم في آذانهم وأدخلوا رؤوسهم في ثيابهم تبرأ مما يقول. ولما قال لهم يوماً قولوا لا إله إلا الله وقعت الأصنام على وجوهها، فقاموا إليه فضربوه حتى سقط على وجهه، وعرف الملك خبره فاحضره، وقال له: ما هذا الذي بلغني عنك من مخالفتك لديني وما عليه بنو أبيك وسبك لآلهتنا؟ وما هذا السحر الذي أسقطت به الأصنام عن كراسيها؟ ومن الذي علمك ذلك؟

سابعا: قصة الخلق المندائية^(١) :

في البداية كان كل شيء في حالة سكون مطلق ولم يكن الزمن قد بدأ بعد. وحدث شيء ما ربما صرخة مدوية أو انفجار هائل (وعندنا تتم تلك الصرخة عندما يقوم "الهيبي ربا" بخلق "المانا" بواسطة الكلمة) فتحركت عجلة الزمن وبدأت عمليات الخلق فخلقت الحياة الأولى "مندا أد هيبي".

كل ما كان قبل الحياة الأولى قبل تلك الصرخة تغزوه المندائية إلى الخالق والذي لا يمكنها وصفه أو معرفته فتختزله المندائية بالقول أنه الذي انبعث من ذاته (إد من نافشي أفرش).

إن(مانا) مانا ربا أو "مانا العظيم" يأتي على رأس عناصر الخلق التي ساهمت في ظهور الحياة الأولى والمانا يأتي بمعانٍ مختلفة فهو العقل الأول وهو الفكر الأول و الوعاء و

(١) الترميذا علاء نشمي.

الأنا أنت الذي أنشأك الحي وأقامك "كما وردت ترجمتها في قاموس الدكتور قيس مغشغش". وتشارك في عملية الخلق الأولى عناصر أخرى مثل الأثير والوعاء والجوهر والحرارة الحية والبهاء والاتحاد والينابيع والثمرة والنور والماء الحي والدخان والماء الجاري وغيرها لتنتج الحياة الأولى(منداد هيبى).

وكما ترون أن عملية ظهور الحياة الأولى (هيبى قدامي) و راعيها (منداد هيبى) عارف الحياة هي نتيجة انطلاق الزمن ودخول عناصر الطبيعة في تكوينها أي أنها لم تظهر من العدم أو بطريقة عشوائية وإنما تمت وفق قوانين (مانا). تقول عنه الكنزا ربا في شرح عملية خلق الحياة الأولى عالم النور:

ورد نص الكنزا في كتاب النشوء والخلق للدكتور كورت رودلف ترجمة الدكتور صبيح مدلول:

حينما كانت الثمرة "بيرا" داخل الثمرة
و حينما كان الأثير "آير" داخل الأثير
و حينما كان "مانا" ذو الوقار العظيم هناك
ومنه تكونت المانات العظيمة الكبيرة
إنتشر بريقها وعظم نورها، وما كان قبلها في الثمرة العظيمة شيء
فانتشر نورها بلا حدود، أكثر من انتشار الكلام
وجلّ نورها عن أن يوصف باللسان، والتي كانت وقتئذ في تلك الثمرة
ثم تكونت منها الآف الآف الثمار بلا نهاية
وملايين ملايين المواطنين بلا عدد
تقف هناك وتمجد مانا الموقر العظيم
الذي يحل في آير العظيم

وتكون الماء الجاري العظيم " يردنا" الذي لا حدود له

وبقوة " الحي العظيم" انبثقت منه مياه جارية " يردني" بلا نهاية ولا عدد. (١)

يشرح الدكتور الكنزبرا هيثم سعيد عملية الخلق الأولى في فصل من كتاب (دراسات

مندائية- ماجد فندي المباركى-):

يعتبر الدين المندائي من الأديان المتميزة التي ذكرت موضوع الخلق والتكوين بصورة

انفرد بها عن باقي الأديان فقد ذكر هذا الموضوع بتفاصيل دقيقة ومطولة وغير بعيدة عن

النظريات العلمية الحديثة وبلغت فلسفية عميقة:

يصور التكوين الأول بأنه كان (كالثمرة) وهذه الثمرة داخل ثمرة " عظيمة" وكانت

هذه الثمرة ذات كتلة متعاطمة ممثلة محتدمة المحتوى تضم عناصر فريدة كثيرة ومنوعة

ليس لها مثل في دقتها".

إن تلك الثمرة تمثل في النصوص المندائية وخاصة السرية منها "كالرحم" الكوني

العظيم، الذي ضم عناصر النشوء الأول. وذكر أن الثمرة تمثل أحيانا ب " الهلبونا" أو

البيضة، أي المستقر والمسكن السماوي، والذي يحافظ على داخله بواسطة غلاف سميك

إلى حين نضوج محتواه. ويتبلور عن حياة جديدة، والتي بدورها هي الأخرى تعيد دورة

الحياة من جديد.

يقول الدكتور خزعل الماجدي في كتابه المهم (المثلوجيا المندائية) ما معناه دائرة

الحياة الأولى (هبي قدمايي): تبدأ الخليقة "الثيوغونية" (البحث في اصل الآلهة -

المورد-) عندما يتحرك الحي العظيم وينقل من سكونه الأزلي إلى الحركة، وحركته هنا

تعني أنه سيكون بداية الخلق عن طريق مانا الذي يظهر بصفة (مانا ربا) في غلاف كوني

عظيم هو " كئا" الذي سيتحول إلى " تنأ".... (٢).

(١) ورد النص كنزاربا هذا في كتاب النشوء والخلق للدكتور كورد روف، ترجمة: صبيح مدلول.

(٢) الدكتور خزعل الماجدي في كتابه المهم (المثلوجيا المندائية)، ص ٩٥.

الحياة الأولى ساكنة ومندمجة بالحي العظيم ولكنها بعد هذه الحركة الخلقية الأولى تصبح متحركة ، ودائرة الحياة الأولى هي دائرة العالم النوري الأول وتعتبر مسرحا للخروج من النور الخالص إلى الخليقة الحية المتحركة ...

وقد عملنا على وضع هذين النموذجين المختلفين مع بعضهما ليشكلا خلية أو دائرة النور التي هي بمثابة نواة عالم النور، وتضج هذه النواة/ الدائرة بملايين من الكائنات النورانية الصغيرة تكون على نوعين: (المانات) التي تظهر من (مانا) والثمرات التي تخرج من الثمرة الكبرى.

أما الكائنات النورية المكونة لدائرة النور الأولى فهي:

١- آير (أثير) هواء عالم النور ومنه ربح الشمال ، وأرض آير بمعنى أرض عالم النور.

٢- ياور (جوهر) يوهرا بمعنى الضوء الساطع.

٣- إيشاها هاتيا (حرارة حية): الطاقة الموجودة في الأشياء وهي النار الخلاقة الهادئة

٤- نبطا (بهاء) النطفة الأولى وهو التدفق " الإفراز الأول للحياة.

٥- لوفاف (اتحاد) وتعني اتحاد الأثري أو الكائنات النورية مع بعضها أو مع عالم النور أما

المعنى الطقسي لها فيعني (يعطي) أو (يأخذ) ويكون عن طريق وجبة دين.

٦- مامبوعي (ينابيع) الماء في عالم النور.

٧- بيرا (ثمرة) وهي الوعاء الذي يسكن فيه " مانا" إي النفس وهي بمثابة المساكن

النورية.

٨- نهورا(النور) الذي هو اساس عالم النور.

٩- ميًا هبيي(الماء الحي).

١٠- بهثا (تنور) وعاء كوني.

١١- تنًا (دخان) وعاء كوني احتوى النفس في البداية ثم أصبح مادة التكاثر أو البذور في عالم النور والظلام.

١٢- يردنا(ماء جاري) النهر السماوي. ويكون مانا ربا " العقل الأول، الفكر الأول ، الوعاء، الأنا" وصوثا" الصوت" في بداية الدائرة أما في نهايتها فتظهر الحياة الأولى ومندا أد هبيي" عارف الحي" الذي سيكون بمثابة راعي عالم النور.

لقد صورت عملية نشوء الحياة الأولى التي اشتركت بها كل العناصر ال ١٢ على شكل تزاوج بين الذكر مانا والأنثى صوثا " وهي حالة تأنيث الضوء، النظام، البهاء" فتخلق من المانا الساكن في الثمرة (مانا العظيم) (مانا الأول) في المانات وهي الحاويات أو الأوعية أو الأدوات التي تنشأ منها الحيوانات الثانية والثالثة والرابعة هذا النص (الكنزا ربا يمينه ص ٣٣٢)^(١).

(١) الترميذه ، علاء نشمي.

المبحث الثامن

النبي إبراهيم الخليل(ع) في العقيدة المندائية^(١)

لكون الصابئة من ذرية سام بن نوح و شيت بن ادم عليهم السلام فهم من نفس النسب الذي ينتسب اليه ابراهيم الخليل(ع)حفيد الانبياء اعلاه فإبراهيم بالنسبة للصابئة كان واحداً منهم كهنوتيا ناصورائيا مندائيا مهتما بالديانة المندائية وكان عميدهم الاول و هاديهم إلى الحنيفية البيضاء وقد نشأ وترعرع في وسط عائلة صابئية مندائية موحدة تؤمن بالله واليوم الآخر وهي العقيدة التي جاء بها الاسلاف اجداده ولكن عائلته و قومه الصغيرين انذاك كانوا محاطين بأقوام اخرى ضعف فيها الدين كما ضعفت عندها عبادة الله والديانة السماوية وكان على راس تلك الاقوام ملك طاغية كافر هو النمروذ بن كنعان كما رأينا، مما خلق لإبراهيم(ع) ظرفا صعبا لبث دعوته في هكذا محيط مما اضطره وبعض المقربين من اتباعه وابناء عشيرته إلى مغادرة البلاد وابتداء هجرته التاريخية اعلاه ولكن الكتب الصابئية الدينية والتاريخية لا تتفق بان تارح والد ابراهيم كان يصنع ويعبد الاصنام والدليل الاخر على ذلك تأييد تارح لابنه وهجرته معه ومساندته له في دعوته الدينية ولو كان غير ذلك لما ترك بلاده ليهاجر مع ابن يختلف معه في العقيدة والايمان كما يدعي البعض .

وقد اكد المقريري عائدية ابراهيم الخليل ونسبه إلى الصابئة حيث قال في كتابة "المواعظ و الاعتبار ودسكرة الخطط و الاثار " التالي :

(١) حقيقة الصابئة المندائيون في بحث تاريخ امة حاضرة منسية، حامد نزال سعودي.

"... والطائفة الخامسة هي الصابئية المندائية التي تقر بنبوته ابراهيم و انه منهم و هم طوائف فالكاظمية اصحاب كاظم بن تارح و من قوله : ان الحق في الجمع من شريعة ادريس و شريعة ابراهيم ..."^(١).

ولهذا كانت الديانة الصابئية المندائية مهمة في دراسة الاديان عامة و دين ابراهيم الخليل خاصة وعلى الرغم من عزلتها و قلة عددها كان لها شأن كبير في ذلك و لعل خير مثال على ذلك ما اورده الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه التاريخي الشهير "ابو الانبياء" الذي نذكر بقوله :

"....ولما كانت تدين بدين الصابئة بلدان واقوام عديدة لكنهم قلة و هي على قلة عددها تستقل بلغة مقدسة خاصة و لها كتابة ابجدية خاصة و احكام دينية معيشتها لا تشبه في جملتها دينا واحدا و لكنها تشبه في بعض اجزائها كل دين و من ثم كان لها شأنها في الدراسات الدينية.... والمحقق في امرهم انهم يرجعون إلى اصل قديم لان استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الابجدية لم ينشأ في عصر حديث ويؤكد هذا الفهم ان هؤلاء يقيمون في الاقاليم الجنوبية من العراق حيث اقام الخليل حسب رواية العهد القديم ... ومنهم فئة تحج إلى حران التي هاجر إليها و التي ينتسب إليها الحرانيون و مع استقلال الصابئة باللغة الدينية و الكتابة الابجدية فهم يشتركون مع اصحاب الاديان في شعائر كثيرة و لا يعرف دين من الاديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في احدى الشعائر .. وقد اختتم الاستاذ عباس العقاد ما ذكره عن الصابئة بالقول : وقد ذكرهم المقريزي بين الفرق المختلفة وكأنهم يقابلون دين ابراهيم بدين اخ له ينتمي إلى تارح، أبي ابراهيم في رواية العهد القديم وجعلوا اتجاههم إلى النجم القطبي لأنه

(١) عباس محمود العقاد، ابو الانبياء، ص ٩٤.

(٢) كتاب المواعظ والاعتبار و دسكرة الخطط والاثار للمقريزي.

ثابت في مكانه لا يختلف له فلك بأختلاف الزمان... ولهم اقوال في تنزيه العقل الالهي تشبه اقوال الفلاسفة..... وكان اكثرهم يعرف اليونانية ويقرأ الفلسفة لاسيما الرواقية والفيثاغورية.. ولكن اتصال اليونان ببلاد الكلدان اقدم من المسيحية ومن اليهودية... ومن الكلدانيين* اخذ اليونانيون خصائص الكواكب المعبودة وحركات المعابد التي تقام بها.. وحماية الضحايا التي ترسل في حرم المعبد وما إلى ذلك من العادات والعبادات التي اندثرت بين الصابئة المحدثين والمشهور عن الصابئة انهم يوقرون الكعبة في مكة ويعتقدون انها من ابناء ادريس(ع) وانها بيت زحل اعلى الكواكب السيارة وينقل عنهم عارفون انهم قرأوا صفة محمد(ص) في كتبهم ويسمونه ملك العرب.

ولا يخفى على القارئ الكريم ان هذا التشابه في عقائد الصابئة وشعائهم وطقوسهم مع شعائر وعقائد وطقوس الديانات السماوية الاخرى المشار اليها انما يرجع إلى سبب واضح ومعروف.. الا وهو مصدر الديانات السماوية كلها هو مصدر واحد هو الله وان الانبياء والرسل جميعا من ادم(ع) حتى محمد(ص) هم مرسلون من خالق واحد.. بل انهم من اصل واحد ونسب واحد وسلالة واحدة.. على الرغم من بعض الاختلافات التي تتباين فيما بينها من عبادات بسبب الظروف والفترات الزمنية التي ارسل فيها الانبياء... والاهم في ذلك كله انما هو عقيدة التوحيد وعدم الشرك التي تتفق عليها هذه الديانات..! وعلماً ان موطن ابراهيم الخليل كان في مدينة أور قرب مدينة الناصرية في جنوب العراق.

الخليل والاختتان^(١)

ذكرنا في اعلاه ان ابراهيم (ع) كهنوتيا ناصورائيا بدرجة عليا من التدين والايامن .. وهو من عائلة كهنوتيه مؤمنة بالله وبتعاليم الرسل والانبياء وكما ذكرنا ايضا كان يعمد ابناء قومه بالماء الجاري ولكن هذ الرجل العظيم ابتلاه الله -سبحانه- بمرض واصابه بقوباء في غلفته.. ومن هنا بدأ الخلاف بينه وبين عائلة الكهنوتية في بادئ الامر لأن الديانة الصابئية المندائية تنص صراحة على وجوب تمتع رجل الدين بصحة تامة وان يكون جسمه خالياً من اي نقص أو تشويه بسبب خلقي او مرضي ويجب ان تكون اعضاء جسمه كاملة وسليمة وغير مصابة بنقص فيها او في بعض اجزائها هكذا تكمن الصعوبة والتشدد وعدم التساهل في الديانة الصابئية المندائية التي تقوم بفحص الرجل المرشح للتكريس ليصبح رجل دين لا نقص بأعضاء جسمه ولا مرض او عاهة تحول دون ذلك ويرجعون بشرط توفر هذه النقاوة الجسدية والصحية ، إلى عدد من الاجداد او الاجيال لهذا المرشح للتكريس.. فلما عرف ابو ابراهيم واخوه هو الاخر ناصورائياً اشاروا عليه بأن يعتزل من ممارسة كل اعماله الدينية بما في ذلك فصل التعميد لأنه في نظرهم وبنظر الديانة المندائية لم يعد يستوفي الشروط الدينية لأعمال الكهنوتية الروتينية. ولكنه رغم اعفائه من هذه المهمة الدينية استمر على دعوة الناس إلى عقيدة التوحيد والايامن بالله الخالق العظيم..

(١) البيروني: نقل عن ابن سنجلا النصراني قوله ((إن الحرمانية يقولون إن إبراهيم (عليه السلام) إنما خرج عن جملة الحرمانية لأنه ظهر في قلفته برص، وكانت نحلتهم أن من كانت هذه حاله فهو غير طاهر، ويحرّم على عامتهم مخالطته، ولذلك اختتن النبي إبراهيم (عليه السلام) ودخل إلى بيت من بيوت عباداتهم بحرّان، فمسمع صوتاً يقول له: يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيب واحد، وجئتنا بعيبين، اخرج ولا تعاود المجيء إلينا، فحملة الغيظ على تحطيمها، وخرج من جملة الحرمانية، ثم انه ندم على ما فعله وأراد ذبح ابنه للمشتري، فلما علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكبش)) الآثار الباقية، ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) كتاب المواعظ والاعتبار وفسر الخطط والآثار للمقريبي.

كان ابراهيم الخليل رجلاً مؤمناً صادقاً متبجحاً صبوراً مؤثراً بحجته على سامعيه ..
ولذلك تمكن من ان يعيد الايمان في قلوب العديد من الاقوام التي ساورها الشك
.. ويهديهم إلى التوحيد من جديد على الرغم من بطش النمرود وظلمه .. وهكذا نجح
الخليل في مهمته حيث صار له اتباع ومؤيدون من ابناء قومه ومن غيرهم حتى توسعت
رقعة دعوته إلى التوحيد والايمان بالخالق العظيم كأيمان ابناء قومه وعائلته الصابئية
المندائية مع اختلافه معهم في مسألة الختان التي استبدل بها طقس ولكن الخليل ورغم
اتباعه لطريقه الجديد بقى مكرماً معززاً محترماً موقراً لدى اهله وابناء قومه الذين تمسكوا
بجوهر ديانتهم رافضين اي تجديد فيها او تطوير يطرأ عليها .. وبسبب هذا الاختلاف
او التغيير او التطوير او الانشقاق كما يعتبره البعض لم يعد نبيا لهم من وجهة النظر
الدينية البحتة ولكنهم يعترفون بدوره بنبوته ودعوته وعقيدته كما يعتبرونه حفيد الانبياء
كما هو ابو الانبياء ويذكرونه في معظم طقوسهم وشعائهم .. وتقول الموسوعة الحرة في
باب المندائي (آمن الصابئة المندائيون بتعاليم إبراهيم واحتفظوا بصحفه ومارسوا
طقوس التعميد التي واستمروا عليها إلى يومنا هذا. وقد هاجر قسم منهم مع النبي
إبراهيم إلى حران والقسم الآخر بقي في العراق، وقد عرفوا فيما بعد بـ(ناصرايي اد
كوشطا) أي حراس العهد الذين أسسوا بيوت النور والحكمة (أي - كاشونمال) -
بيت مندا أو (بيت المعرفة) فيما بعد - على ضفاف الأنهار في وادي الرافدين لعبادة
مار اد ربوثا (الله - رب العظمة)، واتخذوا من الشمال (اباثر) الذي دعاه السومريون
(نيبور) قبلة لهم لوجود عالم النور (الجنة)).

وليس غريباً أن تقول الصابئة المندائيون بأسطورة لهم بأن إبراهيم كان على ملة
الصابئة المندائية ويدعونه (بهرام ربا) بل كان ناصرايي، وكان أخوه تاران ريش أمه
(أي رئيس أمة) أو كاهن الملك وكانت عائلتهم عائلة كهنوتية، وابتلي إبراهيم بقوباء

(مرض يصيب الإنسان في غلفته) والتي اقتطعها، ولأن الاقتطاع يعد محرماً في العقيدة المندائية أعتبر غير طاهر^(١).

وفي صلاة الصابئة المندائية بعد أن يذكروا اسم الله جل شأنه وقسماً من ملائكته كمندا أد هيب و هيبيل زيوه (أي جبريل) يعود باللغة الآرامية طبعاً يرددون:

السلام عليك يا آدم

السلام عليك يا شيتل (شيت).

السلام عليك يا سام.

السلام عليك يا بهرام أي إبراهيم العظيم.

السلام عليك يا أنباط زيوه (أنباط بن إسماعيل).

السلام عليك يا إسحق زيوه (إسحق بن إبراهيم).

السلام عليكما يا تارة وتروان (تارة تعني تارح والد إبراهيم وتروان أخيه لأن

الحاء تلفظ هاء في المندائية).

السلام عليكما يا زهير وزهرون.

السلام عليك يا يحيى.

- سارت أوشارت:

أن المرض الذي ابتلى به ابراهيم والذي ادى بالنتيجة إلى اختنانه مما جعله يعتزل عن ممارسة اعماله الدينية والطقسية كالتمعيد مثلاً وذلك حسب نصيحة والده تارح واخيه تاران لكي يتقبل الله منه صومه وصلاته .. كما ان المبتلى بمرض او عاهة او نقص في احد اعضاء جسمه عليه ان لا يقترب من زوجته - حسب الديانة الصابئية المندائية - وهذا ما حدث بالفعل بين ابراهيم وزوجته سارة التي اتخذها اختاً له وليست حليلته وهذا ايضا ما قاله إلى فرعون عندما هاجر واياها إلى مصر وهو بذلك لم يكذب بما

(١) الصابئة المندائيون ليدي دراور ، ص ١٠١ . ترجمة: نعيم بدوي وغضبان رومي.

قاله إلى الفرعون لانه اتخذ من سارة اختا له بسبب عاهته وسارة هي (شارت) باللغة المندائية وما يزال هذا الاسم شائعاً بين النساء المندائيات حتى يومنا هذا بالإضافة إلى كونه الاسم الديني لأغلبية الامهات المندائيات .. فهو اذن اسم مندائي لأمرأة صابئية مندائية منذ ذلك الحين وحتى من قبل عصر ابراهيم الخليل(ع) وقد كانت سارة ابنة عم ابراهيم العزيزة فلم يتخل احدهما عن الاخر رغم كل الظروف الصعبة التي واجهتهما وقد لازمتها سارة في هجرته وترحاله وكانت سنده القوي في دعوته لعقيدة الايمان إلى قلوب الناس الكافرة وعقيدة التوحيد بالخالق الواحد الاحد وعقيدة العقاب و الثواب ، والعقائد الاخرى التي تؤمن بها سارة لكونها هي الاخرى من عائلة كهنوتية مؤمنه بمبادئ آبائها واجدادها وبقيت سارة رفيقة حياة ابراهيم ولم تنجب وهاجرا مع بعض إلى مصر..

وفي مصر اهدى فرعون جارية إلى ابراهيم وخادمة لزوجته الجميلة جدا سارة هي(هاجر القبطية) التي تزوجها ابراهيم فيما بعد ورزق منها ولده اسماعيل مما الم نفسية سارة وأثار غيرتها منها فقالت سارة لزوجها وابن عمها ابراهيم بأنها لن تقبل ان يكون ابن الامه وريثا لزوجها فطلبت منه ان تكون حليلته رغم مرضه وهذا ما حدث بالفعل .. فرزقهما الله -سبحانه- أبناً أسمياه أسحاق ففرحت الام التي كان عمرها تسعين عاماً كما فرح الاب الذي كان عمره مائة سنة كثيراً بولادة اسحاق الذي كان قره عين سارة وامل حياتها، بعد ذلك الانتظار الطويل وحسب المتطلبات الدينية المندائية لا يصلح اسحاق رجل دين مندائي بسبب عاهة ابيه ولكن يحق للحفيد من الظهر السابع ان يصبح رجل دين علماً ان عدد الاجيال بين اسحاق وحفيده النبي يحيى بن زكريا -ع- وهو اخر انبياء الصابئة المندائيين يقدر بأكثر من ثلاثين ظهراً فهذه المشكلة على الرغم من ايجابياتها المتعلقة بنقاوة النسل واصالته تعتبر المشكلة الرئيسية في سبب قلة اتباع الديانة المندائية المتشددة جداً وإلى درجة التعقيد والتي ما زالت قائمة حتى اليوم فهي تعزل وتترك من جاء بنقص او عاهة او حدث له قطع او بتر لاسيما وان الدين الصابئي

ليس ديناً تبشيريًا، وحتى الزيادة في بعض الاحيان كالزيادة في عدد اصابع اليد او الرجل تُعد ايضا كالنقصان فلا يصلح ان يكون رجل دين مثلا بستة اصابع في اليد او الرجل الواحدة وهذا الاعتقاد لدى الصابئة يستند على الاعتقاد بأن الله - سبحانه - قد خلق الأنسان بأحسن صورة واكمل تكوين فلا يحق للإنسان التلاعب بخلقة الله بزيادة أو نقصان .. وهذا ما تقره معظم الديانات السماوية وخير اثبات على صحة ذلك هو ما ذكر في القران الكريم: (لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم)^(١).. ولكن وعلى ما يبدو ان الصابئة متمسكون وحريصون كل الحرص على عدم التغيير في خلقة الله بجسم الأنسان من اعضاء وحتى شعر الرأس واللحية والشنب محرم قصه وخاصة رجال الدين.

(١) سورة التين: ٤.

((تاريخهم عمود البشرية العاقلة))

كما جاء في سبائك الذهب في قبائل العرب للسويدي ولأخرين من المؤرخين.

١ . آدم ((ابو البشرية العاقلة))



شيت ((أو هبة الله ويعرف بالمندائي برآدم وهو نبيهم بعد آدم (عليهما السلام)



آنوش : ويعرف بالمندائي انش أثرا على أسم احد ملائكتهم الصالحين ومعنى
أنش- رجل وأثرا- صالح (الرجل الصالح) وهو اول رجالهم المؤمنين الصالحين وهو اول
من زرع النخلة كما ذكرته مسز دراور ص ٣٥ و ٦١ - الصابئة المندائيون الترجمة العربية.



فينان



مهلائيل



اليارد



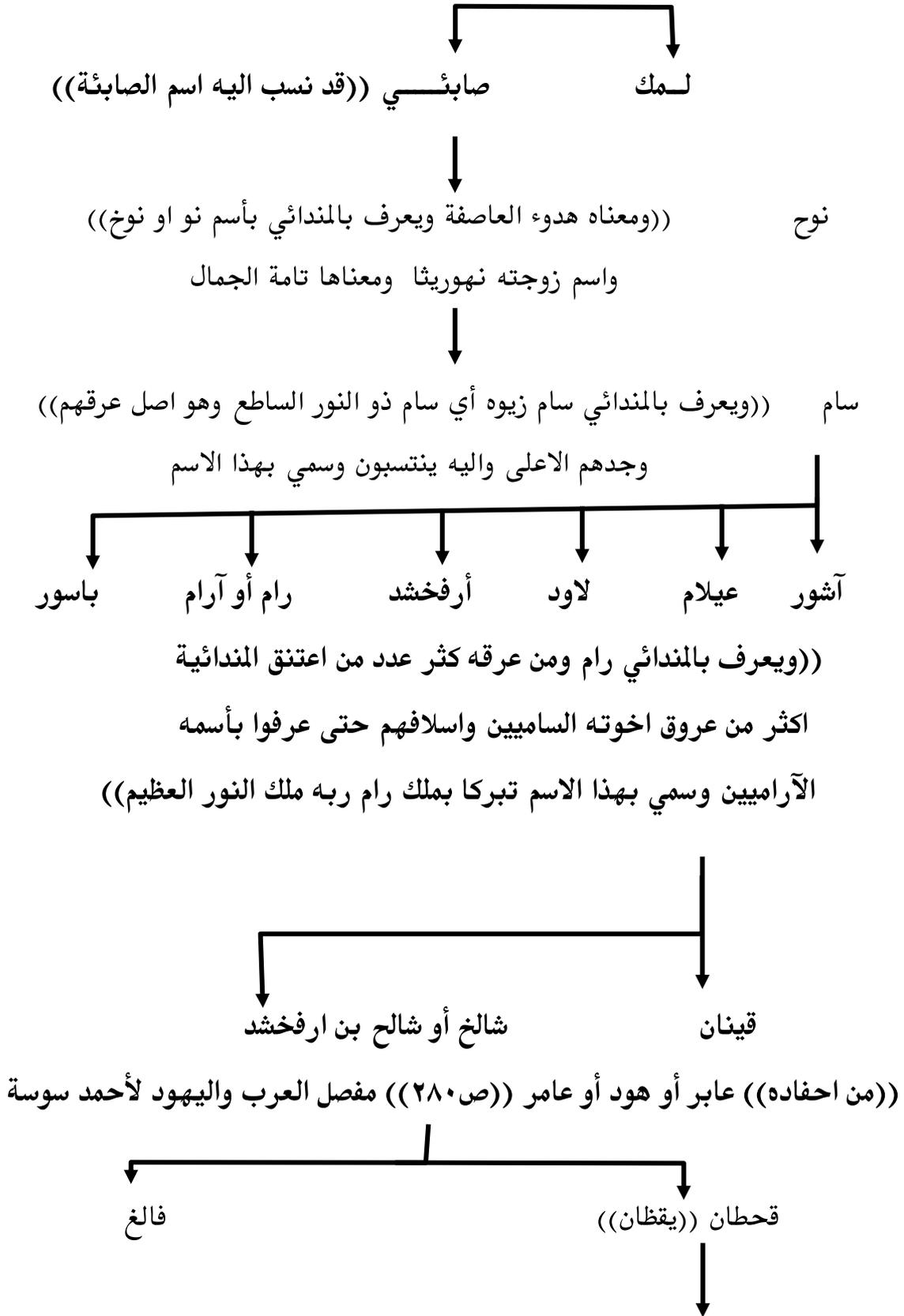
ادريس: ويعرف بالمندائي - هوارا- مازادا وقد اختصرت إلى هرمز وعند المصريين
هرمس وعند غيرهم أخنوخ وقد اتبعوا تعاليمه المنقولة عن جده شيت وآدم وهو نبيهم بعد

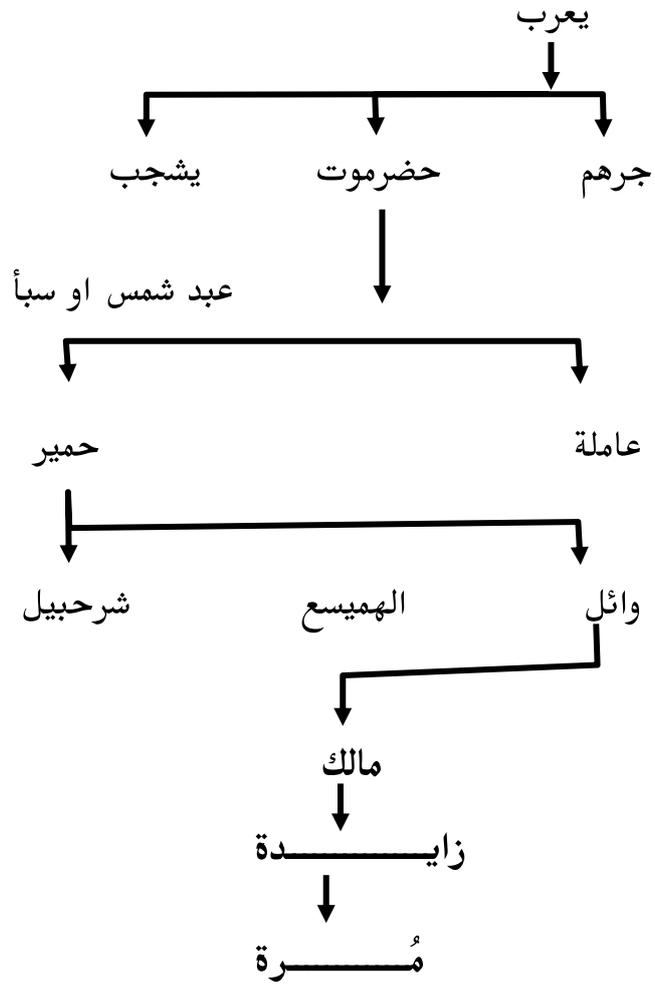
اجداده وساروا على وصاياهم (ص ٢٦- دراور)



متوشلخ أو متشولخ بن ادريس







وإلى آخر بطون قحطان خارج اليمن

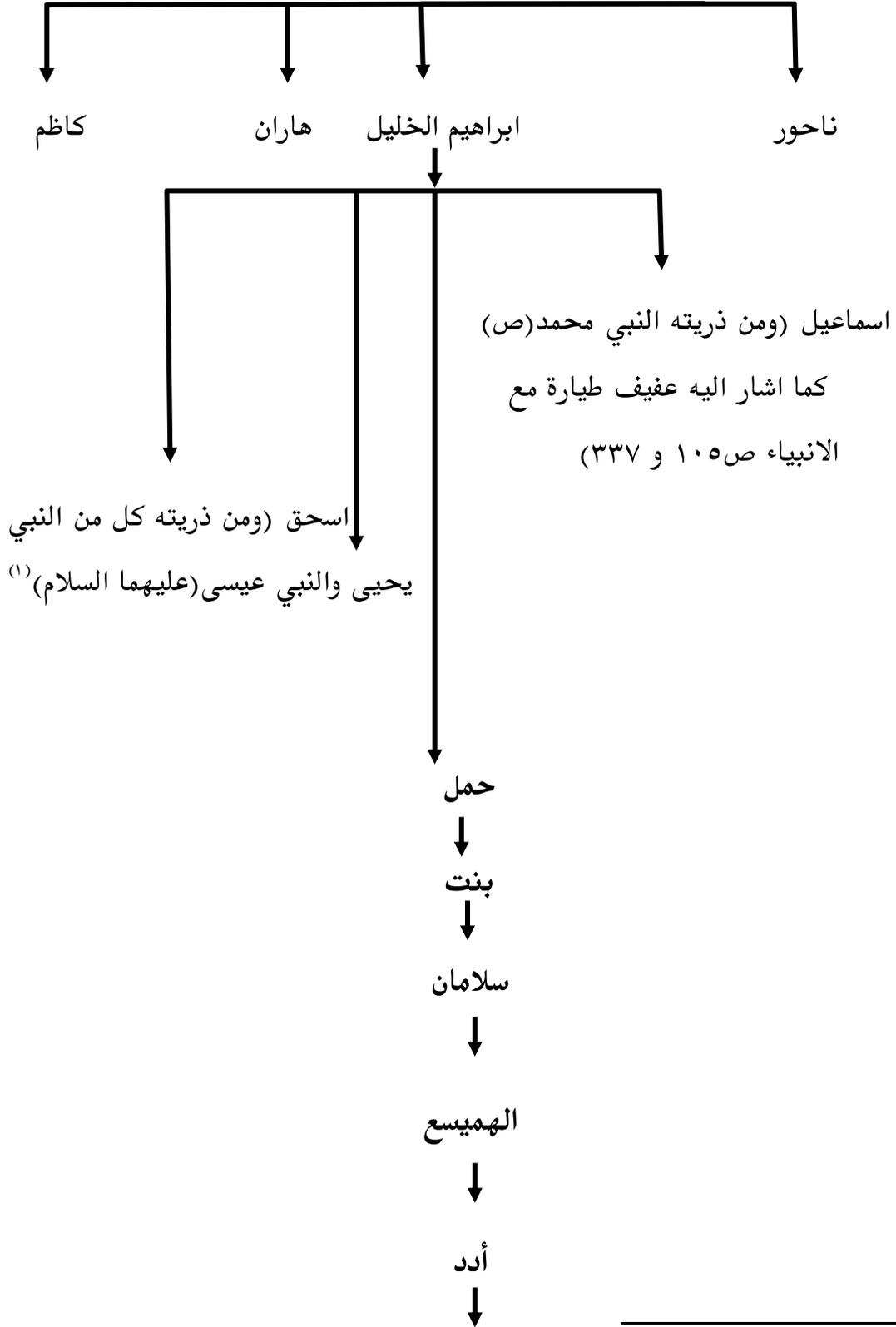
أرغو

شاروخ

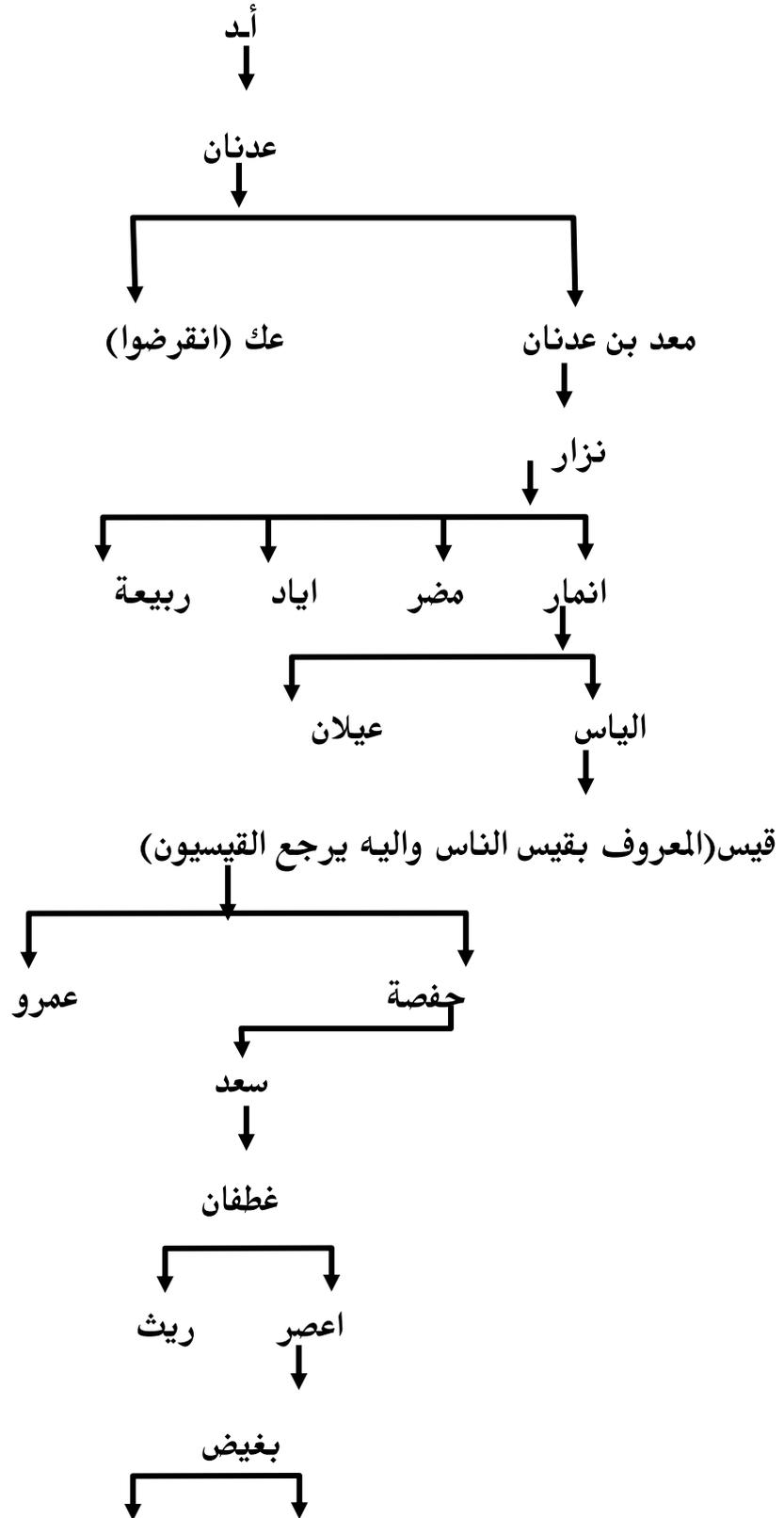
باحور أو حور (كما اشار اليها المسعودي التنبيه والاشراف ص ٨٠)

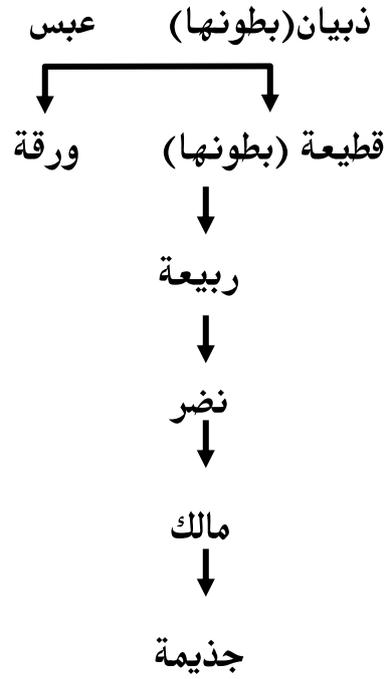
هران

تارح أو آزر



(١) مع الانبياء- عفيف طباره يقشان من زوجته قطوره جد السبائين، ص ١٥٦ (مفصل العرب واليهود في التاريخ للدكتور احمد سوسة قيدير ص ٢٨٠).





المبحث التاسع

يهيا يهانا (يحيى) نبي الصابئة المندائيين

١. ايمانهم في نبوة يحيى (عليه السلام):

ان الاسم الآرامي المندائي لنبينا يحيى بن زكريا (يهيا يهانا) وبالعربية (يحيى) وكنيته (يهانا إمصبانا) أي يهانا الصابغ .

اما معنى اسمه: وردت معاني كثيرة لاسمه في كتب التراث العربي منها (الذي أحيا عقر أمه) لان أمه كانت عاقر لا تنجب، أو (الذي أحياه وابعده عن الخطيئة) أو (المحيي) لانه سوف يحيي الأيمان وعبادة الخالق في قلوب الناس.

- ولادته:

ولد يحيى يوحنا حوالي سنة ٤٦ قبل الميلاد (حسب التراث المندائي) وحوالي سنة ١ قبل الميلاد (حسب التراث المسيحي). وذكر ايضا بانه ولد في سنة ٦ او ٧ قبل الميلاد. وان التقويم الصابئي المندائي المستعمل حاليا والذي يسمى ايضا بالتقويم اليحياوي (نسبة إلى يحيى) يبدأ من مولد هذا النبي .

ولد النبي من أبوين كبيرين طاعنين فالأب اسمه (زكريا) وكنيته (آبا سابا) أي الأب الشيخ، لانه ذو مرتبة دينية واجتماعية عالية . ومعنى اسمه من كلمة (زكاي) في اللسان المندائي الارامي وتعني (القديس، النزيه، المنتصر). وكان عمره ٩٩ سنة عندما ولد النبي يحيى. ولقد بارك الأب زكريا ولده النبي واعترف بنبوته. اما والدته فاسمها في المندائية (اينشبي، وبالعربية (اليصابات) وبالإنكليزية (اليزابيث)، وجاء ايضا اسمها في المصادر العربية ب(اليشاع)، وكانت عمرها ٨٨ سنة، عندما ولدت النبي (يهيا يوهنا)

وهي لم تنجب أبدا لأنها عاقر، وتذكر مصادر الادب المندائي بان (انشبي) شربت من الماء السماوي (يردنا اد ميا هيبى ، يردنا ماء الحياة) بقدره الرب العظيم وبمعجزة الهية ، وتلبية لدعائها، حبلت بالنبي الموعود (يهيا يهانا). فهي لم ترَ ابنها النبي بعد ولادته، إلا عندما صار عمره ٢٢ عاماً، وجاء لها فعرفته من خلال غريزة الأمومة، وصاحت بوجه اليهود عندما أرادوا تسميته بأسماء يهودية مثل (بنيامين، شوموئيل .. الخ) .. ورفضت وأبت إلا أن تسميه بـ(يهيا يهانا) ممن وهبه الحياة.

ولد النبي وفق البشارة الإلهية لأبويه زكريا واينشبي وهي المعجزة الأولى، معجزة الولادة .. وان الله وهبه الحكمة وعلمه الكتاب وهو صغير في حال صباه فقد كان عمره ٢٢ سنة عندما دعي كنبي في أورشليم .. وبعد ولادته مباشرة، وقبل ان تقع عيننا والدته عليه، أخذه الملاك أنش أثرا إلى (بروان طورا هيوارا – جبل بروان الابيض) وتم تعميده بعد بلوغه الثلاثون يوما. واخذ ينهل الحكمة وتعاليم الرب العظيم من قبل ملائكته الابرار إلى ان بلغ سن الثانية والعشرين، بعدها أعطي التاج والصولجان واصبح من الناصورائيين العظام (الناصرائي هو المتبحر بالعلوم الربانية)، وعاد بصحبة الملاك أنوش أثرا إلى مدينة أورشليم ليجهر بدعوته واصلاحه الناس.

ان القصة المندائية التي تؤكد على ان هذا النبي قد تتلمذ وعاش ونشا بعيدا عن اورشليم، في منطقة تعرف بـ(جبل بروان الابيض).

ان الأدب المندائي المدون يتحدث عن زواج هذا النبي وتكوين عائلة كبيرة من بنين وبنات. فيذكر انه تزوج من فتاة اسمها (انهر) والذي يعني اسمها في اللسان الارامي المندائي (الأحسن، الاشرق، الاضوء)، ورزق ايضا بخمسة ذكور وثلاث اناث، واسماؤهم هي كالاتي: الذكور : هندام ، بهرام (ابراهيم) ، انصاب (الثابت) ، سام ، شار. والاناث : شارت ، رهيمات هيبى (رحمة الحياة)، انهر زيوا (انهر الضياء).

ابتدأت قصة ولادته برؤية عجيبة رآها احد كهنة اليهود في اورشليم، اختلت فيها موازين الطبيعة، اذ رأى كوكبا هبط على انشبي ثم ارتفعت نار تتوهج في باب بيت زكريا. وحصل اضطراب في الاجرام السماوية، والأرض انحرقت عن مكانها، ونيزك انحدر نحو اليهود واخر نحو اورشليم، وارتفعت سحب الدخان في بيت المقدس. وعندما تليت هذه الرؤية على كهنة اليهود، اوعز رئيس الكهنة (اليزار – اليعازر) بان يستعان بتفسير تلك الرؤية بالكاهن (ليولخ) وهو كاهن ذو علم بتفسير الاحلام. فكتبوا رسالة يشرحون فيها الرؤية واعطوها إلى (طاب يومين) ليوصلها إلى ليولخ، وجاء تفسير الرؤية من قبل ليولخ بالاتي:

(سوف تلد انشبي ولدا ويدعى نبيا في اورشليم وانه سيقوم بصباغة الناس في الماء الجاري "يردنا" ويسقيهم ماء الحياة "ممبوها"، فالويل لكم يا كهنة اليهود، اذا ماولدت انشبي مولودا، ويل لك يا معلم الصغار، وويل للتوراة، اذا ماولد يحيى في اورشليم. ان يحيى يجيىء ويصبغ في يردنا، وسيكون نبيا في اورشليم).

فسرها الكهنة بان هذه رؤية ستتحقق بميلاد نبي من صلب زكريا وانشبي (اليصابات). وعلى اثرها ثار كهنة اليهود على الاب الشيخ زكريا، وقال (اليزار) له (ابتعد عن اورشليم ولا تلقى الفتنة في اليهود)، ورد الاب الشيخ زكريا بصفع الكاهن اليزار على خده، قائلا له: (هل هناك من مات ثم عاش ثانية، حتى تلد انشبي مولودا؟ هل هناك من اصيب بالعمى ثم ابصر، او كان كسيحا ثم قام، حتى تلد انشبي مولودا؟ هل الاخرس يستطيع ان يكون معلما كي تلد انشبي مولودا؟ منذ اثنتين وعشرين سنة لم اقترب من زوجتي، فأني مصير ينتظرها وينتظركم، اذا ولدت انشبي مولودا؟!).

فاعتمل الغضب والكره في قلوب كهنة اليهود الكبار، وخططوا شرا للتخلص من الوليد وامه .. وعلى اثره غضب الاب الشيخ زكريا وهم بالخروج من المعبد، فتبعه اليزار فرأى ثلاثة اسرجة ضوئية تسير معه. فسأله مستفهما عنهما، فقال له زكريا: (يا اليزار يا رئيس جميع الكهنة، المشاعل التي عبرت امامي لا اعرف من تحرس؟!!! والنار التي اتت من خلفي، لا ادري من ستلتهم؟!!! ولكن اسمعوا: اي مصير ينتظرها، وينتظركم، اذا ما ولدت انشبي مولودا؟!!!).

وعرف عن هذا النبي بانه قوي وذو تاثير كبير على محيطه، ولقد جاء في الادب المندائي، وعلى لسان (يهيا يهنا) بان مصدر قوته كانت من خلال تسبيحاته لخالقه وعبادته له. فقد كان زاهدا في الدنيا ولم يحب اكاليل الورود، ولم تغره النساء، ولم يكن من شاربي الخمر ولا اكلي اللحوم، ولم ينسَ ابدا محبته وعبادته لابيه السماوي (الحي العظيم)، ولم يترك صباغته (تعميده) ولا رسمه الطاهر، ولم ينسَ يوم الاحد المقدس. فلقد كانت مجمل احاديثه وتعاليمه تدور حول حيازة نعيم ملكوت الحياة بعد الموت.

- صفاته :

كان النبي المعلم (يهيا يوهنا) حسن المظهر والوجه والصورة ، وهو على اكمل أوصاف الصلاح والتقوى ، وهو شديد الشبه بوالديه ، فتذكر المصادر المندائية بان فمه وعينيه وانفه تشبهان فم وعين وانف والدته اينشبي ، وشفته وجبهته وطوله، تشبهان شفة وجبهة طول والده زكريا ، ويقال أن النبي عند ولادته كان يضيء البيت بنوره وحسن وجهه وجماله. فكان لباسه البياض دائما، ماسكا عصا السلام (مركنا). وكان مباركا اسمه حكيماً وحليماً وذا نفاذ بصيرة وطبعه هادئ وودود ومتواضع ومتصدق وجميل الصورة وله جاذبية قوية وحديثه ممتع وكلامه رصين ومبني على تعاليم ربه، وكان محبا ومكرما ومجلا لأبيه وأمه وزوجته. وينقل أن النبي يحيى عندما يصلي

تغرورق عيناه بالدموع من كثرة خشوعه وانه عندما يبدأ بالصلاة في الصباح الباكر ، حتى طيور السماء تركز إلى أعشاشها وتنصت لصوته وتراتيله النورانية الخاشعة . . ان هذا النبي كان ينهمك في صباغة الجموع الغفيرة التي تطلب الرحمة والغفران من الرب وعلى يديه من خلال الصباغة ويجري ذلك كله في النهار وينصرف في الليل إلى تلقين تلاميذه ومن يبغى المعرفة الحية ، تعاليمه ووصاياه وافكاره الدينية.

ما أروع نبينا يهيا يهانا، فمنذ صرخته الأولى داخل أورشليم، وهو حينذاك بعمر اثنتين وعشرين سنة، وحتى لحظة عروج يهانا برفقة ملكا منداد هبي أبيه الروحاني إلى عالم النور حيث دار الكمال والحياة المتقنة، وكان بعمر أربع وستين سنة أي خلال فترة اثنتين وأربعين سنة. كان يصرخ هاتفاً داعياً مبشراً ومنذراً. فقد دعا إلى صلاح الدنيا والناس كي يتطلعوا إلى عالم النور والحياة الأزلية.

ما أكثر ما كان يتوخى الدقة في اقتناص الحكمة والعبر من دواخل بطون القصص والحكايات التي كان يرويها عن الملائكة والأنبياء في أماسي الليالي، فانتشر خبره، وذاع صيته، وتناقلت الرواة أمره، وتداولت على الألسن أحاديثه، وأبلغ كل مسافر كل قائم، وحدث الغادي الرائح، بأنه قد ظهر من يبشر الناس ويطلب استغفار الخطائين ويعمد السالكين في اليردنا. فاتسعت رقعة الدعوة، وأصبح يهانا من يسعى إليه الناس ويخطبون وده، ويعظمون شأنه. أحبه كل الطيبين، حتى الأشرار فانهم قد خافوا على أنفسهم منه وتاقوا إلى التوبة على يده وطلبوا منه أن يعمدهم بالماء الجاري. هكذا إذن أصبح لنبينا يهيا يهانا مبارك اسمه أنصار وأتباع يتزايدون كل صباح حيث يصطبغون على يده في اليردنا، ويسعون في أماسي الليالي إلى سماع الحكم والمواعظ والنصائح والدروس والعبر^(١).

فقد أصبح معروفاً ومحبوفاً ومرهوباً، وكيف لا وهو الرسول وصاحب رسالة الحق السماوية. فقد كان الأب والأخ والابن والمعلم والمرشد والواعظ لكل الناس ولكل تلاميذه

(١) الاستاذ امين فعيل حطاب سدني.

ولكل أتباعه ومريديه والسالكين معه في طريق التوبة والندم والاستغفار في طريق الحق، وقول الحق، والتعامل مع الناس بالحق، وبذل كل ما يفيض عن حاجة الإنسان إلى أخيه الإنسان الذي يحتاج إليه، بل أن يقتسم ما عنده مع غيره. أما غيابه فلا يستطيع المرء أن يقدر ولو بقليل من الدقة ما أصاب الشعب كله، الذي تابع يهيا يهانا أو سمع منه أو أخذ منه أو تتلمذ على يده أو اقتدى به. فلقد أرسى لهم بالقول والفعل قواعد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقتهم جميعاً مع الحي العظيم والحياة الأزلية المتقنة.

وأدناه ابتهاج مبارك اسمه إلى خالق السموات والأرض.

ربّ سبحانك.

بأسم الحي العظيم – معظم النور السماوي.

امنحني يا ربّ الصحة والنزاهة، واغفر لي خطاياي، أنا (الملواشة) وتقبل دعائي وتسبيحاتي يا ارحم الراحمين، أنت الخالق الذي مدّ بصري لآبائي، ورسخ فكري وعقيدتي للحياة الأزلية. استسمحك يا خالق الحياة ألاّ تبعد سائلاً فقيراً عنك. بكل تواضع استسمحك وبمعزل عن وجود السبعة يا خالق السموات، الخالق الذي تقبل ارتجائي وصلاتي وتسبيحاتي، أن أقول: لتكن عدالتي من عدالتك، ارزقني مكاناً في ملكوتك، وأقم لي سكناً في عالمك ولا تحملني عبء أخطائي التي أثقلت كاهلي بهذا العالم. ارعني كي أتبرأ أمامك، كي أتحمّل الظلم لأجلك، أنت أنهيت عنائي لأنني عبدك وغرسك والابن الذي عاش لأجلك. أنا الذي تكلمت بقلبي، وعظمت عقيدتي، وحنيت قامتي وظهري أمام عدالتك. أنت الحاكم الهادئ الذي من فوق الضياء قادم. أنت النور النقي الذي يعلو كل الأنوار^(١). يا خالق الرايات المتقنة، ويا خالق النظم الخفية، ورب جميع رسالات الحق، ورب التسبيح، أقرّ لنا دعاء

(١) الاستاذ امين فعيل خطاب سدني.

الأثريين، وتقبل تسبيحات الملائكة، واسند فكري، وامنح القوة والعزم لي ولكل محبي اسمك. ضعني تحت أنظارك، وأحببني بقلبك، وارعني بقوتك، وألبسني من بهائك، واكسني من نورك، ولا تحرمني من قربك. أبعد عني المصائب، والخوف، والغثيان. أنقذني من سطور الكواكب السبعة، والأبراج الاثني عشر. أبعدني عن قبضة الشر. حررني من قيود حبال الموت. لا تحرمني من قربك. سلحني ضد الشر، وأسوار الغضب، وسلط الحق على رقاب مفسدي هذا العالم، واكبح الشر، وأبعد عني العوز والفقر، والحظ السيئ، وغفوة الخاسرين، وساعة الغضب، وأيام السوء، والمصائب التي تحدث في كل وقت. امنحني الحياة الأزلية، واسقني ماء الحياة المنعش، وأعمر لي مستودع الصدقة، وامنحني الحظ السعيد، واجعلني مع أخواني الناصورائيين كي يكونوا بقربي، وكي يغرسوا لي غرساً هادئاً، ومعى زوجتي وأبنائي وتلاميذي، واجعل شيخوختي مباركةً دون أن ابتعد عن نظر أبنائي وسهر طلابي. بهذا الدعاء والصلاة ارتجى غفران الخطايا لي ولأبي ولأمي ولعلمي ولزوجتي ولأبنائي وتلاميذي ولكل الأنفس التي نهضت بأسم الحي العظيم ولأجله، واستقر اسم منداد هبي داخل قلوبها الصادقة والمفعمة بالإيمان. نعم للحي العظيم، وحقاً للحي العظيم، والحي العظيم يزكي كل محبي اسمه، ولا يجافيهم، ويجمعهم تحت رباط الحياة المقدس. الحياة تعرفنا، والحياة تثقفنا، والحياة للرجال الذين يرشدوننا. والحي عزيز في مقامه، ويزكي كل الصادقين الصالحين.

اما بخصوص العلاقة ما بين يوحنا والمسيح .. فهما ومثل ما هو معروف تعاصرا لفترة زمنية في منطقة اورشليم وضواحيها. ولقد جاء المسيح إلى يهيا يهانا لكي يتقبل

الصبغة على يده، وفي البدء رفض يوحنا صبغته ولكن في النهاية أنصاع لأمر ألهي وصبغ المسيح، وقد كان لهذه الصبغة أهميتها اللاهوتية والاجتماعية بالنسبة للمسيح^(١).

عمود النبي يحيى (ع)^(٢)

برخيا (من فرقة الآيسنيين)

زكريا (ع) نشفي أو اليشاع أو اليصابات

يحيى (ع) انهر

هندان شارات - بهرام - إرهيمات هيبي - إنصاب سام - أنهر زيوا شار

ذكر أنثى ذكر أنثى ذكر أنثى ذكر أنثى ذكر

توأمان توأمان توأمان

ان النبي ابن الاربعة والستين عاما يحيى يوحنا(مبارك اسمه) قام بعدد كبير من المعجزات دلالة على نبوة هذا النبي المبارك و قد وردت هذه المعجزات بشكل واضح في الكتب المندائية المقدسة و منها:

نبي المندائية

يعد النبي يهيا محيي المندائية بعد اندثارها، فقد اقنع كثيراً من المرتدين المندائيين بالعودة إلى دينهم القويم. وبعد أن أرسى يهيا دعائم الدين المندائي وطبق تعاليم توقف من وقتها وحتى الآن التبشير بالديانة المندائية، وذلك لاكتمال أحكام المندائية ونصوصها المقدسة بواسطة آخر أنبيائها يهيا. وغدا وفقاً للشريعة ان من يخرج من الدين المندائي ويعتق ديناً آخر يُعد مرتداً مارقاً، وبالتالي لا يجوز شرعاً رجوعه اليه بأي حال من الأحوال، وهذه الحالة قريبة من مفهوم الردة في الدين الإسلامي.

(١) الاستاذ امين فعيل حطاب سدني.

(٢) تاريخ الصابئة المندائيون العرب البائدة، عبد الفتاح الزهيري، ط١، بغداد، ١٩٨٣.

((المرتد، كما جاء في نصوص الكنزا ربا استرااليا))

(اذا ارتد احد منكم عن ايمانه وانصرف عن شريعة ربه فلا تتخلوا عنه وحاولوا ان تعيدوا الايمان إلى قلبه، اذا ارتد هو عن ايمانه للمرة الثانية وجنح إلى الشر فلا تصدوا عنه وحاولوا ان تنقذوه من خطيئته، اذا ارتد هو عن دينه للمرة الثالثة وجنح للشر فلا تتركوه وشأنه وحاولوا ان تعيدوه اليكم، خذوا به إلى باب بيت المندا ودعوه يسمع التراتيل وادعية الصلاة واتركوه يقرأ في كتب الشريعة والمخطوطات الدينية لكي يلين قلبه ويستضيء بهداية النور، إن بدا يصغي وانطلق يشهد ورجع اخيراً تائباً إلى احضان الايمان فاحبوه واتركوه ياخذ مكانه السابق بينكم ولا تلعنوه لخطيئته، ولكنه اذا حَرَنَ وتمانع عن الاصغاء وإلى الشهادة والرجوع إلى دينه فاقلعوه من وسطكم كما تقلعون نبتة سيئة ليقتل هو شر قتلة من قبل السلطة ومن ثم يلقي بالنار المتقدة).

ومنذ أن رفع الله نبيه يهيا إلى سمائه التزام المندائيون وكهنتهم بالعمل وفق القواعد التشريعية والفقهية التي اختطها يهيا، والسير على هدي سنته وسنة من سبقه من أنبياء المندائية: آدم (كبرا قدمايا)، وشيث (شيتل بر آدم)، وسام (شوم بر نوح)، وغدريس (دنانوخت)، المتمثلة بأقوالهم وأفعالهم التي دونها النبي يهيا في كتابه (دراشا إد يهيا). وكان من سنة النبي يهيا، التي يطبقها كل مندائي، اكتساؤه بالأبيض من الثياب (الرستا)، ولم يرتد غير الأبيض منذ ولادته حتى صعوده إلى عالم النور، وهو وفق المعتقد المندائي ما ارتداه كل من سبق يهيا من أنبياء المندائيين، وكل المندائيين من بعده.

ووفقاً لما جاء في كتاب (حران كويثا)، فقد كان يهيا نبياً ورسولاً، وفي المندائية تعني كلمة رسول (شليها): انه مرسل بأمر الله بمهمة خاصة محددة، وهذا التفسير المندائي لمعنى رسول مغاير للتفسير الإسلامي الذي ينص على أن الرسول هو من يوحى

له الله ويأمره بتبليغ الرسالة. فصفة الرسول ليهيا في المندائية لا تعني أنه بعث برسالة، وإنما هي هنا بمعنى انه رسول لإعادة بناء الدين المندائي ومنقذاً لاتباعه.

يهيا والسيد المسيح

لدى الباحثين المندائيين كثير من الاعتراضات على ما ورد في العهد الجديد حول العلاقة بين نبيهم يهيا والسيد المسيح، وخاصة حول قصة مقتل يوحنا بقطع رأسه بأمر هيرودس، فيرون انها غير صحيحة، لأن يهيا عاش - وفق معتقدهم - أكثر من أربعين سنة أنجب خلالها أولاد عديدين، ثم رفعه الله إليه فهو حي في السماء. وكذلك حول تبشيره بقدوم السيد المسيح، حيث يرون أن يهيا هو صاحب الرسالة، وانه لم يرسل أبداً للتبشير بقدوم السيد المسيح، الذي يعدونه مجرد شخص مقدس لأنه نال الصباغة على يد يهيا. كما انهم يعلقون أهمية كبيرة حول التماثل بين شخصية يهيا وشخصية المسيح، وتشابه دعوتيهما وأعمالهما في المعجزات وفي التعميد، ويستشهدون على ذلك بالقول بحقيقة إدعاء هيرودس: بان عيسى صاحب التعميد والخوارق ما هو إلا يوحنا المعمدان الذي قطع رأسه ثم قام حياً من عالم الأموات. ومع إقرار المندائيين بوجود الشخصيتين: يهيا وقريبه عيسى، وان ذلك حقيقة واقعة تثبتتها الكتب المقدسة المندائية وخاصة كتاب دراشا اد يهيا في نصوصه، ولكنهم يعتقدون بأن كل ما يدعيه العهد الجديد لشخصية السيد المسيح من أعمال ما هي إلا أعمال نبيهم يهيا يُهاناً.

وتنحصر العلاقة ما بين يهيا والسيد المسيح وفق العقيدة المندائية بأنهما عاشا متعاصرين في فترة زمنية واحدة وضمن منطقة جغرافية واحدة. وان السيد المسيح جاء إلى يهيا وهو على نهر الأردن لكي ينال الصباغة، وفي البدء رفض يوحنا لأسباب مختلفة عن الأسباب التي أوردها العهد الجديد، ولكن في النهاية انصاع يهيا لأوامر إلهية وصيغ السيد المسيح في نهر الأردن المقدسة وذلك عندما: (هبطت رسالة من بيت أواثر تقول: يا يحيى أصبغ المسيح. أصبغه في يردنا، واصعد ضفة النهر، حيث الروح تمثلت في

حمامة رسمت صليباً فوق يردنا ولوّنت الماء بألوان متعددة، وقالت ليردنا: أنت قدستني، وقدست أبنائي، فالماء الجاري الذي اصطبغ به المسيح، أصبح له ماءً مقدساً، والخبز المبارك الذي تناوله أصبح روحاً للقدس، والماء الذي شرب منه أضحي قرباناً)، ويرى المندائيون بأن هذه الصباغة أو التعميد على يد يهيا هي ما أعطى للسيد المسيح أهميته اللاهوتية والاجتماعية، مع أن ما يفهم من النص المندائي السابق هو أقرب بكثير للمعتقد المسيحي مما يفسره المندائيون، بل وتكاد لا تختلف عن نص العهد الجديد: ((حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه * ولكن يوحنا منعه قائلاً: (أنا محتاج أن اعتمد منك، وأنت تأتي إليّ!) * فأجاب يسوع وقال له: (اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ). حينئذٍ سمح له * فلما اعتمد يسوع سعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه)) (متي: ١٣/٣ - ١٦).

ومع اتفاق المندائيين مع وقائع العهد الجديد بعمادة يهيا للسيد المسيح، لا نجد أي ذكر في النصوص المندائية عن ولادة أو نشوء أو معجزات أو صلب أو قيامة السيد المسيح. ولكن التشابه في سيرة الحياة وفي طبيعة الرسالة التي بشر بها كل منهما، واشتراكهما بتعميد الناس للتوبة، استدعى كل ذلك، ومنذ تلك الأيام وحتى الآن، ان تستمر كتابة بحوث ودراسات وقيام جدليات كثيرة حول العلاقة الروحية ما بين هذين النبيين.

صبغة يهيا (المصبتا)

يعتقد المندائيون بوجود فوارق كبيرة شرعية وطقسية بين صباغتهم (١) وبين العمادة (٢) عند المسيحيين، فالصبغة المندائية هي طقس الدخول من العالم الأرضي إلى عالم النور السماوي. بينما المعمودية في الدين المسيحي تعني إعلان التوبة لمغفرة الخطايا، وهي تنبع من فكرة الخلاص من الخطيئة والولادة الجديدة، فالعمادة المسيحية هي الموت ثم القيام بولادة جديدة لحياة جديدة لكل من يعمد في المسيح، وهذا ما تدل عليه رسالة القديس بولس: ((أنتم عندما تعمدتم في المسيح دُفنتم معه وقمتم معه أيضاً)) (كولوسي: ١٢/٢). ولذلك فهناك فرق كبير بين الصبغة والمعمودية. ففي المندائية يتم صبغة الطفل بعد أن يبلغ عمره ثلاثين يوماً، مع انه بهذا العمر لم يرتكب أي خطيئة بعد. ويطلق المتفقهون في الدين المندائي (الناصورائيين) على طقوس التعميد المسيحية اسم (ماميدوثا) مقابل الاسم الآرامي للصبغة (مصبوتا). وهم يقولون: (مصبوتا قاشيش ماميدوثا)، أي: الصبغة أقدم من المعمودية.

وبسبب الصبغة يسمى النبي يهيا: (يهانا مصبانا) أي الصابغ، حيث كان يصبغ بطريقة من سبقه من الأنبياء، ويتلو الآيات ذاتها التي كانوا يتلونونها، والتي لازال يتلوها رجال الدين المندائي أثناء الصبغة، وأهم ما يردده: (صببت إ بمصبته إد آدم) وتعني: اصطبغت بصبغة آدم، مما يدل على قدم طقس الصبغة في الديانة المندائية. وأيضاً بسبب الصبغة أو التطهر بالماء أطلق بعض الدارسين للمعتقدات المندائية اسم

(١) الاصطباغ: أو الصبغة، تعني العمادة في الماء، وصفة الصبغة دقيقة التعبير هنا، فعندما يُعطس الثوب في ماء الصبغة يكون بلون، وعندما يخرج، يكون زاهياً بلون آخر، وهكذا الإنسان. ومن المعروف أن طقوس التطهر بالماء استمرت على ضفاف الأنهار، ولم تنقطع، وربما الأقرب منها للطقوس المندائية هي طقوس الإله ميثرا في الزردشتية.

(٢) العمادة: من عمّد الشخص أي غسله بماء المعمودية، ومنها تعمد واعتمد، وأصلها آرامي من العمد أي البلل.

(المغتسلة) على المندائيين، ويعتقد هؤلاء بأن ما ورد في التراث الديني المندائي عن النبي يهيا ونشاته وتلقيه الأبجدية وعلوم الكتاب والتفقه بالدين في منطقة بعيدة عن أورشليم، قيل إنها: (جبل بروان الأبيض)، ربما كانت واحدة من المرتفعات المحيطة بمنطقة قمران قرب البحر الميت حيث كانت تقيم جماعة (الاسينيين) أو المغتسلة، ويقول آخرون ربما كان هذا الجبل من مناطق تعبد الصابئة الحرانيين.

الأسينيون أو مغتسلة الصباح: هم فرقة يهودية كانت طقوس الاغتسال أهم الشعائر في عقيدتها. فكانوا يقومون بالاغتسال قبل كل صلاة، وقبل النطق بأسم الإله، ويعتقد كثيرون بان يوحنا المعمدان كان معلمهم أو واحداً منهم أو انه على الأقل لازمهم لفترة. ومن الباحثين من شمل بهذه الطائفة أيضاً السيد المسيح نفسه (١)، بحجة انه تعمد على يد يوحنا وفق هذه الطقوس تماماً التي تنص على أن إنساناً يعمد إنساناً. وهناك من يقول بأن أصول الديانة المندائية تعود لفرقة المغتسلة، وأن يوحنا المعمدان كان يتأسس هذه الفرقة (٢). وقد ظلت بقايا من فرقة المغتسلة موجودة وتقوم بطقوسها حتى القرن الثالث الميلادي.

وفاة النبي يهيا يهانا

لا يؤمن المندائيون بالقصة الواردة في العهد الجديد (مرقس: ١٦/١٧ - ٢٩) حول قتل هيرودس للنبي يهيا بسبب معارضة زواجه من أرملة أخيه، ويعدونها بدون أي سند تاريخي أو ديني، وبالمقابل فان للمندائيين رواية أخرى وردت في كتابهم المقدس (كنزا ربا) تقول بان روح يهيا غادرت جسده بأمر ربه وصعدت بلد النور (٣). كما أكد كتاب دراشا إد يهيا: أن يهيا لم يُقتل وإنما عرج إلى السماء، برفقة أقدس الملائكة الأثري العظيم (منداهيي)، الذي ظهر له بشكل طفل عمره ثلاث سنوات وطلب منه

(١) طقس العمادة أو التطهير المتكرر في المسيحية تحول بعد السيد المسيح لمرة واحدة في حياة الإنسان، وقد ابتدع ذلك بولس الرسول، بعد قوله الشهير: (الآن تحررنا من الناموس).

(٢) راجع كتاب: الفرقة المندائية، هنري يونيون، طبع في باريس عام ١٨٨٩.

(٣) راجع نص: صعود يحيى إلى بلد النور، من كتاب كنزا ربا - يمين.

الصباغة، وبمجرد ان لمس يده تحررت نفسه من الجسد، وتحول إلى ملاك طاهر بقدره الحي العظيم وصعد إلى بارئه، وهذه المعجزة جعلت جميع الملائكة والأثريين يدركون مدى قداسته فطلبوا منه أن يذكرهم أمام الخالق بخير ليرضى عنهم. ويعتقد المندائيون بأن وفاة يهيا كانت في فلسطين ما بين أعوام ٢٨ - ٣٠ ميلادية.

وفي حين لم يرد في القرآن الكريم أي شيء عن نهاية حياة النبي يحيى، جاء في التراث الإسلامي المنقول عن الروايات الإسرائيلية انه قتل من خلال قصة تشابه قصة العهد الجديد. واستفاد المندائيون من هذه القصة ليبرهنوا أن يهيا أو يوحنا لم يكن يهودياً بل مندائياً، لأن يوحنا كان يقول لهيرودس: (لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك). وفي حال أن الشريعة اليهودية لا تمنع زواج الأخ من أرملة أخيه بل تحبذ ذلك، وان الشرائع المندائية تحرم زواج الرجل بزوجة أخيه المتوفى، فان يهيا كان يطبق الشريعة المندائية وليس اليهودية. كما يعتقد المندائيون بأن ما ورد في القرآن الكريم عن السيد المسيح من انه ما قتل وإنما شبه لهم، هو أقرب لموت يهيا، محاولين بذلك الإشارة ولو مجازاً بأن كل ما قيل عن السيد المسيح يخص النبي يهيا.

يحيى بن زكريا

في المعتقدات الإسلامية

يحيى في القرآن الكريم:

هو أحد الأنبياء الذي يحظون بقدسية في كافة الديانات، ولكنه في الإسلام يحظى بأعلى مراتب القدسية كنبي من لدن الله: (مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران: ٣٩). ويقول ابن كثير في تفسيره: ((سيِّدًا: أي سيِّدًا في العلم والعبادة، أو في خُلُقِه ودينه، أو الذي لا يغلبه الغضب))، وحصورًا: ((الطهارة والعفة ونظافة القلب))^(١). وقال القاضي عياض في كتاب (الشفاء): ((أن حصورًا معناه معصوم من الذنوب، أي لا يأتيها، كأنه محصورًا عنها، وقيل مانعًا نفسه من الشهوات)). وفي بعض التفاسير أن حصورًا: (الذي لا يأتي النساء)، ولكن ابن مسعود والسدي وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطاء وأبو الشعثاء والحسن وابن زيد قالوا: (الحصور هو الذي يكف عن النساء ولا يقربهن مع القدرة)^(٢).

وقد بدأ تميز يحيى من لحظة تكوينه حيث بشر الله به والده النبي زكريا: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) (مريم: ٧)^(٣)، مما يدل على تكريم خاص من الله، فهو الذي سمّاه بهذا الاسم (يحيى)، إضافة لكونه ينفرد به عن كل من سبقه من البشر، فيحيى اسم جديد لم يعرفه الناس من قبل. وهذا الاسم مشتق من الحياة فيه بشارة أخرى بمضمون معناه: انه سيعيش حتى يبلغ أشده ويؤدي

(١) تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن كثير: ٣٤١/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي: ٤/٢: ٤٩.

(٣) يورد إنجيل لوقا قصة مماثلة فيها: عمق زوجة زكريا، وتبشير الملائكة لزكريا بمولد يحيى.

رسالته السماوية لقومه. ويقول أصحاب التفاسير في اسم يحيى أشياء كثيرة، منها: قال قتادة: ((سمي بيحيى لأن الله تعالى أحياه بالإيمان والنبوة)). وقال مقاتل: اشتق اسمه من اسم الله تعالى (حي) فسمي يحيى. وفي تفسير آخر: انه سمي بيحيى لأن الله تعالى أحيأ به الناس بالهدى. وقيل: لأنه أحيأ أمه التي كانت عاقراً.

ووفقاً للقرآن الكريم فان يحيى لم يعش طفولته كباقي الناس، فقد آتاه الله الحكم أي العلم والحكمة وهو صبي، ولما غدا مؤهلاً كُلف بالنبوة: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (مريم: ١٢). يقول ابن كثير في تفسيره: ((آتاه الحكمة صبياً فكان فذاً في زاده، كما كان فذاً في اسمه وميلاده. فالحكمة تأتي متأخرة، ولكن يحيى قد زود بها صبياً)). وروي عن معمر انه قال: ((قال الصبيان ليحيى بن زكريا، اذهب بنا نلعب، فقال يحيى: ما للعب خُلِقنا)).

ومنحه الله الحنان^(١) أي الرحمة والشفقة والمحبة، وزكاه على قومه بالتقى وبر الوالدين: (وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا) ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (مريم: ١٣ - ١٤)، يقول ابن كثير: ((وآتاه الحنان هبة لدينه لا يتكلفه ولا يتعلمه، إنما هو مطبوع عليه ومطبوع به)). واستبق الله حياة يحيى بالسلام عليه في أدق وأحرج ثلاث محطات في وجود الأنسان: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) (مريم: ١٥)، وورد في تفسير هذه الآية: ((أي له الأمان في هذه الأحمال الثلاثة، فخصه الله بالسلام عليه)). ففي حياة الأنسان أصعب ما يكون هي تلك المواقف الثلاث، فإذا كان محاطاً فيها بسلام الله فانه من السعداء حقاً. وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، أن الحسن قال: إن يحيى وعيسى عليهما السلام، التقيا، فقال له عيسى:

(١) اسم يوحنا الذي يطلق على يحيى في العهد الجديد من الحنان، وهو من مقطعين: (يو) وهي (يهوه). و(حنا) هي الحنان، أي (الرب يحن)، وهي ليست من الحياة كيحيى.

استغفر لي فأنت خير مني، فقال يحيى: أنت خير مني، فقال عيسى ليحيى عليه السلام: أنت خير مني، سلّمت على نفسي وسلّم الله عليك.

ومما يستفاد من قصة النبي يحيى في القرآن الكريم انه ولد لأبويه بمعجزة خارقة للطبيعة البشرية، فقد كان أبوه شيخاً كبيراً وأمه عجوزاً عاقراً، ولكنها ليست المعجزة الأولى - وفقاً للقرآن الكريم - ولن تكون الأخيرة، فقد أنجب إبراهيم من قبل وقد بلغ من الكبر عتياً وامراته عجوز كبيرة: (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) ○ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (مريم: ٧١ - ٧٢). وسنجد في سورة مريم انه بعد بشارة زكريا بيحيى بشر الملاك مريم بمعجزة حملها دون أن يمسسها بشر: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) ○ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ○ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (مريم: ١٩ - ٢١).

ومما يذكر في رواية القرآن الكريم حول النبي يحيى انه رغم الصفات الكثيرة التي أطلقها عليه فانه لم يتطرق أبداً لقضية مقتله المذكورة في العهد الجديد، ولا لكيفية موته، وترك ذلك في طيات الغيب.

يحيى في الحديث الشريف

تؤكد صحاح الأحاديث الشريفة بأن يحيى بن زكريا ليس متفرداً عن سبقه بأسمه فقط، بل هو متفرد عن سبقه وعن تلاه بعدم ارتكابه أية معصية أو خطيئة، لا بل حتى انه لم يفكر بالمعصية مجرد تفكير أو انها خطرت بباله. قال الإمام احمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أنبأنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((ما من أحد وُلد إلا وقد أخطأ أو همّ

بخطيئة إلا يحيى بن زكريا فانه لم يهّم ولم يعمل بها^(١). وفي حديث آخر: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: ((ما من أحدٍ إلا وقد أخطأ، أو همّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا))^(٢). وروى احمد عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا ما همّ بخطيئة ولا عملها)).

وتدلنا قصة الإسراء والمعراج على أن يحيى وعيسى هما ابنا خالة، فقد ورد في صحيح البخاري ضمن حديث الإسراء الذي رواه الصحابي الجليل مالك بن صعصعة الأنصاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه: ((حتى إذا أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح. فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابن الخالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح)).

- يحيى في التراث الإسلامي:

يعد يحيى بن زكريا في التراث الإسلامي بأنه الشهيد بن الشهيد، وقد انتشرت حوله القصص في كتب التاريخ الإسلامي كما في البداية والنهاية لابن كثير، وكتب التراث الديني مثل كتب قصص الأنبياء، ولكن في جميعها تتغلب الإسرائيليات على الرواية الموثقة، فحياته كما وردت في القرآن الكريم هي إشارات ولمحات في غاية الاختصار، لأن القرآن ليس كتاب روايات وسير، وما أورده حول النبي يحيى وغيره من

(١) ورد هذا الحديث في كتاب: قصص الأنبياء، أبي الفداء إسماعيل بن كثير: ٥٥٠.

(٢) المصنف، أبي شيبة: ٣٢٥٧٢.

الأنبياء أو الأقوام الغابرة هو للتذكير ولأخذ العبرة والموعظة، لهذا لجأ الرواة والمفسرون والمؤرخون في صدر الإسلام للتراث اليهودي الذي لم يكن أمامهم غيره للبناء حول مختصرات روايات القرآن الكريم. ولذلك نجد أن التراث الإسلامي يردد كثيراً مما ورد في العهد القديم حول حياة النبي يحيى، ومنها: انه كان كثير الانفراد عن الناس حيث يأوي إلى القفار ويرد ضفاف الأنهار، ويأكل من ورق الأشجار وجراداً وعسلأً برياً، ويلبس كساء من وبر الإبل. وان كل ذلك كان مخافة أن يرتكب ذنباً أو خطيئة. وانه مع كل التقشف في حياته كان يقول: (مَنْ أَنْعَمَ مِنْكَ يَا يَحْيَى؟). وفي الروايات الإسلامية الكثير من الشواهد على زهد النبي يحيى وتنسكه وبكائه من خشية الله، كما حفلت بالعديد من المواعظ والحكم المنسوبة إليه.

اختلفت روايات التراث الإسلامي فيما إذا كان زكريا وابنه يحيى (عليهما السلام) قد ماتا أو انهما قد قتلا كما ورد في الكتاب المقدس، لكننا نجد أن معظم الروايات تكرر قصص مقتلهما، فمع أن النص القرآني لا يشير لذلك أبداً لكنه قد تكرر في القرآن ذكر قتل بني إسرائيل للأنبياء بغير حق: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يُكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (البقرة: ٦١). ولذلك فقد أيد قصص قتلها ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية) برواية إسرائيلية عن وهب بن منبه، كما ان المؤرخ الطبري ذكر في (تاريخ الرسل والملوك) أن: ((فساد بني إسرائيل الأول كان بقتل زكريا، وان فسادهم الثاني كان بقتل يحيى))، ولكنه أضاف: ((وليس في قتلها نص ثابت)).

ويوجد في المكتبة الإسلامية كتيب يقدم فيه ابن قيم الجوزية تفسيراً لوصايا يحيى

الخمس إلى بني إسرائيل، وهي:

- أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.
- وان الله يأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.
- وأمركم بالصيام.
- وأمركم بالصدقة.
- وأمركم أن تذكروا الله تعالى.

الصلة بين يحيى وعيسى:

توجد علاقة قوية وتقارب واضح وجوانب مشتركة بين حياة النبيين يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم في التراث الإسلامي، منها:

- معجزة الولادة، فولادة يحيى كانت من أب طاعن في السن ومن أم مسنة وعقيم. وكانت ولادة عيسى من أم فقط دون أب.
- طفولة خارج المألوف، منح الله يحيى عقلاً وحكمة وهو صبي، حتى غدا أهلاً لحمل النبوة. أما عيسى فقد تكلم وآتاه الله الكتاب والنبوة وهو في المهد: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) ○ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (مريم: ٢٩ - ٣٠).
- التسمية: اختار الله سبحانه اسم يحيى قبل ولادته وبلغه لأبيه: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) (مريم: ٧). كذلك هو من اختار اسم السيد المسيح وبلغه لأمه: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) (آل عمران: ٤٥).

● **السيادة والوجاهة:** قضى الله ليحيى أن يكون سيداً ونبياً من الصالحين: (مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران: ٣٩). كما قضى لعيسى أن يكون وجيهاً ومن المقربين إليه: (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (آل عمران: ٤٥).

● **سلام الله، وجه الله في القرآن الكريم سلامه ليحيى:** (يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً). في حين ان عيسى في القرآن الكريم هو من وجه السلام لنفسه: (يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً). ولم يوجه الله سبحانه السلام في القرآن الكريم إلا ليحيى وعيسى فقط.

لكن يبقى في القرآن الكريم – حول التقارب والتشابه بين هذين النبيين – ما هو أكثر من ذلك بكثير، فقد وردت قصة مولد يحيى بن زكريا مرتين في القرآن الكريم، الأولى في سورة آل عمران والثانية في سورة مريم. وجاءت معجزة مولد يحيى في آل عمران مباشرة بعد ولادة مريم بشكل طبيعي. أما في سورة مريم فتأتي قصة مولد يحيى قبل مولد عيسى، وتبين أن كليهما ولد بمعجزة وإن كانت مختلفة، مع فرق واحد هو أن الكلام الذي يتعلق بيحيى جاء بصيغة الغائب، في حين كان الكلام المتعلق بعيسى كان صادراً عنه بصيغة المتكلم. أما صفات وسجايا يحيى فسرها لا تختلف عن تلك التي قيلت أو التي ستقال في آيات تالية بحق عيسى.

والآن حان دور السؤال المفصلي: لماذا كل هذا التناغم في السرد القرآني بين قصتيهما؟ هل هو لأن عيسى قريب ليحيى؟ مع أن القرآن الكريم لم يشر أبداً لأي صلة قريبي بينهما. يضاف إلى ذلك ان دعوة يحيى كانت متزامنة مع دعوة عيسى، وانهما قد بشراً في الوقت ذاته، فما السر في هذا التزامن والتطابق بينهما؟ كما أن ما جاء به القرآن الكريم من أوصاف وما ميز به من تكريم وتقديس لكلا النبيين يجعلنا نعتقد أن أي صفة

لأحدهما تنطبق على الآخر تماماً. فهل كان الأمر مجرد توافق وتزامن؟ أم هما نبيان
اشتركا في رسالة واحدة؟ أو انهما رسالتان قام بهما نبي واحد؟ وهل كان هيرودس على
حق حين اشتبه عليه أمرهما، ولم يتمكن من التمييز فخلط بينهما كما جاء في العهد
الجديد: ((في ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربيع خبر يسوع * فقال لغلمانه: هذا
هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات! ولذلك تعمل به القوات)) (متي: ١٤/١ - ٢).

- يحيى في تراث المسلمين الشيعة:

تجهد روايات التراث الشيعي لإثبات أن هناك تشابه كبير بين حياة الحسين بن
علي بن أبي طالب، وحياة يحيى بن زكريا، فيروون عن الإمام زين العابدين علي بن
الحسين انه قال: ((خرجنا مع الحسين (عليه السلام) فما نزل منزلاً ولا رحل منه
إلا ذكر يحيى بن زكريا (عليه السلام)، وقتله، وقال: ومن هوان الدنيا على الله أن
رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. كما ان شهادة الحسين
(عليه السلام) تشبه شهادة يحيى (عليه السلام) من عدة جهات أيضاً، وكذاك فان
اسم الحسين كاسم يحيى لم يسبقه به أحد، ومدة حملهما كانت أقل من المعتاد))^(١).
ويروون بأن الإمام الصادق قال: ((زوروا الحسين (عليه السلام) ولا تجفوه، فانه سيد
شباب الشهداء أو سيد شباب أهل الجنة وشبيهه يحيى بن زكريا)).

ويعد تراث الشيعة أوجه كثيرة للتشابه بين الحسين وبين يحيى بن زكريا، منها:

(١) قصص القرآن، آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، إعداد وتنظيم: السيد حسين الحسيني:
٣٦١ - ٣٦٢.

إن اسمي الحسين ويحيى لم يعرفا قبل أن يتسموا بهما. وان مدة حمل كل منهما في بطن والدته كانت ستة أشهر فقط^(١). نزول الوحي الإلهي يبشر بمولد كل منهما قبل أن يولدا. بكاء السماء عليهما حين مقتلهما، وذلك وفق رواية القطب الراوندي: ((انه بكت السماء عليهما أربعين صباحاً)). وان كلاً من رأسيهما بعد القطع وضع في طشت ذهبي، وأهدي إلى زناة أو أولاد زنا استناداً لرواية الباقر: ((انه لم يقتل من الأنبياء إلا أولاد زنى)). الانتقام الإلهي لمقتل يحيى والحسين بقتل القتلة ومن حولهم، فكان الانتقام لمقتل يحيى بقتل سبعين ألف شخص قتلهم نبوخذ نصر^(٢)، والانتقام بقتل مائة وأربعين ألف قتلهم المختار الثقفي.

- أعياد ومناسبات يحيى:

احتفال بشارة يحيى: من المعروف عند عامة المسلمين صيام أول أحد من شهر شعبان، فهو كما يعتقدون اليوم الذي استجاب به الله لنبيه زكريا وبشره بولده يحيى. ويسمى هذا الصيام: بشارة يحيى أو يوم زكريا. ولهذا اليوم ميزته الخاصة في جميع نواحي العراق حيث توحد هذه المناسبة العراقيين على اختلاف أديانهم وطوائفهم. لكن الأهم ما كان يجري في مدينة بغداد، حيث اعتاد سكانها، ومنذ زمن لا يذكره أحد، على إقامة الاحتفالات السنوية لبشارة يحيى.

ففي الليلة المحددة تحضر النساء البغداديات صواني تملأ بالشموع المزينة بالشرائط الملونة وأغصان الآس الأخضر والحلويات والمكسرات، فيما يقوم الأطفال بالضرب على

(١) كثير ما يرد في هذه المقاربة بين يحيى والحسين بدون دليل، لكن أن يكون يحيى ولد بعد ستة أشهر من الحمل فهذه غريبة، لأن القرآن الكريم لم يشر لذلك، وحتى في الإسرائيليات لم يرد مدة حمل أمه به، أما العهد الجديد فهو يناقض هذه المعلومة تماماً ويقول إن أليصابات زوجة زكريا وأم يحيى قد أتمت حملها، أي الأشهر التسعة: (وأما أليصابات فتم زمانها لتلد، فولدت ابناً) (لوقا: ٥٧/١).

(٢) يروى عن التابعي سعيد بن المسيب المخزومي انه قال: ((قدم بختنصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فسأل عنه فأخبروه، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن)) وهذه من الإسرائيليات غير المؤكدة.

طبلااتهم كإيقاع مرافق لازمة يقولها الجميع : ((يا زكريا عودي عليّ كل سنة نسويك صينية)). وغالباً ما يكون سبب الاحتفال بهذه الليلة وصوم نهارها (صوم زكريا) للوفاء بنذور قطعها النساء اللاتي لا ينجبن، أو ليس لديهن ذكور، فيدعون الله وينذرون الصوم وصينية، ونذر الصوم يمكن أن يكون عن الأكل أو عن الكلام. إضافة إلى ذلك يتضمن الاحتفال بهذا اليوم تقديم بعض المشروبات والحلوى، خاصة السمس المطحون بالسكر، وأنواع أخرى إلى جانب إيقاد الشموع وتزيين أبواب المنازل بأغصان نبات الآس وسعف النخيل والأزهار. ويترافق الاحتفال مع مسيرات للأطفال في الشوارع والحارات وهم يحملون دقفاً فخارية وينشدون لذكرى بشارة يحيى. وفي المساء توقد الشموع على قطع من كرب النخيل تترك لتطفو فوق مياه الأنهار والشطوط، ثم يتبادل الأقرباء والجيران صواني الطعام التي تزينها الأباريق الفخارية الملونة. ويشارك بهذا الاحتفال جميع الطوائف المسيحية في العراق حيث يوفون فيه نذورهم، ويوقدون الشموع في الكنائس وفي البيوت، كما أن بعض النسوة المسيحيات يصمن هذا اليوم عن الكلام (صوم زكريا).

- ذكرى استشهاد يحيى :

تحدد بعض كتب الشيعة بأن استشهاد النبي يحيى كان يوم السابع والعشرين من صفر، وبهذه المناسبة اعتاد الكثيرون من شيعة البحرين على إقامة مجالس التعزية، حيث يقرأون فيها قصة تدور أحداثها حول مقتل يحيى بن زكريا، وينشدون فيه المراثي والنوحيات التي كتبها بعض شيوخهم. ويحتفل بهذا اليوم الرجال والنساء، كما أنهم في بعض السنوات يخرجون بمواكب التعزية، ويقدمون وجبات الطعام لكل المشاركين في احتفال هذا اليوم. ويبدو أن ذكرى استشهاد يحيى هي ظاهرة خاصة لدى شيعة البحرين والإحساء والقطيف. ولا يشابهها إلا احتفال المندائيين بعيد الصباغة الذهبي أو يوم صباغة النبي يحيى في ٢٣ أيار.

- ضريح النبي يحيى :

يعتقد معظم الباحثين بأن جثة النبي يحيى قد دفنت في سبسطية قرب السامرة بفلسطين، حين أن التلاميذ حملوا جثة معلمهم من اورشليم إلى سبسطية، ومنهم من يقول: إن هيرودس قتله فيها. وكان في سبسطية كنيسة بيزنطية قديمة أقيم على أنقاضها بعد الفتح الإسلامي مسجداً استمر حتى قدوم الصليبيين، فحولوه إلى كنيسة بأسم (يوحنا المعمدان). ولما استرد المسلمون البلاد أعادوا إعمار المسجد وسموه (مشهد النبي يحيى)، وقد تمت توسعته في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. ويذكر الباحثون بأن الجامع يضم قبور عدد من الأنبياء، منهم: زكريا ويحيى، وفيه سرداب عميق ينزل إليه بإحدى وعشرين درجة يوجد في جداره الجنوبي تسع كوّات، يقول الأهالي إن كل كوة هي قبر، وفوق الكوات توجد غرفة تسمى (غرفة الأنبياء).

وفي الجامع الأموي بدمشق، يوجد ضريح للنبي يحيى يقال انه مكان دفن رأسه. ويروي الأشرفاني في كتاب (عمدة العارفين) حول الضريح ما يلي: ((اختلفت الروايات في أمر رأسه الشريف، منهم من قال: إنه دفن بجامع دمشق. وشاهد على ذلك، ما ذكر عن زيد بن وافد، وكان وكيل الوليد بن عبد الملك بن مروان على عمارة جامع بني أمية بدمشق، قال: ولما كان العمال يشتغلون في الجامع، وجدوا ذات يوم مغارة طولها ثلاثة أذرع في عرض ثلاث أذرع، فعرفنا الوليد فجاء في حالك الليل وببيديه الشمع، فنزلها فإذا هي كنيسة، وإذا فيها صندوق، ففتحه وإذا بسفط فيه رأس ومكتوب عليه، هذا رأس يحيى بن زكريا، فرده الوليد إلى مكانه، وقال: اجعلوا عليه عموداً مسفطاً، قال زيد بن وافد: فهو العمود المسفط الشرقي الرابع من ركن القبّة)). وبعد الحريق الكبير للجامع الأموي تم بناء قبة جميلة في هذا الموقع تكريماً للنبي يحيى بن زكريا.

من الاطلاع الوافي على حياة يحيى ودعوته ، التي هي دعوة التوبة المتاحة للجميع ، والتطهر من الآثام ، وقول الحق بوجه الظلم ، وتبني رسالته من قبل عدة أديان ، لا بد أن نكون قد استخلصنا العبرة لتصحيح أفكارنا حول أصل الأديان ، وحول غايتها ، وذلك حين نكتشف أن الأديان كلها ذات منبع واحد ، وانها تتبع إلهاً واحداً مهما اختلفت تسمياته وفق اللغات المختلفة. وما أحوجنا اليوم – أكثر من أي وقت مضى – لإحياء شخصيات دينية توحد مفاهيمنا ولا تفرق بيننا ، يلتف حولها الجميع ويهتدون بهديها نحو خير الأنسانية وسعادتها الذي كان على الدوام الهدف الأسمى لكل الأديان. ومن سيرة يحيى المتفق على أساسياتها نتعرف على مجالات اللقاء بين هذه الأديان ، ونعرف الروح الحقيقية الواحدة لكل الأديان ، والتي تهدف جميعها لإحلال السلم والعدل في الأرض ، وحسن التعامل بين البشر ، وتحقيق الراحة لنفوسهم المتعبة.

- معجزاته :

- ١- معجزة الرؤيا : حيث شاهدت جموع الكهنة اليهود رؤيا فسرها لونغ الكاهن على انها رؤيا تدل على ولادة نبي في اورشليم يقوم بالتعميد في يردنا ويرجع العالم إلى دين الله الاول (المندائية)... دراشا اد يهيا
- ٢- معجزة الولادة : حيث ولد من أبوين هرميين (زكريا ابن ٩٩ عاما و امراته انشبي بنت ٨٨ عاما) فضلا عن انها كانت عاقراً..... دراشا اد يهيا - حران كويثا- الكنز العظيم
- ٣- معجزات شفاء البشر : حيث قام مبارك اسمه بشفاء المرضى و البرص و العميان و ارجاع الصحة اليهم (وقد نسبت هذه المعجزات تاريخيا للسيد المسيح حيث تذكر المصادر المسيحية والاسلامية بقيام يسوع بن ماريا بهذه المعجزات دون تطرق لمعمده ومعلمه يوحنا (مبارك اسمه)... دراشا اد يهيا

- ٤- معجزة سجود الطيور و العصافير للحي العظيم (مبارك اسمه) عند براخته (صلاته) ايام الاحاد.... دراشا اد يهيا.
- ٥- معجزة انهزاز بيت المقدس بعد دخوله له وشهادة اليهود بانه النبي المعمد الموعد حيث قال اليهود ليحيى : يا يحيى لن تحرق النار و السيوف لا تقطعك ما دام اسم الحي العظيم مذكور عليكدراشا اد يهيا
- ٦- معجزة رحيله إلى الجبل الابيض بصحبة الملاك انش اثرا حيث عاش على حليب الاشجار منعا من تعرض اليهود للطفل المبارك دراشا اد يهيا - حران كويثا
- ٧-معجزة صعوده إلى عالم الانوار بعد اتمام مهامه على الأرض حيث اتم اعادة شريعة الحياة الفطرية لبني البشر بعد ان طوت معالمها النسيان بطغيان و جبروت اليهود حيث قام الحي العظيم (مبارك اسمه) ببعث الملاك مند اد هبي ليوحنا (مبارك اسمه) وخلصه من ثياب اللحم و الدم و البسه بدلة الضياء صاعدا بروحه الطاهرة إلى عالم الانوار (الجنة)..... دراشا اد يهيا.

- اقواله:

- شذرات مضيئة قالها نبينا يحيى بن زكريا (مبارك اسمه):
- كن كالفلاح الذي يزرع وينبت الأشجار التي تحمل المعرفة والطيبة.
 - تمثل بديانة العهد (الحق) التي لا كذب بأقوال علمائها.
 - تصور الذي صور الأجسام بكل حكمة وجمال.
 - كن كالسراج المنير الذي ينير اليسار واليمين بالحق والإيمان.
 - كن كالجبل الشامخ الذي لا تزحزحه الرياح، انه يشع عبادة وتسبيحاً.
 - تمثل بالتاجر الذي خسر الألوف لكنه لا يزال يتصدق بلباقة ووسامة.
 - كن كالمائدة المملوءة التي تقدم للجياع وهي مبهجة.

- كن كالعين الطاهرة التي لم يدخلها الباطل انها طاهرة.
- كن كالفراشة التي تؤسى في بيت محكم وهي تظن ان وقت خلاصها من الأسر قريب، ثم أطلقت انها كمثل من يطلب رحمة مليئة بالإيمان.
- تصور المبكر من الفجر يعمل للحياة لكنه متمرّد، ويرمي بشباكه ضد طالبي الرحمة وهو كاذب.
- تصور البحر الهائج الذي يجر سفينتك إلى الشر.
- تصور الشجرة المرة التي تثمر فاكهة سامة، على هيئة فاكهة طيبة ليس فيها نقص.
- تصور شجرة الدردار التي تدعي بأن ثمرها أحسن الأثمار وهي بلا ثمر.
- تصور حالك بعد زوال نعمتك وقد كنت لاهياً فاسداً مؤذياً.
- الحكيم من لا يترك بيته بدون سقف.
- الحكيم من لا يمتطي جواداً بلا سرج.
- الحكيم من لا يقدم طعاماً بلا طعم (فائدة).
- الحكيم من لا يلقي القول جزافاً، كمن يبني بيتاً بلا مدخل.
- الحكيم من لا يطلق سفينة بدون ملاحين^(١).
- الحكيم من يوقف كلامه الوديع في نداء ويصغي ثم يقدم السلام.
- العاقل من يوقف كلامه الطيب ويتجه إلى كل أعمال الخير.
- الحكيم من يعطي رأيه بالموافقة التامة وحاضراً للتوقيع عليه.
- رأس تسبيحك سبوح لمن أتيت منه.
- قمة إيمانك أن تبعد النفس عن الحسد ومرادفاته.
- تصور الذي صور الأجسام بكل حكمة وجمال.

(١) دراشة يهيا أي تعاليم يحيى .

- تصور المستهزئ الذي لا يجدل إكليلاً لنفسه — انه أحقق.
- كن كالشجرة حلوة وعطرة وخاضعة.
- رأس طهارتك أن لا ترمي نفسك بالنجاسة.
- تصور ديانة العهد التي لا كذب بأقوال مؤمنيهها.
- رأس بصيرتك هو أن لا ترمي نفسك بالتهلكة.
- رأس معرفتك هو أن لا تخلط الأمور.
- رأس استقامتك هو أن لا تقول ما لا تعرفه.
- قمة نجاحك هو أن توقر كل إنسان.
- قمة غناك هو أن لا تطمع ولا تشتتهي ما ليس لك.
- رأس عدلك هو أن تحاسب نفسك.
- رأس كيائك هو أن تكون نفسك وتتقبل الحكمة.
- كن كالميزان المتقن المملوء، والذي لا نقص في حركته.
- تصور طيبة نفسك حين تضرب بحجر ثم تعفو.
- أمن الحكمة أن لا يتحرر المرء ويكتم قوله ويسكت والقول كثير؟
- أمن الحكمة أن تكون كالمطر في ارض خراب؟
- أمن الحكمة أن تفكر بالحجر لا يترطب بالزيت.
- الحكيم من يقدم الطعام للذين في داره ولكل مسالم يتعبد.
- الحكيم من ملأ قلبه إيماناً وابتعد بما يتناهى وتمسك بالسلام.
- الجاهل قد يأتيك بدين مغشوش وقول قاس كصورة السيف المسلول.
- الجاهل من يوقف كلام الكبير ويظهر الغير، ويتمسك به، ويسلم بأطراف أصابعه.
- تصور الزنديق انه كالدلو الممتلى الذي لا يروي حتى أصدقاءه انه أحقق.

- تصور الأنسان الذي يكره حتى نفسه انه كالخصم.
- تصور من لا يبني بناءً لنفسه انه أحمق.
- تصور الحكيم الذي ليس له نظام كالسيدة المحترمة بدون ثياب.
- كلمات الحكيم للحمقى مثل حجر لا يلين بالزيت.
- كلمات الحكيم للحمقى مثل المرآة للعمى.
- كلمات الحكيم للحمقى مثل المطر الذي يسقط على أرض بور.
- كلمات الحكيم للحمقى مثل الملابس البيضاء للحدادين.
- كلمات الحكيم للحمقى مثل زيت البلسم للسّمك.
- تترك الأحمق جائعاً يقذفك بكل الحماقات وان أشبعته فخذ وتقبل منه ما لا تحمد عقباه.
- من يعلن ولا يفعل يشبه النائم الذي يقتل عدوه في الحلم، وعندما يفيق من النوم يرى انه لم يفعل شيئاً.
- من يعلن ولا يفعل يشبه القاضي الذي يقول الحق لغيره وليس لنفسه، الويل للذين يعلنون ولا يفعلون، وللذين يقولون ويفعلون شيئاً آخر ظاهراً تبدو عليهم علامات الإيمان وكلهم أخطاء في داخلهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون لتكن كالأب الطيب الذي يربي أولاده تربية صالحة بالعبادة والإيمان احترسوا وأبعدوا أنفسكم عن الخداع والشر والكذب والضلال والغش والخزي، والمسكن، والكفر، والقسوة، والحماقة، والطرب، وتصغير النفس، والزنا، والفجور، والمعصية، وغواية الشيطان، وغمز العيون، والرخص، والسبي، والتعلق ببنات الهوى.
- ايها الناس ان الحسد، والغيرة، والهم، والكره، والغضب، والفخر، واللمز، والعصيان، والزنا، والخطف، والاستحواذ بالظلم، والقوة، والنهب، وغزل

الشر، والنجاسة، وقذارة الجسم، والاحتقار، والازدراء الخبيث، وإضمار الشر لعباد الله المؤمنين، كل هذه الصفات لا تدل على الإيمان بالله العظيم، وشتان ما بين رمانة ممثلة بالصدق (فعالاً) وأخرى ممثلة زيفاً.

– الويل لهؤلاء الحمقى المخادعين الذين يغيرون أوامرنا ويغيرون ما أوحينا لهم، إن الأنسان الذي يظهر إيمانه، ثم يراوغ، ثم يعلن رغبته بالتعبد، قرب موته، ويبدأ يسمع وينعم كلام الرب، ولا يبدي ان الله لن ينسى، وقد يرحمه، أما أولئك الذين قرأوا وسمعوا وأطاعوا وملأوا أفواههم بدون كذب ما أملاه عليهم الحي العظيم كتابه المقدس، وما قاله يحيى بن زكريا في مدينة القدس والله المزكي لكل عباده الصالحين وهو المزكي.

المبحث العاشر

مقدسات مندائية

اولاً - الشمال قبلة المندائيين :

جاء في الكنزا ربا: "تسكن الشمال القاصي، أنت القوي الجميل البديع." الشمال هو قبلة المندائيين، إذ يقع فيه: عرش الخالق والجنة موطن الملائكة الصالحين، ولديهم كثير من الدلائل تؤيد ذلك: إن منابع الأنهار دجلة والفرات هي من الشمال وتجري إلى الجنوب. والشمال هو أصل الجهات الأربع، حيث أن الرياح الشمالية نقية زكية، تذهب عن النفس الهموم وتفرح وتشرح الصدر، بينما تكون عكس ذلك الريح الشرقية، والبوصلة يتجه مؤشرها دائماً نحو الشمال، وقد أثبت العلماء في الوقت الحاضر بأن الشمال يعتبر أقصر نقطة لانطلاق المركبات الفضائية والأقمار الصناعية نحو رحلتها إلى الهدف الذي يرغب العلماء الوصول إليه، الآن أو في المستقبل، عند سبر أغوار الكون. لهذا فالفرد المندائي يتجه دائماً نحو قبلته التي هي الشمال، حيث لا شيء أرضي يتجه إليه، إنما يكون نظره دائماً إلى عالم النور في صلاته ووفاته ونومه، وإجراء كل طقوسه الدينية من زواج وذبح وصباعة وغير ذلك".

لقد جاء وصف جهة الشمال "عالم النور" في كتاب كنزا ربا المبارك بنصوص رائعة ومؤثرة، منها: "العالم الذي يقف فيه ملك النور عالم لا زوال فيه، عالم الضياء والنور الذي لا ظلام فيه، عالم اللطف الذي لا عصيان فيه، عالم الصلاح الذي لا اضطراب ولا خلل فيه، عالم الأريج الذي لا رائحة كريهة منه، عالم الحياة الخالدة الذي لا موت ولا فناء فيه، عالم الماء الحي الذي في شذاه يبتهج الملائكة، عالم الطيبة الذي لا خبث فيه، عالم الحق والإيمان الذي لا أفك ولا بهتان فيه، عالم التقوى والخير".

ثانياً: بيت العبادة (المندا):

المندا هو معبد المندائية، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعמיד رجال الدين، ويقام عادة على ضفاف واحد من الأنهار الجارية، له باب واحد يقابل الجنوب بحيث يستقبل الداخل إليه جهة الشمال، ولا بد من وجود قناة تصله بماء النهر، ولا بد من وجود علم يحيى "الدرفش" على يمينه أثناء إقامة الطقوس الخاصة بالطرسة والاعمال الدينية الاخرى.

ثالثاً: قدسية بيوت العبادة:

إن النفس المحافظة النقية، والمحملة بالخير والصدقة ترى منزلها في عالم النور، والاثريين من حولها، ويد العهد ممدودة إليها، وهم يكللون رأسها بتاج عظيم من النور والوقار، ويمنحونها إكليلاً عظيماً انه إكليل النزاهة - مواعظ يهيا. الرجال المميزون هم الذين يعمرن الأرض، ويبذرون الخير، ويطرحون نفايات الشر بعيداً، إنهم يزرعون اللآليء ويحصدون الاطياب - مواعيط يهيا. "أبنائي انتبهوا لكل شيء يبعدكم عن دينكم ويكرهكم في اصدقائكم، لا تظنوا أن العالم الذي ستذهبون إليه جالساً فقط للحساب والخلص، وإنما يجلس للمحاكمة والتثمين العظيم، بحيث كل يوم يمر عليكم يخزن في داخله، وسوف يختار كل من جهز نفسه بالطيبات ليرتقي، أما العاري فسيحكم ويدان. ويل للفارغ الذي يقف عارياً أمام بيت الحساب.

من حقنا نحن المندائيون أن يكون لنا بيت للعبادة، نكشف فيه عن خلجات أنفسنا أمام الحي العظيم، نتضرع إلى منداد هيب، نبتهل إلى هيبيل زيوا، نتلقى المعرفة نتنعم بالصباغة، نتعلم اللغة المندائية على أصولها، فهي البوابة التي من

خلالها نتبحر في أعماق كنوز تراثنا المندائية، فمن حقنا أن ندرس أصول الدين ونتعرف على تاريخنا كي لا نخرج امام الآخرين حينما نتعرض للسؤال عن ديننا وتاريخنا ووجودنا، هذا كله من حقنا نحن المندائيون، كل ذلك متوفر في بيوتنا الدينية، ذلك المكان الطاهر الذي أنعم الحي العظيم علينا به. اذاً ما هو واجبنا اتجاه كل ذلك كي نستحق هذه النعمة التي لا يعلى عليها، واذا كنا جحودين بهذه النعمة التي وهبنا اياها الحي العظيم، فما مصيرنا إذا دنسنا هذا المكان الطاهر؟ وكيف نكون صادقين مع أنفسنا ومع الآخرين من جوارنا؟ إنه حقاً الضياع بنفسه، فالويل ثم الويل لم تسول له نفسه ويدنس هذا المكان الطاهر، فالعقيدة المندائية وكنوزها الزاخرة بالتعليم والوصايا والارشادات هي مدرسة عظيمة تجعل المندائي يمثل الحق للآخرين، ونبراساً يضيء الدرب أمام الآخرين. وبنفس الوقت يحذر المارقين الذين التفوا بحجاب الظلمة بقوله: "من أضع الذهب الثمين حتماً سيبحث عن الفضة دون جدوى"، فلنقتدي نحن المندائيون بنبينا يهيا يهانا الذي يقول: "ابتعدوا عن المنكر والأعمال التي لا تجدي نفعاً، أقيموا لكم عالماً كبيراً فلا تغريكم النساء، ولا تهووا النقص، ولا تكونوا من شاربي الخمر، ولا تحبوا ان ترمقكم العيون الحاسدة"، فديننا ينهانا عن كل ما يهين النفس بقوله: "لا تدمنوا على شرب الخمر في الحوانيت، وتخلقوا نقصاً في أنفسكم، ولا ترقصوا وتتغنوا تحت قاعات الظلام".

لا حظوا كيف أن ديننا العظيم ينهانا ويرشدنا بالابتعاد عن تلك الأماكن وعن ما يهين النفس، فلا تسمح لنا ضمائرنا بأن نجعل المشين في أظهر الاماكن وهو "المندي". إن هذا العمل المشين حتماً سيقفل من شأننا ويجلب لنا السمعة السيئة بين الملل الاخرى.

وقد ورد في تراثنا الديني النص التالي الذي يؤكد أن الغناء الفاحش والرقص الشهواني أصلاً محرّم: "لا تناخسي نخستا قدامي ولا اخلي بسرا لهذا لا تشتي همرا اذ شيها ولا زمري قدامي اذ اولاً". أي بمعنى: لا تنحروا ذبيحة أمامي، ولا تشربوا خمرة الشهوة، ولا الموسيقى أمامي، ولا الغناء الفاحش أمامي. يقصد بها أمام الله، بالتالي المقصود هو بيوت العبادة.

رابعاً: الشهادة الدينية المندائية:

"بشميهون اد هبي ربي * اكاهيّي اكّا ماري اكّا مندا اد هبيّي * كباثر انهورا * ابسهودوثا اد هبيّي * وابسهودوثا اد ملكا راما ربّا إد انهورا * * إلهها ربّا اد من نافشي أفرش * اد لا باطل ولا مبطل اشمخ يا هبيّي، ماري، مندا اد هبي * وهبي زكن * بأسم الحيّ العظيم * موجود الحيّ * موجود الرب * موجود عارف الحياة، بشهادة الحيّ * بشهادة ملك النور السامي * * الله الحيّ الازلي الذي تكّون من نفسه * الذي لا باطل ولا مبطل لاسمك شيء * اسمك يا حي يا الله يا عارف الحياة (والحي المزكى)".

خامساً: الكتب الدينية المندائية:

أول هذه الكتب وأهمها هو الكتاب المندائي المقدّس "الكنزا ربّا"، الذي يُعدّ أقدم تراث ديني، يتبع الآباء الأولين للبشرية. وقد كان الكتاب - بالأصل - موزعاً على عدة أجزاء، كل منها مستقل عن الآخر، ويسمى كتاباً، وكلها كانت مدونة على ورق البردي، أو منقوشة على صفائح معدنية، وعندما جُمعت في كتاب، لم تصنف النصوص وفقاً لتسلسل أحداثها، ولم تنظم بشكل يتناسب مع هدف النص، أو زمانه،

أو محتواه، كما ظهر التكرار في بعض الروايات، وهذه مشكلة معظم الكتب الدينية. ومع كل هذا؛ جاء مضمون الكتاب على درجة عالية من الوضوح؛ ليعطينا فكرة عن واحد من أقدم أنماط التفكير الديني للبشرية.

ويصف الكتاب المقدس "كنزا ربا" نفسه بهذه الكلمات

بأسم الحي العظيم

"هذا سر الكتاب والتفسير الأول، والتعليم الحي الأول الذي كان منذ الأزل."

بسم الحي العظيم :

"هذه هي الحكمة الأولى، هذه الموعظة الأولى، هذه الكلمة الأولى التي أعطيت

لآدم رأس الذرية، فكانت قولاً وشهادة."

كنزا ربا أو الكنز العظيم أو سيدرا ربا أو الكتاب العظيم أو كنزا ادهيي أو كنز

الحياة، كلها تسميات متعددة لشيء واحد، ألا وهو الكتاب الرئيسي المقدس

للمندائيين، هذا الكتاب الذي أنزلت صحفه الأولى على آدم أبي البشر من قبل الخالق

العظيم "هيي ربي" مسبح اسمه "مشبا اشمي"، والذي نقلها إلى أبنائه من بعده، ومنه

إلى الأجيال الأنسانية جيلاً بعد جيل وحضارة بعد حضارة، وكلها مطلعة على

الحقيقة الأبدية الأزلية التي أراد الله سبحانه أن تكون هكذا بإرادته. يحوي الكنزا

ربا صحف آدم وشيتل ودنانوخت "إدريس" وسام ويحيى "مباركة أسمائهم" من أنبياء

الله المرسلين، حيث كانوا عندما تصل إليهم صحف الأقدمين منهم يضيفون لها ما

يوحي الرب لهم من تعاليم ووصايا بما يتناسب والعصر الذي يعيشون فيه، لذا أصبح

كنزاً حقيقياً ينقل أفكار الحضارات المتلاحقة لتوصل الماضي بالحاضر، ولتقدم المعونة

للمستقبل القادم، لذا حق أن يسمى "كنزا هيي" أي كنز الحياة .

ولم يقتصر كنزا ربا على صحف الأنبياء والصالحين من بني البشر، وإنما تعداها إلى احتوائه على أقوال وعلوم وأنباء الملائكة، ومن الملائكة الذين نقلوا علومهم إلى آدم: "منداهي، وهيبيل زيوا، ومارا ادربوثا، اثر وانش، ونباط ربا، وسام زيوا، ويوخابر كشتا". ولم يقتصر على ما جاء في صحف الأنبياء من زمن ما بعد خلق الإنسان، وإنما تحدث عن صفات الخالق وأسمائه، وكيف ابتدأ الخلق العلوي في عوالم النور، وكيف خلقت موجوداتها، وكيف خلقت الملائكة، وكيف خلقت عوالم الظلام، وصولاً إلى تكوين الكون المادي، وتفصيل عن تكوين المجرات والنجوم والكواكب التي فيه، وانتهاءً بالأرض وما تحويه من مياه وأشجار وحيوانات، وإلى كيفية إبداع الإنسان وما خلقه في أحسن صورة، والأسرار التي وضعت فيه. كل هذا محتوي في الجزء الأيمن والذي يتكون من ١٦ "بوته" أي سورة. أما الجزء الأيسر "شماله" فيتحدث عن نفس الإنسان "نيشمثا" وهن ماهيتها وكيف خلقت، وموطنها الأصلي، وكيف جلبت إلى هذا العالم، والأسرار التي أرسلت معها، وكيفية دخولها جسد آدم، وكيف تخرج وبمساندة من، ومسيرة العودة، وكل ما يتعلق بها. ومن هذين الجزئين- اليمين واليسار- يتكون كنزا ربا بصفحات عددها ٦٠٠ صفحة، كل منها تحتوي ٢٠ سطراً، وكل سطر يحتوي على عشر كلمات، فالمجموع ١٢٠ ألف كلمة. وقد وصلت إلينا بكل دقة وأمانة محفوظة في القلوب والعقول والكتب عن طريق الإسناد وبالكتابة، أي أنا فلان نقلتها عن فلان عن فلان... إلى أن نصل إلى عهد النبي يحيى مبارك اسمه آخر أنبياء المندائية، فلا تحريف ولا زيادة ولا نقصان، لأنها كلمات الخالق جل شأنه تبقى ثابتة وراسخة رسوخ وثبوت الأرض والإنسان المندائي في هذا الكون.

والكتب المندائية يمكن تقسيمها لاربعة أقسام: دينية، وطقسية، وتاريخية،

ومعرفية، وهي:

- ١- "كنزا ربا" الكنز العظيم.
- ٢- "سيدرا اد نشماتا" كتاب الأنفس .
- ٣- "اننياني" كتاب الصلوات والادعية والتراتيل المندائية.
- ٤- "قلستا" تراتيل الزواج.
- ٥- "دراشا اد يهيا" تعاليم يحيى.
- ٦- "أسفر ملواشي" كتاب أسفار الأسماء.
- ٧- ديوان "ترسر والف شيالا" ١٠١٢ سؤال.
- ٨- ديوان "آلما ريشايا ربا" ديوان العالم العلوي العظيم.
- ٩- ديوان "آلما ريشايا زوطا" ديوان العالم السفلي.
- ١٠- ديوان "حران كويثا" حران الداخلية.
- ١١- ديوان "مصبتا اد هيبيل زيوا" صباغة جبرائيل.
- ١٢- ديوان "اباثر" مخطوطة الحساب والميزان.
- ١٣- ديوان "نهرواتا" الانهار المقدسة.
- ١٤- ديوان "زهرون رازا كسيا" مخطوطة صعود السر الخفي .
- ١٥- ديوان "ملكوتا اليثا" مملكة السماء.
- ١٦- ديوان "طراسا اد تاغا شيشلام ربا" تكريس التاج.
- ١٧- ديوان "قابين اد شيشلام ربا" الزواج.
- ١٨- شرح "البرونايا" الايام البيضاء.

١٩- شرح "طراصة المندي" تكريس بيت العلم والعبادة.

٢٠- ديوان "قداها ربا" القدحة الأولى.

٢١- ديوان "دموث اد كشتا" مثيل العهد.

٢٢- ديوان "رازي اد ابهاثي" سر الصعود.

٢٣- "إنساني اد مصبتا" خطوات المصبتا.

٢٤- شرح "زدقا بريخا" الصدقة المباركة.

٢٥- انواع من "المسخثي" الأرتقاء والصعود.

٢٦- انواع مختلفة من "القماهي والزرزتا" الادعية والحفظ.

كنزا ربا

يفتح الكتاب المقدس للمندائيين "الكنزا ربا بالتسبيح الأول لله الحي العظيم.

بِأَسْمَاءِ الْحَيِّ الْعَظِيمِ

مُسَبِّحُ رَبِّي بِقَلْبِ نَقِيٍّ (١) هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم (٢) هو الأزلي القديم، الغريب عن أكوان النور، الغني عن أكوان النور (٣) هو القول والسمع والبصر، الشفاء والظفر، والقوة والثبات (٤) هو الحي العظيم مسرة القلب، وغفران الخطايا -

مُسَبِّحُ رَبِّي بِقَلْبِ نَقِيٍّ (٥) يا ربّ الأكوان جميعاً .. مُسَبِّحُ أَنْتَ، مُبَارَكُ، مُمَجِّدٌ، مُعَظَّمٌ، مَوْقَرٌ، قَيَّومٌ (٦) العظيم السامب ملك النور السامي (٧) الحنان التواب الرؤوف الرحيم - الحي العظيم (٨) لا حد لبهائه - ولا مدى لضيائه (٩) المنتشرة قوته - العظيمة قدرته (١٠) هو العظيم الذي لا يرى ولا يحد (١١) لاشريك له في سلطانه، ولا صاحب له في صولجانه (١٢) من يتكل عليه فلن يخيب، ومن

يُسَبِّحُ بِاسْمِهِ فَلَنْ يَسْتَرِيْبُ، وَمَنْ يَسْأَلُهُ فَهُوَ السَّمِيْعُ الْمَجِيْبُ (١٣) مَا كَانَ لِأَنَّهُ مَا كَانَ،
وَلَا يَكُونُ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ (١٤) خَالِدٌ فَوْقَ كُلِّ الْأَكْوَانِ. لَامُوتَ يَدْنُومْنَهُ وَلَا بُطْلَانَ (١٥)
وَأَمَامَةَ الْمَلَائِكَةِ مَاتَلُونَ، بِأَضْوِيَّتِهِمْ يَتَأَلَّقُونَ . سَاجِدِينَ خَاشِعِينَ . شَاكِرِينَ مُسَبِّحِينَ
(١٦) هُوَ الَّذِي لَاحِدٌ لَهُ وَلَا كَيْلُ، وَلَا تَدْنُو عَتَمَةٌ مِنْ ضَوْئِهِ وَلَا لَيْلُ (١٧) هُوَ الْجَلَالُ
وَالْأَتْقَانُ. هُوَ الْعَدْلُ وَالْأَمَانُ. هُوَ الرَّأْفَةُ وَالْحَنَانُ (١٨) الْأَوَّلُ مِنْذُ الْأَزَلِ. خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
(١٩) ذُو الْقُوَّةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَثِيلُ . صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ جَمِيْلٍ (٢٠) رَبُّ أَكْوَانِ النُّوْرِ
جَمِيْعًا . أَسْمَى مِنَ الْأَثْرِيَيْنِ جَمِيْعًا . الْهُهُمُ جَمِيْعًا (٢١) هُوَ النُّوْرُ الَّذِي لَا ظُلْمَةَ فِيهِ،
الْحَيُّ الَّذِي لَامُوتَ فِيهِ، وَالْخَيْرُ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ (٢٢) هُوَ الْهَادِيُّ دُونَ غَضَبِ، الَّذِي
الَّذِي مَاتَضَبُ (٢٣) الْبَهِيُّ . السَّاكِنُ فِي الشَّمَالِ الْعُلُويِّ (٢٤) أَصْلُ النَّيِّرَاتِ جَمِيْعًا.
وَأَبْوَالِ الْأَثْرِيَيْنِ جَمِيْعًا (٢٥) الْمَقِيْمُ فِي مَلَكُوتِهِ. الْعَادِلُ فِي جَبْرُوتِهِ (٢٦) أَطْلَقَ الْكَامِلِينَ
الصَّادِقِينَ، وَطَبَعَ اسْمَهُ عَلَى أَفْوَاهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَارَكَهُمْ بِبَرَكَتِهِ أَجْمَعِينَ (٢٧) قُدْرَتُهُ
لَا تُحْصَرُ فِي الْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ، وَلَمَعَاتُ تَاجَةٍ تَنْطَلِقُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ، وَإِشْعَاعَاتُ نُورِهِ
تَنْبَعِثُ مِنْ بَيْنِ أَوْرَاقِ إِكْلِيلِهِ مَلءَ الْأَكْوَانِ (٢٨) مَنْ يُسَبِّحُكَ تَسْبِيْحَكَ، قَالَ
الْأَثْرِيُّونَ^(١)، فَتَسْبِيْحُكَ لَا يُحَدُّ (٢٩) وَمَنْ يُبَارِكُكَ بِبَرَكَتِكَ، فَبَرَكَتُكَ لَا تُعَدُّ (٣٠) وَمَنْ
يُعْظِمُكَ بِعُلَاكَ فَعُلَاكَ لَيْسَ لَهُ قِيَاسٌ (٣١) عُمُقُكَ لَا يُسْبَرُ، وَقُدْرَتُكَ لَا تُحْصَرُ، وَعُظْمَتُكَ
لَا تَبْصَرُ، وَعُلَاكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَكْبَرُ (٣٢) هَاهُمْ جَمِيْعًا خَاشِعُونَ .. لَا يَعْرِفُونَ اسْمَكَ،
وَلَا يَتَّبِعُونَ رَسْمَكَ (٣٣) طُوبَى لِلْكَامِلِينَ الَّذِينَ عَرَفُوكَ بِقَلْبٍ نَقِيٍّ فَآمَنُوا بِكَ مُخْلِصِينَ،

(١) أثري وملكي: ملك، ملاك أثري، كائن نوراني من كائنات عوالم النور (تجليات الحياة في عوالم النور).. لهم عوالمهم الخاصة، وخلقوا بأمر رب الحياة. لهم أهميتهم في توصيل المعرفة والنور إلى جميع الأكوان والعوالم ومن ضمنها الأرض (رسل النور للحياة). مفردها (اثرا وملكا). وكل اثرا يجب أن يكون ملكاً، لكن ليس بالضرورة أن يكون كل ملكا اثرا.

وَحَشَعُوا لِعَظَمَتِكَ صَادِقِينَ، طوبى للكاملين الصادقين (٣٤) هو الملك منذ الأزل . ثابت عرشه . عظيم ملكوته (٣٥) لا أب له ولا ولد . ولا يشاركه ملكه أحد (٣٦) مبارك هو في كل زمان، ومسيح هو في كل زمان (٣٧) موجود منذ القدم . باق إلى الأبد (٣٨) قال للملائكة كوني فكانت . بقوله ملائكة النور كانت (٣٩) ومن ضيائة النقي انبتق للملائكة التسبيح الذين لا حد لهم، ولا عد، ولا بطلان (٤٠) من نوره العظيم انبتقوا ممتلئين بالتسبيح . متقن ضياؤه . بهي نوره . متقن وبهي مقامهم فيه (٤١) نور لا بطلان فيه، وخشوع لاعصيان فيه، وبر لاشفاق فيه، وإيمان لاخداع فيه، وصدق لاكذب فيه (٤٢) هو الخير الذي لاشرف فيه، وهم فيه مقيمون، للحي مسبحون (٤٣) ملائكة الضياء تسبح ملك النور بالضياء الذي وهبه إياهم (٤٤) ملائكة الضياء تسبح ملك النور بثياب الضياء التي وهبها إياهم (٤٥) ملائكة الضياء تسبح ملك النور بأردية النور التي وهبها إياهم (٤٦) ملائكة الضياء تسبح ملك النور بأحزمة الضياء التي وهبها إياهم (٤٧) ملائكة الضياء تسبح ملك النور بأكاليل الضياء التي وهبها إياهم، وضرها لهم (٤٨) ملائكة الضياء تسبح ملك النور بالقوة والثبات اللذين وهبها إياهم (٤٩) ملائكة الضياء تسبح ملك النور بالصدق والوفاء والأيمان التي وهبها إياهم (٥٠) كلهم لطفاء طيبون، وحكماء صادقون . لا إساءة فيهم ولاخداع (٥١) بعضهم يحل في منازل بعض لا يخطئون، ولا بعض إلى بعض يسيئون . معززون مكرمون . كمثل اهداب العين متشابهون (٥٢) نواياهم بعض لبعض مكشوفة، وأخبار ماتقدم وما تأخر لديهم معروفة (٥٣) ينير بعضهم بعضاً، ويعطر بعضهم بعضاً، ويمدون الكشطا بعضهم إلى بعض (٥٤) هم بمشيئة الله خالدون، لازوال لهم ولايشيخون، ولايتوجعون ولا يضعفون (٥٥) ثيابهم أنقى، وأكاليهم أبقى، وأولادهم

أَتَقَى (٥٦) لَايَجُوعُونَ وَلَايَعْطَشُونَ، وَلَايَحْتَرُونَ وَلَايَبْرَدُونَ، وَلَايُسَاءُ إِلَيْهِمْ وَلَايَغْضَبُونَ
(٥٧) لَاخُبْتَ فِي أَشْجَارِهِمْ، وَلَامِرَارَةَ فِي أَثْمَارِهِمْ، وَلَاذُبُولَ فِي أَزْهَارِهِمْ (٥٨) مَوَاقِعُهُمْ
سَامِيَةٌ وَبِحَارُهُمْ هَادِيَةٌ، وَمِيَاهُهُمْ جَارِيَةٌ .. أَعَذَبَ مِنَ الْحَلِيبِ وَأَبْرَدَ (٥٩) لَايَذُوقُ
شَارِبُهَا مَوْتًا، وَلَايَسْمَعُ لِلْحُزْنِ صَوْتًا (٦٠) أَعْوَامُهُمْ لَا عَدَّ لَهَا، وَحَيَاتُهُمْ لَاكَيْلَ لَهَا
(٦١) فِرْحُونَ مُبْتَهَجُونَ، بِخَطِيءٍ سَرِيعَةٍ يَنْطَلِقُونَ، وَفِي أَرْضِ آيَرَ الْبَيْضَاءِ يَطِيرُونَ ..
حَيْثَ الضِّيَاءِ النَّامُ لَاغْرُوبَ وَلَا ظِلَامَ (٦٢) وَجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ . شَقَافُونَ كَالْبَلُورِ .
جَمِيعُهُمْ خَاشِعُونَ، لِلَّهِ يُسَبِّحُونَ (٦٣) اللَّهُ مَلِكُ النُّورِ السَّامِيِّ، مَلِكُ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَثَرِيِّينَ،
مُسَبِّحُ اسْمِهِ إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ (٦٤) وَالْأَثَرِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ وَالسَّيْمَاءُ وَالْأَمْثَالُ
وَالْغِيُومُ السَّارِيَةٌ، وَالْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ، وَالْأَشْجَارُ الْعَالِيَةُ، وَالضِّيَاءُ الَّذِي هِيَ بِهِ حَالِيَةٌ ..
كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مَلِكُ النُّورِ السَّامِيِّ .

والحي المزكي

لقد وردَ ذكر كلمة الله ملك النور السامي في كتاب المندائيين الناصورائيون المقدس
"كنزا ربا" مبارك اسمة، في أربعة آيات "بوث" من الكتاب المبارك:

بِأَسْمَاءِ الْحَيِّ الْعَظِيمِ

هذا سرّ الكتاب، والتفسير الأول، والتعليم الحيّ الأول، الذي كان منذ الأزل

بِأَسْمَاءِ الْحَيِّ الْعَظِيمِ

هذا هو السرّ هو الكتاب الأول لتعاليم الحيّ الأزلي الذي لا بداية له.

بأسماءِ الْحَيِّ الْعَظِيمِ

إنه كلامٌ مبينٌ بوحيٍ من ربِّ العالمين" - موعاظ يحيى بن زكريا للناصريين،
الصادقينَ والمؤمنين.

بأَسْمِ الْحَيِّ الْعَظِيمِ

هذا هو السر، كتاب أنوش الأمين، بن شيتل الأمين بن آدم الأمين.
-الكتب العقائدية:

وتضم النصوص التي تتحدث عن جوهر الديانة المندائية: والتي تدور حول خلق
الكون والأنسان والصراع بين قوى النور والظلام ويوم الحساب، وهي:
أ- "كنزا ربا" أو "سيدر ربا"، وتعنيان الكنز العظيم والكتاب العظيم.

ب- دراشة دُ يهيا"، كتاب يحيى، ويضم مجموعة التراتيل والنصوص التي تتحدث
عن يحيى ونشأته وتعاليمه، وهجرة الناصوريين من فلسطين إلى الفرات.

ج- "ديوان أبائر"، وهو كتاب يصف رحلة النفس في صعودها إلى السماء بعد الوفاة
ومرورها في نقاط الحساب.

-الكتب السرية:

وتتضمن نصوص سرية خاصة بالكهنة وحدهم، تُدَوَّن بشكل لفائف، والواحدة
منها تدعى "ديوان"، وهي مزودة برسوم توضيحية، ترسم وفق طرق بدائية خاصة،
دعاها بعض الباحثين بنوع من التكعيبية، وتحتوي هذه النصوص على العقائد السرية
الخاصة، التي لا تكشف إلا لرجال الدين، وبعضها لا يكشف إلا لمن هو في الدرجات

الأعلى من السلك الكهنوتي. وتقرأ هذه النصوص عند تكريس رجل دين، أو عندما

يُعَمَد وفق شعائر خاصة حين يرتكب أو يتعرض لخطيئة ما، ومن هذه اللفائف:

أ- "ألف تر سر شيالة"، ألف واثنان عشر سؤالاً، تتألف من سبعة نصوص طويلة،

تضم سؤال وجواب عن العقائد المندائية.

ب- "آلما ريشايا ربا"، العالم الرئيس الكبير، أو العالم الأول الكبير، و"آلما ريشايا

زوپة" العالم الأول الصغير، وهذان النصان ينبغي وجودهم في الكوخ الذي يشيد

لتكريس المرشح لدرجة دينية هي "الترميذة".

ج- "ديوان ملكوته ملكا"، ديوان مملكة السماء العليا، ومواده تدرس "للترميذة"

ليرتقي إلى درجة "كنزفره".

- كتب طقسية :

هي كرايس تشرح كيفية أداء الطقوس الدينية، وبعضها مزود بالرسوم،

وتتألف من:

أ- "شرح طراسة دُ تاغة دُ شيشلام ربا"، شرح تتويج شيشلام العظيم، وهو يصف

كيفية تكريس الكاهن.

ب- "شرح قابين شيشلام ربا"، شرح زواج شيشلام العظيم، وهو يصف مراسم الزواج

والنصوص التي ينبغي أن تقرأ في مجلس العرس أو عقد القران.

ج- "شرح بروانايا"، أي "شرح الأيام الخمسة"، وهي نصوص تصف المراسم التي

يتعين إجراؤها خلال الأيام الخمسة المقدسة التي تعرف بعيد "البنجة"،

والمراسم تشمل "طراسة" أي تكريس "المندي" أو المعبد، وهي طقوس عديدة.

د- "شرح دُ ذخرانا دُ لهدايا زدقا"، شرح ذكرى الأوحاد بعدله.

هـ- "ديوان مصبتا د هيبيل زيوا"، ديوان يصف تعميد الملاك الروحاني "هيبيل زيوا"،

بعد أن هبط إلى الأرض ليقمع تمرد قوى الظلام.

-مجموعة التراتيل والصلوات: تتلى في طقوس التعميد ولأجل أرواح الموتى، وهي

أدعية وتراتيل وتعرف ب"نياني"، وتعرف أيضاً بأسم "القلستا"، ومنها:

- ديوان "مصبتا اد هيبيل زيوا" صباغة جبرائيل.

- ديوان "ملكوتا اليثا" مملكة السماء.

- ديوان "دموث اد كسطا" مثيل العهد.

- ديوان "قداها ربا" القدحة الاولى.

- ديوان "طراسة اد تاغا شيشلام ربا" تكريس التاج.

- ديوان "قابين اد شيشلام ربا" الزواج.

- شرح "البرونايا" الأيام البيضاء.

- شرح "طراسة المندي" تكريس بيت العلم والعبادة .

- ديوان "رازي اد ابهائي" سر الصعود.

- "إننياني اد مصبتا" خطوات المصبتا.

- شرح "زدقا بريخا" الصدقة المباركة.

- انواع من "المسخثي" الأرتقاء والصعود.

- الكتب المعرفية: يتميز الأدب المندائي بتنوعه وكثرة نصوصه، ولم يكن محصوراً في

الدين كما هو في الأدب البابلي، وأن وظائف رجال الدين كانت تمتد إلى ما هو أبعد

من مهمات أمثالهم اليوم، فقد تولوا التطبيب، ولعل تنوعه وكثرة نصوصه غدا من

الصعب على رجال الدين ذاتهم ناهيك عن العامة، أن يحصوا هذا الأدب. لقد

- نجحت الليدي ” أ- س- دراور ” المتخصصة في التاريخ المندائي من إحصاء كل ما وصلها أو توصلت إليه مدونات من هذا الأدب، وقسمته إلى عدة مجاميع هي:
- ديوان ”نهر واثة“، ديوان النهر، ويضم محاولة جغرافية أولية طبقاً لتصورات جوهر الدياية المندائية، وهو مزين بالرسوم.
 - هناك ديوانان آخران هما: ديوان ” قداهة رباً“، وتعني الصلاة الكبرى، وديوان ”دموث كشتا“ وتعني الصدق والإخلاص، ولكنهما غير موجودين.
 - الكتب التاريخية: ”ديوان حران كويثا“ حران الداخلية، وهو محاولة لعرض تأريخ الطائفة المندائية منذ أيام يحيى“.
 - علوم الفلك: وهي وفق علوم ذلك العصر، وتضم:
 - أ- ”أسفر ملواشي“، أو تاريخ الانفس وسفر البروج، ويفيد لمعرفة الاسم الديني للطفل بعد الولادة ”الملواشة“، ويضم نصوصاً متنوعة عن الفلك .
 - ب- ”شباني شابي“، أي ساعات النهار، وفيه شرح لقيمة كل ساعة من ساعات النهار وفقاً لحسابات فلكية،
 - ويضم طلاسم وأدعية ونصوص مندائية مخصصة لطرد الأرواح الخبيثة، وأدعية لاستجلاب عطف القوى الروحانية.

المبحث الحادي عشرة العبادات المندائية

المرحلة الأولى : الوضوء (الرشاما) :

كما في الإسلام تماماً فان أول مرحلة من مراحل الصلاة المندائية هي الوضوء، فعلى كل مندائي يريد أن يقوم بالصلاة أن يتبع الرسم الديني (الرشاما) أو الوضوء، والذي هو مطلوب منه في أغلبية الطقوس الدينية. وهو على الأقل يقوم به من أجل الصلاة ثلاث مرات يومياً. ويتم الوضوء بالماء الجاري النظيف، وحالياً يعد ماء الأنايبب ماءً جارياً، وذلك لبعث البيوت عن الأنهار.

وكذلك مثل الطقوس الإسلامية للوضوء نواقض في المندائية مثل: التبول وخروج الريح والدم والنوم والإغماء والأكل ولمس أية نجاسة، ولا يجوز الجمع بين صلاتين في وضوء واحد.

على الصابئي أن يقوم بالرشاما (الوضوء) قبل تأدية الصلاة بالتسلسل، كما هو مبين في أدناه:

- ١- الرخصة.
- ٢- غسل اليدين
- ٣- غسل الوجه
- ٤- رسم ارتسام جبهة الوجه (الجبين).
- ٥- غسل الأذنين.
- ٦- غسل الأذنين
- ٧- تثبيت الرسم (الارتسام) وطردهم النجاسة.

٨- غسل الفم

٩- غسل الركبتين

١٠- غسل الساقين

١١- وضع اليدين في الماء

١٢- غسل القدمين

- أوقات الصلاة:

للصلاة أوقاتاً محددة يجب على الصابئي أن يؤديها فيها ولا يجوز له شرعاً تأخيرها، وقد بين الله الحي القيوم ذلك في محكم كتابه العزيز الكنزا ربّاً (الكنز العظيم) مبارك اسمه:

بأسم الحي العظيم

((عَلِّمهم الصلاة في أوقاتها، وَعَلِّمهم التسبيح * وليعلموا أن كل صلاة تتأخر عن ميقاتها، تبقى عند باب بيت الحي، لا تصعد حتى يُفتح باب أباثر العظيم * فإذا فتحت باب أباثر، صعدت منها الصلاة))، ((إن الذين لا يقيمون الصلاة في أوقاتها سيسألون في بيت أباثر * في بيت أباثر سوف يسألون، عن كل ما يفعلون)) الحي المزكي الكنزا ربا اليمين^(١).

١- صلاة الصبح من انفلاق الفجر وحتى طلوع الشمس.

٢- صلاة الظهر يبتدئ من زوال الشمس عن وسط السماء.

٣- صلاة العصر قبل غروب الشمس.

(١) وفقاً لهذا النص فالصلاة في المندائية لا تقتضى بعكس الصلاة الاسلامية التي يمكن قضاؤها قضاؤها مهما تأخر الوقت.

– النص الديني بالحرف العربي مع الترجمة إلى اللغة العربية :
أولاً: (الرخصة) تقرأ في بداية الوضوء:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
ماري مشبا – كشتا أسنخون ^(١)	مسيح ربي – بالعهد المصان
بشميهون ادهيي ربي	بأسماء الحي العظيم
اسوثا وزكوثا نهويلخ يا اب أبوهن ملكا برياويس ^(٢) يردنا ربا اد ميا هبي	السلام والنزاهة لك يا أبا الآباء الملك برياويس، أبا الماء الجاري العظيم ماء الحياة

ثانياً: غسل اليدين:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
بشميهون ادهيي ربي	بأسم الحي العظيم
هليلني ايدن بكشتا واسفن بهيمنوثا وملينن بملاي ادزيوا وإسهي طابون بأصري دنهوره	أطهر يدي بالعهد، وشفتي بالإيمان لينطقا بكلام النور، لتمتد وتنتشر في عقيدة النور

(١) يكتب اسم الله في بداية كل سورة (بوته) فوق جميع الكلمات لأنه معظم على جميع الكتابات والاعمال.

(٢) برياويس يردنا: أي ملك اليردنا أي مالك أسرار الحياة في الماء الجاري والماء الجاري عند المندائيين يشابه الإنسان جسد وروح فما هي الروح هي التي نزلت من عالم النور. أما الجسد فهو الماء الخالي من أسرار النور. وعندما نقول (يا أب أبوهن ملكا برياويس يردنا ربا اد ميا هبي). انه مالك أسرار الحياة التطهيرية التي يختص بها الماء الحي. فللماء قدسية في جميع الأديان كما جاء في الآية الكريمة (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ – الأنبياء/٣٠).

ثالثاً: غسل الوجه ، ويعاد معه المقطع التالي ثلاث مرات (١) :

النص الديني	الترجمة إلى العربي
برخ شمش ومشبا شمش ماري منداهيي برخ ومشبا هاش برصوفا ربا اد يقارا من نافشي فرش	أتبارك بأسمك ومسبح اسمك سيدي وعارف الحياة، أتبارك وأسبح ذلك السيماء العظيم الموقر الذي انبعث من ذاته

رابعاً: المسح على الجبهة بأطراف أصابع اليد اليمنى، ومن اليمين إلى اليسار، يعاد المقطع ثلاث مرات:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
أنا (الملواشه) (٢) رشمنا بروشما ادهيي شما ادهيي وشما اد مندا ادهيي مدخر الي	أنا (الاسم الديني) ارتسم برسم الحياة، اسم الحي واسم عارف الحياة منطوق عليّ

خامساً: غسل الأذنين، يعاد المقطع ثلاث مرات:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
ادني شمن قالا ادهيي رشم دهيي وشما أدهيي واشم منداتهيي مدخر الي	أذناي تصغيان لأقوال الحي

سادساً: غسل الأنف، تستنشق رائحة الماء، يعاد المقطع ثلاث مرات:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
نهيري أره ريهها اد هيي اشما دهيي واشم مندا ادهيي مدخر الي.	أنفي يستنشق رائحة الحياة

(١) الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، الشيخ رافد عبد الله، ط بغداد، ١٩٨٨.
(٢) وهو الاسم الديني (ملواشا) للوليد المندائي الذي يضاف إلى اسم أمه الديني، ويتحدد هذا الاسم الاسم وفقاً لتاريخ مولدهم.

سابعاً: غسل المقعد، تثبيت الارتسام وطرده النجاسة:

الترجمة إلى العربي	النص الديني
رسمي العالي لا يجري بالنار ولا يجري بالزيت ولا يجري بالمسح، انه مرسوم بالماء الجاري العظيم ماء الحياة الذي لا يدرك الأنسان قدرته. اسم الحي واسم عارف الحياة منطوق عليّ.	روشمي الاوي لاهوا بنورا ولاهوا بمشا ولاهوا اد مشيها روشمي مشا روشمي يردنا ربا اد مياهيي اد انش بهيلي لامصي شما ادهيي وشما اد مندا ادهيي مدخر الي اكبش إهشوخا وتربص نهورا اشما ادهيي مذخالي

ثامناً: غسل الفم: تأخذ الماء باليد اليمنى إلى الفم وترميه على الجهة اليسرى بعد

المضمضة. يعاد المقطع ثلاث مرات:

الترجمة إلى العربي	النص الديني
امتلاً فمي بالصلوات والتسبيحات	بمي بوثا وتشبهثا ملا

تاسعاً: المسح على الركبتين بالماء ، ويعاد المقطع ثلاث مرات:

الترجمة إلى العربي	النص الديني
ركبتاي مثنيتان وساجدتان للحي العظيم	بركي مربيكا وساغدا الهيي ربي

عاشراً: مسح الساقين بالماء من أسفل الركبتين إلى القدمين، ويعاد المقطع ثلاث مرات:

الترجمة إلى العربي	النص الديني
رجلاي سالكتان طريق العهد والإيمان	لغري مدريكا دركي اد كسطا وهيمنوثا

أحد عشر: وضع اليدين في الماء:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
أنا (الملواشه) صبيتا ايمصبوتا ادبهرام ربا بروبري مصبتاي تناطري وتسق الريش شما ادهيي وشما اد مندا اد هيي مدخر الي	أنا (الاسم الديني) تعمدت بعماد بهرام العظيم ابن القدرة. عمادي يحرسني ويرفعني إلى العلا، اسم الحي واسم عارف الحياة منطوق عليّ.

اثنى عشر: غمس القدم الأيمن بالماء، ثم الأيسر ثم الأيمن:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
لغري ايدايهون اد شبا وترسر لا تشتالاط الي شما اد هيي وشما اد مندا اد هيي مدخر الي.	ليرفع عن قدمي ويدي تسلط السبعة والاثنى عشر. اسم الحي واسم عارف الحياة منطوق عليّ.

أولاً: الصلاة (ابراخا):

وهي فرض واجب على كل فرد مندائي مؤمن يؤديها ثلاث مرات يوميا (صباحا
وظهرا وعصرا) وغايته التقرب من الله. وطلب غفران الخطايا والرحمة حيث ورد في
كتابهم المقدس:

بأسم الحي العظيم

(علمهم الصلاة تقيمونها مسبحين لملك النور السامي ثلاث مرات في النهار ،

ومرتين في الليل) ..الحي المزكى الكنزا ربا اليمين.

بأسم الحي العظيم

(حين تقومون وحين تقعدون * حين تذهبون وحين تؤوبون * تأكلون أو تشربون * أو في مضاجعكم، أو وأنتم تعملون * أذكروا الله وسبحوه كثيراً). الحي المزكي من كتاب الكنزا ربا المقدس.

بأسم الحي العظيم

يا أصفياي (مع انفلاق الفجر تنهضون(٥١) وإلى الصلاة تتوجهون(٥٢) والثانية في الظهر تصلون(٥٣) ثم صلاة الغروب(٥٤) فالصلاة تطهر القلوب(٥٥) وبها تغفر الذنوب) الحي المزكي كتاب الكنزا ربا المقدس. اليمين، ص ١٨٠.

قال نبينا الكريم يهيا يهانا : يحيي بن زكريا عليه السلام : (رأس الصلاة والتسبيح أن لا تحب النوم) كل نفس للصابئي تُسأل عن أعمالها يوم الحساب : (كل نفس تُسأل هي عن أعمالها . لا تُشركَ نَفْسُ نَفْساً، ولا تتحمل نفساً نفساً نَزَكِيَّ أموالنا ونؤدي الصدقة) من كتاب الكنزا ربا المقدس، ولا يختلف الصابئة المندائيون عن غيرهم بوجود صلاة جماعية تجري في كل يوم أحد في المندي وفي أيام الأعياد تكثف فيها الدعوات إلى الله الواحد الأحد طلباً لمغفرة الخطايا والذنوب في عالم النور وتتضمن هذه الدعوات المواعظ والإرشادات وتقام أيضاً أثناء الصباغة الجماعية فمرياي انبهرت بمنظر الصلاة الجماعية والابتهالات والمواعظ مما جعلها تترك اليهودية وتلتجئ إلى المندائية وفي وقتنا الحاضر ففي كل يوم أحد تقام الصلاة الجماعية في مندي الشيخ دخيل في أستراليا كذلك في هولندا وفي معظم دول المهجر. و يسبق الصلاة نوع من طقوس الاغتسال يدعى (الرشامه) وهو مشابه للوضوء عند المسلمين حيث يتم غسل أعضاء الجسم الرئيسية في الماء الجاري ويرافق ذلك ترتيل بعض المقاطع الدينية الصغيرة. فمثلا

عند غسل الفم يتم ترتيل (ليمتلى فمي بالصلوات والتسبيحات) أو عند غسل الأذنين (أذناي تصغيان لأقوال الحي).

يتجه الصابئة المندائيون في صلاتهم ولدى ممارستهم لشعائرهم الدينية نحو جهة الشمال لاعتقادهم بأن عالم الأنوار (الجنة) يقع في ذلك المكان المقدس من الكون الذي تعرج إليه النفوس في النهاية لتنعم بالخلود إلى جوار ربها موطن الحي الازلي في جهة الشمال، ويستدل جغرافياً على اتجاه الشمال بواسطة النجم القطبي كونه ثابت موطن الحي الازلي في جهة الشمال.

– صلاة البركات (براخا):

تُعدُّ صلاة (براخا) عند المندائيين ركناً أساسياً من معتقدتهم الديني، ولها في عباداتهم مكانة متميزة، إذ من خلال تأديتها يتم القضاء على الكثير من الخطايا والذنوب الدينية والدينيوية. وقد فرضها (هبي قدمايي) الله سبحانه وتعالى على كل مندائي وجعلها خمس مرات يومياً، إلا انه بعد مجيء النبي يحيى (ع) أصبحت ثلاث مرات يومياً بأمر من الخالق (سبحانه)، فبعد إكمال الوضوء يبدأ الشخص بالصلاة، فيتجه نحو (بيت هبي) أي القبلة الشمالية التي تمثل باعتقاد المندائيين وجود عالم النور (الما اد نهورا) بهذا الاتجاه، ودليلهم إلى الشمال دائماً هو النجم القطبي، أو جعل يدهم اليمنى باتجاه شروق الشمس.

وعند الصلاة يجب أن يكونوا واقفين، ويجب أن ينحنوا عندما تذكر أسماء الله الحي الموقرة، ويجب على المصلي أن يرتدي غطاء على رأسه احتراماً للخالق، لأن معظم تراتيل الصلاة تتضمن ذكر الله مسبح اسمه وملائكته الأطهار والأنبياء الصالحين.

وكما في الإسلام فان للصلاة المندائية مبطلات مثل: الحيض عند المرأة، والجنابة عند الرجل، وفترة النفاس عند المرأة. كما توجد مفسدات للصلاة مثل: الكلام خلالها،

..... "العمق التاريخي والديني للصابئة المندائيين والعلاقة مع المجتمع الاسلامي"

أو البكاء أو الأكل والشرب أو الضحك. وكل ما يحل بقدسية الصلاة ويخالف الآداب ،
فإذا حصل شيء من ذلك فسدت الصلاة وعلى المصلي إعادتها.

نص ما يتلى في الصلاة بالحرف العربي مع الترجمة باللغة العربية(١):

النص الديني	الترجمة إلى العربي
أ- اكاھيي اكاماري اكامندا ادهيي	موجود الحي ، موجود الله ، موجود عارف الحياة
ب- كباثر نهورا بسهدوثا ادهيي وبسهدوثا ادهي وبسهدوثا ملكاربا راما اد نهورا الاھا اد من نافشي افرش	بعالم الأنوار بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الأنوار العظيم الإله الذي من نفسه تكوّن
ج- اد لا باطل ولا مبطل اشمخ ياهيي وماري ومندا ادهيي	ولا باطل ولا مبطل اسمك يا حي ويا الله ويا عارف الحياة
١- ماري مشبا - كشطا اسنخون	مسيح ربي - بالعهد المصان
٢- بشميهون ادهيي ربي	بأسماء الحي العظيم
٣- اسوثا وزكوثا نهويلخ يا بابا ربا اد بيت رھمي يقيرا	السلام والنزاهة لك يا أبانا العظيم في بيت الرحمة الموقر
٤- اسوثا وزكوثا نهويلخون ابكائن قدمايي يقيرا	السلام والنزاهة إليكم آباءنا الأولين الموقرين
٥- اسوثا وزكوثا نهويلخ كنزا ادهيي ربي قدمايي يقيرا	السلام والنزاهة لك يا كنز الحياة العظيم الأول الموقر
٨- اسوثا وزكوثا نهويلخ ملكا مارا اد ربوثا اليثا	السلام والنزاهة لك أيها الملك مارادربوثه اليثا
٧- اسوثا وزكوثا نهويلخ ملكا يوشامن دخيا	السلام والنزاهة لك أيها الملك يوشامن الطاهر ابن

(١) جميعها اسماء الله مسبح اسمه.

النص الديني	الترجمة إلى العربي
برنيصبتون	التكوين
٨- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا مندا اد هيبى برنيصبتون	السلام والنزاهة لك أيها الملك عارف الحياة ابن التكوين
٩- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا هيبيل زيوا	السلام والنزاهة لك أيها الملك (هيبيل زيوا) الملك جبرائيل الرسول
١٠- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا انش أثرا	السلام والنزاهة لك أيها الملك انش الاثري
١١- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا شيشلام ربا	السلام والنزاهة لك يا ملك السلام العظيم
١٢- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا سهاق زيوا ربا قدمايا	السلام والنزاهة لك أيها الملك سهاق زيوا العظيم
١٣- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا سام زيوا دخيا بخرا هيبيا ربا قدمايا	السلام والنزاهة لك أيها الملك سام زيوا الطاهر المبروك المحب للعظيم الأول
١٤- اسوئا وزكوئا نهويلخ هيبيل وشيتل (١) وانش	السلام والنزاهة إليكم هيبيل وشيتل وانش
١٥- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا ابائر راما	السلام والنزاهة لك أيها الملك ابائر العالي
١٦- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا ابائر مزنيه	السلام والنزاهة لك أيها الملك ابائر صاحب الميزان
١٧- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا يهيا يهانا	السلام والنزاهة لك أيها الملك يحيى المعمدان بن زكريا
١٨- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا آدم كبرا قدمايا	السلام والنزاهة لك أيها الملك آدم الرجل الأول
١٩- اسوئا وزكوئا نهويلخ ملكا شيتل برا آدم كبرا قدمايا	السلام والنزاهة لك أيها الملك شيت ابن آدم الرجل الأول

(١) شيت: الذي ضحى بحياته كي يعيش والده (آدم) مدة اطول ولذلك سمي انقى الارواح الانسانية.

النص الديني	الترجمة إلى العربي
٢٠- اسوثا وزكوثا نهويلخ يا ملكي واثري ومشكني ويردني ورهطاي وشخناتي اد المي اد نهورا كليخون	السلام والنزاهة إليكم أيها الملائكة والاثريون والمسكن والمياه الجارية والجداول الجارية وعلى ساكني عالم الأنوار جميعاً
٢١- اسوثا وزكوثا وشابق هطايي نهويلي لهازا نيشمتي ديلي (الملواشه) اد هازا بوثا ورهمي بيت شابق هطايي نهويلي	السلام والنزاهة وغفران الخطايا تهدي لهذه النفس (الاسم الديني) التي ذكرت بهذه الصلاة الرحمة طليق الشفقة الغافر للخطايا المقصودة عليّ.

- صلاة الصبح:

تتم من انفلاق الفجر أي بعد ظهور الضياء الأول وحتى طلوع الشمس ، وتقتصر صلاة أصبح على الوقوف باتجاه القبلة الشمالية مع السجود كلما ذكرت كلمة السجود (انا سغدنا لا ومشبينالا).

نص التراتيل الدينية لصلاة الصبح بالحرف العربي مع الترجمة باللغة العربية:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
١- ماري مشبا بشميهون ادهيي ربي	مسيح ربي - بأسماء الحي العظيم
٢- قوم قوم بهيري زدقا	انهض انهض أيها المختار الصالح
٣- قوم شلماني ومهيمني	انهض أيها المسالم المهيمن
٤- قوم اسغد وشبا لهيي ربي	انهض واسجد وسبح للحي العظيم
٥- وشبا لملكا شيشلام ربا	وسبح لملك السلام العظيم
٦- وشبا لتنا كسيا هام زيوا	وسبح لذي الأسرار الخفية النورانية
٧- وشبا لياور ربا وازلات ربتي	وسبح لياور العظيم وازلات الكبيرة

النص الديني	الترجمة إلى العربي
٨- وشبا لسيمات هبي أو منهون كلهون آلمي	وسبح لسيمات هبي، الأم والتي منها كل العوالم
٩- وشبا لاينا وسندركا اد ابا اد اثري آدمنا هو	وسبح لباعث القوة الخالقة الأب الاثري الذي منه انبثقت
١٠- انا سغدنا لا ومشبينالا لهاهو ملكا ربا راما دنهورا هياسا اد املي رهمي	أنا أسجد وأسبح لذلك الملك العظيم العالي النوراني الغفور الرؤوف المملوء بالرحمة
١١- بشما اد هبي ربي	بأسماء الحي العظيم ربي
١٢- اشكنداى طابا دنهورا اد مسكي لبيت رهمي	رسول النور الطيب الذي يذهب إلى بيت الرحمة
١٣- ائا وتراصلي ملالي وابهئا لبماي تشبهئا وايشبنن لهبي ربي من ريش بريش	جاء وثبت كلماتي لأفتح فمي بالتسبيح وأسبح للحي العظيم من البداية إلى النهاية
١٤- بشما اد هبي ربي	بأسم الحي العظيم ربي
١٥- لهبي قد مايي سغدنا ولماي مندا ادهبي مشبنا ولهاخ برصوفا ربا اديقارا اد من نافشي فرش	للحي سجدنا وللرب عارف الحياة سبحننا ولذلك السيماء العظيم ذي الوقار الذي انبعث من ذاته

- صلاة الظهر:

تقام بعد سبع ساعات عن صلاة الصبح، أي من زوال الشمس عن وسط السماء،
وتقتصر صلاة الظهر على الوقوف باتجاه القبلة الشمالية مع السجود للخالق عند ذكر
كلمة السجود (سغدنا)^(١).

(١) توزن الارواح عند المندائية بهذا الميزان الطاهر العادل بعد وفاتها لكي تحاسب لى اعمالها.

نص الترتيل الديني للصلاة بالحرف العربي مع الترجمة باللغة العربية:

الترجمة إلى العربي	النص الديني
بأسم الحي العظيم	١- بشما ادهيي ربي
إنا للحي العظيم سجدنا ولرب عارف الحياة سبحنا ولذلك السيماء العظيم ذي الوقار اذلي انبعث من ذاته.	٢- انا لهيي قدمايي سغدنا ولما ري مندا ادهيي مشبنا ولهاخ برصوفا ربا اد يقارا اد من نافشي فرش.

- صلاة العصر:

تقام قبل غروب الشمس حتى زوال الضياء، وتقتصر صلاة المغرب على الوقوف باتجاه القبلة الشمالية مع السجود للخالق عند ذكر كلمة السجود (سغدنا).

نص الترتيل الديني بالحرف العربي مع الترجمة باللغة العربية:

الترجمة إلى العربي	النص الديني
بأسم الحي العظيم	١- بشما ادهيي ربي
لقد حان آذان الصلاة وكذلك آذان عظيم الصلوات يوقظني وهيبيل يعلمني	٢- ايدان ايدان اد رهمي ماطي وايدان اد رب بواثا مطا ميراني
موقظي هيبيل وموعظي شيتل وواضع التراتيل إنش والصابغ بصباغته شلمي ومقوم الصلوات ندبي	٣- هيبيل وداري شايي شيتل ورامي إننياني إنش وصابي مُصبتاي شلماي ومقيمانا وداري شاي شيتل
بأسم الحي العظيم	٤- بشما ادهيي ربي
رسول النور الطيب الذي يذهب إلى بيت الرحمة	٥- شكنداي طابا اد نهورا آدمسكي لبيت رهمي
جاء وثبت كلماتي لأفتح فمي بالتسبيح وأسبح للحي العظيم من البداية إلى النهاية	٦- اثا وتراصلي ملالي وابهثا لبماي تبشبهثا وايشبنن لهيي ربي من ريش بريش

النص الديني	الترجمة إلى العربي
٧- بشما ادهيي ربي	بأسم الحي العظيم
٨- لهيي سغدنا ولما ري مندا ادهيي مشبنا ولهاخ برصوفاربا اديقارا آدم نافشي فرش	للحي سجدنا وللب عارف الحياة سبحنا، ولذلك السيما العظيم ذي الوقار الذي انبعث من نفسه

- السورة (بوته): (قدمائي نخرايي) الأول المتفرد:

هي السورة الواجب قراءتها بعد تلاوة كل صلاة صباحاً وظهراً ومساءً، أي بعد إتمام الصلاة والسجود للخالق، وهي تعني للفرد المندائي الإقرار بوحداية الخالق وطلب الرحمة ومغفرة الخطايا وتثبيت الصلاة بأسمه الديني (الملواشه).

نص السورة بالحرف العربي مع الترجمة باللغة العربية:

نص السورة	الترجمة إلى العربي
١- ماري مشبا - كشطا اسنخون	مسيح ربي - بالعهد المصان
٢- بشميهون ادهيي ربي	بأسماء الحي العظيم
٣- قدمائي نخرايي من آلي اد نهورا يتيري اد ايلوي وكلهون آبادي، اسوثا وزكوثا هिला وشرارا وايمرا وشيما، وهدوه لبا، وشابق هطايا نهويلي لديلي (الملواشه) بهيلا اد ياور زيوا وسيمات هيي	الأول، المتفرد عن عوالم النور، الغني الذي فوق كل الأعمال، الشفاء والظفر، القوة والثبات، القول والسمع، وهداية مسرة القلب، وغفران الخطايا، يكون لي أنا (الاسم الديني) بقوة ياور زيوا وسيمات هيي.

ثانياً: الصباغة أو التعميد^(١):

تعد الصباغة من أهم أركان الديانة المندائية، وهو فرض واجب للتقرب من الله العالم، والصباغة عند المندائي ترمز للارتباط الروحي بين الدنيا وعالم النور، كما انها تغسل الذنوب.

قال الله الحي القيوم مسيح اسمه في كتابه الكريم الكنزا ربّ الكنز العظيم مبارك اسمه.

بأسم الحي العظيم

((١٣٠)) واذكروا الله وسبحوه كثيرا (١٣١) هيئوا يردنا واصطبغوا (١٣٢) واصبغوا نفوسكم بالصبغة الحية التي انزلها عليكم ربكم من اكوان النور ((الحي المزكى الكنزا ربا اليمين .

بأسم الحي العظيم

((اصطبغ بها كل الكاملين أنزلها عليكم ربكم من أكوان النور، والتي اصبغوا أنفسكم بالصبغة الحية)). الحي المزكى الكنزا ربا اليمين.

بأسم الحي العظيم

((من وسم^(٢) بوسي الحي، وذكر اسم ملك النور عليه، ثم ثبت وتمسك بصبغته وعمل صالحاً، فلن يؤخره يوم الحساب مؤخر)). الحي المزكى الكنزا ربا اليمين.

(١) كلمة التعميد انها يونانية (ماميدوثا) أما الصباغة فهي مشتقة من الفعل (صبا) المندائية أو الفعل (صبغ) السريانية وقد ذكرت في كتاب القرآن الكريم بعبارة اصطبغ بصبغة الله. الأستاذ أمين فعل حطاب (أستراليا).

(٢) الوسم: يكون بالماء الحي (ميا هيّي) الجاري غير المنقطع عن مجراه، لكن وسم الميت يتم بالزيت.

بأسم الحي العظيم

((آدم أبو البشر يتكلم الدنيوي العالم أنا آدم... هيبيل زيوا كان لي نصيراً،
ونجاني من كل رسم يعود إلى النور، له في الجسم نفس الرسم الذي يعود للظلام
الدنيوي العالم والذي لا يُرسم برسم لا يثبت ولا يقوم ولا يقترب من المصبتا السماوية
ولا يُرسم برسم الحياة)).

الصبغة هي ولادة ثانية من خلال رمز الماء الجاري الذي يغطس فيه المندائي بأسم
الله العظيم، لتتحد نفسه بوحدة الحي في عالم الأنوار، وتأخذ مكانها وتقوى وتشمخ
بالنزاهة والإخلاص والإيمان، يغفر الخطايا والآثام والذنوب بأسم الحي، وتجعل الإنسان
طاهراً مؤمناً بأسم الله العظيم، فتراه خفيف الروح نقي السريرة مرتاح الضمير. ففيها
تستجاب كل الدعوات الصادقة التي يناجي بها المؤمن رب عالم الأنوار، وفيها تتحد
ذات المؤمن بذات مثيله النوراني بعد أن ناجى ربه في وقت الطهارة الكبرى.

(كل من ارتسم برسم الحي، وذكر عليه اسم الرب، وثبت وتقوم بصبغته،
وعمل أعمالاً طيبة لا يؤخره أحد في يوم الحساب) الحي المزكى كنزا ربا.

تتكون الصبغة من ثلاث غطسات في الماء الجاري، وشرب ثلاث جرعات من الماء
تعطى بكف الترميذا الأيمن، وأخذ العهد منه، ثم تتويجه بإكليل مضمور من الآس، ثم
وضع اليد اليمنى على رأسه والقراءة لإبعاد كل شر وهم وظن باطل، وأخذ العهد منه مرة
أخرى. بعدها يخرج إلى ضفة النهر حيث يتم مسح جبهته بزيت السمسم المقدس، المعير
عن بركة الحي العظيم. ثم تقديم الخبز المقدس (بهثا)، وإعطاؤه الماء المقدس (ممبوها)
وقراءة ٩ سور تمثل بقاء الجنين في رحم أمه لمدة تسعة أشهر.

((منتشر وواسع وكبير اسمك يا حي خالق الخلق وباني كل شيء)).

ابتدأت الصباغة أولاً في العالم العلوي عالم الأنوار، وذلك عندما تم تعميد ملكاهييل زبوا مبارك اسمه بعد عودته من عالم الظلام، حيث تمكن بقوة مندادهيي أن يكبح ويلجم الشياطين ويقيدهم بالأغلال، وتهيئة الأرض لخلق أبينا آدم رأس السلالة البشرية، وتوارث المندائيون تلك الصباغة جيلاً بعد جيل، إلى أن جاء آخر الأنبياء النبي يحيى بن زكريا مبارك اسمه فأعاد من ضل إلى الدين القويم، وبقي يعمد الناس مدة ٤٢ عاماً.

وقد تعمد النبي يحيى وعمره ٣٠ يوماً، ولذلك يتعمد الأطفال المندائيون بعد ولادتهم ((هبوا أنفسكم صباغة بها تزكو أنفسكم)) - كنزا ربا. ويقوم بهذا التعميد رجال الدين في كل مناسبة، فيعمدون الكبار قبل الزواج استعداداً لأداء يمين الإخلاص، وبعد أسبوع الزواج أيضاً، كما تعمد المرأة بعد شهر من ولادتها، ويتعمد الكبار من شاء أن يكسب أجراً أو يتوب عن خطيئة. ويتم تعميد المؤمن (عالم الدين) على يد غيره من علماء الدين في كل مناسبة. كذلك تعميد الناصورائيين من كلا الجنسين. وتعميد المتدينين بعد قيامهم بمراسيم حمل الجنازة والدفن. وفي هذه الحالة، من الطهارة الكبرى، يجب على المتعمد أن يتبع الطقوس المنصوص عليها دينياً بكاملها، وهي أن يرتدي لباساً خاصاً أبيض يعرف بأسم الرسته ذي القطع الخمسة الخاص بالتعميد، ويوجد عدد من قطع اللباس الأخرى خاص برجال الدين. وتجري طقوس التعميد في الماء الجاري ويجوز بأحواض ذات ماء نظيف جارٍ يتم بواسطة مضخات لثلا يكون راكداً، وهذا ما يجري حالياً في معبد بغداد ومعبد محافظة البصرة مركز الطوبسة.

والصباغة أنواع منها: التعميد المنفرد، والجماعي، وتعميد ثلاث داري حيث يتعمد الفرد مرتين، الأولى (هلن نشماته) والثانية لوحده. وتعميد ثلاث ترميذي حيث يقوم به ثلاث رجال دين. وتعميد ٦٥ صباغة ويقوم به أيضاً ثلاث رجال دين من يوم أحد إلى الأحد التالي. وهناك التعميد الذي يسمى (تلثما وشتين مصبتا) وهو أعلى من كل الصباغات، حيث يُعمد رجل الدين المرة بعد الأخرى بواسطة ٧ رجال دين.

ويجب أن تتوفر عوامل مساعدة، وهي ضرورية للتعميد مثل: الشكندا، والطريانا،
وقنينة، وبثة، عدد ٢ زالآس، والدرفش وهذه الراية تستعمل في الأعياد والمناسبات
الدينية وللتعميد الكبير فقط.

ويرتل المتعمد في الطهارة الكبرى قبل دخوله الماء ترنيمة الماء الحي الجاري (يردنا)
وهي:

((إلهي سغدنا ولماري مندادهيي إمشبانا ولهاخ يرصوفا رباً ديقارا إد من نافشي
إفرش. بشميهون إدهيي ربّي، ان إثلن بهيلا ليردنا، وهيلا إد يردنا إيلايو إشري،
إيثي إنهث ليردنا وإصطبا، وإقبل دخيا روشما، وإلبش أصطلي إد زيوا، وإترص
بريشي إكليلا راوزي، إشمادهيي وإشما إد مندادهيي مدخر إلي)).

بأسم الحي العظيم أنا التقى اليردنا بكل قواي، وبقوة اليردنا الحالة عليّ آتي
وأنزل إلى اليردنا واصطبغ وأتقبل طهارة الرسم، وألبس كسوة النور، وأثبت برأسي
الإكليل البهيج، اسم الحي واسم مندادهيي منطوق عليّ.

الارتماس أو (الغطس) في الماء الجاري (طماشه) :

وهي الطهارة الصغرى، ويتم فيها الاغتسال بالماء الجاري على أن يعلو رأس
المرتمس لحد الغطاس أو بالماء الطاهر المعد لذلك، يصب على المتطهر من أعلى قمته إلى
أخمص قدميه، وحالياً في المدن يمكن أن يتم ذلك تحت رشاش ماء الحمام ليظهر
المرتمس من بعض ذنوبه الخفيفة، كالنجاسة في لمس النفساء، أو العروسين في أسبوع
العرس، أو الجنابة، أو الحيض، أو لمس جثث الأموات، أو لمس شخص نجس غير
طاهر جسمياً. أما النفساء في أيامها السبعة فتحاط بحاجز شكلي يعلو بضعة
سنتمترات من القماش الأبيض أو أخضر، مع الأزهار والورود، وتشعل بقربها شمعة
أو فانوس طيلة السبعة أيام لتحفظها من الأرواح الشريرة.

ويجري هذا الارتماس دون ارتداء الملابس الدينية الخاصة (الرسته) لما للماء الجاري من منزلة خاصة دينية في عقيدة المندائيين، وليس هم فقط وإنما عند كافة الأديان السماوية.

ويتلو المرتمس قبل دخوله الماء الترنيمة التالية:

النص الديني	الترجمة إلى العربي
ماري مشبا- بشميهون ادهي ربي	بأسم الحي واسم مندادهيي منطوقين عليّ انا (الملواشه)
انا (الملواشة) صبينا بمصبتا اد بهرام ربا بروروبي مصبتاتي	تعمدت بعماد بهرام الكبير ابن القدرة عمادي يحرسني ويرفعني إلى العلا
تناطري وتسق لريش اشما ادهي واشما مندادهيي مدخر الي	اسم الحي واسم مندادهيي منطوقان عليّ

كما يوجد في النصوص المقدسة المندائية سوراً خاصة بالصباغة، منها:

ترخيصة يردنه الماء الجاري الحي.

ابشوميهون إدهيي ربّي

أنا اثبن بهيلا وهيلى

يردنا إيلاوي اشري

ايثي انهت اليردنا اصطبا تقبل دخيا

وروشما (الملواشا) وأصطلي زيوا

وأترص بريشي إكليلا روازي

وشما إدهيي وإشما إدهيي مندادهيي مدخر الي

أنا (الملواشا) صبينا بمصبتا إد بهرام ربّا بروروبي

مصفتي تناطري وتسق لريش

بأسم الحي العظيم

أسأل القوة تنعشني

قوة الماء الجاري

لتأتي إليّ، لقد ارتسمت في الماء الجاري

تحت سطحها وقبلت العلامة الطاهرة

لقد لبست أردية النور ووضعت على رأسي إكليلاً متألقاً

أنا (الاسم الديني) المصبوغ بصبغة بهرام الكبير ابن القدرة

صباغتي ستحرسني ويرفعني إلى الأعلى.

٤- الصيام (وله نوعان):

• نصوم كما أمرنا ديننا به وفسرته لنا شريعتنا :

• والصوم صومان في الدين الصابئي الحنيف :

١- صوم القلب والعقل والضمير (الصوم الكبير).

٢ - الصوم عن اكل اللحوم والسمك والشرب موزعة على أيام مخصوصة ، وشروط

معلومة، وطقوس معروفة، من أيام السنة الصابئية .

بأسم الله الحي القيوم

- يا أحبائي ايها المؤمنون :

((صوموا الصوم الكبير (١٠٦) صوم القلب والعقل والضمير (١٠٧) إنه الصوم

الكبير فلا تكسروه ، حتى تفارقوا هذه الدنيا (١٠٨) لتصم عيونكم ، وأفواهكم ،

وأيديكم .. لا تغمز ولا تلمز (١٠٩) لا تنظروا للشئ ولا تفعلوه (١١٠) والباطل لا

تسمعه (١١١) ولا تنصتوا خلف الأبواب (١١٢) ونزهوا أفواهكم عن الكذب

(١١٣) والزييف لا تقربوه (١١٤) أمسكوا قلوبكم عن الضغينة والحسد والتفرقة (١١٥) أمسكوا أيديكم عن القتل والسرقة (١١٦) أمسكوا أجسادكم عن معاشره أزواج غيركم ، فتلك هي النار المحرقة . أمسكوا ركبكم عن السجود للشيطان والاصنام الزييف ما ليس لكم (١١٧). إنه الصوم الكبير فلا تكسروه ، حتى تفارقوا هذه الدنيا (١١٨) من أخطأ ثم تاب ، ثم إلى رشده تاب ، فإن الله غفور رحيم)) الحي المزكي من كتاب الكنزا ربا المقدس اليمين، ص ١٤-١٥ .

الصيام الكبير (صوما ربا) وهو الامتناع عن كل الفواحش والمحرمات وكل ما يسيء إلى علاقة الأنسان بربه ويدوم طوال حياة الأنسان. حيث جاء في كتابهم (صوموا الصوم الكبير ولا تقطعوه إلى أن تغادر أجسادكم، صوما الكبير لا عن مآكل ومشرب هذه الدنيا.. صوموا صوم العقل والقلب والضمير).

الصيام الصغير وهو الامتناع عن تناول لحوم الحيوانات وذبحها خلال أيام محددة من السنة تصل إلى ٣٦ يوماً... وهو من الفروض الواجبة على كل مندائي يحب مندائيته أن يتمسك بالوصايا والتعاليم التي تزدهر بها متون كنوزنا المندائية وهذه الأيام هي أيام غير طقسية يجب التمسك بها حتى تبلى أجسادهم وهي أيضاً أيام نباتية خالصة ومن خلالها يفرض الدين على المندائي الابتعاد عن كل ما يهين النفس البشرية ولا يرضي الله كما في الصيام الكبير.

الصوم الصغير المندائي نحن نسميه (المبطلات) وعددها (٣٦) يوم متفرقة على طول السنة وتنقسم نوعين :

أ- مبطل ثقيل وعدده (١٢) يوماً وهو الامتناع عن الذبح واكل اللحوم والسّمك والبيض وكل شيء فيه روح.

- ب- المبطل الخفيف وعدده (٢٤) يوماً وهو الامتناع عن الذبح ويجوز اكل اللحوم
والسمك والبيضولهذا الصوم من وجهة نظر ديننا فوائد كثيرة منها:
- ١- للنفس اذ ان الاعتماد على النبات يعطي للانسان صحة وعافية فالنباتات سهلة الهضم وتساعد على بناء الجسم بصورة اسهل وهذا معروف وان جميع الدراسات العلمية اثبتت ان المعمرين في الصين واليابان هم نباتيون .
 - ٢- للناس حيث يتساوى الغني مع الفقير بنوع غذائه وكلاهما عبد للحي العظيم تبارك اسمه.
 - ٣- للمياه والطبيعة فلو تصورنا في كل سنة (٣٦) يوم لأيدبح حيوان ولاطير ولا ما يؤكل في هذه الفترة لتكاثرت الحيوانات والطيور.
 - ٤- ان عمل اللوفاني(الثواب) على روح الميت حديثاً في ايام المبطلات الثقيلة لايجوز فيه اكل السمك واللحوم وانما يجوز اللوفاني على الخضروات والفواكه فقط. وكذلك لايجوز لرجل الدين القيام بالمراسيم والطقوس الدينية مثل الزواج والتعميد..

حساب الأيام المبطلات

مع أسماء الأشهر المندائية والمناسبات الدينية والأعياد

- ١- شهر أول الشتاء (شباط) (برج دولا) أربعة عشر يوماً من أول الشهر مبطلات منها اليوم السادس واليوم السابع مبطلات ثقيلة، اليوم الأول والثاني والثالث أيام العيد الكبير (دهفا رباً) اليوم الأول هو رأس السنة المندائية وهو ذكرى خلق مانا ربا كبيراً الذي هو رأس البنيان للعالم المادي والعالم الروحاني، في هذا اليوم عند الغروب تبدأ الكرصنة لمدة ٣٦ ساعة تستمر حتى فجر اليوم الثاني أي نهار واحد وليلتين، أما اليوم السادس فهو رأس السنة الصغيرة (نوروز زوطا) يعلق المندائيون فيه أكاليل

الغرب أو الغار على الأبواب الرئيسية لمنازلهم، الليلة بين اليوم السادس والسابع هي ليلة القدر حيث تكون فيها أبواب السماء مفتوحة فنزل من عالم النور الملك هيبيل زيوا والملك هبشبا وذلك من أجل سد الثغرة التي صنعها بثاهيل وسبب استفحال أسرار الظلمة فسدوا تلك الثغرة وحطموا كل المصائد والحفر التي وضعها أبناء الظلام في طرق النيشماتا فهي ليلة فيها الدعوات الروحانية مستجابة، يوم ٢٢ مبطل خفيف، يوم ٢٧ يوم التعميد الذهبي للطفل.

٢- شهر وسط الشتاء (آذار) (برج الحوت) يوم الخامس والعشرون من الشهر هو مبطل خفيف.

٣- شهر آخر الشتاء (نيسان) (برج الخروف امبرا) لا يوجد فيه يوم مبطل وهو شهر جميل.

٤- شهر أول الربيع (آيار) (برج الثور) الأيام الأربعة الأولى مبطلات خفيفة، اليوم الأول من الشهر تصادف فيه مناسبة يوم (دق الفل)، اليوم الثامن عشر من هذا الشهر هو يوم (العيد الصغير دهوا هنيئا).

٥- شهر وسط الربيع (سيوان) (برج العذراء) كله جميل خالٍ من المبطلات.

٦- شهر آخر الربيع (تموز) (برج السرطان) اليوم التاسع واليوم الخامس عشر واليوم الثالث والعشرون من الشهر وهي ثلاثة أيام مبطلات خفيفة، ويصادف واحد تموز مندائي مناسبة (أبو الهريس)، يعمل من هرس الحبية مع سبعة أنواع من الحبوب المتوفرة في المنطقة، يعمل المندائيون الهريسة اقتداءً بأبينا سام بن نوح (شوم بر نو) الذي عملها بعد الطوفان وتعتبر الهريسة طعام غفران للذين رحلوا من أجسادهم وللذين بقوا في أجسادهم من دارة آدم لدارتنا هذه ومن ضمنهم الثلاث مئة والخمسة والستين ترميدي الذين انبعثوا من قرية أورشليم ليغفر الحي العظيم خطاياهم وخطايانا.

- ٧- شهر أول القبيظ (آب) (برج الأسد) كله جميل خال من المبطلات.
- ٨- شهر وسط القبيظ (أيلول) (برج السمبله) آخر خمسة أيام من هذا الشهر وهي من أثقل المبطلات في السنة المندائية وهي الخمسة أيام ما قبل البنجة وتعتبر أيام خلق خمسة أرباب عالم الظلام وهي خمسة أيام ظلامية ليس فيها بصيص من النور ففي هذه الأيام لا تجرى فيها كل الطقوس المندائية، وكل ما يستعمل للطقوس يفقد طقسيته يجب إعادة طقسيته بصباغته في أيام البنجة البيضاء التي تليها وهي خمسة أيام لا تحسب بحساب الشهور ولا تعد بتعداد الأيام فهي نهار واحد لا يتخلله الليل ففي هذه الأيام الخمسة تجلّت صفات هيبي وتكون فيها الدرافش منصوبة من عالم بئاهيل وحتى بوابة ابائر الميزان وهي أظهر أيام السنة.
- ٩- شهر آخر القبيظ (تشرين) (برج الميزان أو القصبه) اليوم الأول من الشهر مبطل خفيف.
- ١٠- شهر أول الخريف (مشروان) (برج العقرب) كل أيامه جميلة وطاهرة.
- ١١- شهر وسط الخريف (كانون) (برج القوس) اليوم الأول من الشهر هو يوم دهفا الدايمنا فمن أجل الانتساب الحقيقي للدين المندائي يصطبغ الطفل بعد الشهر العاشر من تكونه في رحم أمه في يوم دهفا ديماننا وتعتبر الولادة الروحية للمندائي في عالم النور وقد اصطبغ يهيا يهاننا في هذا اليوم وبذلك يكون هذا اليوم هو يوم ذكرى مولد نبينا يهيا يهاننا، اليوم الثاني من الشهر مبطل ثقيل.
- ١٢- شهر آخر الخريف (طابيث) (برج الجدي) اليوم الثامن والعشرون واليوم التاسع والعشرون من هذا الشهر مبطلان خفيفان.
- ١٣- عرفات وقربات يومان مبطلان ثقيلان.
- ١٤- لغاطا وشوارا يومان مبطلان ثقيلان.

المبطل الخفيف لا يجوز فيه النحر ويؤكل فيه اللحم المذبوح قبل هذا اليوم على أن لا يمر عليه يوم مبطل ثقيل أما السمك فهو من ثمار الماء ولا يعد من اللحوم الحمراء لذا يمكن استخدامها في عمل اللوفاني في أيام المباطلات الخفيفة.
المبطل الثقيل لا يجوز فيه النحر أو أكل اللحوم مطلقاً وحتى الأسماك أي يعتبر يوم نباتي خالص.

الحليب ومنتجاته التي تصنع في البيوت المندائية يمكن استعمالها في الطعام في كل أيام السنة أي لا يُعد من المحرمات في أيام المباطلات مطلقاً فليس فيه روح حيوانية.
لا يمكن استعمال بيض الطيور كالبط أو البش في عمل اللوفاني لأن البيضة هي نصف حيوان حتى وإن كانت ملقحة أو قد يُشك بأنها ملقحة.

٥ - الصدقة (زدقا) ^(١):

ويشترط فيها السر وعدم الإعلان لأن في ذلك إفساد لثوابها وهي من أخلاق المؤمن وواجباته تجاه أخيه الإنسان. حيث جاء في كتابهم:

بأسم الحي العظيم

(أعطوا الصدقات للفقراء واشبعوا الجائعين واسقوا الظمآن واكسوا العراة لان من يعطي يستلم ومن يقرض يرجع له القرض) الحي المزكي.

(١) الصدقة: (زدقا)، هذا القول حول سرية الصدقة يتكرر بكثرة في التراث الديني لمعظم الشعوب، حيث يرد مثله حرفياً في التراث الديني الإسلامي، وفي التوراة جاء: (اغلق على الصدقة في أخاديرك، فهي تنقذك من كل شر - يشوع بن سيراخ ٢٩: ١٥، ١٦). وفي الإنجيل: (احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات - متي/ ٦: ١).

كما جاء أيضا:

بأسم الحي العظيم

((٩١)) إرشدوا الأعمى (٩٢) واحسنوا إلى الفقير (٩٣) وإذا تهبون صدقة
ياأصفيائي لا تشهدوا عليها (٩٤) لا تعلم يمينكم بما وهبت شمالكم ، ولا شمالكم
بما وهبت يمينكم (٩٥) بنس من وهب صدقة فأفسدها بالتشهير) . الحي المزكي من
كتاب الكنزا ربا المقدس.

قال نبينا الكريم يهيا يهانا : يحيى بن زكريا (عليه السلام) : (رأس الصدقة
أن تطعم الجائع وتسقي العطشان).

بأسم الحي العظيم

((يا أصفياي الصدقة اعطوها فمن لم يستطيع فاليؤدي نصفها * سأحسبها له
كاملة في أرض النور))الحي المزكى الكنزا ربا اليمين.

المبحث الثاني عشر

الكهنوت المندائي الأسرة والمجتمع

- السلك الكهنوتي:

لقد اقتصر السلك الكهنوتي المندائي على الرجال فقط وحرّم على النساء وهذا ما يؤكد ديوان (الف ترسر شيالة) الذي يقول: احذروا ان تدشنوا أنثا كاهنا (ازدهر د لاتطرسون تاغة الانثى). لكن المرأة لها حق دخول السلك الكهنوتي كما جاء ذكرها في كتاب كنزا ربا، كما ذكرت اسماء بعضهن في دعاء الاسلاف (اباهاثان)، ويشير ديوان (ملكوثا اليثا) إلى نساء كاهنات .

وتشير البروفيسورة بكلي إلى اسماء كاهنات قسم منهن اصبحن كنزبرا وريشما ، ومن اسماء الكاهنات التي اشارت لهن:

سلمى بنت قدرا ... ٢٧٠ قبل الميلاد

ياسمن ام شكندا ... ٣٠٠ - ٣٦٠ ميلادي

هوا ام روزبا ... القرن الخامس ميلادي

سارت ام قيام ... القرن السادس

ماريبي بنت سيمات ... اواسط القرن السادس

هوا بنت نوكرابي ... القرن السابع

هوا بنت دايبى ... بداية العصر الاسلامي

انهر كومريثا بنت سيمات ... بداية العصر الاسلامي

هيونا بنت تهوي او يهيا ... في حدود ٧٠٠ ميلادي

زندانا ام قيام ويهانا وبيان ... اوائل القرن الثامن
سعدية ام فاروق ... القرن الثامن
هوا بنت يهيا يهانا زكريا ... اواخر القرن الثالث عشر
سعدية ممانى بنت يهيا سام سرولن ... اواخر القرن الثالث عشر
سرات ياسمن بنت زكريا ... القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر
ياسمن مدلل بنت آدم بهرام زوجة مهتم زهرون من العائلة الكحيلية ... في حدود ١٥٠٠ ميلادي.
مامول دهقان بنت بهرام ... بين ١٥٠٠ و ١٧٠٠ ميلادي.
ساها بنا بنت عزيز سكما بين ١٥٠٠ و ١٧٠٠ ميلادي.
ماريواري بنت آدم صابور ... بين ١٥٠٠ و ١٧٠٠ ميلادي.
بدرية بنت سوراس ... بين ١٥٠٠ و ١٧٠٠ ميلادي.
هوا سيمات بنت آدم ... بين ١٥٠٠ و ١٧٠٠ ميلادي.
انهر بنت سرات ... القرن الثامن عشر.
مدلل بنت دهدار سليم ... القرن الثامن عشر.
كريا بنت دهدار سليم ... القرن الثامن عشر.
اسم غير معروف بنت دهدار عائلة عزيز ... القرن الثامن عشر.
بيبي مدلل اخت يهيا بهرام وزوجة رام زهرن عام ١٨٣١.

- مراتب رجال الدين:

يجب ان يكون رجل الدين سليم الجسم، صحيح الحواس، غير مختون، وله
كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح
والجنازة، ورتبهم على النحو التالي:

- ١- الحلالى: يسير في الجنازات، ويقيم سنن الذبح للعامة، ولايتزوج إلا بكراً، فإذا تزوج ثيباً سقطت مرتبته ومنع من وظيفته إلا إذا تعمد هو وزوجته ٣٦٠ مرة في ماء النهر الجاري.
- ٢- الترميدة: إذا فقه الحلالى الكتابين المقدسين سدره إنشاماً والنيانى أي كتابي التعميد والأذكار فإنه يتعمد من قبل رجال دين اعلى درجة بالارتماس في الماء الموجود في المندي ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظاً لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالى إلى ترميذا. وبعد ان يعتكف ستين يوماً لاداء الصلاة قرب الماء.
- ٣- الأبيسق: الأبيسق (وهو الترميذه الذي يختص بعقد المهر للأرامل والمطلقات ، يبقى في مرتبته ولاينتقل إلى مرتبة أعلى ، ويحرم من ممارسة الطقوس الأخرى).
- ٤- الكنزبرا: الترميذا الفاضل يدرس ويجتهد حتى يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك إذا حفظ كتاب الكنزرباً فيصبح حينئذٍ مفسراً له. ويقوم بطقس خاص مع اخوانه رجال الدين ويرتقي بعدها إلى يزوج رجل دين آخر.
- ٥- الريشى أمه: أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ويوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة رغم انها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة. ومنهم في الوقت الحاضر الريشما ستار جبار حلو - الريشما صلاح جبار.
- ٦- الرباني: هو الرجل الذي يستلم التعاليم الربانية من بيت الحياة عن طريق الملكي أو الاثري ولم يصل لهذه الدرجة إلا يحييا بن زكريا عليه السلام، كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد.

- ترسيم رجل الدين (طراسة):

عند اختيار المرشح للسلك الديني يجب أن يفحص جيداً كما تفحص الجواهر من حيث نقائها وصفائها. ويجب عليه أن يعمل صالحاً لأنه القدوة في كل شيء، ورجل الدين الذي لا يعمل صالحاً يتلوث تاجه وتصبح ملابسه سوداء. أما إذا سار بطريق الصالحين وحافظ على مكانته وتاجه يبقى نوراً يضيء طريق إخوانه المندائيين.

يتضمن القيام بالمراسم الأصلية للترسيم الملكي للكهنة، الذي يعد نموذج عن ترسيم ملك السلام (ملكة شيشلام ربا). وتستغرق فترة الطراسة أسبوع كامل، تبدأ من يوم السبت وتنتهي يوم الأحد الثاني فجراً. حيث تغيير الطقوس المتبعة عن دورة الحياة من البداية إلى النهاية (من ريش بريش) أو بدء الحياة من جديد بعد الممات.

- في هذه الأيام السبعة يتم ما يلي:

تبنى أولاً الاندرونة، وهي من القصب، وتوضع عليها قطعة قماش زرقاء وهي ترمز إلى العالم الدنيوي. ويبقى فيها الكاهن المرشح (شوليا) للترسيم يوم السبت كله وهو يقرأ كتاب الأنفس (سيدرا اد نشماتا) ويعيده مرتان، وعندما يصل في المرة الثانية إلى سورة (انكرتا) الكبيرة أي الرسالة العظمى يعطى في هذه اللحظة أدوات الكاهن الملك وهي: التاج والصولجان والخاتم، وعند فجر الأحد ينتقل من الاندرونا التي تمثل العالم المادي إلى (اشخنثا) وهي كوخ من القصب مغلف بالخام الأبيض من الداخل والخارج، وهو يرمز إلى العالم النوراني، ويكون فيه كل الكتب المقدسة (بيت كنزي). ويبقى الكاهن فيه حيث يتلو كل يوم فجراً وظهراً وعصراً الصلاة الكبرى (رهمي) ومع كل صلاة يحصل على كلمة سر واحدة، وخلال صلواته والتي يبلغ عددها ٢١ رهمي، يحصل على ٢١ كلمة سرية (نهشتا)، وهي من شدة قداستها وسريتها لا تكتب ولا تنطق بصوت مرتفع، وإنما تنطق على القلب في اليوم السابع أي فجر يوم الأحد الثاني. وخلال أسبوع الترسيم

للمرشح وللربي رجل الدين الكبير الذي يشرف على طقوس الترسيم، لا ينام الاثنان خلال مدة الأسبوع خوفاً من النجاسة (الاستحلام) التي تفقد الطقس طهارته، وإذا حدث هذا الشيء أو جاءت الدورة الشهرية إلى زوجات كل منهما، عندها يجب أن يحصلوا على عماد كبير.

ثم يقوم الكاهن المرشح والربي بالصلاة نحو النهر ويبدوان (قماشى) الزي الديني اللذان ارتدياه طيلة الأسبوع الفائت، إلى رسته عادية ويبدأ الربى بتنعميد المرشح، وعند الانتهاء يعزل المرشح (شوليا) لوحده في مكان خاص، لا يخالط أحداً، ولا يذبح، ولا يعمل أي طقس ديني، ولا يتقرب من زوجته إن كان متزوجاً، ولا ينام على فراش وثير، ولا يأكل حتى مع رجل دين من مرتبة أعلى، وعندما يكمل فترة ٦٠ يوماً يكون قد أدى ١٨٠ صلاة، منها ٦٠ لجسده و٦٠ لنفسه و٦٠ لروحه، وتعد غفران لخطاياها السابقة. وبعد انتهاء الصلوات يقوم فجر الأحد بعمل (مسخته) الوليد، وعند انتهائها يعمل (زدقة بريخة) ويصبح بعدها رجل دين بدرجة ترميذا يحق له عمل الطقوس الدينية التي تخولها له درجته الدينية.

الدرافشا - العلم او الراية

((كما خرج النور من أرض البياض ونشرت الراية حيث هي انبثاق للنور العظيم وبنور الراية تنورت الملائكة ومساكنهم، أبه بالضياء العظيم في بيت الكمال)) من كتاب نياني (الصلوات).

الدرافشا: رمز للإشعاع والنور والبهاء، وشجرة الحياة القديمة يمثل الصاري، الشراع سفن النور في عالم الأنوار العليا، هو العلم، أي الراية البهية المتقنة (دربشا تقنا) هو راية النور والسلام والحياة ومنها ينعكس النور الرباني العظيم، فيشيع الخير والمحبة والسلام والهدوء، ويغسل بأشعته البياض الطاهرة قلوب الناس، ويطهرها من الأحقاد

والأضغان والكره. يتكون الدربشا من غصنين من الزيتون يربطان معاً على شكل علامة (+).

● لكي تستقر عليها قطعة الحرير الخالص (الخز) ويرمز الزيتون إلى السلام فيكون الدرافشا إذن راية السلام.

● تلف حول غصني الزيتون قطعة من قماش الحرير الأبيض (الخز) بعد أن يحاك بطريقة دينية خاصة. ويكرز قبل لفه ببعض البوث (الأدعية) الدينية من كتاب النيانى وقطعة القماش البيضاء ترمز إلى النور، الإشعاع، النقاء، البياض، الطهر، فيكون (الدرفش) إذن راية النور.

● تثبت سبعة أغصان من الآس (شبه اسأ) في أعلى الدرافشا والآس يرمز إلى الحياة الأزلية المتجددة الخالدة وإلى عطرها الطيب مشيراً إلى إيمان المندائيين بالحياة الأزلية الخالدة بعد الموت والانتقال الروحي إلى (آلما دنهورا) عالم النور. فيكون الدرافشا راية الحياة الخالدة.

● توضع قطعة من الذهب الخالص ويرمز إلى سر الأب وان الدرفش موجود أصلاً في عوالم النور العليا حيث عندما اصطبغ ملك هيبل زيوا عند عودته من عوالم الظلام بعد أن قيدهم بالأغلال وكبح جماحهم. تمت صباغته بـ ٣٦٠ يردني ونصب له درفشاً، وكذلك عندما اصطبغ آدم رأس الذرية من قبل ملك هيبل زيوا نصب له درفشاً. وهكذا استمر العمل به إلى أن جاء عهد النبي يحيى بن زكريا مبارك اسمه نبي الصابئة وثبت الدرفش وابتدأ بالصباغة وتميز عن غيره، ولهذا سمي (درفش يحيى) وتوارثناه نحن جيل بعد جيل. ينصب الدرفش في كافة الدهافي (الأعياد الأربعة) وفي الصباغات الكبيرة وعند تكريز رجل دين.

ان الدرشفش: هو رمز الصابئة وشعارهم، فهو الراية المتقنة الخفاقة، التي جاءت إلينا من عوالم النور العليا، وتبقى مادامت بقية من صابئة على هذه الأرض إن شاء الحي العظيم. ونرى من المقطع الآتي قوة وصلابة المختارين (الصابئة المؤمنين) ((المختارون الصادقون قاموا على أقدامهم وبيمينهم أمسكوك وللماء ماء الحياة زاهبين وثبتوك فان بهاءك ينسكب على الماء. وامتزج الماء ونورك معاً وشلماي وندباي تعززا وتجملا، هؤلاء المختارون الصادقون الزاهبون إلى الماء بنور حضرتك منورين. أنت حارسهم ومثبتهم وتصعد صباغتهم إلى العلا)).

المبحث الثالث عشر

الزواج وفق المعتقدات المندائية

بشميهون إدهيي ربي

الزواج : هو ارتباط الرجل بأمرأة شرعاً وفق المراسم الدينية المتبعة.

تحت الديانة المندائية على الزواج .

فتقول نصوصها

(أبد هلولي لإبنيخون زاكري وأف لإبناتخون نُقَبْثَا).

(أقيموا الاعراس لأبنائكم الذكور وايضاً لبناتكم النساء).

(أكواث صاوين وميتي نشماتون د فتولي وفتلثا إد إشما إد هيي لا داكري

وگُبري لا بايي كَث نافقي من يعريهون مشتكني بارفيلي دهشوخا).

(مثل ارواح العزاب والعازبات جفوا وماتوا لان اسم هيي لا يحيوا ذكره

فالرجال لا يبحثون عن النساء والنساء لا يبحثن عن الرجال ، عند الخروج(النشيمثا)

من اجسادهم ستقبع في سُحْبِ مظلمة).

غاية الدين المندائي من الزواج هو بناء مجتمع قويم متوطد الأركان ولا يتم الزواج إلا

ضمن شروط منصوص عليها ووفق المراسيم الدينية المتبعة ، فالدين المندائي يحث أبناءه

على الزواج الشرعي ويعتبر التلكؤ بالزواج أو التماذي بالعزوبية ذنب يحاسب عليه في

ساعة الحساب والدينونة ، كما أن متون كنوزنا العظيمة مزدهرة بالتعاليم والوصايا في هذا

المجال الحيوي منها (يا آدم تزوج واستقر كي تعمر الدنيا بذريتكما) كنزا رباً ، كما أن

الدين يحث الآباء والأمهات بعدم التفرقة بين الأبناء ذكوراً وإناثاً بقوله : (أقيموا

الأعراس لأبنائكم الذكور وأيضاً لبناتكم الإناث) كما يمقت التماذي بالعزوبية بقوله :

((انظروا أيها العزّاب إلى النهر الذي جفّ ماؤه والأشجار القائمة على ضفتيه كيف

جفت وماتت ولم تثمر هكذا ستموت نفوسكم ولم يبقَ لكم ذكراً في هذه الدنيا)) كنزا

ربّما، كما أن الدين المندائي بالإضافة إلى كونه يشجع على الزواج إلا انه لا يبيح الطلاق لأن الطلاق يساهم بهدم ما يطمح لبنائه كما انه يشجع على تعدد الزوجات إلا ضمن شروط أو ضرورة ملحة تتطلب الزواج فيحق للرجل أن يتزوج زوجة أخرى دون أن يطلب الفراق الجسدي أي يتخذ قسماً جديداً دون أن يحدث شرخاً أو تشويهاً بالرباط الزوجي الأول ولا ينقص شيئاً من كنوزه أي دون نزول ديني إذا كانت غايته طلباً للأبناء لأن غايته الرئيسية إنشاء جيل صالح يرفد به المجتمع المندائي كي يكمل موقفه الديني إذا كانت زوجته لا تنجب له الأبناء الذكور وكانت غايته في ذلك هو التدرج بسلم الناصورية، أو انه ساهم برفد الدين بكنزورا جديد وذلك بقبول زوجة يختارها له الكنزورا الجديد لإكمال موقفه الديني. أما إذا كان الزواج لإشباع شهوته بالدرجة الأولى فهذا لا يبيحه الدين المندائي ويجني على أثرها خطيئة يُحاسب عليها يوم الحساب.

أما إذا طلب رجل الدين الفراق الجسدي أي الطلاق لأسباب وجيهة أو غير ذلك حتى إذا كان هو السبب وليس من زوجته فالدين المندائي يلزم الزوجة المطلقة بعدم الزواج فإذا اجترأت على الدين وألزمت نفسها بقسم جديد مع زوج لآخر فانها تجني نزولية تمتد إلى زوجها الأول وهو رجل الدين كما أسلفنا فيعاني من نزولية تمنعه من مزاولة أعماله كرجل دين. لذلك تضامناً مع زوجها وهو رجل دين يعمد رجال الدين على إقناعها بعدم الزواج وإن أبت فهم يمتنعون من إجراء مراسيم الزواج الجديد لها فإن اضطرت إلى الزواج في كنيسة أو خرجت من الدين المندائي بزواج جديد تعنتاً فهذا يخرجها من الدين المندائي ويحذف اسمها من بيت هبي عندها لا يصيب رجل الدين أي نقص في موقفه الديني إلا ان المرأة خرجت عن الدين المندائي وهذا بحد ذاته إضعاف للدين المندائي ويتولد عندئذ مأزق جديد للأبناء الجدد نحن في غنى عنه. هذا هو بعينه إجحاف بحق المرأة إذا كان الزوج هو المسبب للطلاق لأنه أحب امرأة أخرى وتورط معها بقسم جديد وهو نادراً ما يحدث.

مراسيم الزواج

يقول الترميذا الواقف على الطرف الأيسر للكاهن العاقد : السلام عليكم، أذهب إلى بيت العروس العذراء ونصب الكلة (خيمه من التون) وألبسها الخاتمين وأطعمها وأسقها واقراً عليها صلوات العقد الاولى. ثم يذهب الترميذا لأعداد المطلوب ويرجع إلى العاقد ويقول لله: عليك السلام لقد طهرنا بيت العروس ونصبنا الكلة .

العاقد: غفر الله لكم خطاياكم ويتلو البوثة الأولى ويبدأ بالأحرف (آ - با - كا) إلى أن يصل إلى حرف (ق) تكسر الجرة الأولى يدخل العاقد أولاً ثم العريس. يجلس العاقد ويتم طماشه يده ويوزع (٢٦) رغيف والأطعمة وعددها (٩) طرايين بمساعدة الأب (وكيل الفتاة) (الأب الروحي).

العاقد يسأل الأب: أحلفك بالحي العظيم وسيدي خالق الحياة هذا الطعام لمن. ويحلفه مرة أخرى هذا العهد لمن، يردد الأب هذا الطعام والعهد لفلانة (المقطع الأول) (من مواشتهما بنت فلانة) المقطع الأول (من وكيل الفتاة) وابنة آدم ابنة الحياة التي تنسب لها يكرر عليه الحلف مرة أخرى هذا العهد (الزواج لمن) يردد الأب: هذا الزواج لفلانة بنت فلان وأنا فلان وأنسبتها إلى فلان ملواشة العريس ابن آدم ابن الحياة زواج العهد.

بأمر العاقد، الزوج يضع يده اليمنى (يد العهد) بيد الأب اليمنى ويبدأ بالقسم: (هذا الحق لفلانة بنت فلانة أحلفك بالحي وبسيدي خالق الحياة، وبهيبل وشيتل وانش وبشهادة ادثان ويدثان وبشهادة أسرين واربا اثري بني نهورا أحلفك بملاك الأحد ويومه الموقر، أحلفك باواثر صاحب الميزان، وبشهادة هؤلاء الترميذي والمندائيين الموجودين أثناء عملية العقد).

يبدأ الترميذا على اليسار يقول له (لا تحد عن عهدك ولا تنكث وعدك ولا تنكل ما أقسمت عليه، هذا الذي أمرني به ربي وأنا آمرك أن تلتزم به).
العاهد: الآن قمنا بواجبنا نحوك بأمانة كما أمرنا ربنا. ثم تستمر المراسيم الدينية الأخرى إلى النهاية بأخذ العهد المشترك من كلا العروسين.

شرح

طقوس الزواج عند الصابئة المندائيين

في البدء اصبغوا كل من العروسين دارتين لكل منهما ثبتوا الاندرونا وانشروا عليها السماء الصغيرة ولتكونوا أيها الكنزورا والترميذي لابسين رساتيكم وتاغاتكم بيمينكم ثم اطمشوا وطهروا أياديكم باليردنا ثم البسوا العريس خمسة قطع الرسته بعد بهره ولتكن السكندولا بيده وليمسك كنزالة (نصيفة) الكنزورا وليدخلوا من باب بيت العريس (الاندرونا التي سبق وأن وضعت عليها السماء الصغيرة) وقد جهزوا صندوقين أحدهما يكون في داخله زيت وعسل التمر والصندوق الآخر فيه ستة وعشرين رغيفاً مصنوعة من الدقيق (الحنطة) المخبوز على النار بعد ذلك يأتي صبيان أحدهما يمسك سلة فيها ملابس العريس من ضمنها الوشاح الأخضر الذي يعبر عن التفاؤل بحياة هادئة وخصبة وقبل أن يتحزّم به العريس يقرأ عليه (اسيرا هتيما باصر هبي...)، (اسيرا هتيما ربتى...) ويعطيه إلى العروس عند الانتهاء من المهر بعد أن يقرأ (بيوما اد فتا ونفق زيوا...) يردها بعد الكنزورا بعد ذلك يأخذ الكشطا من العروس، أما الصبي الآخر يمسك السلة الأخرى التي فيها ملابس العروس يأتيان أمام الكنزورا والترميذي والعريس ويصلوا إلى باب الاندرونا ثم يعودا إلى باب بيت العروس حيث الكلة المنصوبة هناك جالسة داخلها العروس وهي مرتدية الرسته بعد بهرها، بعد ذلك يقف كل من الكنزورا والترميذي أمام باب الاندرونا ويقف العريس إلى جهة اليسار ويثبت كل من الكنزورا والترميذي تاغاتهم على رؤوسهم (بعد قراءة نياني [بيوما اد انصبلي مركنا...]) الخاص بالمركنا [وبيوما اد نراصلي تاغا...] الخاص بالتاغة) ثم يعطي الكنزورا أمراً إلى أحد الترميذي ليأخذ بيده خاتمين أحدهم

نو ياقوتة حمراء وآخر نو ياقوتة خضراء وزبيب ولوز ليذهب إلى العروس المرتدية
الرسطة ويطهر يدها ويضع الخاتم نو الياقوتة الحمراء بيدها اليمنى والآخر نو
الياقوتة الخضراء بيدها اليسرى ثم يعطيها الجوز والزبيب لتأكل والماء لتشرب
ويرتل على رأسها ((إسيا هتيما وؤصار هيي...)) و((إسيرا هتيما ربتى...)) ثم يأتي
الجميع ليدخلوا الشكينة هنالك حيث يقف الكنزورا عند باب الشكينة والعريس
واقف إلى يساره ويقراً اسوثا ويرد العريس عليه الجواب ثم يشرح الكنزورا بقوله
نحن أنجزنا هذا اليوم بيت العريس (الاندرونا) ووضعنا عليه السماء الصغيرة وبهرنا
العريس وطهرنا يده وأنجزنا بيت العروس وبهرناها وطهرنا يدها ووضعنا الخاتم
ذي الياقوتة الحمراء بيدها اليمنى والأزرق بيدها اليسرى وأعطيناها اللوز والزبيب
فأكلت وشربت الماء وقرأنا على رأسها (اسيرا هتيما وباصار هيي...) (واسيرا هتيما
ربتى...) وهذه السماء الصغيرة وهذا التاج برأسي بعد ذلك قال له الترميذي نظم
ليغفر خطاياك وقد وقف صاحب المشربة إلى يمينه عند باب بيت العريس يقول
الكنزورا كُشطا أسنخون ويقراً نشيد (أثا بطابو كُشطا...) فيكسر المشربة عند باب
الاندرونا على قطعة من الصلصال بعد ذلك يجلس الكنزورا والترميذي والعريس ثم
يأتي الشكندا ويعطي الزيت وعسل التمر لكل من العريس والكنزورا والترميذي
ويجلب شكندا آخر منشفة اليد بيده ويسكب ماء للعريس والكنزورا والترميذي بعد
ذلك يبدأ بتجهيز الطرايين بتسعة أسرار التي هي الملح والطعام والخضرة والبصل
(والسندركا) التمر والزبيب والجوز واللوز والسهم الممزوج مع الملح وأيضاً تجهيز
الهمرا (منقوع التمر والزبيب) والحلاوة (البالودة) تكون من الطريانة ثم يجلبوا
ثمانى طرايين تثبت على جهة من الطريانة الكبيرة الموضوعه أمام العريس والكنزورا

ثم يحملوا من سر الملح والسَّمسم والخضرة والبصل والسندركة (التمر) ويضعونها على كل الطرايين أما الأرغفة فعلى كل طريانة ثلاث فطائر وفطيرتين تكونان بين الطريانة التي أمام الطريانة الكبيرة والطريانة الكبيرة والتي تسمى كوفاً ومشاطاً.

بعد ذلك يقول الكنزورا لواحد من الترميذي فلان بن فلان اعمل بقرارك وأخذ الترميذي يرد عليه الجواب نظّم ليغفر خطاياك ثم يقول الكنزورا يا أخوتي الترميذي والمندائي في الشكينة سأعمل حسب قراركم فيقولون له جهّز يغفر لك خطاياك.

بعد ذلك يأتي أبو العروس لابس رسته ذات الخمس قطع ويقف مقابل الطريانة الكبيرة ثم يقول الكنزورا لأب العروس يا أخي فلان بن فلان أبو العروس الذي يرد عليه قائلاً سأجيبك أيها الكنزورا والكنزورا يرد عليه جوابك يكون إلى هبي ومندادهبي، هذا الطعام لمن هو أجابه أبو العروس اللابس الرسته والواقف مقابل الطريانة الكبيرة هذا الطعام إلى العروس فلانة بنت فلان ابنتي أنا التي جعلتها زوجة لفلان بن فلان بزواج الكشطا ثم كرر الكنزورا قائلاً لأبي العروس هذا الطعام لمن هو يجيب أبو العروس هذا الطعام إلى فلانة بنت فلان ابنتي أنا التي جعلتها زوجة لفلان بن فلان بزواج الكشطا، ثم كرر الكنزورا وقال للعريس يا أخي فلان بن فلان فقال العريس سأجيبك أيها الكنزورا فرد عليه سيكون جوابك لهبي ولمندادهبي، فيقول له أيها العريس الذي تزوجت فلانة بنت فلان بزواج الكشطا يردد بعده ثم قال الكنزورا للعريس يا أخي فلان بن فلان يرد عليه العريس قائلاً سأجيبك أيها الكنزورا فيرد عليه جوابك لهبي ولمندادهبي ويقول أيها العريس الذي تزوج فلانة بنت فلان بن فلان بزواج الكشطا، بعد ذلك وقف العريس ومسك يد أبي العروس الواقف مقابل الطريانة الكبيرة فيقول الكنزورا للعريس هذه الكشطا ستكون عليك

وفق الشهود، يرد عليه العريس هذه الكشطا ستكون عليّ وفق الشهود بأني قد تزوجت فلانة بنت فلان بن فلان بزواج الكشطا بشهادة هبي وبشهادة منداهبي وبشهادة هيبيل وشيتيل وانش وبشهادة ادثان ويدثان وبشهادة شلمي وندبي حارسا اليردنا وبشهادة الأحد ومجمع الزدقا وبشهادة ابائر موزنيا وبشهادة الأربعة والعشرون اثري أبناء النور وبشهادة حافظ الكشطا الذي هو الكلمة العظيمة الأولى وبشهادة هذه الأنفس التي تعود إلى الترميذي والمندائي في الشكينة لن تتراجع عن الكشطا ولن تغير أقوالك ولن تكذب كذبة عليها وتعطني بها وتكمل معها بالكشطا كما قيل لك من قبل ربك، والعريس يردد من بعده، ثم يوجه الكنزورا كلامه إلى أبي العروس فيرد عليه نحن أيضاً متكاملين معك بالكشطا كما قال لنا ربنا، بعد ذلك تصافحوا مع بعضهم البعض الآخر وقبّلوا أيديهم، ثم وللمرة الثالثة تصافحوا مع بعضهم البعض وقبّلوا أيديهم.

يقول الكنزورا للعريس ان زواج فلانة بنت فلان بن فلان سيكون عليك بألف درهم ودينار من الذهب وقبضة من الزعفران ووافر من المجوهرات بشهادة هؤلاء الترميذي والمندائي في الشكينة، عادل وجميل ذلك، يردد العريس كل ما يقول له، بعد ذلك يطهر الكنزورا والعريس أيديهما، ثم يحمل الكنزورا بيده الصا^(١) ويجعل العريس يمسكه معه ويقولون بأسم هبي وبأسم منداهبي المذكور عليك ويقطعون الصا، يضع الكنزورا قطعة الصا التي بيده في الطريانة ثم يمسك قطعة صا العريس

(١)الصا: يصنع بنفس طريقة عمل البهثا هو مكمل للqqمة التي تجمع الأسرار وكانت في السابق كبيرة الحجم بحيث عندما تقطع الى نصفين يمكن وضع مواد اللqqمة فيها لكن في الوقت الحالي مجرد رمز بحيث يوضع نصفها مع مواد اللqqمة التي تعطي للعريس في الاندوريا بكون الصا على شكل اسطوانة مصنوعة من عجينة ومحتواها طحين التمن والحنطة والملح..

ويأخذ نصفها ويضع عليه جوز ولوز ويعطيه إلى العريس أما النصف الآخر يعمل منه سبع قطع ويضع عليها البالودا (الحلاوة المصنوعة من الدقيق والماء والعسل) فالقطعة الأولى يضع عليها اللوز والجوز، أما القطعة التي بعدها يضع عليها الزبيب ويعطيها بيمينه إلى أبي العروس، وبعد ذلك يضع جزء مما تبقى في الطريانة الكبيرة على رغيفي الكفا ومشاطا ليكون هدية من العريس إلى العروس يعطي كل ما يبقى في الطريانة للموجودين ويأخذ الفطيرتين الكوفا ومشاطا ويذهب قرب العروس ويعطيها الماء ليظهر يدها ويعطيها القطعة التي بداخلها اللوز والجوز ويعطيها قطعة أخرى بداخلها الزبيب لتأكل ويعطيها الماء لتشرب ويقول لها لم تأكلي بعيداً عنه ففي الأول أكل العريس من قبلها وأكل الكنزورا والترميذي والمندائي من هذه الطريانة وجلبوا الفلودا وأكل منها كل الترميذي والمندائي وشربوا الماء، بعد ذلك يثنون ثلاث فطائر في الطريانة ويضع العريس ثلاثة قطع فضية صغيرة على الفطائر ويعطيها إلى أم العروس.

ثم يبعدوا الطريانة الكبيرة وكل الطرايين الأخرى من أمامهم ويضعون الزيت والبخور العطرة والمشط إلى الشكينة حيث المشربة الفخارية ويغسلوا أيديهم بالشنان والصابون الطيب.

بعد ذلك يوزع الكنزفرا أغصان الآس على الترميذي وهو يجدل إكليلين أحدهما للعريس والآخر للعروس ويجلبوا سبعة سيقان طرية من الغرب والتين من أجل إكليل العريس وإكليل العروس بالمثل ويربط الترميذي الأغصان الطرية حول الإكليلين ويجدلوها بخيوط من القطن حيث يربطون الأغصان الطرية مع بعضها البعض حول

الإكليلين، ثم يضع الكنزورا غصنين طريين من الغرب وآخرين من التين لسكندولا مع ثلاثة أغصان من الآس ويربطونها بخيوط من القطن حول السكندولا.

بعد ذلك يجلبون الزعفران ويحمله الكنزورا بيده ويسكب عليه الماء ويغسله ويغسل الإكليلين والسكندولا بالزعفران بعد ذلك يعضون ملابس العريس والعروس ليقرأ عليهما الكنزورا والترميذي (اسيرا هتيما باصار هيي) و(اسيرا هتيما ربتي) ويلبسون العريس ملابس ليجلس على كرسيه ويقرأون على إكليل الآس (مندا اقرن) ويثبتونه برأسه.

بعد ذلك يقرأ الكنزورا والترميذي (الهمثا) على رأس العريس (بيت مشقال ايبي) و(اسير يما) و(كيما انا كميما) و(إزها وإتزها) و(كث إهابلي) و(اسيرا هتيما باصار هيي) و(اسيرا هتيما ربتي) ثم يقرأ الكنزورا والترميذي (إكف اثري واكنف شخيناثا) وهم واضعون أيديهم عليه وفي كل مكان يقول اشقوي يسقونه سبعة كؤوس من الهمرا ويقرأ جميعهم نشيد (ياتالي زيوا...) ويقرأون (من آسة ومن مرماهوز كليلا كدليت حتى يصلوا شاتل شتلا اشتل وجادل اكليلا اجدل ومنتقن زكواثا تقني للعريس فلان واسقي الريش) ثم يقرأون (زوطنالون لأثري وميانقيناون لبسمخي رابنا وربانا نفشي اد شتيت ميا من بُم فراش) (أنا صغير الاثري ورضيع المنابع كبرت وعظمتني نفسي لأنني شربت ماء من نهر الفرات) ويقرأون (نيناطرونخ ناظري دخيي ونتجدل شرشخ ونسق لريش تاقنولك ايدائك وتسق تهيزي اثرا سغيا بيت تشيلما وهبي ركن) (سيحرسك الحراس الأطهار وسيتجدل أصلك وسيرتقي للعلياء سينسقون أعمالك لترتقي وتنظر المكان الواسع من بين الكاملين والهيبي يزكي).

بعد ذلك يقف الكنزورا والعريس ويقرا (قال هبي من بييري وربا هو طابا لوات ابهائي مزلي) والترميذي يعطوه الاذن، ثم يذهب الكنزورا والعريس والترميذي إلى باب بيت العروس الجالسة في كلتها حيث كان أحد من الترميذي حارساً على الشكينة. بعد ذلك يقرا الكنزورا (آ أثا بطابو كسطا...) ويكسر صاحب المشربة المشربة الثانية على باب بيت العروس على قطعة من الصلصال ثم يقرا الكنزورا (أغلا انا زوطا...) وفي المكان الذي يقول (ألنن بمانى وتكسنن) يذهب الكنزورا والترميذي والعريس إلى بيتها كي يجلس العريس خلف الكلة حيث العروس جالسة فيها ظهراً إلى ظهر ويضرب بعضهم البعض الآخر، بعد ذلك يقرا الكنزورا بوثة (بييري مخيخلي لهدوي واغاني همرا مزجلي) وفي المكان الذي يقول (ليبات مارتا وشفرا ورغاغا كليلا ووتختا لهدوثا ايثيلا اد ترصلا كنزورا) يثبت إكليل الآس على رأس العروس ذلك الإكليل المحكوك بالزعفران والمربوط والمجدول والأغصان الطرية فيه محكوكه بالزعفران، ثم يقرا (انا وشوشبان هدوي مستي وسيخ جنان) ويضرب العريس والعروس رأسيهما البعض البعض الآخر ثلاث مرات وفي المكان الذي يقول (انا وشوشبان هدوي) يضرب رأسيهما البعض البعض الآخر ثلاث مرات وانهين ثم يقرا (جفنا إثلي لشيتل وايلانا اثلي لانوش...) وينهي ثم يقرا (مانا انا إد هبي ربّي مانا انا اد هبي روربي...) وفي المكان الذي يقول (توم بهثيت ميّا هبي وشقينن لترين كشرى إد هازن آما) يسقي الكنزورا العروس كأساً واحداً من الهمرا وينهي ثم يقرا (اثث مرجانيثا داخيثا اد انهرتا اليبي هشخي...) يونهي.

بعد ذلك يقرا الكنزورا والترميذي الهدياثا [هذه الهدياثا تقرا كلها للعروس العذراء فقط ولا تقراوا للعروس الأرملة من خاتمة الهدياثا وهي (نيناطرونك ناظري

دخبي)]، (ايهي قشافلي آمي بيشي قام دالي آمي طابي) (ستنزل سواعد الشرور أمام إعلاء سواعد الطيبين) ويفرح الجميع بقدر ما يستطيعون حتى النهاية ويقولون اجلبوا الجوز والشكر واللوز للمسعدين ثم يخرجون الزبيب والجوز من كلتها ويعطوه إلى الكنزورا ويضع الجميع أيديهم على رأس العريس والعروس ويقولون لهم سيحرسونكم الحراس الأطهار وتتجادل أصولكم وسترتقي إلى العلياء وينهون ثم يحمل الترميذي الزبيب والتين ويأتوا ليدخلوا الشكينة فيقول الكنزورا للترميذي نورهم وعطرهم مثلما يقول الملائكة في شكيناتهم لهيبيل زيوا والمنازل، بعد ذلك يقرأ الكنزورا لهم الأدعية مثل (كث ازل بهيري دخيا لاثرا إد ياتبي تُشليمي...) والترميذي يعطونه الإذن عندما يذهب المختار الصالح من البداية حتى يصل (كث بهيري دخيا لثرا اد ناظرثا) كما أوضحنا لكم (لا نقرأ هذا الدعاء في الزواج المندائي للعروس الأرملة) وعندما يصل بترتيله إلى (كث ازل بهيرا دخيا لأثرا اد ياتبي تُشليمي لأثرا اد يقيرا) يلف الكنزورا المركنا حول العريس في المقطع الذي يقول (انات امرت وانات قايميت وانات تقني واسقي الريش) وبعد تُقرأ كل الأدعية من البداية حتى النهاية ماعدا ناظرثا لا تُقرأ على الأرملة وعندما ينتهون من قراءة كل الأدعية يقبل الترميذي والكنزوري أيديهم ويأكلوا الزبيب والجوز ويوقروا تاغاتهم والهيبي يسعدهم إلى الأبد والهيبي يزكي^(١).

(١) شرح الاستاذ امين فعيل حطاب ، سدني، ناصورائي.

أهم الأمور الواجب اتباعها اثناء عقد المهور

الاندرونه:

وهي بيت الآخرة، وتتكون من ٦٠ قصبه والزوج صار ٦١ أرتباطها بأسرار الهميانه التي تحمل ٦١ سر. وعددها ٩ هذه تشير إلى اسرار الولادة ٩ اشهر.

الطراين:

- اللقمة: وهي تتكون من الجوز واللوز والزبيب الذي يصنع منه الهمره بما معناها اللون الاحمر للزبيب ٥ يعطى رجال الدين هذه اللقمة وتكون مناصفة بين الزوج والزوجة.

- بعدها يشقي او يسقي لهم الهمره. الرجل ٧ من الكوس الي هي الكبثة الرمزية. والامرئه ٢ كبثة.

المجموع: ٩ أرتباطها باسرار الولادة.

٧. كسر أول مشربة فخارية على قطعة من الصلصال الموضوعة قرب بوابة الاندرونا هو لأحداث صوت صارخ يعلن امام الحضور عن انتهاء حياة العزوبية دون رجعة ويعلن ايضاً عن انكسار القيود التي ارستها الحياة والتي استغلتها القوى الظلامية للعبث بها وهي ايضاً دعوة للحضور لكي يبتهلوا للهي ربي قدامي من اجل غفران الخطايا والذنوب والحماقات التي ارتكبت بسبب تلك العزوبية.

كسر المشربة الثانية قرب كلة العروس(بيت كناني) ايضاً هو صوت صارخ يعلن عن اتحاد روحيهما بالرباط الزوجي ويعلن ايضاً عن انكسار القيود التي تحرّم اقتراب احد الزوجين من الآخر وهو دعوة للحاضرين ان يبتهلوا للهي ربي كي يبارك العروسين في حياتهما الجديدة التي ولدت بعد هذا الارتباط المبارك.

ملاحظة:

- هنا اذا ضربت الشربة الاولى وصارت نهوا او عارض لا تصبح له زوجته ، إذا تمت الاثنان اصبحت زوجته.
- يجمع رجال الدين الزوج والزوجة ويضع ظهر ملامس الظهر الثاني ويعتبرون كتله واحدة واحد ينضر عكس الاخر لمسيرتهم الحياتية والهنا شرح وبعد ذلك يضرب الرأس واحد للآخر لتوحيد الافكار بينهم.
- بعد ذلك يعطون الكشطا في اليد اليمنى العهد ان كل واحد منهم يحترم الآخر حتى تتم الحياة السعيدة .

– تعدد الزوجات ضمن النصوص المندائية المقدسة:

ضمن النصوص المندائية المقدسة توجد (٦) حالات تشير إلى تعدد الزوجات:
ديوان الالف والاثني عشر سؤالاً:

– النص الاول: (توجد من تتخلى عن الزوج ربما زوجة كنزبرا أو زوجة ترميذا او زوجة مندائي وهجرته بكسر العهد في (الداخلي) الزواج (وايت اد شابق نزوا او انثى اد كنزبرا او انثى اد ترميذا او انثى اد منداي و ازلا وتبرلا لكشطا اد بكوا نسب).)

– النص الثاني: (اذا هو كنزبرا او ترميذا، تجاوزت العهد، تزوجت ثانية... (او كنزبرا هو او ترميذا هو اد مني اشتطت اد كشطا تنيانا نسب).

– النص الثالث: (اعلمنا عن التي اقيم لها عرساً ولها عهد ثاني) (أفريشان لهازن نصبلا نصبثا اد كشطا تنيانا).

– النص الرابع: (الترميذى الذي تغلبت عليه الاسرار السيئة واجرى زواج زوجة ، لها عهدي زواج) (الترميذى اد كابرن الا رازي يبشي بايي ن نصب زوا اد ترين كسطا).

– النص الخامس: (الناصرائي... ٧٠ زوجة زواجا متزوج) (الناصرائي... لشبين زوي ناصب نصبثا).

النص السادس: (لا تضع تاجا لرجل أمه تزوجت من رجلين في حياتهما ، نقضت الكشطا مع الزوج الاول) (لاترصون تاغا لمن اد ايما انسبلا اترين كبري بهياتون اي فخ كسطا قدمايا اد زوا).

جميع هذه النصوص دلائل واضحة لتعدد الزوجات وكذلك الجمع بينهما وخاصة لرجال الدين ولكن وفقا لشروط النصوص الدينية. تعدد الزوجات سواء للرجل او المرأة حلال وليس حراماً ولا شائبة عليه اذا كان وفق الشروط والمراسيم الدينية فيحقق لكل منهم (الرجل والمرأة) الزواج ٧ نساء.

والناصرائي (رجل الدين) ٧٠ امرأة، اعتقد الرقم هو ٧ وليس ٧٠ كما سيرد لاحقا في عدد الزوجات في القسم الرابع. وقد يكون استخدم كتعبير مجازي وسوف يلتقي الفرد بعائلته واجداده في عالم النور.

– نصوص ديوان أباطر:

ورد فيه النص التالي: الذي هو حديث بين الاثري هيبل زيوا والاثري وأباطر مباركة اسماءهم (أتواث اد شابقلي لزوا قدمايا وأزلا لزوا باترايا هوى بماهو يردنا إمدكنون؟). السؤال من أباطر (المرأة التي تترك زوجها الاول وتذهب للزواج من زوج ثاني. بأي يردنا يطهرون؟).

(كث هوي لقدمايا هذا شادريانا ادميبي) الجواب من هيبل زيوا (المرأة التي لها زواج سابق ، ترسل بعيداً عنه).

(كث شابقلي لزوا قدمايا وازلا لباترابا هوى تارتين شادريانا ازميبي) (عندما تترك زوجها الاول وتذهب للثاني، متزوجة ثانية ترسل بعيداً عنه) (كث هوي لهمشيايا ثلاث شادريانا ازميبي) (عندما تتزوج للمرة الثالثة ترسل بعيداً عنه).

(كث هوي لأربيايا أربا شادريانا ازميبي) (عندما تتزوج للمرة الرابعة ترسل بعيداً عنه) (كث هوي لأربيايا همش شادريانا ازميبي) (عندما تتزوج للمرة الخامسة ترسل بعيداً عنه) (كث هوي لأربيايا شت شادريانا ازميبي) (عندما تتزوج للمرة السادسة ترسل بعيداً عنه) (كث هوي لأربيايا شبا شادريانا ازميبي) (عندما تتزوج للمرة السابعة ترسل بعيداً عنه).

(كث نافقها من بغرا لوات هناشي الما اذ گاف نزل او شلمانثي هي كوكبا هسارلي لاتزل لوات تهوي امنا وتشمبلون لناصرابي أو كدبتي هي تزل لوات فن تتيب الما لتلانا ساهدي بيا اد من ثلاثا لاقاما شلمي لا ازل اقاما وندبي لا هويلا إذ أدياوري) (عندما تفارق جسدها ، تذهب نحو ذلك العالم گاف. إذا هي من الصالحات لا ترسل (تذهب) لعالم (كوكب) النقيصة، تكون مع الناصورائيين خادمة تخدمهم. اذا هي من الكاذبات ، تذهب وتجلس مع (عالم) قن، حتى طلب ثلاث شهود ومن امام الثلاثة، (الاثري) ندبي ليس بإمكانه مساعدتها).

- توضيحات

ترسل بعيدا عنه: تعزل، تفصل عن ازواجها في الاخرة

عالم كاف: احد عوالم الظلام.

فن: يقصد به في النص احد عوالم الظلام وليس احد ملوك الظلام.

شلمي، نديبي: اثري مسؤولان عن البردنا وهما حارسوها.

النص يتحدث عن المرأة المزواج التي تتخذ اكثر من زوج واحد.

فبعد الوفاة في عوالم النور الذي تكون فيها الحياة الثانية سوف لن تلتقي بأي زوج

من ازواجها الذين تزوجتهم، ستعزل عنهم وتكون اما حصة من عوالم الظلام او من حصة الناصورائيين.

فبعدها تتوفى ترسل لعالم الظلام كاف. فاذا كانت سالحة فانها ترسل لخدمة

ورعاية الناصورائيين اما اذا لم تكن سالحة، فانها حتى لو طلبت ثلاث شهود فأن ذلك

سوف لن ينفعها لان الاثري المسؤولين عن المياه الجارية سوف لن يحضروا ويشهدوا لها في يوم الحساب^(١).

والنص يقصد المرأة الكاسرة لعهود الزواج وليس المرأة التي ليس لها ذنب في

انفصالها عن زوجها.^(٢)

(١) ديان الالف والاثني عشر سوألاً مخطوطة

(٢) موسوعة العيون المعرفية.

(٣) ديوان ابائر مخطوطة.

(٤) الباحث عدنان خالد الجيزاني.

– الطلاق (فساقاً) ^(١):

يقول نص عهد الزواج في القسم: ((هازن قابين اد اکتیب الي لیثلی فساقا لالم المي لا فخيت بكشطي ولا شنيت بمبري ولا نكليت نكلا))، أي: هذا الزواج المكتوب على لا طلاق فيه إلى الأبد. أنا لن ارتد عن قسمي ولن انحرف عن أقوالي ولن أغدر بها غدرًا.

كالمسيحية فإن المندائية لا تبيح الطلاق، لأنه يساهم في هدم ما تطمح الأديان لبنائه من أساس اجتماعي لها هو الأسرة. ومع ذلك فالمندائية لا تشجع على تعدد الزوجات إلا ضمن شروط أو ضرورة ملحة تتطلب الزواج، فيحق للرجل أن يتزوج زوجة أخرى دون أن يطلب الفراق الجسدي أي يتخذ قسماً جديداً دون أن يحدث شرخاً أو تشويهاً بالرباط الزوجي الأول. كأن تكون غايته إنجاب الأبناء إذا كانت زوجته لا تنجب، أو انها لا تنجب أبناء ذكور. أما إذا كان الزواج لإشباع شهوته بالدرجة الأولى فهذا لا يبيحه الدين المندائي ويجني على أثرها خطيئة يحاسب عليها يوم الحساب.

إن التفريق الجسدي بين الزوجين أو الطلاق لا تبيحه المندائية إلا في ظروف خاصة جداً، ظهرت في الوقت الحاضر كمثل: حالات الزنا والقتل والسرقه والإلحاد وما إليها. وبدل الطلاق في الشريعة المندائية يوجد الهجر، الذي يفرض على المرأة المهجورة أن تتحجب وتتجنب الزواج. ولكنهم في الفترة الأخيرة سمحوا لها بالزواج عن طريق كاهن خاص مهمته تحديد مهر الأرملة والمطلقة والفتاة العذراء وغير العذراء.

ومهما كان سبب الطلاق فالدين المندائي يلزم زوجة رجل الدين المطلقة بعدم الزواج، فإذا اجترأت على الدين وألزمت نفسها بقسم جديد مع زوج آخر فانها تجني عقوبات دينية تمتد إلى زوجها الأول، وهو رجل الدين كما أسلفنا فيعاني من تخفيض

(١) تحريم الطلاق في المندائية، كما في المسيحية، وبخلاف الإسلام.

مرتبته مما يمنعه من مزاوله أعماله كرجل دين. ولذلك وتضامناً مع زوجها، وهو رجل دين، يعتمد رجال الدين على إقناعهم بعدم الزواج، وإن أبت فهم يمتنعون من إجراء مراسيم الزواج الجديد لها، فإن أصرت على الزواج من زوج جديد تعنتاً، فهذا يخرجها من الدين المندائي، ويحذف اسمها من بيت هبي، عندها لا يصيب رجل الدين زوجها السابق أي نقصاً في موقفه الديني.

الحيض:

تحرم الديانة المندائية على الأزواج إتيان زوجاتهم أثناء فترة الحيض، وقد جاء في

الكتاب المقدس ما يلي: بأسم الحي العظيم

((ولا تقربوا النساء في الحيض إن من يفعل ذلك له عذاب عظيم)) (كنزا ربا -

اليمين).

الزواج المختلط:

كذلك تتشدد المندائية في تحريم تزويج بناتهم لغير المندائيين، وقد جاء في الكتاب

المقدس ما يلي:

بأسم الحي العظيم

((إن الذين يزوجون بناتهم من أبناء الكافرين والمشركين وعبدة الأوثان، أولئك

بسياط النار يجلدون، يعذبون بالنار الآكلة والبرد والحريق وفي الظلام يحشرون))

(كنزا ربا - اليمين).

بأسم الحي العظيم

((ولا تتزوجوا بغير المندائيات)) (كنزا ربا - اليمين).

ورجال الدين المندائي يحرصون كل الحرص على أن لا يحدث زواج مختلط، وهم

يحثون الشباب والشابات أن لا يفكروا مطلقاً بالزواج من دين آخر، ويذكروهم بأن

الدين المندائي يتصف بصرامة المبادئ والأنظمة ويحرم الزواج المختلط، ويعدده خروجاً عن العقيدة.

يعتقد المندائيون بأن من يعيش بلا زوجة طيلة حياته لا جنة له في آخرته، فالزوجة هي الجزء المتمم للرجل، وهي التي تنجب له الأطفال، ويعد الإنجاب جزءاً متمماً للدين، فالأولاد هم من سيحملون الجنازة، ويقومون بإجراء الطقوس الدينية الواجبة بعد الوفاة، والتي تساعد الميت على بلوغ الجنة في آخرته. فليس المهم لدى المندائيين مجرد الزواج فقط إنما يقصد بالزواج الإنجاب، وفي الإنجاب تدوم العقيدة والإيمان، فلا يصح للأعزب ولا للمتزوج العقيم أن يترأس الواحد منهما حمل الجنازة، أو أن يتوكل أحدهما عن الزوجة في عقد الزواج فيغدو (أبهاثا) أي: الأب. ولذلك فالمندائية حرمت الرهينة غاية التحريم لأنها ضد الحياة، والحياة في العقيدة المندائية هي محور الدين.

والزوجة التي تكمل الزوج وفق العقيدة المندائية في هذه الدنيا، فهي في الآخرة تعود لزوجها وتسكن معه. ويجوز للمندائي أن يتزوج أية مندائية عدا الأخت وذريتها، وابنة الأخت وذريتها، وزوجة أخيه، وبنات ضرة أخته، والعمة والخالة، أو الجمع بين الأختين، إلا إذا توفيت الأخت فيتزوج الأخت الثانية.

يعطي الدين المندائي للمرأة كل الحقوق الممنوحة للرجل، حرية التعليم، وحرية العمل، وحرية اختيار الزوج، ويمنع منعاً باتاً معاملتها بقسوة. وأجاز للمرأة العمل الكهنوتي، حيث قد ارتقت بعضهن إلى مرتبة (ريش أمه) وهي أعلى درجة كهنوتية. ويجوز تسمية الطفل بأسم أمه، فيقال عند إجراء أي طقس من الطقوس لدينية للشخص: فلان بر فلانه أو فلانة بث فلانه، ولهذا الانتساب في المندائية سبب غير الأسباب التي يذكرها الباحثون في تكوين الأسرة، فالمندائيون يقولون: إنه بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى بخلق آدم من طين، خلق حواء من ذات الطينة، وبعد إنجابهما لم يتزوج الأبناء

أخواتهم، إنما أرسلت البنات إلى عالم آخر فيه أناس آخريين يسمى (امشوني كسطه) أي: أرض العهد، وجيء بغتيات من امشوني كسطه إلى أولاد آدم فتزوجوهن، وعلى هذا الأساس فالمرأة في نظر المندائية من عالم غير عالمنا، انها من عالم كله طهارة وعهد.

خامساً: الزواج المندائي (دينيا) :

((خلق آدم وحواء وبقوة ملك النور العظيم، هبطت النشمثا في جسديهما، وعندما هبطت النشمثا في جسديهما كانا في جنة الأشجار، بعض ملائكة النور طلبوا من الخالق، امنح لنا غرسة نغرسها لآدم ليتكاثر نسله في الدنيا سنقيم عرساً لآدم ونعلمه أن يتخذ له زوجاً سنعطي آدم امرأة لتزدهر وتثبت هذه الدنيا ولتبقى ذريتهما في هذه الدنيا وإلى نهاية العالم)) كنزا ربا.

يعتبر الدين المندائي الزواج رابطة قوية بين الزوجين ونظاماً اجتماعياً يرقى بالإنسان ويرفع به من مكان الوحدة والانفراد إلى أحضان السعادة وأنس الاجتماع وفيه ترويح للنفس ويبعدها عن السامة والملل فهو عماد الأسرة التي منها يتكون المجتمع الإنساني وبه حفظ كامل للنوع يتدرج في مدارج الرقي والكمال بالتناسل الشريف بعيداً كل البعد عن الزنا لأن الزنا لا يحفظ هذا النوع من الانقراض وإن حفظه ففي ظل حياة وضعية متفككة الأوصال يلفظها المجتمع السليم ويأبأها العقل المستنير وأحلى ثمرات الزواج ذرية صالحة تقرُّ بها العين وتكون مداراً لحياتهما ونوراً يسعى بين أيديهم فالدين المندائي ينصح كل النصح الشباب والشابات أن لا يفكروا مطلقاً بالزواج من دين آخر فالدين المندائي يتصف بصرامة المبادئ والأنظمة ويحرّم الزواج المختلط ويعتبره خروجاً عن الدين المندائي لأنه إذا حدث زواج فانه حتماً يؤدي إلى حدوث أخطاء^(١).

(١) الاستاذ امين فعيل خطاب، استراليا.

وهذا الطقس لولب في العقيدة المندائية وسر سموخها. فكاتب الزواج... إذ تبهر العروس... لإثبات بكارتها حتى تكون... هو شرفها أما إذا تطرقنا إلى البهارة فنحن نعلم من خلال ما ورد في متون كنوزنا المندائية العظيمة أن الحياة العظمى هي الرحم الكبير بينما رحم المرأة هو الرحم الصغير وهو عبارة عن عالم نور صغير مقلل كي لا يتسنى للمخلوقات الظلامية العبث في ذلك العالم الصغير ومازال هذا العالم نقياً طاهراً يشهد بصدقه الملائكة الأبرار أما البكورية فهي الدليل على العفة والصدق والنقاء والإيمان الحق لدى المرأة الباكر فهي لم تعبث بالهدية النورانية التي أودعها النور لديها ولم ولن تخون الثقة التي أولاها لها النور. أما الزانية فقد استهانت بكل القيم النورانية وسمحت لنفسها ولفكرها الظلامي العبث بالوديعة النورانية التي أودعها لديها النور وبذلك فهي قد خانت الثقة التي أولاها لها النور وقد اجتزأت على الحدود والثوابت التي رسمها لنا النور فهي إذاً لا تستحق حتى أن تشاركها في الطعام وتكون منبوذة في الدنيا والآخرة، كذلك مثلما تكون البهارة للنساء أيضاً تكون للرجال. فالرجل الذي مزر نفسه من تلقاء نفسه فانه استهان بكل القيم والوصايا التي وضعها الدين وبذلك وضع نفسه في مأزق ديني كبير يجرده من كل الحقوق الدينية فكأنه انتقل من اليمين إلى اليسار فتجرد من الأسرار الطقسية وجعل ريته في المستقبل تعاني من النزولية الكبرى وإلى أمد غير مسمى فلا يستطيع هو وذريته المشاركة في أداء الطقوس الدينية فإذا أجريت البهارة لكليهما وكانت على ما يرام تجرى المراسم بغاية من الكمال أما إذا حدث خلاف ذلك...

الزواج: قابين شيشلام زواج شيشلام النوراني المثالي القدسي حيث ان نصوص القلستا (كتاب الزواج) تتحدث عن هذا الزواج الرائع المثالي الذي ليس فيه دنس مادي أو اتصال جسدي، إنما هو ارتباط روحي وزواج كلمة وتجديد عهود.

والزواج المندائي، هو إشهار كافة المراسيم من البداية إلى النهاية بولي وشهود وعهود بحيث لا يدع مجالاً للشك في صحة المراسيم، وأول هذه المراسيم، إثبات عذرية

الفتاة، وهذا الشيء تنفرد به ديانتنا لأنها الفطرة الأولى في خلق الله سبحانه، ولأن ديانتنا تمنع وتحرم الاتصال الجنسي قبل الزواج حيث تفحص العروس صباح يوم الأحد لإثبات بكارتها حتى تكون الطقوس الدينية كاملة من البداية إلى النهاية، لأن تاج الفتاة عذريتها الذي هو شرفها، ورجل الدين يرفع تاجه عند بدء المراسيم الذي هو من الحرير الخالص دلالة على عفة الفتاة، أما إذا حدث شيء خلاف ذلك لا سمح الله يخير الراغب بالزواج بالارتباط بالفتاة أو عدمها، ثم تجرى مراسيم دينية ذات مستوى أقل في حالة الموافقة. قبل كسر الجرة الأولى يأمر العاقد الترميذا (الأيسر) بالعمل بما يلي: (السلام عليكم أذهب إلى بيت العروس العذراء وانصب الكلة وألبسها (محابس عدد ٢) وأطعمها وأسقها وأقرأ عليها صلوات العقد الأولية يذهب الترميذا(الأيسر) وعند إكمال ما مطلوب يرجع إلى العاقد ويقول له عليكم السلام لقد طهرنا بيت العروس ونصبنا الكلة..).

المبحث الرابع عشر

التشريعات في الديانة الصابئة المندائية

• المحرمات في الديانة المندائية:

تتشرك الديانة المندائية مع الأديان الأخرى في كثير من المحرمات ولكن محرمات الديانة المندائية تأخذ بعداً علمياً وإنسانياً عميقاً يدل على درايتهم العلمية للواقع المادي ودرايتهم الفكرية للجوانب النفسية للإنسان.

سنوجز هنا أهم المحرمات المندائية التي لا تتراجع ديانتنا في تحريمها:

١. جذف اسم الله (أي الكفر به أو توطيء شأنه) لأي سبب كان وبأي حال من الأحوال بل يجب المحافظة عليه من الحلف الباطل الحقيقة غير الأكيدة.
٢. القتل، السرقة، الخداع، الكذب، التأويل، شهادة الزور، عبادة الشهوات ومحبة الأجساد، ظنون السوء، الحسد، النميمة، الغيبة وخيانة الأمانة والمعشر، وكل ما يسيء التصرف الأنساني.
٣. الزنا: إذ يعتبر من الكبائر العظمى المؤدية بصاحبها إلى النار المهلكة والتي لا يكفي عمر الإنسان للتكفير عنها.
٤. السجود لغير الله: الكواكب والأفلاك، البشر، النار، الماء، وكل شيء غير الله.
٥. التمسك حد العبادة بهذه الدنيا ومواردها الزائلة فاحذروا وسائل الشيطان التي بين أيديكم من الذهب والفضة وكل مظاهر هذا العالم الفاني.
٦. السحر بكل أنواعه لأن الذي يزاول السحر يعبد الشيطان ولا يعبد الله فويل له من عذابه.

٧. الذهاب للسحرة والمنجمين: انها خطيئة توازي عمل السحر وربما أكثر لأنها تشجيع للسحرة والمنجمين.

٨. الزواج من الأبوين، الزواج بين الاخوة (إن كانا من الأبوين أو من الأب أو من الأم) ومن ذريتهما، ابن زوجة الأب، ابن زوج الأم، ابنة زوج الأخ، زوجة الخال، زوجة العم، أرملة الأخ، أو طليقته، الجمع بين الاختين إذا كانت الأولى على قيد الحياة أو غير مطلقة ويجري التحريم على الخالة والعمة.

٩. شرب الخمرة بكل أنواعها .

١٠. تحريم الزواج من الاخت والعمة والخالة: اما عن تحريم الزواج من الأخت فهذا مشرح عنه في زواج ابناء ادم الرجل الاول فقد تزوجوا من ابناء ابناء ادم كسيا الذين هبطوا من السماء هذه التعليمات والنصوص نفهم منها ان المندائيين هم علويون ومن البداية لم يقترفوا خطيئة الزواج بين الأخوان مطلقا ولا يوجد غير ذلك المفهوم اما من ناحية الخالة فالدبن المندائي يعتبرها الأم الثانية.

١١. تحريم القتل: كما في متون الكنوز المندائية نص يؤكد على هذا المجال يقول (ويلا ال كاطل كطلا امنطول نهرب بينيانا ربا اد بنا هبي ربي بكو بغرا نيكفر اشمي من بيت هبي ولا متقيم الي قيما لالم المي) (ويل لمن يقتل نفسا لأنه دمر البنيان العظيم الذي بناه الحي العظيم في الجسد يمسح اسمه من عالم النور ولا تقوم له قائمة إلى الا .

١٢. تحريم الانتحار: أما عن تحريم الانتحار فالعقيدة المندائية تعتبر الانتحار هو القتل ونحن نعرف أن شعار المندائية (لا كطلا ولا كزارا) ففي نصوص الكنزا ربا يؤكد على أن الموت هو محتوم وله قوانينه ورسله الذين لا يرتشوا ولا يبدلوا احدا

بآخر كما ان النصوص تؤكد وتحذر المندائي من اقتراف جريمة القتل لان القاتل يجتري على الحي العظيم الذي غرس النفس في الجسد ففي متون الف ترسر شيالي.

• التجديف بأسم الخالق (الكفر) :

بأسم الحي العظيم

(عدم أداء الفروض الدينية • الارتداد عن الدين الصابئي • بسام الحي العظيم •
*) إني أقول لكم أيها الكاملون : لا تَمْرُقُوا من شريعة ربكم. * ولكن لتدركوا
أيها المؤمنون، إنهم يفعلون هذا لغرض معلوم : يريدون خلط شريعتهم بشريعة الله *
تلك الشريعة التي تعوّج أرواح المؤمنين وتجعل قلوبهم متعثرة منحرفة * وينشرون
كذلك المُرُوق من الدين. * الرجال كالنساء يَرتَدُون عن دينهم الأول ويشرعون في
تأليف كتاب لهم. * إنهم يصعدون بعضهم البعض الآخر ويختنون أنفسهم ويدهنون
وجوههم بأيديهم * إنهم يطلق على أنفسهم اسم الخاطئين، ذلك لأنهم ارتكبوا
المعصيات ويدعون إنهم عقلاء [ذوو فطنة] لأنهم فاشلون * إذا مات أحد منهم
احرقوه بنار مُستعرة ذات لهب. * من أولئك عبدة الكواكب الذين يختنون
أنفسهم تخرج جميع شعوب وبوابات الظلام. * من يمارس أعمالهم يصبح غير
صالح لدار الحياة). الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين.

بأسم الحي العظيم

(من يأكل من طعامهم لن ترى عيناه النور * من يُجاهرهم بالصدقة سوف
يموت موتاً ثانياً. * إن كل ناصورائي يأكل طعام الخاطئين سوف يعذب على آلات
نارية * إن كل ناصورائي تسول له نفسه بأن يأكل من طعامهم سوف يسقط في

بحرالسوف الكبير. * إن كل ناصورائي يَمْرُق من شريعة الحياة ويعتَنِق دينا خاطئاً، وكل من يَرتَد عن سبيل الحياة ويسلك طريق الظلمات، له كذلك سوف يكون هذا المصير * ولن ينجو من النار أو من الظلام كل من كان قد اقترف الرذيلة الكبرى. ومن مَرَق من شريعة ربّه. * يا أيها الكاملون والمؤمنون لا تحيدون عن شريعتكم ولا تحبّوا الإثم والباطل • القتل • الزنا من الكبائر المؤدية إلى النار • السرقة • الكذب، شهادة الزور، خيانة الأمانة والعهد، الحسد، النميمة، الغيبة، التحدث والإخبار بالصدقات المُعطاة، القسم الباطل • عبادة الشهوات • الشعوذة والسحر • الختان والتغيير في الخلقة). الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين.

• تحريم شرب الخمر^(١):

بأسم الحي العظيم

(وليعلموا أن الخمرة يوضع شاربها في قيود وأقفال، وتثقل عليه السلاسل والأغلال). الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين.

بأسم الحي العظيم

(لا تشرب ولا تسكر ولا تنسى ربك في سرك) الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين.

(١) تحريم الخمرة في المندائية قاطع مانع، في حين توجد اشارات عديدة في التوراة والانجيل لكراهة الخمر، لكن روايات شريفة والحديث عنه كمادة يومية مثل الخبز تؤكد اباحتها، اما في الاسلام؛ فقد حرم الفقهاء تماماً اعتماداً على آيات في القرآن تقول انه اثم كبير(البقرة /٢١٩) وانه رجس من عمل الشيطان، يوقع العداوة والبغضاء:(المائدة /٩٠-٩١).

• تحريم البكاء على الميت ولبس السواد^(١):

بأسم الحي العظيم

(لا تبكوا موتاكم، ولا تقيموا عليهم الأحران (١٥٠) إن من مزق ثيابه على ميت فقد دنسها (١٥١) ومن قلع شعرة على ميت فسيربط بجبل الظلام بحبل لا يبيد (١٥٢) كلما طالت أعماركم زادت خطاياكم (١٥٣) فلا تحزنوا على النفوس إذا فارقت الحياة، فمن الحزن تولد الأرواح الشريرة وتسبق النفس في عروجه وتضايقها في دار الحساب (١٥٤) من أحب موته فليطلب لأنفسهم الرحمة (١٥٥) وأقيموا عليها الصلاة والتسبيح (١٥٦) وأقرأوا الابتهالات..) الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين.

بأسم الحي العظيم

(أيها الفقراء والبؤساء والمضطهدون اذهبوا وابكوا على أنفسكم، فما دمتم تحيون في هذا العالم ستزداد خطايكم (١٥٧) كل من فقد نفساً لا يحزن عليها.. بل يفرح لها، ويسبح لديها، وبالصلاة يتقرب إليها (١٥٨) طوبى لمن سمع فأمن.. إنه يصعد ظافراً إلى بلد النور (١٥٩) هبوا الخبز والماء والمأوى لبني البشر المتعبين، وللمضطهدين، وكونوا عادلين وتحاببوا صادقين). الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين.

• تحريم تلويث الطبيعة والأنهار.

حرمت ديانة الصابئة المندائيين التبول والتغوط في الأنهار والعيون أو بالقرب منها، وكما حرمت رمي الجثث والنفايات فيها.

(١) الاسلام لم يحرم البكاء على الميت، فقد روي عن النبي محمد (ص) أن عيونه دمعت على فقد بعض اولاده واحفاده، ولكنة حرم الندب وشدة البكاء، فقد روى ابن عمر: (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه).

اما عن التلوث (لا تشدي كالي وطنوفي بيردنا ولا ترمون نفشيخون بنورا) (لا ترمي العوائق والنجاسات في الماء الجاري ولا ترمي نفسك في النار).

• تحريم الطلاق (التفريق الجسدي)^(١):

والطلاق لايقع إلا في ظروف خاصة جدا، ظهرت في الوقت الحاضر، الا في حالات الزنا والقتل والسرقه والالحد وما غيرها. لا يوجد طلاق في الشريعة المندائية وانما هجر وعلى المرأه المهجورة ان تتحجب وتتجنب الزواج(وخاصة المطلقات) لاسباب طقسية ولكنهم في الفترة الاخير سمحوا لها بالزواج وعن طريق الكاهن الرجل الدين بيسق مهمته قطع مهر الارملة والمطلقة والفتاة العذراء وغير العذراء.

الطلاق هو فساقا ففي نص الزواج عند القسم يقول (هازن قابين اد اکتیب الي ليثلي فساقا لالم الي لا فخيت بكشطي ولا شنيت بمبري ولا نكليت نكلا...)
ترجمته) هذا الزواج المكتوب على لا طلاق فيه إلى الابد انا لم ارتد عن قسمي ولا انحرف عن اقوالي ولم اغدر بها غدرا...).

• تحريم الرهينة و (عدم الزواج)^(٢):

يحرّم الدين الصابئي الحنيف زواج الصابئي(ذكر أو أنثى) من الكافر (بالدين الصابئي الحنيف)، والمشرك به، وبوحدانيته، والذي يتخذ شريكاً لله في عبادته وتوحيده وسلطانه سبحانه، وتجزئة توحيده، كون له ولد أو أب أو أخ (استغفر الله العظيم)...! ولا يجوز له شرعاً التزوج بالمرتد المارق عنه، ولا بأبنائهم ولا ببنااتهم.

(١) تحريم الطلاق في المندائية، كما في المسيحية، وبخلاف الاسلام.
(٢) تحض المندائية على التكاثر، فقد شهدت نكبات بشرية كبرى في مختلف مراحل تاريخها حتى اضمحلت، وكادت ان تنقرض، فغداً إنجاب الاولاد والتكاثر امراً حيوياً لهم، لذلك اصبح الانجاب شرط دخول الجنة، أو عالم النور.

بأسم الحي العظيم

(وأمرُوا أَنْ إِتَّخِذُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِكِي تَعْمُرَ وَتَكْبُرَ بِكُمْ الدُّنْيَا. * أَيُّهَا الْعِزَابُ.
أَيُّهَا الْعِزَارَى.. * أَيُّهَا الرِّجَالُ الْعَازِفُونَ عَنِ النِّسَاءِ. * هَلْ وَقَفْتُمْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ
يَوْماً؟ * هَلْ نَظَرْتُمْ إِلَى السَّمَكِ كَيْفَ يَسْبَحُ أَزْوَاجاً؟. * هَلْ صَعَدْتُمْ إِلَى ضِفَّةِ الْفِرَاتِ
الْعَظِيمِ؟ * هَلْ تَأَمَّلْتُمْ الْأَشْجَارَ وَاقْفَةَ تَشْرِبُ الْمَاءَ عَلَى ضِفَافِهِ وَتُثْمِرُ؟ * فَمَا لَكُمْ لَا
تُثْمِرُونَ؟ أَفَلَا نَظَرْتُمْ إِلَى الْأَنْهَارِ الْيَابِسَةِ كَيْفَ تَذْبَلُ الْأَشْجَارُ عَلَى شِطَّانِهَا وَتَمُوتُ
؟.. * كَذَلِكَ الْعِزَارَى اللَّائِي لَا يَذْكُرْنَ اسْمَ الْحَيِّ، نَفُوسَهُنَّ تَمُوتُ. * الرِّجَالُ الزَّاهِدُونَ
فِي النِّسَاءِ، وَالنِّسَاءُ الزَّاهِدَاتُ فِي الرِّجَالِ، كَذَلِكَ يَمُوتُونَ * وَمَصِيرُهُمُ الظَّلَامُ مِنْ
أَجْسَادِهِمْ يَخْرُجُونَ) الْحَيِّ الْمَزْكِيِّ كِتَابُ كَنْزَا رَبِّ الْيَمِينِ.

بأسم الحي العظيم

(أَيُّهَا الْآصْفِيَاءُ الَّذِينَ إِصْطَفَيْتَهُمْ : أَقِيمُوا أَعْرَاساً لِأَبْنَائِكُمْ. * وَأَقِيمُوا أَعْرَاساً
لِبَنَاتِكُمْ. * وَآمَنُوا بِرَبِّكُمْ.. إِنَّ الْعَالَمَ إِلَى زَوَالٍ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْحَيَاةَ
فَيَعِزِّفُونَ عَنِ الْإِنْجَابِ فِيهَا. أَثْمِرُوا إِنْ أُرِدْتُمْ أَنْ تَصْعَدُوا حَيْثُ النُّورِ). الْحَيِّ الْمَزْكِيِّ
كِتَابُ كَنْزَا رَبِّ الْيَمِينِ.

كما يحرم الدين الصابئي الزواج من غير الصابئة :

نقوم بما أمرنا به الله مسبح اسمه ونبتعد عن ما حرّمه : الصابئة ملتزمون بما
بينه الله سبحانه، فيما أمرهم به الله مسبح اسمه، من عبادات ومعاملات، والصابئة
ممتنعون عن القيام بما حرّمه الله عليهم، وقد بينته نصوص شريعتنا الصابئية السمحة
بوضوح لا يقبل التأويل).

• تحريم نحر بعض الحيوانات والطيور والتشدد في ذلك:

بأسم الحي العظيم

((لا تأكلوا الدم، وإناث الحيوان، وخاصة الميتة والحائض والحبلى والوالدة والجائض ولا الميت ولا المشوه ولا الحامل ولا المرضعة ولا الجارج ولا الكاسر الذي هاجمه حيوان مفترس و لا تأكلوا الحيوان البري. كلوا الحيوان الأليف. كلوا الحيوانات التي تقتات من ثمار الأرض. وكلوا الأسماك بالمياه. ولا تذبحوا إلا بسكين من حديد)) الحي المزي كتاب كنزا ربا اليمين.

• تحريم النحر^(١):

هو عملية ذبح الحيوان أو الطير من الودج إلى الودج حتى ينتهي الدم إلى آخر قطرة. ولا يجوز ذبح الحيوان لغير الاستفادة من لحمه، ومن الحيوانات المحللة ذكر الغنم الصحيح والطيور والدجاج عدا الطيور الجارحة. توصي ديانتنا بالنظافة التامة والالتزام بالشروط الصحيحة اللازمة لكي يمنح الصحة والعافية كما جاء في مقطع الذبابة. والذبح يكون بالحديد. يتم الذبح في الأيام الاعتيادية ويفضل الذبح كل رأس شهر. والحلالي يذبح لنفسه وللآخرين مع شرط ارتداء الملابس الدينية (الرسته) والتوجه نحو القبلة (الشمال) مع ترديد البوثة الآتية:

(١) - هي - تقريبا- المحرمات ذاتها في الاسلام {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ - المائدة، ٣} .
- سموا: أي أنكروا اسم الله قبل البدء في الطعام أو باي عمل، "ابشوميهون اد هي ربي " التي تعني: بأسماء الحي العظيم، وترجمت في الكنزا ربا: باسم الحي العظيم، وتبدأ بها كل سورة او بوثا". والتسمية من سنن الاديان السماوية، ففي الاسلام: بسم الله الرحمن الرحيم. وفي المسيحية: باسم الأب والابن والروح القدس.

بأسم الحي العظيم

بوثة الذباجة ((بشمادهيي وبشما إاد مندادهيي مدخر إلخ إيثاهيل قريخ هيبيل
زيوا مفقد إلخ ميندخسخ بسرخ دخيا نهوي كلمن أخل منخ نهيي وننسي وننقيم إشما
إد هيي وشنا إاد مندادهيي مدخر... إلخ)).

اسم الحي واسم مندادهيي المذكوران عليك إيثاهيل خلقك وهيبيل زيوا أمره من أجلك
ب. ليكن مذبحك ولحكمتك طاهر كل من أكل منه يحيى ويشفى ويتقوم صه.
ثم تبدأ عملية تحريك السكين عند الوصول إلى مقطع ميندخسخ بسرخ وعند الانتهاء
تبدأ عملية التحليل من خطيئة الذبح: لأنه أزهر روحاً، مع العلم انها محللة ولكنه
يجب عليه الاستغفار فيقول:

بأسم الحي العظيم

التهليل ((بشمادهيي وبشما إاد مندادهيي مدخر إلي إنخست إبرزلا وهلت
إبيردنا أنا نخاسا إوماري هياسا إشرلي وشبقلي هطايي وهوبي وسخلاي وتقلاتي
وشبشاتي (ملواشا) بهيلي إاد ياور زيوا وسيمات هيي)).

اسم هيي واسم مندادهيي المذكوران علي ذبحت بالسكين وتطهرت في اليردنا أنا
الذابح وربّي الغافر حل عليّ واغفر لي الخطايا والذنوب والعثرات والزلات بقوة ياور زيوا
وسيمات هيي.

كما انه لا يجوز الذبح في أيام المبطلات وعددها ٣٦ يوماً ولا يجوز للمرأة القيام
بعملية الذبح، ولا يجوز الذبح في الليل عدا أيام البنجة، فالذبح الصابئي متوارث
بالنصوص الدينية المعتمدة من الخالق جل شأنه ولا توجد فيه شائبة حيث الطهارة
والنظافة التامة.

● تحريم التلّون:

بأسم الحي العظيم

(كل من وضع يديه وقدميه على الحقيقة وتراجع عن قول الحق، وتقاوس عن أداء ما أمر به سيده بمسك الجمر بيده وينشر الذهب بشفتيه، يرتجي الموت ولا يناله والحياة لا تقترب منه ولا تبتعد عنه، لا يموت ولا يرتوي من مصيبتة ولا يتطلع لأثر النور). الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين

من الناس من يظهر لك، إذا قابلك، انه صديقك الحميم والحريص على مصلحتك، الساعي في منفعتك وانه عدو لعدوك وانه حرب عليه مثلك، ناصبت له حياة الشر فتغير بقوله وتنخدع بوشايته فتفضي إليه ستر نفسك، وتبوح له بأمرك، وتحدثه عن عدوك، وبما تضر له وتعييب عليه، وما تدبر له، فإذا ما فارقك ذهب إلى عدوك وباح له بكل سر و دخيلة نفسك، وطعن له في عرضك، ونال من شرفك، وأظهر له انه عدو لك وحرب عليك، ثم يحدث بما فكر فيه وقدر فيذهب إلى الأول ويقص عليه قصصاً ليوغر صدره إيغالاً في الفرقة، ويشعل في القلب ناراً فيزداد العدا، وتربو الشحناء، وهكذا دواليك بين الأفراد فمثل هذا منافق، كذاب، محتال، مخادع، غشاش، نام، ذو وجهين ولسانين.

(ويل لذي لسانين يصدر حكمين في قضية واحدة) (دراشا ديهيا) ان من يسعى بالإصلاح بين خصمين متعاديين فيحتي لكل فريق أحسن ما قاله الآخر فيه ويسكت عما ذكر من مساوئه ويعتذر من الآخر عن دواعي الخصام، وأسباب العدا حتى ينزع الكراهية من نفسيهما نزعاً، ويزرع المحبة في قلوبهما زرعاً، فإذا بالخصمين صديقان، والعدوين إخوان، فهذا ناصح أمين، ومخلص كريم، فله من الناس الشكر الجزيل وعند الله الثواب العظيم.

– تحريم الحنث بـ(اليمين):

بأسم الحي العظيم

(لا تؤدوا اليمين ولا تغيروا قسمكم) الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين

بأسم الحي العظيم

(إذا تكلمتم الحقيقة فالتزموا بها ولا تغيروها). الحي المزكي كتاب كنزا ربا

اليمين.

– الأرتداد عن الديانة المندائية:

بأسم الحي العظيم^(١)

(نحن نصعدكم إلى جنات عدن حين تموتون.. يوم من أجسادكم تخرجون.. إلى تلك السعادة ستذهبون * ويقول لهم منداد هبي: انظروا.. أين أنتم مقيمون * أفهذه جنات عدن التي كنتم بها توعدون؟ هذا الظلام الذي أنتم فيه موثقون؟ أرواحكم تبلى.. ونفوسكم بالعذاب تصلى، مقيمين فيه إلى يوم الدين. * يومها الأرض والسماوات تهتمان.. وليس لكم بينهما مكان، الكواكب تتساقط ويلفها الدخان، والشمس والقمر يتبعثران.. فأين تذهبون؟.. بل انتم في الظلام موثقون، موتاً ثانياً تموتون، لا تنطلقون ولا تصعدون)). الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين.

(١) جنات عدن لها تسمية ذاتها في التوراة والقرآن، وهي للمؤمنين الصالحين.

• النهي عن السحر والشعوذة:

ورد في الكتاب المندائي المقدس "الكنز ربا" ما يفيد النهي عن الشعوذة والتنجيم: (لا تستشيروا العرافين والمنجمين والساحرين والكاذبين، في أموركم مخافة أن يرمي بكم أسوة بهؤلاء إلى الظلمات)، والظلمات تعني جهنم أو الجحيم.

بأسم الحي العظيم

(واعلموا أن السحرة والمنجمين في الظلام قابعون.. * فلا تقصدوهم)

الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين

• النهي عن الربا: وجاء في النهي عن الربا:

بأسم الحي العظيم

(لا تغالوا بفرض الفائدة والربا الفاحش خشية أن يقع عليكم الحكم بالنفي إلى

الظلمات الدامسة) الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين .

– النهي عن الزنا والسرقعة : وفي النهي عن الزنا وإشاعته:

بسم الحي العظيم

(لا تعشقوا نساء الآخرين ولا تقترفوا الزنا، لا تغنوا غناء السكير ولا ترقصوا

رقص العجر، أهدروا أن يستحوذ على قلوبكم الشيطان المملوء بأحابيل السحر

والخذاع والغواية)، الحي المزكي كتاب كنزا ربا اليمين

ذلك أنه يستطيع أن يقلب نوايا الصالحين المحمودة إلى عكسها ويجعل قلوب المؤمنين تتعثر وتتحول. هناك تعاليم أخرى تحرص على مساعدة الفقير وابن السبيل وأعطاء حق الأجير .

بأسم الحي العظيم

(قل: يا عبادي ، لاتزنوا، ولا تسرقوا ، ولا تنتهكوا حرمت الناس)

الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

- الالتزام بوحداية الله: ومنها

بأسم الحي العظيم

(لا تسبحوا للشمس والقمر اللذين بينيران العالم ، لا تعبدوا الشمس التي اسمها شامش) الحي المزكى كتاب كنزا ربا اليمين .

ويؤكد الدين المندائي على حب الخير والعمل به :

- تحريم تكتيز الذهب: بأسم الحي العظيم

(لاتكنزوا الذهب والفضة^(١) ، فالدنيا باطلة . ومقتنياتها زائلة) . الحي المزكى

الكنزا ربا اليمين

- تحريم معاشرة غير الزوجة: بأسم الحي العظيم

(امسكوا اجسادكم عن معاشرة أزواج غيركم ، فتلك هي النار المحرقة) .

الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

(١) مشابهة لما ورد في القران الكريم (الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ -التوبة/ ٣٤)

– تحريم السجود لغير الله: بأسم الحي العظيم

(امسكوا ركبتكم عن السجود للشيطان ولاصنام الزيف). الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

– تحريم الختان: بأسم الحي العظيم

(إن الذين يسجدون لأدوناي (١). ويحرفون النداء الاول(٢). قد ألفوا لهم كتاباً (٣). لاتكونوا منهم، ولاتختتنوا (٤). ولا تسلكوا طريق الذين على كلامهم لا يثبتون).
الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

– تحريم معاشره النساء اثناء الحيض:

بأسم الحي العظيم

(يا أصفيائي . اذا عاشرتن نساءكم فاغتسلوا، وتطهروا^(٥). ولاتقربوا النساء في الحيض إن من يفعل ذلك له عذاب عظيم^(٦). واعلموا إن الاب يسأل عن ابنائه حتى يبلغوا الخامسة عشرة من أعمارهم^(٧). ان لم يعظهم، ولم يوقظهم، ولم يعلمهم الصلاة

(١) أدوناي: أو "أدون"، تعني السيد، المبجل، وقد اطلق الاسم – أولاً- في سوريا؛ ليلفظ بدل اسم كبير الآلهة الكنعانية إيل، وفي العصر الهلنستي، اضيفت الية لاحقت التذكير اليونانية، واصبح "ادونيس"، ولما اخذه العبرانيون، ولفظوه بديلاً لآلههم يهوه المقدس، كان ادوناي وقد وردت في التوراة ((أيها الرب أدوناي إنك عظيم شهير بجبروتك ولا يقوى عليك أحديهوديت ١٦:١٦)) وكذلك في (سفر التكوين ٢:١٥ و ٨). هنا ادوناي يقصد به اله اليهود لما يتبعها من حديث عن تحريف واتخاذ الكتاب، والحض عتلى عدم الاختتان مثلهم .

(٢) يقول النص عن اليهود ما قاله القرآن تماماً(مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) (النساء/٤٦)

(٣) الكتاب: يقصد به التوراة

(٤) إن عدم الاختتان لأيمانهم بأن الله خلق الانسان على هيئته، فهو كامل، وبالتالي؛ فلا يجوز الانتقاص من الجسم البشري، أنشويه كماله، وهذا ما أبدتهم به المسيحية، وخالفهم به الاسلام واليهودية

(٥) تحريم معاشره النساء في الحيض مماثلة – تماماً – لما في الاسلام: (فَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ، وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ –البقرة/٢٢٢)

(٦) المندائية تحدد سناً محددة، بينما مسؤولية الأب عن أبنائه في الاسلام حتى سن البلوغ دون تحديد سن.

(٧) الاغتسال- هنا – فرض مماثل تماماً لما في الاسلام: { وإن كنتم جنباً فاطهروا –المائدة/٦ }

في مواعيدها ، ولم يسيرهم في دروب الكشطا والايمان ، فعليه وزر أخطائهم وما يفعلون
اما بعد هذا فهم عن اعمالهم يسألون. الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

– تحريم تزويج المرأة المندائية لغير ملتهم:

بأسم الحي العظيم

إن الذين يزوجون بناتهم من أبناء الكافرين^(١). والمشركين وعبده الاوثان اولئك
بسياط النار يجلدون. يعذبون بالنار الآكلة والبرد والحريق وفي الظلام يحشرون(٢).
الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

(١) كما في المندائية ، فقد شدد الاسلام على قضية الشرك بالله ، وتناولتها آيات قرآنية كثيرة منها
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا
عَظِيمًا-النساء/٤٨)

(٢) تحرم المندائية تزويج بناتها لأتباع الاديان الاخرى

الكتاب الأول : دروس يحيى دراشا اد يهيا

أبنائي، احذروا، لا تتعاطوا الربا، وفائد الربا، فإن فعلتم هذا فستقيمون في جبل الظلام. أبنائي، احذروا، لا تسجدوا للشيطان، والأنام، والتماثيل في هذا العالم. مذنبٌ مَنْ يفعل ذلك، ولا يصل إلى دار الكمال.

أبنائي انتبهوا، إذا طلبتم للشهادة، فلا تشهدوا زوراً. فمن شهد زوراً سيُدان أمام الحي العظيم الذي يحاسب الجميع كلاً على قدر أعماله.

أبنائي، انتبهوا، وتجنبوا كل ما يثير فيكم الكره ضد أصدقائكم... لا تظنونا أن العالم الذي ستذهبون إليه قائم للخلاص، وإنما للمحاكمة والحساب... فكل يوم يمر تدون فيه الحسنات، والسيئات فيرتقي صاحب الحسنات، أما صاحب السيئات فينتظره العقاب.

ويلٌ للفارغ الذي يقف عارياً أمام بيت الحساب.. ويلٌ لمن يُرزق ولا يهب، فسيبقى باحثاً دون جدوى، وسيدفعه الكذب ليلقى في النار المشتعلة. الحي المزكي

بأسم الحي العظيم

في أماسيه يعظُ يحيى ويقول:

إخواني، احذروا، واحرصوا يا أحبائي... احذروا الكمائن التي تضعها النساء، فانها تظل باقيةً، كما كانت منذ آلاف السنين... المرأة النجسة، غير الزاهدة يبتلعها جبل الظلام، ولن تعبر بحر الزوال العظيم.

المرأة ذات النجس، تلد أبناءً موتى، يكونون لعنة تحل عليها في السماء والأرض. فالمياه إذا أتسخت والأسرار الخفية إذا افتضحت، ستزل وتتسربل بالعار.

– الطماشة:

إذا قربتم زوجاتكم، تطهروا بالماء، اسكبوه فوقكم، واغتسلوا جيداً فلو بقيت شعرة واحدة غير طاهرة، لن تتطهروا.

الطماشة، هي الارتماس أو الغطس في اليردنا للماء الحي وهي اجراء ديني الغاية منه تطهير الجسد من الاردان العالقة فيه هذا أولاً أما ثانياً هو الشعور بنعمة الطهارة الروحية وهي التخلص من الافكار الظلامية اثناء العزلة الطقسية المؤقتة التي تنتاب الشخص في كثير من الإجراءات كلمس العروسين في ايام الصورتا او المرأة الوالدة خلال شهر الولادة أو لمس الشخص الذي شارك في حمل نعش المتوفي وكذلك بعد العودة من المقبرة أو لمس ما هو غير طاهر كذلك عند اجراء أي فعالية تولد عزلة مؤقتة كتجماع الزوجين مع بعضهما البعض الآخر أو عند الاستحلام كذلك المرأة لحظة ابتداء الطمث وبعد انتهائه هذا بالاضافة إلى كل ذلك يفضل المندائيون اجراء الطماشة عند العودة من الخارج إلى البيت بعد انها اعمالهم اليومية كذلك قبل الصباغة أو أي طقس يجرية كالذباحة او قبل ارتداء اللباس الديني إلى آخره، إجراء الطماشة يتم بغطس الجسم بصورة كاملة في الماء الجاري وقراءة بوثة الطماشة وهي (بشميهون إدهيي ربي انا [الملاوشة] اصبينا بمصبئنا إذ بهرام ربا بر روربي مصبئتي تناظري وتسق لريش إشمذ مندادهيي مدخر إلي) (بأسم الحي العظيم إنَّ المواشا مصبوغ بصباغة بهرام بن الحياة العظمى صباغتي تحرسني وترتقي إلى العلياء اسم هيي واسم مندادهيي منطوق عليّ) .

إنَّ كنوزنا المندائية تؤكد كثيراً في متونها على الطماشة واهميتها ففي متون كتاب ادرشا إدهيا يعظ نبينا يهيا يهانا المندائيين بقوله (اذا غشيتم زوجاتكم فتطهروا بالماء واغتسلوا جيداً بدءاً من قمة رؤوسكم فلو بقيت شعرة واحدة لم يمسهها الماء فلن تتطهروا) كان أبوانا في السابق يذهبون إلى اليردنا في الصباح الباكر ويطمشوا انفسهم بثلاث

غطسات وقراءة بوثة الطماشة في كل غطسة كما أن الكثير من المندائيين لا يطبق ان يبقى غير طاهراً إلى الصباح الباكر ولأنه لا يستطيع الطماشة في الليل لأنه محذور دينياً لذا يطمش في ماء يعده لهذا الغرض أما اذا كان الماء بارداً جداً في ايام الشتاء القارصة فكان آباؤنا الأولون يستعملون الماء المخزون في المسخنة وهي اناء نحاسي ذو فوهة ضيقة ورقبة طويلة و متموجه من اجل ان يخرج الماء بعد سكبها منها منتشراً و متموجاً بحيث مساحة اوسع تملأ بالماء وتترك تحت اشعة الشمس كي يسخن الماء من اجل الطماشة في ايام الشتاء القارصة لأن معدن النحاس هو افضل معدن موصل للحرارة بعد الفضة بالاضافة إلى ذلك فهو يمتص الحرارة الآتية من الشمس ويسخن الماء دون أن تتسرب الحرارة إلا بصورة بطيئة جداً هذه الميزة مقتصرة فقط على معدن النحاس أما في الوقت الحاضر فمعظم المندائيين يستعملون ماء الإسالة أي تحت الدوش في الطماشة وايضاً في الرشامة ، ناهيك عن الاحواض المعدة لهذا الغرض فقد كثر استعمالها بسبب تلوث مياه الانهار بالمواد الكيماوية والفضلات المطروحة من قبل المصانع والمعامل والمياه الثقيلة كما أن الحكومات تحذر من استعمال الانهار لكونها غير صالحة للأستعمال البشري بغية الوقاية لأن الإصابة بالامراض يكلف الدولة مبالغ ضخمة جداً مع كل ذلك يبقى ماء النهر الجاري هو المفضل لاجراء الطقوس المندائية كالصباغة لأن الاحواض سرعة جريان الماء فيها غير كافية لكي يشعر المصطبغ بجريانها وقد تكون هي لكثير ضرر من الانهار الملوثة بسبب العدوى والتبول خاصة اذا كان مصدر ماء الحوض هو خزان يتدفق منه الماء بواسطة مضخة ثم يعود إلى الخزان ويبقى القبول لكل هذه الحالات راجع إلى مفاهيم الاشخاص وقبولهم بالواقع الملموس لذلك تبقى الابار والعيون الي يتدفق منها الماء باستمرار او آبار المياه الباطنية بعد فحص صلاحيتها وسحبها بواسطة مضخات إلى احواض مجهزة لهذا الغرض هي الاصلح ولا غبار عليها.

النص الرابع والستون :

وصايا الملاك لآدم^(١)

بأسم الحي العظيم

يا آدم لا تنعس... لا تغف، ولا تنس، إن ربك يوصيك :

لا تكن أبناً لهذه الدنيا الزائلة، ولا ترتكب إثماً على الأرض.

لا تعشق الترف.. لا تتعاس عن أداء الطقوس.. لا تلهث وراء المظاهر

الخادعة.. ابتعد عن الفاتنات الساقطات، واهجر الأحلام الكاذبة.

لا تقرب الخمر، ولا تكن شرهاً، وليكن ربك حاضراً في ذهنك، وقلبك أثناء

الكلام والصمت.. في القيام والقعود.. وعند الذهاب والمجيء.

يا آدم...

كن يقظاً منتبهاً في هذا العالم، فان الإرادة والإصرار لا يمكن أن تلمسها بيدك..

زائلة أكاليل الورد، كأنها لم تكن.

يا آدم...

مَنْ يسرق يقبع في جبل الظلام

مَنْ يزنِ يكن جزاؤه النار

مَنْ يغش زوجة صديقه، يُلقَ في النار الموقدة حتى تزهق روحه

مَنْ يضاجع أرملة ينبذ في جبل الظلام

مَنْ يختل بعروس غيره، فالجحيم مأواه

مَنْ يهجر زوجته ويتزوج أخرى، يُعذب في مستودعات النار

(١) صحف يحيى/ الكتاب الأول: دروس يحيى در ايشاد يهيا د. منذر الحايك، ط١، ٢٠١٧.

المرأة التي تزني تصبح وقوداً لنار الأفران، ولا ترنوا عيناها لبيت الكمال
من ذهب مع زانية، وبذر فيها بذور الخطيئة، يُعذَّب وإياها عذاباً شديداً
من قُرب زوجته ولم تنظف بعد من نجس الحيض، يُحجب في غمامة الظلام
من يتعاطى الربا، وفوائده من ذهبٍ وفضةٍ، يُنبذ في جبل الظلام
من يعشق الذهب والفضة والترف، ويحاول الحصول عليها، دون أن ينضح
عرقاً، يموت مرتين^(١)، ويفنى إلى الأبد.
من يضع يده على الحقيقة، ويتراجع عن قول الحق، تتقد النار على شفتيه،
ويقبض على الجمر بيديه. يطلب الموت فلا ينله.

من اتبع السحرة والمنجمين والدجالين وآمن بهم، يعذَّب في أحواضٍ من
الزمهير.

يا آدم...

من تلون وأظهر غير حقيقته، يُكسى برداءٍ أسود، وينتعل نعلًا من جمر،
ويكون الظلام قائماً من أمامه ومن خلفه، ويُترك في المطرathi حتى تزهر روحه.
لكم تحدثنا، وأوضحنا، فلا تعملوا سوءاً، ولا تنحدروا إلى مهاوي الظلام.

والحي المزكي

(١) الموت مرتان: الموت الأول وفق المندائية، هو موت الناس كلهم، ويكون عند مفارقة الروح والنفس للجسد الأرضي. أما الموت الثاني، فهو انفصال الروح عن النفس (النشمتا) فالروح هي قوة الحياة الطبيعية، بينما النفس أداة الحياة بعد الموت، وعندما تغادر النفس والروح الجسد، يبقى الاتحاد قائماً بينهما عند المؤمنين، بينما تنفصل الروح عن النفس عند غير المؤمنين أو الخاطئين، وهو الموت الثاني.

المبحث الخامس عشر

مراسيم طقوس الوفاة عند الصابئة المندائية

اولاً: مراسيم الموت:

عندما تظهر علامات الموت على الشخص المحتضر تبدأ المراسيم الدينية، وهي بأن يغسل الشخص المحتضر بالماء الجاري، ثم يلبس الكفن "قماشي" و"الاكليلة" وهي من الآس وترمز إلى النور. وتتم تلك الاجراءات قبل ان تفارق النفس "نشمئاً" الجسد لان النشمئاً كما أتت من لدن الخالق، أو بيت الحياة، نظيفة طاهرة يجب أن تخرج نظيفة طاهره أيضاً كي تصعد إلى عوالم النور.

عندما يلفظ المحتضر أنفاسه الأخيرة، وبعد التأكد بأن المحتضر لبي نداء ربه: تطبق أجفانه على بعضها إن كانت مفتوحة، ويغطي بغطاء نظيف من قمة راسه إلى أخمص قدميه، ويسجى على فراش نظيف يفصل بين جثمانه وفراشه شرشف قطني أو غيره لونه أبيض، على أن يكون مواجهاً لجهة الشمال. ولا يوارى جثمانه مثواه الأخير قبل مرور ستة ساعات على الأقل لربما تعود إليه الحياة، واذا ما عادت اليه الحياة لا يستعمل كفنه له أو لغيره مرة أخرى.

بعد الوفاة يجب عمل "مندلئاً"، التي تساعد نفس المتوفي في الصعود إلى عوالم النور، وتبقى ثلاثة أيام في بيت المتوفي، لان نشمئاً المتوفي تبقى ثلاثة أيام تتردد بين القبر والدار. وبعد أن يوارى جثمان المتوفي التراب يجب ختم القبر بالسكندوله كي

لا يتعذب المتوفى في القبر من قبل ملائكة الظلام، ويبقى الختم ثلاثة أيام وهي أمانة الأرض. وفي اليوم الثالث يجب ازالة الختم كي لا تبقى نفس المتوفى مربوطة بالأرض. وعند رحيل نشمثا من هذا العالم يعمل لها صدقات "لوفاني" لمدة ٤٥ يوماً اعتباراً من يوم الدفن، وعمل اللوفاني هذا يساعدها بالصعود إلى عوالم النور، ويبعد الارواح الشريره عنها. وخلال رحلتها وعند وصولها إلى عالم ملكا ابثاهيل يتم سؤالها: من أين أتيت؟ وإلى أين أنت ذاهبة؟ فترد عليه نشمثا: بأنها أتت من عالم الأرض "تيبيل"، وانها ذاهبة نحو المكان الطيب "كيمصا طابا"، فيسألها ملكا ابثاهيل: "اشمخ وروشمخ ومصبتخ وبيرخرتخ"، أي إسمك ورسمك وتعميدك وصلاتك؟ ماذا قرأت وماذا فعلت؟ فترد عليه نشمثا: انا عبد مسكين جاء يطلب الرحمة ويؤدي رسالة السماء ساجداً باحترام، لهذا أطلب رحمتكم وبركتكم وحراستكم. فيرد عليها الملك: كل من يأتي إلى هذا المكان سوف يُسال ويحاسب، وبعدها نسمح له بالصعود إلى الأماكن الطيبة ما دام هو يسيطر على أسرار جسمه المادي.

بعد ذلك ينادي ملكا ابثاهيل على حراس المطراتا، ويأتي اثنان من الحراس "ناطري" بزورق من الذهب يأخذان نشمثا ويصبغانها، ويضعانها في عالم خاص إلى ان يأتي دورها وينادي عليها للذهاب إلى عالم اواثر. وبعد ذلك يتفقدوها ٣٦٠ ملك قبل ان تصل إلى الميزان، ويتفقدونها على "قماشي وكليلة وكسبة ودهبة"، بعد ذلك توزن في الميزان، فإذا كانت نشمثا ناقصة الملابس- كأن يتوفى الشخص بدون ملابس دينية - فلا توزن نشمثا بالميزان، حيث يجب أن يعمل لها "قماشي" كامل في أيام البنجه أو أيام البرونيا، حتى تستلم النشمثا هذا الرداء الوهاج "قماشي" فتصبح بذلك طاهرة

نقية كاملة لا ينقصها أي شيء. بعد ذلك يسمح لها ان توزن بميزان اواثر وتواصل رحلتها إلى عالم النور، وتوضع في احدى الكفتين: الكفه الأولى وهي اليمنى فيها نشمئا شيتل ابن آدم. وفي الكفه اليسرى توضع نشمئا الشخص المتوفى، فاذا لم ترجح كفه نشمئا المتوفى على كفه نشمئا شيتل ترسل إلى مطرائة لتنال العقوبة المفروضة ١. وبعد أن تنال النشمئا العقوبة المطلوبة وتتخلص من ذنوبها يأتي ملكا "الهشببا" في كل يوم أحد، وبواسطة قوة عجالات النور تأخذ النفوس التي تخلصت من ذنوبها ويتم إرسالها إلى "فرات زيوا" حيث التعميد السماوي النهائي، وبعدها يتم ارسالها إلى عوالم النور. اذا كانت النشمئا نقيه طاهرة فانها تصل إلى ميزان اواثر وبمدة ٤٥ يوماً، وتمر معززة مكرمة مرور الكرام. بعد ان تعبر النشمئا عالم اواثر تذهب إلى عالم عالم العهد "مشوني كشتا"، وهوالعالم الخفي وسكانه أحفاد آدم الخفي "آدم كسيا"، ويحكمه "ملكا شيشلام ربا". وبعد ذلك تتحدذ نشمئا مع نظيرها النوراني "دموثا"، فكل إنسان له شبيهه في عالم "مشوني كشتا"، وعند اتحاد نشمئا مع دموثا بهذا الكساء النوراني العظيم يُعبرها "ملكا الهشببا" في زورق نوراني، وتذهب إلى عوالم النور التي لا تحصى ليكون هناك مستقرها النهائي. وتصد بعد ذلك إلى عوالم النور سالكة اقرب طريق حيث تقطع العوالم السبعة في ٧٥ عاماً. وعوالم النور لاتحصى فهي أكثر من ٣٦٠٠٠٠ عالم من النور، وتوضع "نشمئا" في احدى هذه العوالم كل حسب نظافته والتزامه بأصول الدين وحسب مرتبته الدينية.

(١) وزن النفس في المعتقدات المندائية يماثل تماماً المعتقدات المصرية، مع فارق واح هو أن ما يوزن في المعتقدات المصرية هو القلب لاعتقادهم بأنه مركز الاحساس والتفكير، فعند حساب المتوفى في العالم الآخر كان المصريون القدماء يعتقدون بأن قلب الميت يوضع على الميزان في كفه وريشة الإلهة ماعت في الكفه الاخرى، فاذا رجحت كفه الريشة فإنه يدخل الفردوس، وأما إذا رجحت كفه القلب فإنه يذهب إلى الفناء.

– ملابس الموت (قماشي):

عندما يحتضر الفرد المندائي ويقترب أجله يطهر بالماء وتبدل ملابسه بملابس الاحتضار الخاصة به، أي الكفن الأبيض، وهو أشبه بالملابس الدينية (رسته) وله أصول تفصيل وخياطة خاصة به، وربما يجري هذا تحت علم المحتضر وبطلب منه لإيمانه بهذه الطقوس.

١ – الرسته:

رداء قطني خالص، يرمز إلى كساء النور الذي يرتديه سكان عالم الأنوار قبل عامة المندائيين ورجال دينهم، لم تكن الرسته لباساً رسمياً مطلقاً بل كانت تلبس فقط عند إجراء الطقوس الدينية وخاصة في أيام الآحاد لأن يوم الأحد هو يوم طقسي خالص هذا بالنسبة لرجال الدين أما العامة فيرتدونها أثناء إجراء الطقوس الدينية فقط ويمكن لهم تأدية الفرائض الدينية كالصلاة في لباسهم العادي الذي يكتنفه البياض مع غطاء الرأس احتراماً لعالم النور.

٢ – الثوب: (القميص) (كسويا) ويكون مقداره حسب طول الرجل والشخص المراد استعماله ويكون طول القماش حوالي (٤م).

٣ – الدشة: قطعتان صغيرتان من نفس القماش تخاط من خارج الثوب في أعلى الناحية اليمنى من فتحة الصدر وهي المكان الذي يصنع فيه رجل الدين الترميذا الذي يريد أن يرتقي إلى مرتبة الكنزا أبرا قنينة المشا الصغيرة المعمولة بطريقة دينية خاصة وتسمى (انكرتا دخيا) الرسالة الطاهرة يوصلها الشخص المتوفى في أثناء عروجه إلى اباثر.

٤ – الشروال: أي السروال وهو طويل وعريض ومرتخي ويخاط بطريقة خاصة.

٥- التكة: وهي الخيط الذي يشد فيه السروال إلى البطن ويترك أحد طرفي التكة دون خياطة ولدى الشد يجب ان يوضع الطرف العروة المخاط فوق الطرف غير الكركوشة المخاط وحين ربطهما يتدلى الطرف العروة المخاط إلى الجهة الكركوشة اليمنى.

٦- العمامة (برزنقا): وهي عبارة عن قطعة طولها حوالي (١,٥ م) أو اكثر وتلف حول رأس وتترك إحدى النهايتين مدلاة فوق الكتف الأيسر وتسمى لرجل الدين (بندامه) حيث يلفها حول فمه هو أو الحلالية رافعي الجنازة وتلف إلى قمة الرأس وتدس في الجهة اليمنى من العمامة والغاية منها منع تلوث الأشياء المقدسة والطاهرة.

٧- النصيفة: وهي شريط طويل من القماش وفيه حافة (ميسرة) تلقى على الكتفين وبالنسبة لرجل الدين تكون بنفس عرض القماش وطولها حوالي (٢,٥ م) يلفها رجل الدين بطريقة خاصة عند مزاوله طقس الصباغة.

٨- الهيمانة: وهي حزام صوفي يتألف من ٦٠ خيطاً وخيطاً واحداً يسمى الرأس يلف جميع الستين بدورات وغرزات خاصة فيكون المجموع (٦١) يجب أن تكون الهيمانة معمولة من الصوف الأبيض لذكر الغنم الحي فقط.

تبدأ بالعروة وتنتهي بالكركوشة وترمز أيضاً للنهر حيث المنبع والمصب وشدها له مغزى ديني فعند تلف حول الخصر بلفتين ترمزان إلى الروح والنيشمثا وعقدتين العقدة الأولى تمثل دخول النيشمثا من عالم النور إلى الجسد فتكون العروة متجهة نحو الأسفل والعقدة الثانية ترمز إلى رحيل النفس من الجسد إلى عالم النور وعندها تكون العروة متجهة نحو الأعلى.

(لأنها تعتبر كحُرز يحمي البيت...) لأنها تعتبر رمز النور والطهارة تمنع أهل البيت من أن يقترفوا ذنباً يشين بالنفس يقلل مكان طهارتهم وطهارتها أي تكون سبباً في حماية أهل البيت من السرور:

هناك إشارة لهذا الصدد في متون الكنزا ربّاً على لسان ملكا هيبيل زيوا موجهاً على آدم الرجل الأول بعد أن كان لباس آدم من النخلة ((انهض يا آدم جز الصوف من ظهور تلك الخراف وأعطه على حواء زوجتك كي تصنع لك لباساً لجمال جسدك)) نفذ آدم ما استوحاه من الملاك ونسجت حواء له ولها الملابس والوسائد والأغطية ومن ذلك الوقت انتشر اللباس الصوفي ولا زالت الهميانة تنسج من الصوف المجزوز من الورجين الذكر.

– هناك ملحقان في اللباس الطقس المندائي منها:

أ– التاغة أي التاج من الحرير أو القطن ويحصل عليها في أسبوع (التكريس) الطراسة ليبقى يستعملها العمر كله.

ب– الشوم ياور (الخاتم) من الذهب الخالص منقوش عليها (شوم ياور زيوا) بطريقة مقلوبة بحيث تكون كتابته صحيحة عند الختم.

ج– المركنا عصا الزيتون المقدسة ويحصل الترميذا على هذه الأشياء المهمة عند تنويجه كملك أرضي في أيام التكريس الطراسة السبعة (خاتم الملك – الصولجان – التاج).

يجب على كل بيت مندائي أن تكون فيه على الأقل رسته لأنها تعتبر كالحُرز الذي يحمي البيت من السرور وان الحفاظ عليها نظيفة وجاهزة للاستعمال من واجبات المندائي المخلص لدينه.

اتجاه القبور

وتكون القبور باتجاه الشمال كما ذكرنا نحو القبلة المندائية وبارتفاع اعتيادي على ان يكون وجهه اثناء الرهس (اللحد) قبالة الشمال ايضاً .. اما دفن رجال الدين فلهم طقوس خاصة في نوع الكفن ومراسيم شق الرهوس ويدفن معه صولجانه (المركنه) وما يستعمله من الطقوس الدينية ومن ملحقات اخرى (وعلى سبيل المثال طلب المرحوم الشيخ دخيل العيدان في حياته من اولاده ان يدفن في داره الواقعة في بغداد-الدورة متبعاً بذلك الشروط الدينية الحقة في دفنه وذلك لتوفر ما يريد لان الدار ملكه وفعلاً نفذ طلبه ولا يزال قبره موجوداً في حدود الستينات).

وناصورائي اخر (جنب بندر الزهيري) طلب ان يدفن في بستانه الملحق بداره في ناحية المشرح سنة ١٩٣٤م فنفذ طلبه ولا يزال قبره موجود هناك.. وعند ايداع الجثمان يكشف الوجه داخل اللحد على ان يكون ملامساً للارض ... وتقرأ سورة (الفاتحة) رواه أدهي الاتية قبل رفع الجنازة...

بشميمهون ادهي ربي	بأسم الحي العظيم
لوفنا وارواه دهبي	المغفرة والرضا وغفران
وشابق هطايبي	الخطايا تهدي النفس
نهويلي الهاز انشماتا	(اسم المتوفى) صاحب هذا
اديلي (الملواشه)	الثواب الذي ارجو له
ادهازا مسيقتنا وشابق هطايبي نهويلي	غفران الخطايا

١- البانيه والتابوت:

تصنع البانيه من البردي غير المخلوط معه القصب، والبردي يرمز إلى العنصر الأنثوي أي أداة الرحم العنصر المستقبل (السالب) وعدد البردي المستعمل ليس محددًا وإنما يعمل قياس طولها وليس بحجم المتوفى، ويتطلب الأمر ٤ حبال من الليف المعمول من سعف النخيل أو من حبال القطن الجاهزة طول الحبل الواحد منها ٤م تعقد الأمتار الأربعة من المنتصف أي تشد وتلف كلا الشدتين بكلتا اليدين ثم يأتي أربعة حلالية يجلسون ووجوههم مقابل ابائر وكل واحد مقابل حبل يأخذون حزمة غير محدد من البردي (٣ - ٤) برديات وإذا كان البردي قصيراً تتعاقب البرديات بحيث يكون جذورهما على الجانبين وتلتقي أطراف البردي في الوسط، يلف الحلالية الحبال كما مر آنفاً لتسهيل العملية وعدم التشابك، نضع اليمين على الأرض ونضع البردي ونلقفه في اليد اليسرى، ثم نضع الحبل في اليد اليسرى على جهة اليمين أي تكون دائماً جهة اليمين على الأرض وعندما توضع البرديات في كل لفة تترك مسافة ٤ أصابع بين لفة وأخرى، وعندما تنتهي العملية تعقد النهايات حتى لا ينفرط البردي ويتشتت، وقياسه على حجم المتوفى.

أما عن التابوت فهو من القصب الخالص والقصب يرمز إلى العنصر الذكري المخصب وعددها ١٤ قصبية للأعلى و١٤ قصبية للأسفل يفصلها ٣ جرائد من سعف النخيل بطول ذراع أو أكثر قليلاً بحجم التابوت الخشبي وتحتاج إلى ثلاثة حبال بطول ٣م، تعقد من المنتصف بحيث نعمل شبيهه العروة لكي توضع في الجريدة المستعملة نأخذ قصبتين من الأعلى وقصبتين من الأسفل يمر الحبل الأول من جهة اليمين الأعلى إلى الأسفل مروراً من الجهة اليسرى إلى الأعلى اليمين وهكذا بحيث يصبح لدينا سبعة لفات من القصب أما الطرف الثاني من الحبل المتبقي واذلي طوله ١,٥م فعندما نضع المتوفى

(شابق هطايي) على البانية المعمولة كما قلنا من البردي ويلف بها نضعه على التابوت ويشد بهذا الحبل المتبقي من شد التابوت والذي وطوله ١,٥م وتشكل أصول الجريد مقابض للنعش ويجلس ثلاث حلالية والريش (رئيس مجموعة الحلالية القائمين بالدفن) في البداية باتجاه ابائر وكل هذه العملية من شد بندامه ولف بانیه ورفع تابوت وعبور مندلته تجري كلها بـ(قراءة بوته) رواها ادهيي (استعادة الحياة) وبملواشه المتوفي.

٢- السكندولة:

[سكندولا]، يعتقد المندائيون أن الملاك هيبيل زيوا حصل عليه أثناء رحلته إلى عالم الظلام وكان ذلك لكشف أسرار ذلك العالم، كما أنهم يعتقدون أن هذا الطلسم يبعد حامله الذي حُتم به عن الأفكار الشريرة التي تراوده بين الفينة والأخرى وتجعله أسيراً لتلك القوى الظلامية والتي في حقيقتها هي أسرار تمتّ بصلة إلى طبيعة هذه المواد الأربع^(١) ترمز إلى المكونات الأربعة لكل الوجود المادي وهو الهواء والماء والتراب والنار.

هذا الطلسم وهو يشبه الخاتم الذي عليه أربعة نقوش من الممكن أن تكون حيوانات تعبّر عن الأبراج الاثني عشر وهذه الحيوانات هي:

١- الأفعى: وتكون بشكل دائرة حول الخاتم ذيلها قرب رأسها وتحيط بباقي الحيوانات وترمز للطبيعة المائية.

٢- العقرب: تبدو كأنها زاحفة على الأرض وترمز للطبيعة الترابية.

٣- الأسد: يبدو واقفاً ويرمز للطبيعة النارية.

٤- النحلة: تبدو طائراً في الهواء وترمز للطبيعة الهوائية.

(١) امين فصيل حطاب، استراليا.

هذه الرموز الأربعة هي أيضاً رموز سومرية ورافدينية أصيلة، قد يدل ذلك على أن الصابئة كانوا يعيشون مع السومريين والبابليين وامتزج الكثير من عاداتهم ومعتقداتهم الروحية ببعضها وأخذ بعضهم من البعض الآخر.

يستخدم هذا الطلسم لأغراض احترازية كثيرة، كختم سرّة الطفل الوليد بعد ولادته لحمايته من الشر الذي قد يحيق به، لأنهم يعتقدون أن الطفل مع كونه بعد الولادة منفصلاً جسدياً عن الأم لكن روحه تبقى مرتبطة مع روح أمه فإذا توعك أو جاع أو بكى وهي على بعد عنه تحسّ به فهي في الحقيقة تشعر به وكأنه قطعة ملتحمة معها أو كأى عضو من أعضائها لذلك فالختم يجعل الأم مستقرة الذهن تجاه طفلها، لأن طفلها بعد الختم أصبح محروساً وبعيداً عن تأثير قوة الشر، وهذا يعطي الأم حيويةً ونشاطاً وصحة جيدة تنعكس مباشرة على صحة طفلها ونموه العقلي.

إنّ هذه الحيوانات لها مكانتها في الأساطير القديمة فقد عرف الأدب السومري الأكادي لعنة تقول: ((إن من يثبت نظره على ثعبان أثناء خروج الأخير من أحد ثقوب المنزل في اليوم الأول من سنة جديدة، وقبل أن يترك فراشه ليضع رجله على الأرض، سيموت في هذه السنة)).

٣- الأكليلة :

وهي خاتم من نبات الآس تعد من قبل مؤمن (رجل دين) يرافقها تلاوة تراتيل خاصة بعملها.

توضع تحت العمامة او الفوطة عند النساء وعندما يلفظ المحتضر انفاسه الاخيرة على ان يكون ايام مفارقة روحه الجسد غير(مبطله) اي سالحة دينياً وعند التأكد ان المحتضر لبي نداء ربه تطبق اجفانه على بعضها ان كانت مفتوحة ويغطي بغطاء نظيف من قمة راسه إلى اخمص قدميه وهو مسجى على فراش نظيف يفصل بين جثمانه وفراشه

شرشف قطني او غيره ابيض على ان يكون مواجهاً الشمال قبلتهم ... ولا يوارى جثمانه مثواه الاخير قبل مرور ست ساعات على الاقل لربما تعود اليه الحياة (كما حصل لبعضهم في حالة الغيبوبة) و اذا ماعادت اليه الحياة لا يستعمل كفنه له او لغيره مرة اخرى ... وانما تقصر احد قطعه(النصيفة) وتستعمل كرسته المارة ذكرها لغرض التعميد فقط.

٤- الشريجه :

وهي عبارة عن اعواد من القصب والبردي وسعف النخيل متماسكة مع بعضها بواسطة حبال من اوراق سعف النخيل وتغسل طقسياً وتحضر لوضع الجثمان عليها كنعش لتساعد حاملها على حمل الجنازة ، وهي مستعملة من اقدم العصور .

٥- المندلثة :

وهي من القصب ذات بناء خاص صغير لايتجاوز طولها الياردة ذات ارتفاع واطئ لا يتجاوز (٣٠سم) وهي ذات ابعاد خاصة يعرفونها هم انفسهم ولها عمل خاص بها وتلاوة خاصة اثناء العمل وتثبيت في الأرض وعليه مليئة بالتراب ... ويمرر من فوقها النعش وهو محمول على اكتاف اربعة رجال من طبقة الحلالية المذكورين يساعدهم الباكون من اي كان وقبل ان يشق رمس المتوفي يتلو المؤمن بعض التراتيل الدينية ويغرز المعول او المسحاة في الأرض ثلاث مرات اثناء قراءة التراتيل ويقلب ترابها وبعد اكمال حفر هذا القبر يشق اللحد ويحذر اهل المتوفي من(العويل والنواح وشق الجيوب وحلق الشعور ولبس (السواد) دينياً وهي محرمة في معظم الاديان السماوية(لمخالفتها لارادة الله) (الا ان العاطفة تتغلب وتلعب دورها في شعور البشر ناسية القيود الدينية) وعندما بعدت

مواقع المجناة وصعب حمل الجنازة على الاكتاف إلى هذه المسافات الطويلة استعملوا وسائل نقل متاحة لهم.

تحريم البكاء على الميت ولبس السواد :

إذا خرج أحدكم من جسده ومات فلا تبكوا ولا تنوحوا عليه، النواح والبكاء والسواد لا تتمسكوا به، الذي يبكي على المتوفى سيوضع في المياه الفاصلة، ومن يمزق رداءه فسيحتفظ بأخطاءه رداءه، ومن يقص شعر رأسه على المتوفى سيرمى في جبل الظلام. وقد ورد في الكتاب المقدس حول ذلك ما يلي :

بأسم الحي العظيم

انهبوا أيها المساكين والبؤساء والمطاردين أبكوا على أنفسكم طالما لازلتم في جنة الدنيا، فان معصيتكم وآثامكم وأخطاءكم ستزداد، أبعثوا الحزن والنواح ولبس السواد، لأن بالحزن والدموع ستتكون الأرواح الشريرة التي تتعرض وتسبق النفوس وهي في طريقها إلى محطات التطهير، فأقيموا لهن الشفاعة والرحمة والثواب ليكون الرب العظيم رحيماً عليهم، ورسل الحياة سيقفون إلى يمينهم، وملائكة النور إلى يسارهم، وسيخلصون من محطات التطهير – كنزا ربا.

بأسم الحي العظيم

لا تبكوا موتاكم، ولا تقيموا عليهم الأحزان (١٥٠) إن من مزق ثيابه على ميت فقد دنسها (١٥١) ومن قلع شعره على ميت فسيربط بجبل الظلام بحبل لا يبيد (١٥٢) كلما طالت أعماركم زادت خطاياكم (١٥٣) فلا تحزنوا على النفوس إذا فارقت الحياة، فمن الحزن تولد الأرواح الشريرة وتسبق النفس في عروجها وتضايقها في دار

الحساب (١٥٤) من أحب موتاه فليطلب لأنفسهم الرحمة (١٥٥) وأقيموا عليهم الصلاة والتسبيح (١٥٦) واقروا الابتهالات... كنزا ربا - يمين.

- قصة الموت المندائية:

مثلما تميّز المندائيون في قصة الخلق الخاصة بهم فإنهم تميّزوا أيضاً بقصة الموت والنهاية والفناء. فهم يرون أن عالم النور هو العالم الأساسي الوحيد في هذا الكون أما العوالم الأخرى فيعتبرها الفساد والموت والفناء. وينسحب هذا على كائنات هذه العوالم. فالنور هو الذي لا يتفسخ ومنه خلقت كائنات النور أما كائنات الظلام فمخلوقة من الماء الأسود الآسن والطين واللحم، كذلك كائنات الأرض مخلوقة من اللحم والعظم والدم وهذه كلها مواد آيلة إلى التفسخ والموت. لكن الأنسان يحمل في مادة جسده الفانية نسمة النور "نشمتا" وهي الوحيدة التي لا تموت، وهي تخرج من الجسد بعد الموت لتعود إلى عالم النور، أما الجسد فيفنى.

إن عقيدة خروج النفس من الجسد، ومحاولتها للعودة إلى عالم النور، تشكل المتن الأساسي الأول في ما يسمى بعقيدة الموت المندائية. لكن عودة النفس وعروجها لسماء الأنوار تشكل نصف الدائرة الثاني، بينما يشكل هبوط النفس من عالم النور إلى الجسد في بداية خلق الأنسان نصفها الأول. ولذلك تتكون دائرة النفس من نصفين مترابطين. إن هذه الدائرة الأسطورية استحوذت على اهتمام استثنائي في الديانة المندائية حيث تركزت كل نصوص كنزاربا اليسار ونصوص كتاب الأنفس "سيدرا إد نشمتا" وديوان "أباثر" و"مسقتا"^(١) وغيرها لتتبع أثر النفس من وإلى عالم النور،

(١) مسقتا: تعني الصعود، أو الانبعاث للروح، وتُطلق على تراتيل، تساعد نفس الميت على العبور نحو عالم الأنوار، وطلب الرحمة لها، وتشبه لحد كبير طقوس القديس المسيحي، وأهم موجوداتها الخبز، وتقام في المندي، أو الشختا.

وظهرت بذلك نصوص دينية أسطورية كثيرة حولها. كذلك انعكست هذه النصوص على الطقوس والشعائر فتكونت مجموعة منها لتسهيل حركة النفس في عروجها ولأجل طهارتها.

في المعتقدات المندائية تنزل النفس "نشمتا" من عالم النور إلى الجنين وهو في بطن أمه، عندما يكون عمره ثلاثة شهور تقريباً، أي عند بداية نبض قلبه، ويعتلون هذا ببداية حركة الجنين في الرحم. هكذا يرى المندائيون هبوط النفس من عالم النور قبل الولادة، ولا أحد يعرف ما هي الآلية التي تدخل بها هذه النفس جسد الجنين، ولكنها ربما تكون مشابهةً لأسطورة النزول.

وتشكل دورة النفس للفرد الواحد صدىً أو تكراراً، بدا وكأنه طقسياً، لحادثة الخليقة الأولى يوم نزلت النفس على يد مندا إدهيي وآدم كاسيا في جسد آدم. إنها دورةٌ مشابهة تتكرر مع كل إنسان، لكن صدى أول نزول يشكل نقطة البدء التي يلتفت المؤمنون لها دائماً، ويتذكرون مع كل حمل ثم ولادةً خليقةً جديدةً مشابهة.

ويُعدّ نزول النفس في جسد آدم بمثابة الوحي الأول القديم الذي حمل الحياة والمعرفة إلى جسد آدم، ومن هنا جاء دور "مندا إدهيي" في حمل هذا الوحي، حيث أن اسمه يشير إلى المعرفة والحياة، وبذلك تكون النفس المحمولة من قبل "مندا إدهيي" منظوية على جوهرين أساسيين هما: الحياة والمعرفة، الحياة لكي نكون مثل بقية الكائنات أحياءً، والمعرفة لكي نميّز ونعقل ما حولنا.

إن "مندا إدهيي" يأخذ مكاناً في عقل آدم، فهو يعد الرسول القديم "شليها قدامي" أي الرسول الأول، ورسول النور "شليها دنهورا"، ورسول الحق "شليها كُشطانا". ويعد كذلك رب المعرفة أو سيّد العرفان "ماري كَشْطَا". فقد أوصل العرفان أو

المعرفة الإلهية بواسطة الكلمة "قالا" التي هي الخالق نفسه. وقد أخذ الإغريق مفهوم كلمة "قالا" وترجموها إلى "لوغوس"، ومن لوغوس اشتقت مفردة "لغة" العربية. وكذلك فعل اللاهوتيون المسيحيون حينما قالوا أن الله هو الكلمة.

الوحي إذن هو كلمة "قالا" و"لوغوس"، وهو الخالق نفسه عند المندائيين، وأتى يوحنا كاتب الإنجيل بعدهم بمئات السنين ليقول في فاتحة إنجيل يوحنا: {في البدء كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ * هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ} ١، ولا شك أن كل من يقرأ هذا المقطع ويحمل ثقافة مندائية بسيطة لا يخطر في باله سوى النصوص المندائية المعروفة مثل: المعرفة أي الكلمة، الحياة، النور، الظلمة، ويدرك على الفور علاقة هذه الفاتحة بالديانة المندائية، وكل ما في الأمر أن يوحنا غير المعرفة إلى الكلمة وقد عرفنا أنها ترادفها تماماً. إن "مندا إدهيي" هو حامل الكلمة، وهو بطريقة رمزية الكلمة ذاتها، لأنه يحمل "مانا" في جوهره. وسواء كان الكلمة أو حاملها فهو لوغوس المندائيين وهو الذي يقوم بالوحي وهو الرسول الأول.

أما بعد وفاة الأنسان فهو الذي يقوم بدور المخلص أيضاً، إذ أن "مندا إدهيي" هو الذي يزور النفس قبل خروجها ويذكرها بواجباتها ويعددها بأن يصعد بها إلى عالمها الذي جاءت منه وهو عالم النور. كما تدل النصوص التالية:

"إنه مندا إدهيي نفسه

الذي ارتحل ذاهباً لكي يأتي إلى العالم

حقاً، إنه أخذني من الأرض

وانتزعني من الخدعة والتلوين

(١) انجيل يوحنا/ ١: ١-٢.

هو أخذني من قرمة القدم
التي تشبه العالم الممتليء
هو حلّ وثاقي وأربطتي
التي هي طويلة إلى حدّ بعيد
هو خلع عني الثوب
المنسوج من كلّ لون ونوع
إن ذلكم الذي حلني تقدمني ذاهباً
أما ذلكم الذي كان قد ربطني فهو يتبعني ساعياً
إني مضيت واستندتُ إلى ذلك الذي حلّ وثاقي
أما ذلكم الذي كان قد ربطني فهو لم يدركني
إن الحياة استجابت لي من الأثمار
إن البهاء أجاب عليّ من بعيد
من مكان جدّ بعيد
تطلعت أنا ناظراً فعرفتُ أبي..

يطلق لقب "كبرا" أو "جبرا" التي تعني الرجل على "منداد هبي". أما لقب
"جبرائيل" فيطلق على ابنه "هيبيل زيوا" وعلى "بثاهيل". ولقب ابن الحياة "كاهنون
هبي" ولقب "بهير زدقا" التي تعني باهر الصدق، أو ذو الصدقة الباهر، فهو موزع
الصدقات الذي يطابق مفهوم الآدميين السماويين، وهو الاسم الذي يطلق على
"الناصرانيين".

ولننظر إلى النفس كيف تنادي على "مندا إد هيي" عندما تحول عفاريت الأرض
والظلام بينها وبين الالتحاق بعالم النور:
"السبعة تحيطُ بالجسم من كل جانب
إنها تقعدُ جالسةً وتتحدثُ قائلةً:
إذا سولت لكِ نفسكِ وخرجتِ، أيتها النفس
فسوف نقودك إلى الجبابة
إذا فررتُ خارجةً وقفت العفاريت في طريقي
وإذا عدتُ من حيث أتيت، لا يجوز، إذ أن عددي قد تمَّ
أين هي الحياة التي طالما كنتُ قد أحببتها أنا
وأين هي الحياة التي كانت قد أحببني؟.
أين هو الرجل "جبرا" ذو الخبرة بالعدل والانصاف "بهيرا زدقا"
الذي بأسمه كنتُ أنا قد دفعت الصدقات؟.
أين هو مندا إد هيي.
الذي بأسمه كنتُ أنا قد ذهبت إلى النهر؟.
أين هو ماء النهر الحي.
الذي طالما كنتُ أنا قد اغترفت من منهله السعادة؟.
من منهله اغترفت السعادة.
واستلمتُ الإشارة الطاهرة.
أين هو المسرى الذي مشيتُ أنا عليه.
وأين هي التحية التي ناولت يدي يدها؟

أين هما نعلا رجليّ.

تأذك اللتان وطأتهما بصحبة أصدقائي؟.

أين تمضي ذاهباً، يا ربّ الكوشطا.

وها قد تألبت عليّ العفاريت وأحاطت بجسدي؟

ها هي ذي العفاريت تحيط بجسدي من كلّ جانب

وعينا في رأسي تتخضبان بلون آخر

أين أرفع عينيّ إلى العلياء متطلعاً

وإذا بي أبصر الرجل الذي هو عوني.

– الحياة الأخرى:

قصة الحياة الأخرى يمكن أن تكون امتداداً لعقائد الموت والفناء، لأنها تتناول العقائد المتعلقة بمصير النفس والجسد والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار وهي أمور درجت الأديان القديمة الموحدة على ذكرها كل حسب طريقته. والديانة المندائية لديها تصورات واضحة جداً حول مصير النفس ومسارها وشكل الآخرة، ولذلك فإن قصة الآخرة المندائية غنية جداً وتحفل بالكثير مما يميزها تماماً.

هناك ثلاثة أنواع من الحساب تجري للروح وهي كما يلي:

أ – حساب المحاكمة:

ويجري هذا الحساب عندما تكون النفس في الجسد حيث يجري تنصيب قضاة من قبل عالم الظلام والكواكب السبعة لمحاكمة الروح، وعادة ما ينطق الحكم بسجن الروح في الجسد بسبب الشهود الكاذبين^(١):

(١) ليدي دراور: الصابئة المندائيون (الكتاب الاول) ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، الطبعة الثانية، مطبعة الديواني، بغداد ١٩٨٧، ص ١١٢.

”مَنْ ذَا الَّذِي قَذَفَ بِي بَيْنَ الشُّهُودِ الْحَيَّالِينَ؟

مَنْ ذَا الَّذِي قَذَفَ بِي وَسَطَ الشُّهُودِ الْمَخَادِعِينَ؟

الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ حَتَّى ذَرَّةٍ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ وَالصِّدْقِ؟

ولذلك يأتي تحذير عالم النور للروح عندما تهبط بالجسد بأن محاكمتها قد تجري

أولا تجري ولن يحكم عليها بالعدل لأن عدالة عوالم الأرض والظلام مزيفة^(١):

”إنك لن تذهبي إلى المحاكمة

ولن يحكم عليك بالعدل

لا، لن يحكم عليك بالعدل

إذ أنك مارست القيام بأعمال رجل صادق

ما تتحملين أنت إياه هنا وتصيرين عليه

لن تجديه أمامك، أيتها المختارة

فري هاربة من عنف وجبروت

الكواكب ذوات السلطان في هذا العالم”

٢ – حساب بحر سوف^(٢):

بعد أن تخرج النفس من الجسد فإن أول تحدٍ يواجهها هو بحر سوف السماوي

(الذي يقابله البحر الأحمر على الأرض) فإذا كانت النفس مثقلة بالأخطاء فإنها ستغرق

في هذا البحر ولن تجتازه صعوداً إلى نهر هطفون. وإذا غرقت النفس في بحر سوف فإنها

(١) كنزا ربا اليسار: ٣، ٥٧، ص ٦٥٨-٦٥٩.

(٢) بحر سوف: (سما اد سوف)، ورد انه بحر القصب، أو بحر النهاية، وذكر في التوراة على انه

البحر الأحمر: (وعمل الملك سليمان سقنا في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر

سوف في أرض أدوم – ملوك ١/٩: ٢٦). وهو في التراث المندائي بأن المقصود هو بحر

سماوي.

ستنحدر إلى عالم الظلام في عبادين السفلى وستقضي حياتها سجينة هناك مع كائنات الظلام وقد تعذب بالنار والماء الحار. أما إذا كانت النفس قليلة الأخطاء فأنها ستواصل الصعود خلال منازل الحراسة^(١).

٣- حساب الميزان (أباتر)^(٢):

وهذا هو الحساب الأخير قبل الصعود إلى عالم النور وفيه يتم وزن النفس من قبل الملاك أباتر حيث توضع النفس في كفة ويكون شيتل ابن آدم في الكفة الأخرى. فإذا كانت أخطاء النفس قليلة جداً فأنها تصعد إلى عالم النور، أما إذا كانت هناك أخطاء معينة فأن النفس تنزل إلى واحد من منازل الحراسة بما يناسب ذنبها (وسنشرحها مفصلاً) وتقضي زمناً طويلاً هناك وربما تعود إلى عالم النور^(٣):

"إن الميزان قد نُصب أمامه

وهو يزن الأعمال والأجر

إنه يزن الأعمال والأجر

ويجمع الروها (الروح) مع نشمتا (النفس)

إذا ما وضع هو أحداً على الميزان وأثبت هذا بأنه مستوفٍ للشروط

عندئذٍ سوف يرفعه المرء عالياً ويمنح إياه سنداً ودعامةً في الحياة

أما إذا وضع هو أحداً على كفة الميزان وأثبت بأنه غير مستوفٍ للشروط

(١) الجابري ، محمد عابد: بنية العقل العربي، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١، ص٢٦٧.

(٢) أباتر: أو أباتر موزانيا، أي صاحب الميزان، ولقبه: القديم الخفي، ملاك نوراني في عالم الأنوار، مكلف بوزن الأنفس البشرية عند مغادرتها الجسد مقابل نفس شيتل التي هي أنقى الأنفس، كما شارك في خلق الأرض. ويقف أباتر عند بوابة الحياة في الشمال، لذلك يسمّى - أيضاً - الحارس، ومن صفاته: السماوي، ويمثل في المعتقد المندائي الحياة الثالثة.

(٣) سباهي، عزيز: اصول الصابئة (المندائيون) ومعتقداتهم الدينية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ١٩٦٩، ص١٤٧.

فسوف يستبقيه في هذا العالم"

أما مدرج صعود النفس فسنتعرض له بالتفصيل مع دائرة النفس كلها.
إن العقاب والثواب جاءا على قدر أخطاء وحسنات النفس في تجنبها للشر
والانغماس في الحياة الدنيوية الزائلة وفي قدرتها على تذكر أصلها وعدم تضبيب رؤيتها
لعالم النور وهي مقرها الأول والأخير، وعليها أن تُدرك طبيعة العالم (الأرضي) التي هي
فيه :

"إني أنا مانا الحياة الكبرى

الذي يسطع بهياً خلال تسبيح من خلقتني

عندا جلبوا هم إياي إلى الأسر

عندما بعثوا هم بي إلى العالم وجلبوا إياي

فقد بعثوا هم بي إلى عالم القتلة والسفّاحين

إلى أولئك المقطعين المعرضين للهلاك جميعهم

إلى العالم الذي هيئته قبيحة^(١)

ومريبة لا ينير

إن خدمه ليس لديهم طريقة للسير

وجميع مخلوقاته خالية فارغة من البهاء

إنهم ليسوا لطفاء وليسوا هادئين

وما من رابطة مشتركة تجمعهم بعضهم إلى البعض الآخر

مظلمة داكنة هي أشكالهم.."

(١) كنزا ربا اليسار: ٢، ٢٧، ص ٥٣٤.

- الجنة والنار عند المندائيين:

الجنة أو الفردوس عند المندائيين تختلف تماماً عن مثيلها عند الأديان الأخرى فهناك في الأعالي فردوسان علوي وسفلي هما:

١- الفردوس الأعلى: وهو عالم النور الذي تسكنه الكائنات النورانية ويحكمه الحي العظيم بحكمته ونوره ويكون سكان هذا الفردوس من الأثري ويضم الأثري العظام وخصوصاً الحياة الأولى ومندا إدهيي، ويتكون من عشر طبقات سبق وأن شرحناها. وهو عالم السعادة الحقيقية، العالم المثالي الأول الذي تصعد إليه الأرواح المؤمنة للناس، وفي هذا العالم لا يوجد ظلام أو موت أو ظلم فهو العالم الذي تطمح إليه العوالم الأخرى لكنه فردوس الكائنات النورانية فقط^(١).

يتكون من أربعة عناصر كبرى هي (النور، الحياة، الماء، الأثير) وهناك درجات متفاوتة من كل عنصر فالنور مثلاً يتكون من أربع درجات هي (يورا، الضياء، النور، الضوء).. إلخ

وفي غرفة الكنز توجد الأرواح المكنوزة التي سعدت أو التي ما زالت تنتظر النزول. وتستقر في عالم النور الأجسام النورانية للبشر. ويتناظر هذا العالم مع عالم الظلام كما أوضحنا في السلسلة الثيوغونية. يتكون من ثلاث أراضٍ هي (النور، الأثير، تروان)^(٢).

٢- الفردوس الأدنى: وهو عالم الحق والعدل (مشوني كوشطا)^(٣) الذي هو العالم المثالي الثاني بالنسبة للأرض. أي أنه يناظر عالم الأرض ففيه (دموثا) من كل ما

(١) كنزا ربا اليسار، ٣، ١، ص ٥٤٣. ترجمة: استراليا.

(٢) نفسه: ٣، ٤٢، ص ٦٣٢-٦٣٣.

(٣) مشوني كوشطا: أرض العهد، وهي أول ما خلق من الأرضين، فهي الكثافة الأولى، ويعيش عليها الصالحون، فهي عالم سماوي، يمثل الحياة الحقيقية بعكس الحياة الأرضية الفانية، وهي موطن أنوش بعد أن تحول لأثري. وفيها جسم أثري مشابه لكل شخص على الأرض ينتظر لحاق الروح به، ومعتقد العالم الموازي للأرض يوضح مدى تأثير المعتقدات المندائية بالفكر الغنوصي والأفلاطوني.

في الأرض ويحكم هذا العالم الأثري (شيشلام ربًا) أي (السلام العظيم) وهو كائن نوراني عظيم يناظر (هيبيل زيوا) الذي تولى مسؤولية الأرض من عالم النور ويسكنه آدم كاسيا وحواء كاسيا وأحفادهما.

وترى ليدي دراور أن هيبيل زيوا هو مكوّن الأرض ومشوني كوشطا بتوجيه من الحي العظيم. المعنى الحرفي لمشوني كوشطا (الحق الذي رفعناه نحن). وتستقر في هذا العالم الأجسام الأثيرية للبشر وهي (دموثا) الأجسام الأرضية. ولا توجد (نشمتا) في عالم مشوني كوشطا بل الأجسام الأثيرية التي تركتها النفس واستقرت في الأجسام النورانية الصاعدة إلى عالم النور. وفي هذا العالم هناك (دموثا) أو أشباه لكل الوحوش والنباتات والحيوانات والبشر، وهؤلاء يتزوجون كما في العالم الأرضي لكن دون ظهور نجاسة منهم.

أما موقع هذا العالم فهناك ثلاثة آراء حوله، هي:

- أ. يقع في الشمال ويفصله عن هذا العالم جبل عال من الثلج^(١).
- ب. يرى الشيخ هرمز بر أنهر بأنه في المريخ وسكانه شبه روحيين وأصغر منّا حجمًا^(٢).
- ج. في الشمال وراء منطقة الجليد والثلج حيث النور الدائم وحيث يمكن لسكانه أن يتخاطبوا مع الملكي والأثري وأن يشاهدوهم^(٣).

أما الجحيم أو النار عند المندائيين فنرى أنها تنقسم على مكانين أيضاً:

١- الجحيم الأعلى: وهو الأرض (تيبيل) التي تناظر عالم مشوني كوشطا. وهيبيل زيوا أو بثاهيل احدهما أو كلاهما خلق الأرض. وتحكم هذا العالم الكواكب السبعة والأبراج

(١) كنزا ربا اليسار: ٢، ١٢، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٢) خزعل الماجدي، مثلوجيا المندائية.

(٣) رودلوف، كورت: النشوء والخلق في النصوص المندائية، اعداد وترجمة: الدكتور صبيح مدلول السهيري، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٤، ص ١٨٠.

الاثنا عشر والكواكب الخمسة والروها. ويحاول الإنسان في الأرض أن يقيم الحق ويشعّ بروحه نفحاتٍ من عالم النور لكن هذا العالم مليءٌ بالشرور.^(١)

٢- الجحيم الأدنى: وهو عالم الظلام الذي يتكون من ثمان طبقات وتحكمه (روها) وهو يتكون من ثلاث طبقات من الجحيم هي عبادين العليا والوسطى والسفلى، وتسمى أيضاً شيول وجهينا وفي هذا الجحيم تتعذب الأرواح الخاطئة التي غرقت في بحر سوف وانحدرت إلى هنا. ويبدو أن الأرواح لا تبقى هنا إلى الأبد في عذاب أزلي بل سترتفع، ذات يوم، إلى عالم النور بعد أن تتطهر من خطاياها وتكفّ عن الانحدار إلى قبول خطايا جديدة ولنستمع إلى مندا إد هيبّي وهو يخاطب إحدى الأرواح الخاطئة المحبوسة في باطن شيول^(٢):

"أيتها النفس (نيشمتا)! عندما هتفت بكِ منادياً فلم تجر أنت جواباً

والآن وها أنت بنفسكِ تنادين فمن عساه يجيب عليكِ؟

لما كنتِ قد أحببتِ الذهب والفضة دون غيرهما

يتعين عليكِ أن تكوني حبيسةً في باطن شيول

لما كنتِ قد أحببتِ التصور والخدعة

يتعين عليكِ أن تسقطي في القدور حين تفور هذه وتغلي

ولكن إذا أنصدتِ نفسكِ عن الجرائر

وانتهت كل خطاياكِ وانقلبتِ إلى حسنة

فسوف تصعدين على سلم الإرتقاء عالياً

ذلك الذي ارتقى عليه الكاملون قبلكِ إلى العلياء

أما إذا لن تصدّي نفسكِ عن الجرائر

(١) الكتاب المقدس، انجيل يونا، ١، ١-٥.

(٢) كنزا ربا اليسار: ٣، ٤٢، ص ٦٣٢-٦٣٣.

ولن تنتهي كل خطاياك ولن تنقلب إلى حسنات

فسوف تموتين، أيتها النفس (نشماثا)، موتاً ثانياً^(١)

وعيناك لن تريا النور أبداً "

هناك إذن موتٌ ثانٍ هو موت النفس نهائياً، فالموت الأول هو موت الجسد وخروجها منه وسقوطها في الجحيم شيول. أما الموت الثاني فهو عدم صعود النفس إلى الأعالي وهي في الجحيم بسبب عدم قدرتها على التطهر. أي أن البقاء الأبدي للأرواح الخاطئة في شيول هو الموت الثاني^(٢).

هناك إمكانية لأن ترتقي الأرواح الخاطئة في شيول إلى عالم النور بعد تطهرها. لكنها إذا لم تتطهر فستبقى إلى الأبد هناك وربما تذوب أو تحترق في مكونات الجحيم^(٣).

أنواع المطهرات^(٤) (المطراشي): ديوان أواثر أو (أباثر):

- القسم الأول:

يدور هذا القسم على شكل محاورة بين الملاك (هيبل زيوا) والملاك (أواثر) وبشكل جميل يثير الدهشة، إذ ومن خلال هذه المحاورة نستطيع أن نستنتج بأن التعميد لا يغفر الخطايا لأحد، كما وأن التزلف والتقرب للكواكب والأبراج وبأي شكل كان ومن ضمن ذلك نحر الذبائح على غير الطريقة المندائية أو تناولها محرمة مندائياً.

تبدأ هذه المحادثة وبالشكل التالي:

١ - بعد ذلك ذهب هيبل زيوا وقال للملاك أواثر: أنهض وأحكم بالعدل الممنوح لك على حدود هذا العالم واجلس على كرسي ملكك، وأرفع كل عمل متقن من الحضيض

(١) كنزا ربا اليسار ، ٣ ، ٣٦ ، ص ٦٢٤ .

(٢) نفسه ، ٣ ، ٣٦ ، ص ٣٢٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مطراش: التطهير أو المطهر، حيث يتوجب على الأرواح أن تعبرها، لتتطهر فيها من الآثام قبل الوصول للجنة، أو عالم الأنوار.

- والقدارة وحينئذ من أصلح من جموع ستأتي وتتعمد بمائك الجاري وستوزن بميزانك وترسم برسمك وترتفع وتستقبل في عالمك.
- ٢- بعد ذلك تكلم أبائر وقال لهيبيل زيوا : لماذا أرسلتني من الأراضي العالية ومن سحب شاهان وشيوان وجئت بي لمحاسبة المخلوقات (البشر).
- ٣- هؤلاء الزناة والفسقة وفاعلوا الدعارة بأي ماء جارٍ يتطهرون وهؤلاء الذين يمسون النساء المؤمنات ويجبروهن على ترك أيمنهن أي ماء جارٍ يطهرهم؟.
- ٤- هؤلاء الذين يبدلون أيمنهم ويذهبون ليسجدوا للشيطان والمردة والجن وبرسمهم يترسمون أي ماء جارٍ يطهرهم؟.
- ٥- هؤلاء الذين قطعوا أيمنهم وآتوا الخطيئة رغم سجودهم للحي وسقطت منهم البذرة الطاهرة أي ماء جارٍ يطهرهم؟.
- ٦- هؤلاء الذين تناولوا طعاما غير نظيف (طاهر) وفي العلن يمتنعون عنه أي ماء جارٍ يطهرهم؟.
- ٧- هؤلاء الذين يذهبون للأسواق ويتجولون في الشوارع وحينما يعودون لمنزلهم لا يغتسلون ورحمة من الخالق لا يطلبون أي ماء جارٍ يطهرهم؟.
- ٨- هؤلاء الذين أكلوا مما ذبح بأسم الاثني عشر مرسوما بعلامات الجن والشياطين أي ماء جارٍ يطهرهم؟.
- ٩- هؤلاء الذين تعمدوا أن يزرعوا بذور الماء الحي في الماء الآسن بأي ماء جارٍ يتطهرون؟.
- ١٠- هؤلاء القائمون بأعمال مثل تلك التي طرد بسببها يوشامن(٢) أي ماء جارٍ يطهرهم؟.
- ١١- هؤلاء الذين يشربون الخمر ويسكرون ويطلبون ويزمرون للأرواح الشريرة، ويتشبهون بأعمالها أي ماء جارٍ يطهرهم؟.

- ١٢- هؤلاء الذين يخونون الشريك ،والذين وهبوا من الطيبات ولم يعطوا منها أولم يساعدوا فقيرا أو محتاجا اي ماء جار يطهرهم؟.
- ١٣- هؤلاء الذين يتكلمون بالمسحطا(يقيمون طقوسها)وبوثها الداخلية بشكل خاطئ ورغم ذلك يذهب التلاميذ كأن شيئا لم يكن ومن ثم لببت كنوزهم يذهبون ورسالة للملاك يكتبون دون ان يكثرثوا للنقص الذي وقعوا به أي ماء جار يطهرهم؟.
- ١٤- هؤلاء الذين خانوا عهد(٣) سيمات هبي ولم يلتزموا بالماء الجاري أي ماء جار يطهرهم؟.^(١)
- ١٥- بعد ذلك تكلم الملاك هيبيل زيوا و لاباثر اذ قال له :آه ثم آه يا أباثر الرحمة والشفاء يهديان اليك .
- ١٦- هؤلاء الزناة والفسقة في عين(٤) سمقاق يذهبون لأنهم خانوا العهد أو الحق والذي هو أقدم من كل العوالم.
- ١٧- هؤلاء الذين انقطعوا عن أيمانهم في عيون من جمر مشتعل يوضعون فيها وتصم آذانهم من شدة الضوضاء التي تُعمل من حولهم (٥) يتمنون الموت والفناء فلا يحصلوا عليه .
- ١٨- هؤلاء الذين بدلوا أيمانهم وسجدوا للصبعة (٦) من حصة السبعة سيكونون من حصتهم منذ اليوم الاول الذي بدلوا ايمانهم فيه وفي عالم(٧) قين سيقبعون.
- ١٩- هؤلاء الذين بدلوا ايمانهم ومن ثم عادوا لرشدهم وسجدوا للحي وكانت النطفة الطاهرة قد خرجت منهم في مطهر(٨) الاسد يقبعون مرسمين برسمهم ساجدين للحي وقابعين في هذا المطهر حتى زوال الأرض(موعد فناء هذه العوالم).

(١) الملاحظات:

[١]شاهان وشيوان: اثنان من اثريبي عوالم النور
[٢]بوشامن:أسم احد الملائكة ولقد أخطأهذا الملاك وتمت معاقبته (تعاليم النبي يهيا يهانا ص ١٠ الى ص ٢٠).

- ٢٠- هؤلاء الذين اعتمدوا في رزقهم على ارباب الناس على باب الدينونة والحساب يقفون تقطعهم مناشير وتقيدهم سلاسل ويرمى بهم في المياه الأسنة ليختنقوا بها قابعين هناك أبد الدهر.
- ٢١- هؤلاء الذين لأنفسهم يحللون الاشياء سرا وفي العلن يحرمونها رغم انهم في داخلهم يحللونها ستكون نهايتهم ونهاية سرهم وفي مطهر ليبات(الزهرة احدى المطهرات السبع) يقبعون منتظرين الخلاص.
- ٢٢- هؤلاء الذين يذهبون للاسواق والشوارع وحينما يعودون لمنازلهم لا يغتسلون يوضعون في مراجل حارة جدا.
- ٢٣- هؤلاء الذين يأكلون مما يذبح لابواب الأثني عشر (الابراج) المرسمة برسم عالم الظلام تاركين ومبدلين درب الحياة الاولى ورسمها سينزل بهم إلى اعماق الظلام ماداموا قد بدلوا اعمالهم ولم يطهروا ما يتناولون.
- ٢٤- هؤلاء الذين القوا بزرعهم في المياه الآسنة مخدوعين ومغررين بمخلوقات هذا العالم حينما يسبحون بكلامهم لليردنا العظيمة لا تقبل تسبيحاتهم ورسم الملاك هيبيل زيوا لا يترسم عليهم وسيحكم على سلالاتهم من بعدهم وبذورهم بأنهم فاسدين.
- ٢٥- هؤلاء الذين يقربون نساء غيرهم وينجبون منهن كل اسرارهم ستفسد ووجوههم سيكون مصيرها الدمار ولن يمنحوا العهد.
- ٢٦- هؤلاء الذين يعملون اعمال اسحاق بن يوشامن سيسحقون في سجنهم سحقا.^(١)

(١) الملاحظات :

- [٣]سيمات هيبي : أحدى ملائكة عوالم النور ولها عالم نوراني خاص بها
- [٤]سمفاق : يوصف كونه مكان لعقوبة الانفس المخطئة ومكانه عالم الظلام.
- [٥]مصطلح الموت الثاني : يتردد كثيرا في الادبيات المندائية حيث من شدة عذاب الانفس المخطئة تتمنى الزوال .
- [٦]السبعة: يقصد بها الكواكب السبعة حيث انها حسب العقيدة المندائية مسكونة بمخلوقات من عالم الظلام وضعوا فيها لمعاقبة الانفس المخطئة مسلط عليهم اثرييون من عوالم النور
- [٧]قين : ام عوالم الظلام ولها مطهر خاص بها تعاقب به الانفس المخطئة.

- ٢٧- هؤلاء الذين يسرقون شريكهم ،والذين وهبوا الخيرات الوافرة ولم يتصدقوا منها لفقير أو محتاج ،سيحكم عليهم بالضوءاء الشديدة ومن نعم عوالم النور سيحرمون وحفنة كف من الماء سيسقون كل يوم فقط ماداموا لم يساعدوا فقيرا او محتاجا.
- ٢٨- هؤلاء الذين يُعمدون من غير لثام والعهد لا يأخذوه، عمادهم لبيت الحياة لن يرفع وكنوزهم وتوجههم منهم سترفع.
- ٢٩- هؤلاء الذين يقرأون المساخت الداخلية(السرية)ويحذفون منها وكفروا ماجاء فيها فأن تسابيحهم ووقارهم سيحذف منهم ولن يحسبوا ضمن عوالم النور.
- ٣٠- أما هؤلاء الذين ترفعوا عن شهواتهم من التلاميذ وقدسوا وأحترموا بيت كنوزهم،والمساخت امروا بها ،وأعمالهم لم تنلها الشهوات ورسالتهم للملاك كتبوها بصدق سترفع كنوزهم لـ (مانا)(١٠) ولن يعذبوا بالبرد ماداموا قد عملوا اعمالا لم تمسسها الشهوات ورسالة الحق قد كتبوها.
- ٣١- هؤلاء الذين قدسوا سيمات هيبي ووقروا الماء الجاري سترفع سيمات هيبي آباءهم من الهلاك.
- ٣٢- حينها تكلم أبائر ولهيبل زيوا اذ قال له :
- ٣٣- وماذا عن هؤلاء الذين يقتلون قتلا اي ماء جار يطهرهم.
- ٣٤- بعد ذلك تكلم هيبل زيوا ولابائر اذ أخبره: هؤلاء الذين يقتلون قتلا ستقطعهم السيوف .
- ٣٥- هؤلاء الذين يعملون السحر سنهلكهم وفي جوف(اور)(١١) (معدته)سنضعهم وفي اسفله مكان فيها ولشدة عذابهم ستسلب جميع افكارهم منهم.

[٨]مطهر الاسد:الابراج الاثني عشر هي الاخرى مكان للتطهير والعقوبة وهو احداها.

[٩]اسحاق بن يوشامن:احد الملائكة الذين اخطئوا ومن ثم عوقب وثاب لرشده.

٣٦- هؤلاء النسوة اللواتي يمنعن ازواجهن من التقرب اليهن بشكل متعمد باي ماء جار سيتطهرن؟.

٣٧- التي تهجر زوجها وتتخذ ثاني باي ماء جار ستتطهر؟.

٣٨- حينئذ تكلم هيبيل زيوا ولا باثر ان قال له : حينما يتخذ رجل امرأة ثانية على زوجته الاولى فان زوجته الجديدة ستعزل عنه في الآخرة.

٣٩- وحينما يتخذ ثلاثة ستعزل عنه ايضا في الآخرة.

٤٠- وحينما يتخذ رابعة ستعزل عنه ايضا في الآخرة.

٤١- وحينما يتخذ خامسة ستعزل عنه ايضا في الآخرة.

٤٢- وحينما يتخذ لنفسه سادسة ستعزل عنه في الآخرة.

٤٣- وحينما يتخذ لنفسه سابعة ستعزل عنه في الآخر.^(١)

٤٤- وحينما تخرج أي واحدة منهن من جسدها ستكون من حصة عالم كاف(١٢) ، اما اذا كانت ورعة فلن تذهب لعالم النقص هذا وستبقى في خدمة الناصورائيين واما اذا كانت تدعي الورع ستذهب لعالم قين حيث لن ينفعها لا عمادها ولا شهادة الاثريين الثلاثة(١٣) امام الاثريين شلمي وندبي(١٤) اللذين لن يساعداها في عبورها لعوالم النور.

٤٥- تكلم أباثر ولهيبيل زيوا ان قال له : هؤلاء النسوة اللواتي يكشفن خمارهن(مفاتنهن)بأي ماء جار سيطهر؟.

٤٦- هؤلاء النسوة اللواتي يعملن السحر ومنشغلات بملذات ألجسد باي ماء جار ستتطهر نفوسهن؟.

٤٧- هؤلاء النسوة اللواتي يزنين باي ماء جار سيتطهرن؟.

(١) الملاحظات :

[١٠] مانا: احدى صفات الملاك الاول في الخلق.

[١١] أور: أحد ملوك عالم الظلام.

٤٨- هؤلاء النسوة اللواتي يخضبن سيقانهن بالدماء بأي ماء جار سيتطهرن؟.

٤٩- والذي يترك زوجته المندائية ويتخذ لنفسه واحدة اخرى من غير الدين المندائي بأي ماء جار سيتطهر؟.

٥٠- حينئذ تكلم هيبيل زيواولا باثر اذ قال له : هؤلاء لوحدهم يعزلون كما ويعزل عنهم كل علمهم الذي تعلموه ولا يشملون برحمة الحياة ، وترفع تيجانهم منهم ان كانوا رجال دين ويلبسون مكانها اخرى نجسة ، وتدون اسمائهم وتكتب في الكتب واسم الحي لا يذكر عليهم حينما يخرجون من اجسادهم ، وسيوضعون لوحدهم في عالم الموت المرعب .

هنا تنتهي ترجمة القسم الاول والذي من الممكن ملاحظة انه مقسم على ثلاثة

محاو:

- المحور الاول: هو مجموعة التساؤلات التي يوجهها الملاك أنش أثرا إلى الملاك هيبيل زيوا وهي أساس التشريع الديني او المرحلة الاساسية الاولى، ومن ثم يأتيها.

- المحور الثاني: والذي هو مجموعة الاجوبة التي يجيب من خلالها الملاك هيبيل زيوا عن أسئلة الملاك أنش أثرا.

- المحور الثالث: والذي هو مجموعة من الخطايا والتي تم عزلها وعزل اصحابها وعدهم غير مندائيين وبالتالي التحذير من التهاون معهم كون الاحكام صادرة بحق مثل هؤلاء بأعتبارهم خارجين عن الشريعة المندائية.

وهنا سنقوم بتوضيح المحور الاول، الذي هو محور الاسئلة.

في البدء يصدر امر من الملاك هيبيل زيوا للملاك أواثر والذي يمنح حينها الحكم لمحاسبة الانفس التي تخرج من اجسادها، وهنا يستغرب الملاك أنش أثرا من سبب ارساله لمثل هكذا عالم وجلبه من عوالم النور حيث تقيم الملائكة من أقرانه.

ويكون أستغرابه هذا على شكل اسئلة حول هذه الانفس المخطئة، وهل ان الماء الجاري يطهرها من الاثم الذي ارتكبته، وبالتالي فإن هذه الاسئلة اجابت وبشكل غير مباشر عن سؤال مهم الا وهو هل التعميد يغفر الذنوب ؟ وتأتي الاجابة وبشكل واضح كما رأينا اعلاه .

اما المحور الثاني فهو اجوبة الاسئلة الواردة في المحور الاول ، ليس ذلك فقط وانما توسع وتفصيل في الاجابة ، وحتى اضافة عقوبات أخرى لأسئلة لم يطرحها الملاك أنش أثرا. ^(١)

اما المحور الثالث فيتطرق لحالات عقوبة مرتكبيها وطردهم من الديانة المندائية ، وهنا نجد الفقرة (٤٩)، ونرى اللهجة القوية في التعامل مع من ترك زوجته المندائية ولجأ لغيرها .

(١) الملاحظات :

- [١٢] كاف: واحد من ملوك عالم الظلام وله عالم خاص به.
[١٣] الاثريين الثلاثة: وهم هيبيل وشيتل وأنش الاثريين الثلاثة ابناء السلام.
[١٤] شلمي وندبي: اثريين مسؤوليين بحراسة اليردنا(الماء الجاري).

القسم الثاني (المطهرات)

نتطرق في هذا القسم أو الجزء إلى موضوع المطهرات (١٥) في الديانة المندائية، والتي تنقسم بدورها على نوعين من المطهرات، والتي صنفت إلى مطهرات ابثاهيل وأولاده، ومطهرات الكواكب السبعة، كما ومن الممكن اعتبار مطهر الهبشبا (١٦) هو الآخر مستقلاً لحاله وسنأتي إليه بالتفصيل.

المحور الأول

١- مطرثة البهثاي.

٢- مطهر (مطراثي) أبثاهيل.

تقع في هذا المطهر الانفس التي لاتجيب سؤال المحتاج وأيضا تقع فيه الانفس التي لم تتعمد.

٣- مطهر بهرام بن ابثاهيل:

يقع في هذا المطهر التلاميذ الذين يترحمون بالباطل (١٧) ويعملون الاعمال السيئة، وهؤلاء التلاميذ الذين يزنون والسراق، ستملاً تيجانهم بالماء الآسن إلى ان يغفر الله لهم سيقون في هذا المطهر حتى تنتهي مدة عقوبتهم.

٤- مطراثي أنش بن أبثاهيل:

يقع فيه المندائيون الذين لا يذكرون اسم الهيي وأسم مندادهيي في أعمالهم، سيربطون ربطا وبالسيف الملتهب وبالجليد يعاقبون حتى يتم تطهيرهم من ما ارتكبه من معصية.

٥ - مطراثي هيبل بن أبناهيل:

يقبع في هذا المطهر الذين عرفوا الدين وآمنوا به ثم أرتدوا عنه ، وفيه ايضا يقبع شهود الزور حتى يتطهروا.

وأیضا يقبع فيه الرجال الذين يخونون العهد والسارقون وخائنو الشريك هذا مكانهم ايضا بالسيف الملتهب والجليد القاسي يعاقبون حتى يتطهروا.

٦ - مطهر كمنزائيل بن أبناهيل^(١):

يقبع فيه حراس الكنوز ، هؤلاء هم أسياد الكنوز الذين أعطوا الكنوز(المعرفة الدينية)، ولم يمنحوها وبقوا محتكرين لها ، وحينما يأتيهم السائلون والراغبون بالتعلم لا يعلمونهم من تلك الكنوز وأسرارها، ولا يشرحونها لهم ، سيبقون في هذا المطهر قابعين فيه ، جالسين في ينبوع مياه حارة تسخنه النار المتدفقة من قنوات حوله .

٧ - مطهر راكئيل بن أبناهيل:

تقبع فيه تلك الانفس التي في يوم المصبتا وحينما يُشرع الدرفش على ضفة النهر لا يتعمدون، وفيه أيضا أولئك الذين يخرجون عن الشريعة فالطعام الطقسي لا يعدون ولا يأكلون وببركة المائدة لا يتباركون يقبعون هنا، وكذلك فيه اولئك النسوة اللواتي حينما يأتيهن الحيض لا يمسن أنفسهن .

٨ - مطهر شرهيبيل بن أبناهيل:

يقبع في هذا المطهر الرجال الذين يقربون نسائهم أيام الاحاد المقدسة، وكذلك الاشخاص الذين يأخذون الربا، حيث يقطر في أفواههم جمر موقد تقطيرا.

(١) الملاحظات :

[١٥] المطهرات: اماكن لمعاقبة الانفس وتطهيرها من الذنوب التي أقرفتها.

[١٦] الهيشبا: هو الملاك المسؤول عن الاعمال في الاحاد وكذلك عن الصدقات .

[١٧] أي يتلون الصلوات.

٩ - مطهر نباط بن أبثاهيل:

يقبع في هذا المطهر التلاميذ الذين يغشون في الميزان أثناء عملهم بالتجارة، وفيه ايضا اولئك الذين يتضرعون عند أبواب الاثني عشر ولتيجان عوالم الظلام، وفيه يقبع كل من اكل مما دُبح للأبراج الاثني عشر وما لم يغسل بالماء الجاري، وفيه ايضا تقبع الانفس التي تكنز الذهب والفضة، سوف تغلق آذانهم بالجمر الموقد وتختتم اجسادهم بثلاث قنوات مستعرة من نار تسيل عليهم سيلا، حتى يصبح نحفهم كشعرة الرأس بسمكها.

١٠ - مطهر ابهاق بن أبثاهيل:

يقبع في هذا المطهر السكارى وقاطعوا الرحم والمطبلون والمزمررون والذين عن يوم الاحد لا يسألون، وكذلك تلك الانفس التي تخدع ازواجها، وكذلك المكذبون للدين المندائي والمستهزئون به، والذين لا ينزلون لليردنا وعلى اطرافها يسرون. إلى ان ينحفوا كالشعرة في سمكها.

والذين يعلمون الدين ولا يُعلمون التلاميذ ولا يتلمذونهم ولا يعلمونهم الحكمة وهؤلاء الرجال الذين يكتبون كتابين عن نفس الحقيقة، وفيه يقبع ايضا التلاميذ الذين لا يترحمون باللوف، وفيه ايضا العلماء والمربون الذين يستهزئون بالمرشحين ولا يقيمون كتبهم أو يقومونهم.

كما وتقبع فيه تلك الانفس التي تأتي إلى ابوابها الانفس التي تسأل المساعدة، فيخيب ظنها بهم، وأولئك الذين لا يحترمون الكنزبري وكذلك الكنزبري الذين لا يحترمون تيجانهم ولم يقرأوا المسختا .

تعافب الانفس بالضرب المبرح إلى درجة ان افواههم تغلق من شدة الوهن، وحينما تنجز النفس مدة عقوبتها تخرج من هذا المطهر.

١١- مطهر شيتل بن أبناهيل:

يقبع في هذا المطهر التلاميذ الذين يقربون نساء ليسوا بزوجاتهم، وكذلك كل من اعطي من خيرات الخالق ونعمه ولم يتصدق بالقليل منها على فقير او محتاج ، وكذلك كل من عمل وتبارك به او قدمه بأسم الابراج الاثني عشر ، جداول من اللحم الموقدة تنتظرهم ليوضعوا فيها .

ونجسون وملعونون أولئك الذين لا يحترمون قدسية الاحاد ويمارسون الاعمال فيها، مادنا قد شرحنا ووضحنا وانرنا بصيرتهم بقدسيته فهم في هذا المطهر قابعون .

- المحور الثاني : (مطهر الكواكب السبعة) :

١- مطهر كيوان :

يقبع في هذا المطهر الزناة والسارقون والذين من شدة الخوف والفرع الشديدين وبسبب المخلوقات البشعة والمرعبة الواقفة امام بوابة هذا المطهر تصبح الانفس كالشعرة نحيفة وتضرب بالسيوف التي من جراء ضرباتها توهن وتضعف حتى لا يكاد يسمع انينها، ويقبع في هذا المطهر ايضا الأنبياء الكذابون.

٢- مطهر نيرغ:

يقبع في هذا المطهر او(السجن) القاتل، والذين يقربون نساءهم في اليوم الاول لهن من الاغتسال بعد الطمث، والذين يقربون نساءهم اثناء الطمث، بسيوف من حديد وجداول من الجمر المشتعل تارة وبالجليد تارة اخرى يملأ جوفهم به وذلك من خلال تقطيره تقطيرا في جوفهم.

ويقبع فيه ايضا السراق والزناة والذين يعرفون سر الماء الجاري ولا يقربون انفسهم فأعمالهم باطلة ويعاقبون عليها إلى ان تنتهي فترة عقوبتهم.

٣- مطهر انبو:

يقبع في هذ المطهر القتلة الذين اراقوا الدماء يعذبون بالنيران الملتهبة حتى تخرج ارواحهم من جديد وتنفصل عن انفسهم، ماداموا قد قتلوا قتلا وأراقوا الدماء.
هذه المطهر كل أبوابها موصدة أمامهم لا مخرج لهم منها.

٤- مطهر بيل:

يقبع في هذا المطهر المرتدون عن الدين المندائي، وفيه ايضا هؤلاء النسوة غير المحتشمتات واللواتي لبيوتهن لسن بحافظات، وكذلك الكذابون في عبادتهم، جميعهم في عالم البؤس هذا يقبعون.

٥- مطهر ليبات:

يقبع في هذا المطهر الزناة والسراق، ويقوم بحراسة هذا المطهر مخلوقات من عالم الظلام بامر الخالق وجدوا واجبهم حفر ممرات وتغذيتها بالنار من اهار النار المستعرة.

٦- مطهر سين:

يقبع في هذا المطهر سارق الشريك وأيضا الذين يغيرون حدود الحياة المعروفة فهؤلاء قاموا بتغيير الرحمة في نفوسهم وأبدلوها بالشرك والكفر بالحي، في هذا المطهر يقبعون ويعذبون آمد الدهر.

٧- مطهر شامش:

يقبع في هذا المطهر المتشبهون بملذات الدنيا وملبسها، وفيه ايضا اللائي يلبسن الذهب المصقول متباهيات به، وكل الانفس التي تتقرب للأبراج الاثني عشر جميع هؤلاء يقبعون في هذا المطهر، وكل من كذب وخدع بأسم اليردنا والاحد الطاهر في هذا المطهر يقبع، وايضا تلكم الانفس الرضيعة التي لم تأخذ عمادها معها ووافتها المنية، حيث من الممكن اجراء طقوس

المسخثا لها من قبل آباؤها من اجل اخراجها من هذه المطهر وان لم يفعلوا هم سيكونون مكانها في هذا المطهر وبأنهار النار والجليد يعاقبون.

- المحور الثالث: مطهر (الهبش — با) :

يتميز هذا المطهر بكونه محطة انتظار الانفس التي اكملت عقوبتها بانتظار المرحلة الاخيرة في رحلتها الشاقة باتجاه عوالم النور، وتتحدد مدة الانتظار هنا بمقدار الصدقات التي منحتها اثناء تواجدها على الأرض الفانية.

حينما تخرج انفس المؤمنين الصادقين من اجسادها الأرضية سيتراءى ملاك الأحد لوجوههم ويخرج ليخلصهم من المطهرات وهم الذين اصطحبوا معهم الاعلام والصدقات التي وزعوها في بيوتهم على المساكين والفقراء والمظلومين في الأرض وستوقر اسماؤهم عندما يخرجون من اجسادهم وسيحرسهم ٣٦٠ ترميزياً وسيظهر امامهم هيبيل وشيتل وأنوش وسيكون علم زهرون عن يمينهم وعلم بهرام عن شمالهم يحرسهم والمطهرات ستسكن لأولئك التلاميذ الذين وهبوا من نعمهم وطعامهم.

لقد اولت الديانة المندائية لموضوع الصدقة اهمية كبرى فهي منقذة النفس من العقوبات وهي بالتالي كمن يشتري نفسه من العذاب، لذلك فلا تحديد لها في الديانة المندائية، فكل يتصدق حسب ظروفه وقدرته وبشكل مباشر دونما وسيط او طرف ثالث بينه وبين المحتاج. وفي ذلك حكم عظيمة لكم ان تستنتجوها، فمن ناحية تمنع احراج المحتاج ومن ناحية اخرى يبذل المتصدق من ماله بشكل سري فالتشهير يفسد الحسنة التي يتصدق بها ويحرمه اجرها (١).

(١) ترجمة المهندس/حامد شنيشل.

- القسم الثاني :

المبحث الاول

الصابئة والاسلام

يُفسر مصطلح الأديان السماوية الإسلامي بأنها: الإسلام والمسيحية واليهودية فقط، لكن؛ في الواقع، كل الأديان تعدّ نفسها سماوية، وتختلف في تصنيف غيرها بين وضعي وسماوي. ففي حين أن اليهودية لا تعترف بدين آخر سواها، والمسيحية لا تعترف بدين آخر سوى اليهودية، فإننا نجد أن الإسلام من أكثرها انفتاحاً وتقبلاً للأديان الأخرى، فقد اعترف بكل الأنبياء وكتبهم وصحائفهم، وترك الباب مفتوحاً، فلم يقتصر القرآن على مَنْ ذكرهم من الأنبياء والرسالات، بل قال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ - غافر/ ٤٠}. وقد وجد المندائيون حيّزاً تحت اسم اختاروه، وكان قد ورد في القرآن الكريم لجماعة قديمة هم الصابئة، فقبلهم المسلمون بهذا الاسم ضمن أصحاب الكتاب.

مع أن الاحتكاك بين المندائية والإسلام والتأثيرات بينهما لم تحصل إلا بعد الفتح العربي للعراق، فإن التماثل بين بعض التشريعات والطقوس المندائية والإسلامية بلغ حداً كبيراً، وأحياناً صَادماً في تطابقه، وكذلك التشابه، بل التماثل في التوحيد، وكثير من الأوامر والنواهي الواردة في الكنزا ربّما مع ما جاء في القرآن الكريم، والتي هي أكثر من أن تُحصى، وقد تمت الإشارة لمعظمها في فقرات أخرى من هذا الكتاب، ونوجز منها:

شددت المندائية على قضية الشرك بالله مثل الإسلام؛ حيث تناولتها آيات قرآنية كثيرة، فتوحيد وتنزيه الله في المندائية أمر مبدئي وأساسي، كما في الإسلام. وتتماثل قدرة

الخلق عند الله في المندائية بقدرته التي لا تحدّ في الإسلام، لكن أوامر الخالق في المندائية تنفّذ من قبل الأثريين الذين يتولون القيام بالأعمال، بأمر منه، ، وبعونه، بينما هي في الإسلام: {كن فيكون} ^(١). ومشابه لما ورد في التراث الإسلامي، فإنه بعد خلق آدم، سجد له الملائكة كلهم إلا الشيطان الذي يسمّيه الكنزا ربّا "الشرير" ^(٢)، بينما هو في القرآن "إبليس" ^(٣). ثم وفقاً للكنزا ربّا، فإن الخالق: {عَلَّمَ آدم ليسْتَنير قلبه} ^(٤)، بتطابق م.ع ما ورد في القرآن: {وَعَلَّمَ آدمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} ^(٥). وكما أن الموت موكل بملاك محدد في الإسلام كذلك هو في المندائية منوط بأثري محدد. وتتشابه أعداد الملائكة التي لا يدركها إلا الله في الإسلام ^(٦) مع أعداد الأثريين التي هي ربوات، لا حدّ لها، ولا عدّ.

وفي مجال الطقوس التعبدية، فالصلاة المندائية كانت خمس صلوات باليوم، وأوقاتها متوافقة مع الصلوات الإسلامية تماماً، قبل أن تُلغى منها اثنتان، وطريقتها مقاربة للصلاة الإسلامية، إنما بدون سجود، وتختلف - بالطبع - التلاوة فيها. ويسبق كل صلاة مندائية وضوء "رشاما"، يكاد يكون تطبيقاً للوضوء الإسلامي. وكذلك الاغتسال من الجنابة "طماشاً" هو بذاته الغسل الإسلامي. كما أن تحريم معاشرّة النساء في الحيض مماثلة تماماً لما في الإسلام، وبشكل عام، فالمحرمات التي نهت المندائية عنها هي - تقريباً - المحرمات ذاتها في الإسلام، فكما نهت المندائية عن اكتناز الذهب والفضة، فقد نهى عنه - أيضاً - الإسلام.

وفي بعض التراتيل المندائية، نجد الروح الصوفية الإسلامية بأوضح صورها، مثل:

- (١) وردت في القرآن الكريم ثماني مرات، منها مرتان في سورة آل عمران.
- (٢) {قال الحيّ: ليسجد ملائكة النار لآدم . فسجدوا إلا الشّير، فقد أبى كنزا ربّاً يمين، الكتاب الأول، التسبيح الثاني}.
- (٣) تحدث القرآن الكريم تسع مرات عن رفض إبليس السجود لآدم، منها مرتان في سورة الحجر، ومرتان في سورة ص.
- (٤) {عَلَّمَ آدم؛ ليسْتَنير قلبه. وقوماه؛ ليسْتَنير عقله وجنانه- كنزا ربّاً يمين، الكتاب الأول، التسبيح الثاني}.
- (٥) سورة البقرة، الآية/ ٣١.
- (٦) سورة المدثر، الآية/ ٣١.

خارج أنا للقاء شبيهي

وخارج شبيهي للقائي

حنا عليّ، وحنوت عليه

كأنني عائد من السبي إليه^(١)

فهذا المقطع الصغير فيه أساس واضح لفكرة الحلول، أو توحد المخلوق بالخالق التي تطورت خلال العصر الإسلامي مع فلاسفة التصوف؛ مثل الحلاج والسهروردي وابن عربي.

ويبدو واضحاً الاستعارات العديدة للمفردات القرآنية في هذه الترجمة للكنزا رباً بما لا يقع تحت حصر. كما تتوارد التعابير القرآنية بكثرة في مختلف نصوصها، وغالباً، فإن ذلك كان بتأثير ثقافة المحيط العربي الإسلامي للمترجمين. أما الإيقاع الشعري البين في نصوص الكنزا رباً، والذي يقترب من رتم آيات القرآن الكريم، وأحياناً؛ باستخدام الكلمات ذاتها؛ فهو قد تم - غالباً - من خلال الثقافة الواسعة والروح الشعرية الراقية لشاعر العراق الكبير عبد الرزاق عبد الواحد، بحكم كونه مُعد صياغة الترجمة من المندائية إلى العربية.

أولاً: الصابئة في القرآن الكريم:

القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الذي نزل على صدر خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله (ص)، وهو معجزته الخالدة، الذي يعصم من تمسك به من الضلال، لذا أوصى النبي الكريم (ص) الأمة الإسلامية كلها جمعاء بالتمسك به وعدم مخالفته والسير على نهجه والإيمان بجميعة دون بعض، ولذا لم يترك الله عزوجل شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة يحتاجها المجتمع الإسلامي والأنساني إلا أحصاها، وأشار إلى

(١) كنزا رباً يسار، الكتاب الثالث، التسبيح ٢٣.

أهمية الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، من آدم(ع) إلى النبي الخاتم محمد بن عبد الله (ص)، والإعتراف بالشرائع السماوية والكتب المنزلة على سائر الأنبياء والمرسلين .

ولذا نلاحظ أن القرآن الكريم أشار إلى أهمية الكتب السماوية السابقة للإسلام واحترامها وإقرار ما مضى من العمل بها لمعتنقيها، لأن الأساس في ذلك كله هو الإيمان بالله الواحد الأحد الحي الذي لا يموت، باعث النفوس وخالق الأرواح وفالق الحب والنوى.

ولذا أكد نبي الإسلام الأكرم محمد بن عبد الله(ص) على التمسك بالأنبياء والصالحين، ومنهم نبي الله يحيى بن زكريا(ع) الذي آمنت بنبوته الصابئة واتخذته نبياً وإماماً ومرسلاً لهم من الحي الذي لا يموت باعث النفوس القوي العليم.

قال النبي الأكرم محمد بن عبد الله(ص) في حق النبي يحيى (عليه السلام):
(كل ابن آدم يلقي الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا، عليهما السلام، فإنه كان (سيدا وحسورا ونبيا من الصالحين).^(١)

وقبل الخوض بما جاءت به آيات القرآن الكريم، نتوقف عند أيمان الشخص المسلم الذي اتبع ديانة الإسلام، او ما يسمى بركان الايمان، يتم تعريفه بأنه الإيمان بالله، والإيمان بملائكته، والإيمان بكتبه. والإيمان برسله وانبيائه ، والإيمان باليوم الآخر. ليكون الإنسان مسلماً عليه أن يؤمن بأركان الإيمان المشار اليها وهي صريحة بسورة البقرة { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }^(٢)، وفي سورة النساء { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي

(١) عمدة القاريء، العيني: ١٠ / ١٤٢

(٢) البقرة / ٢٨٥

نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا^(١).

ولوتأملنا في النصوص القرآنية لقرأنا الآيات المباركات الواردة في حق من آمن بالله
وأسلم وجهه له ، قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ }^(٢)، وهناك آيات أخرى تلمح إلى هذا المعنى وتؤكد أهمية الديانات الأخرى
التي تسير بخط موازي للديانة المسلمة .

وعليه فإن البحث عند الديانة الصابئية الواردة الذكر في القرآن الكريم التي جاءت
إلى جانب الديانات الأخرى في سياق النص القرآني ، تدعونا إلى ضرورة إستقصاء أثر
الآيات المباركات التي إهتمت بموضوع الصابئة واحدة تلو الأخرى وحسب ماورد في
القرآن الكريم آخذين بنظر الإعتبار آراء كبار المفسرين المسلمين .

– الآية الأولى :

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ }^(٣).

(١) النساء / ١٣٦

(٢) البقرة / ٦٢

(٣) البقرة / ٦٢

– ذهب علماء المسلمين والمهتمين بالتفسير إلى بيان معنى الآية المباركة :

– قال مقاتل بن سليمان في بيان الآية المباركة :

(والذين هادوا والنصارى والصابئين)، (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا)،
يقول: من صدق منهم بالله عز وجل، بأنه واحد لا شريك له، وصدق بالبعث الذي فيه
جزاء الأعمال، بأنه كائن، (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم) من نزول العذاب،
(ولا هم يحزنون) عند الموت، يقول: إن الذين آمنوا، يعني صدقوا بتوحيد الله تعالى،
ومن آمن من الذين هادوا ومن النصارى ومن الصابئين، من آمن منهم بالله واليوم
الآخر^(١).

ويبين الطبري الإيمان والأجر الوارد في الآية بقوله: "في تأويل قوله تعالى : (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) قال أبو جعفر: يعني بقوله: (من آمن بالله واليوم الآخر): من صدق وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة وعمل صالحا فأطاع الله، فلهم أجرهم عند ربهم، يعني بقوله: (فلهم أجرهم عند ربهم) فلهم ثواب علمهم الصال عند ربهم. فإن قال لنا قائل: فأين تمام قوله: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين)؟ قيل: تمامه جملة قوله: (من آمن بالله واليوم الآخر) لان معناه: من آمن منهم بالله واليوم الآخر فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه استغناء بما ذكر عما ترك ذكره. فإن قال: وما معنى هذا الكلام؟ قيل: إن معناه: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من يؤمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم"^(٢).

(١) تفسير مقاتل: ١ / ٥٤

(٢) جامع البيان/ ابن جرير الطبري: ١ / ١٤٥

– قال الشيخ الطبرسي :

"الصابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به ، من تقديس النجوم . وهم مقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الأنبياء. وقال السدي : هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور وقال الخليل : هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب . خيال منصف النهار، ويزعمون انهم على دين نوح. وقال ابن زيد: الصابئون هو أهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة: جزيرة الموصل ، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله"ص"، فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي"ص" وأصحابه : هؤلاء الصابئون : يشبهونهم بهم. وقال آخرون : هم طائفة من أهل الكتاب"^(١).

وقال الشيخ الطوسي في معرض بيان الآية المباركة :

"والصابئون: جمع صابئ: وهو من انتقل من دينه إلى دين آخر كالمرتد من أهل الاسلام . وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر يسمى صابئاً قال أبو زيد : صبا فلان في دينه يصبأ صبوا إذ كان صابئاً وصبأ تاب الصبي يصبو صبوا: إذا كان طلع . وقال الزجاج: صبأت النجوم: إذا ظهرت. وقال أبو زيد: صبوت إليهم تصبأ صبأ وصبوء: إذا طلعت عليهم، وكان معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره: كما قال: ان الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها. فالدين الذي فارقه هو تركهم التوحيد إلى عبادة لنجوم، أو تغطيتها. وقال نافع هو مأخوذ من قولهم: صبا يصبو، إذا مال إلى الشئ، وأحبه ولذلك لم يهمز قال الشاعر: صبوت اياديي وأنت كبير، قال أبو علي الفارسي: هذا ليس بجيد، لأنه قد يصبو الإنسان إلى دين فلا يكون منه مدين به مع صبوه إليه فإذا كان هذا هكذا، وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي اخذ عليهم إلى

(١) مجمع البيان : ١ / ٢٤١

سواه، وجب أن يكون مأخوذاً من صبأت الذي هو الانتقال. وقال قتادة والبلخي: الصابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به، من عبادة النجوم. وهم مقرون بالصانع وبالمعاد وبعص الأنبياء. وقال مجاهد والحسن وابن أبي نجيح: الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم. وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب. خيال منصف النهار، ويزعمون انهم على دين نوح. وقال ابن زيد: الصابئون هو أهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة: جزيرة الموصل، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله "ص"، فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي "ص" وأصحابه: هؤلاء الصابئون: يشبهونهم بهم. وقال آخرون: هم طائفة من أهل الكتاب. والفقهاء بأجمعهم يجيزون اخذ الجزية منهم"^(١).

والذي يبدو أن بعض المفسرين خلط بين طوائف الصابئة من جهة الاعتقاد بالله والأنبياء، فما عليه الصابئة المندائيون - أصحاب الروحانيات - وهم أتباع النبي يحيى (ع) الذين آمنوا به وبما معه، وغيرهم قد شذ عن الصابئة وأخذ بعبادة الهياكل والنجوم، كالحرانيين واصحاب الأشخاص، وهذه فرق شذت ثم بادت وانقرضت.

وعندما يمر بتفسير الإيمان الوارد في الآية المباركة يرى:

وقوله: "من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم". المعنى: تقول: من صدق بالله وأقر بالبعث بعد الملمات يوم القيامة وعمل صالحاً وأطاع الله فلهم اجرهم عند ربهم: يعني ثواب عملهم الصالح فان قيل: فأين تمام قوله: ان

(١) التبيان: ١ / ٢٨٢ - ٢٨٤

الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين - آمن بالله واليوم الآخر : لان معناه :
من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، وترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه.^(١)

وفي معرض بيان من هم المؤمنون في الآية المباركة يورد الشيخ الطبرسي الأقوال فيهم
فقال :

المعنى: (إن الذين آمنوا) اختلف في هؤلاء المؤمنين من هم، فقال قوم : هم الذين آمنوا بعميسى ، ثم لم يتهودوا ، ولم يتنصروا ، ولم يصبأوا ، وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقيل : هم طلاب الدين منهم : حبيب النجار ، وقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، والبراء الشني وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وبحير الراهب ، ووفد النجاشي ، آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه . فمنهم من أدركه وتابعه ، ومنهم من لم يدركه . وقيل : هم مؤمنو الأمم الماضية . وقيل : هم المؤمنون من هذه الأمة . وقال السدي : هو سلمان الفارسي ، وأصحابه النصارى ، الذين كان قد تنصر على أيديهم قبل مبعث رسول الله وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث ، وأنهم يؤمنون به إن أدركوه^(٢) .

وفي إدراج الصابئة في النص القرآن الذي يشير إلى إيمانهم باليوم الآخر وحصولهم على الأجر الموعودون به يذكر الطبرسي ذلك فيقول :

واختلفوا في قوله : (من آمن بالله واليوم الآخر) فقال قوم : هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين ، والضمير يرجع إليهم ، لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين ، فلا معنى أن يشترط فيهم استئناف الإيمان ، فكأنه قال : إن الذين آمنوا ، ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر ، فلهم أجرهم . وقال آخرون : من آمن

(١) التبيان: ١ / ٢٨٣

(٢) مجمع البيان / ١ / ٢٤٣

منهم الضمير راجع إلى الكل، ويكون رجوعه إلى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم على إيمانهم، والاستقامة، وترك التبديل، وإلى الذين هادوا، والنصارى، والصابئين، بمعنى استئناف الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما جاء به^(١).

ذهب الفخر الرازي في بيان معنى الآية إلى:

اعلم أن القراءة المشهورة: (هادوا) بضم الدال وعن الضحاك ومجاهد بفتح الدال وإسكان الواو والقراءة المعروفة الصابئين والصابئون بالهمزة فيهما حيث كانا وعن نافع وشيبة والزهري والصابين بياء ساكنة من غير همز، والصابون بياء مضمومة وحذف الهمزة، وعن العمري يجعل الهمزة فيهما، وعن أبي جعفر بياءين خالصتين فهما بدل الهمزة، فأما ترك الهمزة فيحتمل وجهين. أحدهما: أن يكون من صبا يصبو إذا مال إلى الشيء فأحبه، والآخر: قلب الهمزة فنقول: الصابيين والصابيون والاختيار الهمز لأنه قراءة الأكثر وإلى معنى التفسير أقرب لأن أهل العلم قالوا: هو الخارج من دين إلى دين، واعلم أن عادة الله إذا ذكر وعدا أو وعيدا عقبه بما يضاده ليكون الكلام تاما فهنا لما ذكر حكم الكفرة من أهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم والثواب الكريم دالا على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسئئ بإساءته كما قال: (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) (النجم: ٣١) فقال: (إن الذين آمنوا) واختلف المفسرون في المراد منه، وسبب هذا الاختلاف قوله تعالى في آخر الآية: (من آمن بالله بالله واليوم الآخر) إن ذلك يقتضي أن يكون المراد من الإيمان في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا) غير المراد منه في قوله تعالى: (من آمن بالله) ونظيره في الإشكال قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) (النساء: ١٣٦) فلأجل هذا الإشكال ذكروا وجوها، أحدها: وهو قول ابن عباس. المراد بالذين آمنوا قبل

(١) مجمع البيان: ١ / ٢٤٤

مبعث محمد بعيسى عليهما السلام مع البراءة عن أباطيل اليهود والنصارى مثل قس بن ساعدة ، وبحيرى الراهب وحبیب النجار وزید بن عمرو بن نفیل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري ووفد النجاشي فكأنه تعالى قال : إن الذين آمنوا قبل مبعث محمد والذين كانوا على الدين الباطل الذي لليهود والذين كانوا على الدين الباطل الذي للنصارى كل من آمن بعد مبعث محمد عليه السلام بالله واليوم الآخر وبمحمد فلهم أجرهم عند ربهم ، وثانيها: أنه تعالى ذكر في أول هذه السورة طريقة المنافقين ثم طريقة اليهود ، فالمراد من قوله تعالى: (إن الذين آمنوا) هم الذين يؤمنون باللسان دون القلب وهم المنافقون، فذكر المنافقين ثم اليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال : هؤلاء المبطلون كل من أتى منهم بالإيمان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله وهو قول سفيان الثوري، وثالثها : المراد من قوله: (إن الذين آمنوا) هم المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام في الحقيقة وهو عائد إلى الماضي، ثم قوله تعالى: (من آمن بالله) يقتضي المستقبل فالمراد الذين آمنوا في الماضي وثبتوا على ذلك واستمروا عليه في المستقبل وهو قول المتكلمين^(١).

ويرى ابن الجوزي أن المراد بالصابئين مورد الآية المباركة هم سبعة أقوال:

فأما "الصابئون" فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن . وكان نافع لا يهمز كل المواضع . قال الزجاج: معنى الصابئين: الخارجون من دين إلى دين ، يقال : صبأ فلان ، إذا خرج من دينه . وصبأت النجوم: إذا طلعت (وصبأ نابه : إذا خرج) . وفي الصابئين سبعة أقوال: أحدها: أنه صنف من النصارى ألين قولاً منهم ، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس. والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس ، ليس لهم دين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير .

(١) تفسير الرازي: ٣ / ١٠٥

والرابع : قوم كالمجوس ، قاله الحسن والحكم . والخامس : فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور ، قاله أبو العالية . والسادس : قوم يصلون القبلة ، ويعبدون الملائكة ، ويقرأون الزبور ، قاله قتادة . والسابع : قوم يقولون : لا إله إلا الله ، فقط ، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي ، قاله ابن زيد.^(١)

- ويقول السعدي :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا الحكم على أهل الكتاب خاصة لأن الصابئين من جملة فرق النصارى فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة واليهود والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وصدقوا رسلهم فإن لهم الأجر العظيم والأمن ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر فهو بضد هذه الحال فعليه الخوف والحزن والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف من حيث هم لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وأن هذا مضمون أحوالهم وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم لأنه تنزيل من يعلم الأشياء قبل وجودها ومن رحمته وسعت كل شيء^(٢) .

ويرى الطباطبائي الإيمان الوارد في الآية المباركة من زاوية أخرى إذ يرى أن

العبودية لله والتمسك بالأنبياء فوق المسميات والألقاب فيقول :

تكرار الإيمان ثانيا وهو الاتصاف بحقيقته كما يعطيه السياق يفيد أن المراد بالذين آمنوا في صدر الآية هم المتصفون بالإيمان ظاهرا المتسمون بهذا الاسم فيكون محصل المعنى أن الأسماء والتسمي بها مثل المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين لا يوجب عند الله

(١) زاد المسير : ١ / ١٧٨

(٢) تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان : ٥٤ .

تعالى أجرا ولا أمنا من العذاب كقولهم : لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، وإنما ملاك الامر وسبب الكرامة والسعادة حقيقة الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، ولذلك لم يقل من آمن منهم بإرجاع الضمير إلى الموصول اللزوم في الصلة لئلا يكون تقريراً للفائدة في التسمي على ما يعطيه النظم كما لا يخفى وهذا مما تكررت فيه آيات القرآن أن السعادة والكرامة تدور مدار العبودية ، فلا اسم من هذه الأسماء ينفع لتسميه شيئاً ، ولا وصف من أوصاف الكمال يبقى لصاحبه وينجيه إلا مع لزوم العبودية ، الأنبياء ومن دونهم فيه سواء ، فقد قال تعالى في أنبيائه بعد ما وصفهم بكل وصف جميل : (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)^(١) .

ومما يؤيد أن العمل الصالح فوق التفاخر بالألقاب والأديان مذهب إليه الشيرازي في تفسيره للآية المباركة فقال :

سياق الآية في سورة المائدة يشير إلى أن اليهود والنصارى فخروا بدينهم ، واعتبروا أنفسهم أفضل من الآخرين ، وادعوا بأن الجنة خاصة بهم دون غيرهم . ولعل مثل هذا التفاخر صدر عن بعض المسلمين أيضاً ، ولذلك نزلت هذه الآية الكريمة لتؤكد أن الإيمان الظاهري لاقيمة له في الميزان الإلهي ، سواء في ذلك المسلمون واليهود والنصارى وأتباع الأديان الأخرى . ولتقول الآية أيضاً : إن الأجر عند الله يقوم على أساس الإيمان الحقيقي بالله واليوم الآخر إضافة إلى العمل الصالح . وهذا الأساس هو الباعث الوحيد للسعادة الحقيقية والابتعاد عن كل خوف وحزن.^(٢)

– الآية الثانية : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }^(٣) .

(١) تفسير الميزان : ١ / ١٩٣ .

(٢) تفسير الأمتل : ١ / ٢٥٠ .

(٣) المائدة / ٦٩ .

للمفسرين آراء وأقوال في بيان معاني ومفردات ومداليل هذه الآية المباركة ، والذي يهمننا من هذا كله ما يتعلق بمورد البحث ، الديانة الصابئية الوارد ذكرها إلى جانب الديانات الأخرى في الآية .

قال الشيخ الطوسي في بيان النص الوارد فيه ذكر الصابئين.

" والذين هادوا " يعني الذين اعتقدوا اليهودية ونبوة موسى ، وتأييد شرعه " والصابئون " وهو جمع صابئ ، وهو الخارج عن دين عليه أمة عظيمة من الناس إلى ما عليه فرقة قليلة ، وهم عباد الكواكب . وعندنا لا يؤخذ منهم الجزية . وعند المخالفين يجرون مجرى أهل الكتاب وصبأ ناب البعير وسن الصبي إذا خرج . وضبأ - بالضاد المعجمة - معناه اختبأ في الأرض ، ومنه اشتق ضابي البرجمي . و " النصارى " وهم الذين يقرون بالمسيح(ع) وقوله : " من آمن بالله " قيل فيه قولان: أحدهما يعني الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهم المنافقون ذكره الزجاج. الثاني- من دام على الايمان والاخلاص ولم يرتد عن الاسلام . وقيل في معني رفع الصابئين ثلاثة أقوال : أحدها قال سيبويه : إنه على التقديم والتأخير والتقدير : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والصابئون كذلك . قال الشاعر : وإلا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق والمعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا في شقاق وأنتم كذلك والثاني - قال الكسائي هو عطف على الضمير في (هادوا) وكأنه قال هادوا هم والصابئون . قال الرماني هذا غلط من وجهين : أحدهما ان الصابئ لا يشارك اليهود في اليهودية . والاخر أنه عطف على الضمير المتصل من غير تأكيد بالمنفصل . والثالث قال الفراء : إن عطف على ما لا يتبين فيه الاعراب وهو(الذين) ويجوز النسق على مثل (الذين) وعلى المضمر نحو اني وزيد قائمان ، فعطف على موضع(ان) . وقوله " وعمل صالحا " فالعمل والفعل واحد . وقال الرماني : فعل الشئ إحداثه وايجاده بعد أن لم يكن وعمله إحداث ما يكون به متغيرا سواء كان

إحداثه نفسه أو أحداث حدث فيه وقوله تعالى " فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " مع ما يمر بهم من أجل يوم القيامة لامرين : أحدهما - أن ذلك لا يعتد به لأنه عارض ، ثم يصيرون إلى النعيم الدائم . ومنه قوله " لا يحزنهم الفزع الأكبر " وهو عذاب النار كما يقال للمريض لا بأس عليك . الثاني أن أهوال يوم القيامة إنما تنال الضالين دون المؤمنون . والأول أقوى لعموم قوله : " يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد^(١) .

قال النحاس في بيان معنى الهدى والصابئين في الآية المباركة :

في هذا قولان : أحدهما : أنه يعني بالذين آمنوا ها هنا " المنافقين " . والتقدير : إن الذين آمنوا بألسنتهم ، ودل على هذا قوله تعالى : (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) - ثم قال جل اسمه (من آمن بالله) ، فالمعنى على هذا القول : من حقق الإيمان بقلبه . والقول الآخر : إن معنى " من آمن بالله " من ثبت على إيمانه كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) ، وقوله جل وعز (كلما جاءهم رسول رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) قال : اليهود والنصارى يشتركون في التكذيب ، واليهود تنفرد بالقتل خاصة ، وكانت الرسل منها من يأتي بالشرائع ، والكتب ، والأحكام ، نحو محمد صلى الله عليه وسلم ، وموسى ، وعيسى ، وهؤلاء معصومون . ومنهم من يأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتمسك بالدين ، نحو يحيى ، وزكريا عليهما السلام^(٢) .

قال ابن زمين في بيان المراد من الآية بقوله : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني : من آمن منهم بمحمد ،

(١) التبيان : ٣ / ٥٩٢ .

(٢) معاني القرآن : ٢ / ٣٤٠ .

ودخل في دينه وشريعته . قال محمد : اختلف القول في رفع (الصابئون) والأجود أنه محمول على التأخير ، ومرفوع بالابتداء ، المعنى : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا - فلا خوف عليهم ، والصابئون والنصارى كذلك أيضا^(١).

وقال الشيخ الطبرسي مبينا الإيمان عند الصابئة بابعاد شبه إختلاط اليهودية بالديانة الصابئة :

((إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) الاعراب : اختلف في وجه ارتفاع قوله (الصابئون)، فقال الكسائي : هو نسق على ما في (هادوا). قال الزجاج: وهذا خطأ من جهتين إحداهما: إن الصابي على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية، وليس كذلك، فإن الصابي غير اليهودي، فإن جعل (هادوا) بمعنى تابوا من قوله: (إنا هدنا إليك) لا من اليهودية، ويكون المعنى تابوا هم والصابئون. فالتفسير جاء بغير ذلك، لان معنى الذين آمنوا في هذه الآية، إنما هو الايمان بأفواههم، ثم ذكر اليهود والنصارى فقال: (من آمن منهم بالله) فله كذا، فجعلهم يهودا ونصارى، فلو كانوا مؤمنين، لم يحتج إلى أن يقال من آمن منهم فلهم أجرهم^(٢).

ومما يستدل به على قبول توبة الصابئة وأنهم في جملة المغفور عليهم، ما ذكره ابن منير الإسكندري بقوله :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى)، قال فيه (الصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف الخ) قال أحمد : صدق لا ورود للسؤال بهذا التوجيه ،

(١) تفسير ابن زمين : ٣٩ / ٢ .

(٢) مجمع البيان : ٣٧٤ / ٣ .

ولكن ثم سؤال متوجه وهو أن يقال لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لأفاد أيضا دخولهم في جملة المتوب عليهم، والعطف إفرادي، فلم عدل إلى الرفع وجعل الكلام جملتين ، وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الافرادي ؟ ويجاب عن هذا السؤال بأنه لو نصبه وعطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الصنف، لان الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات ، وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد، وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الافرادي وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به ، ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلا والصابئون كذلك ، فيجئ كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها ، وهو بهذه المثابة لانهم لما استقر بعد الأصناف من قول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعا وفرعا مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر^(١).

– الآية الثالثة: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }^(٢).

ويقول الشيخ الطوسي في بيان الفصل بين الأديان وإحقاق الحق لمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، فقال :

إن الذين آمنوا"بالله وصدقوا بوحدانيته وصدقوا أنبياءه " والذين هادوا " يعني اليهود " والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا " مع الله غيره " إن الله يفصل بينهم يوم القيامة " فخير " ان الذين آمنوا " قوله " إن الله يفصل " فدخل (إن) على الخبر تأكيدا ، كما يقول القائل : إن زيدا إن الخبر عنده لكثير ، وقال جرير : إن الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم وقال الفراء لا يجوز أن تقول :

(١) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف : ١ / ٦٣٢ .

(٢) الحج / ١٧ .

إن زيدا انه صائم لاتفاق الاسمين . قال الزجاج : يجوز ذلك ، وهو جيد بالغ . ومعنى قوله " يفصل بينهم " يعني إن الله يفصل بين الخصوم في الدين يوم القيامة بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح ويبيض وجه المحق ، ويسود وجه المبطل . والفصل هو التمييز بين الحق والباطل . وإظهار أحدهما من الآخر^(١) .

ويقول الطبري في بيان الفصل في الآية :

يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب ، وغير ذلك من أسباب دينهم ، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحق الجنة ، ولأهل الباطل النار^(٢) .
ويخرج السيد الطباطبائي الصابئة الوارد ذكرهم في الآية المباركة من دائرة المشركين ، لأنهم أصحاب دين سماوي آمنوا بنبوة النبي يحيى بن زكريا ، فقال :
والصابئون ليس المراد بهم عبدة الكواكب من الوثنية بدليل ما في الآية من المقابلة بينهم وبين الذين أشركوا بل هم - على ما قيل - قوم متوسطون بين اليهودية والمجوسية ولهم كتاب ينسبونه إلى يحيى بن زكريا النبي ويسمى الواحد منهم اليوم عند العامة " صبي"^(٣) .

وفي بيان الفصل بين المذاهب ومجازات المؤمن بالله قال: وقوله: " إن ربك يفصل بينهم يوم القيامة المراد به فصل القضاء فيما اختلف فيه أصحاب هذه المذاهب واختصموا فينفل المحق منهم ويتميز من المبطل انفصالا وتميزا لا يستتره ساتر ولا يحجبه حاجب . وتكرار إن في الآية للتأكيد دعى إلى ذلك طول الفصل بين " إن " في صدر الآية وبين

(١) التبيان : ٧ / ٣٠١ .

(٢) جامع البيان : ٢١ / ١٣٧ .

(٣) تفسير الميزان : ١٤ / ٣٥٨ .

خبرها ونظيره ما في قوله: " ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم"^(١).

وكذا البيضاوي يرى أن الفصل يكون بمجازات المؤمن لإيمانه وقربه من الله تعالى
دون المشرك الذي لا يبصر النور الأحدي^(٢).

ويرى الشيخ الشيرازي طبقاً لمضمون الآية المباركة ، أن الصابئة أصحاب دين
سماوي متوسط الأديان الأخرى ، آمنوا بالنبي يحيى بن زكريا (عليه السلام) ، فقال :
يستفاد من الآية ، ولا سيما من ذكر الصابئة بين اليهود والنصارى ، أن الصابئة
أصحاب دين سماوي . وقيل : إنهم أتباع يحيى بن زكريا (عليه السلام) الذي يسميه
المسيحيون " يحيى المعمدان " وقيل : إن الصابئة مزجوا بين العقيدتين اليهودية
والنصرانية ، فعقيدتهم وسط بين أولئك وهؤلاء . ويهتم الصابئة بالماء كثيرا ، ولهذا ترى
معظمهم يعيشون على ضفاف الأنهر الكبيرة ، وذكر أنهم يقدسون بعض النجوم . رغم أن
الآية السابقة لم تضعهم في صف المشركين^(٣).

ويؤكد الشوكاني على أهمية الفصل بين الأديان ومنح المؤمن ما أوعده به من الله
تعالى قوله : (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) في محل رفع على أنها خبر لأن المتقدمة ،
ومعنى الفصل أنه سبحانه يقضى بينهم فيدخل المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار
. وقيل الفصل هو أن يميز المحق من المبطل بعلامة يعرف بها كل واحد منهما^(٤).

خلاصة الآية المباركة والآيتين السابقتين تؤكدان على شراكة الصابئة الوارد
ذكرهم فيها على كونهم أحد الأديان التي لها ما لها وعليها ما عليها كاليهود

(١) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٤ / ٣٥٩ .

(٢) تفسير البيضاوي : ٤ / ١١٩ .

(٣) تفسير الأمتل : ١٠ / ٣٠٥ .

(٤) فتح القدير : ٣ / ٣٤٤ .

والنصاري ، من الإرتباط بالسماء والإيمان بالأنبياء ومتابعتهم للفوز بما أعده الله لهم
من النعيم الأبدي الخالد .

إلى جانب هذه الآيات المباركات التي أوضحت أن الصابئة إحدى الديانات التي
ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم والتي آمنت بالله وأنبياءه، وأنهم، أي _ الصابئة _
أصحاب كتاب سماوي بنص الآيات المباركات منها:

قوله تعالى : { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا
وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ
يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا }^(١).

ولأهمية هذه الآيات المباركات الواردة في حق النبي يحيى بن زكريا (ع) نرى آراء
المفسرين فيها:

قال الشيرازي:

يحيى(عليه السلام) النبي المتأله الورع لقد ورد اسم " يحيى " في القرآن الكريم
خمس مرات - في سور آل عمران ، والأنعام ، ومريم ، والأنبياء - فهو واحد من أنبياء
الله الكبار، ومن جملة امتيازاته ومختصاته أنه وصل إلى مقام النبوة في مرحلة الطفولة ،
فإن الله سبحانه قد أعطاه عقلا وذكاء وقادا ودراية واسعة في هذا العمر بحيث أصبح
مؤهلا لتقبل هذا المنصب . ومن خصائص هذا النبي (عليه السلام) التي أشار إليها القرآن
في الآية (٣٩) من سورة آل عمران ، وصفه بالحصور ، كما قلنا في ذيل تلك الآية ، فإن
" الحصور " من مادة الحصر، بمعنى وقوع الشخص في المحاصرة ، وهي تعني هنا -
طبقا لبعض الروايات - الامتناع عن الزواج . لقد كان هذا العمل امتيازا بالنسبة له ، من
جهة أنه يبين نهاية العفة والطهارة، أو أنه كان - نتيجة ظروف الحياة الخاصة -

(١) سورة مريم / ١٢-١٣-١٤-١٥

مضطرا إلى الأسفار المتعددة من أجل نشر الدين الإلهي والدعوة إليه ، بامر الهيي قد ماي (الله سبحانه وتعالى قد امره بالزواج فتزوج وانجب له ذرية) لأن الديانة المندائية تحرم العزوبية.

وهناك تفسير قريب من الصواب أيضا ، وهو أن الحصور - في الآية المذكورة - تعني الشخص الذي ترك شهوات الدنيا وملذاتها ، وهذا في الواقع مرتبة عالية من الزهد . على كل حال ، فإن المستفاد من المصادر الإسلامية والمسيحية أن يحيى كان ابن خالة عيسى . فقد صرحت المصادر المسيحية بأن يحيى غسل المسيح (عليه السلام) غسل التعميد ، ولذلك يسمونه (يحيى المعمد) - وغسل التعميد غسل خاص يغسل المسيحيون أولادهم به، ويعتقدون أنه يطهرهم من الذنوب - . وهناك جماعة يتبعون يحيى ، وينسبون له كتاباً(الكنز الربا)، (الصابئون الموحدون) من أتباع يحيى ، لقد كان بين يحيى وعيسى جوانب مشتركة، كالزهد الخارق غير المألوف ، وولادتهما التي تحمل طابع الإعجاز، وكذلك النسب القريب جدا. ويستفاد من الروايات الإسلامية، أن بين الحسين (عليه السلام) ويحيى (عليه السلام) جهات مشتركة ، ولذلك فقد روي الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال : " خرجنا مع الحسين بن علي (عليه السلام)، فما نزل منزلا ولا رحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله ، وقال : ومن هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل" . كما أن شهادة الحسين (عليه السلام) تشبه شهادة يحيى (عليه السلام) من عدة جهات أيضا . وكذلك فإن اسم الحسين (عليه السلام) كاسم يحيى (عليه السلام) لم يسبقه به أحد ، ومدة حملهما كانت أقل من المعتاد^(١).

وقال مقاتل ابن سليمان في بيان معاني الآية المباركة :

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٩ / ٤١٤ .

(يا يحيى خذ الكتاب) ، يعنى (الكنزا ربه ، الصحف الاولى) (بقوة) ، يعنى بجد والمواظبة عليه ، (وأتيه الحكم صبيا) [آية : ١٢] ، يعنى وأعطينا يحيى العلم والفهم وهو ابن ثلاث سنين . (وحنانا من لدنا) ، يقول : رحمة من عندنا ، (وزكاة) ، يعنى جعله صالحا وطهره من الذنوب ، (وكان تقيا) [آية : ١٣] ، يعنى مسلما . (وبرا بوالديه) ، يقول : وجعلناه مطيعا لوالديه ، (ولم يكن جبارا) ، يعنى متكبرا عن عبادة الله عز وجل ، (عصيا) ، يعنى ولا عاص لربه . (وسلام عليه) ، يعنى على يحيى ، عليه السلام ، (يوم ولد) ، يعنى حين ولد ، مثل قوله سبحانه : (في كتاب الله يوم خلق السماوات) (التوبة: ٣٦) ، يعنى حين خلق السماوات ، قال عيسى صلى الله عليه وسلم: (يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (مريم: ٣٣) ، يعنى حين أموت ، وحين أبعث ، (وسلام عليه يوم ولد) (ويوم يموت ويوم يبعث حيا) ، يعنى حين يبعث بعد الموت. ^(١)

ويذهب حسام هاشم العيداني في شرح هذه الآيات المباركات فيقول:

{يا يحيى خذ الكتاب} يا يحيى (النبي يحيى بن زكريا) اعمل بكتاب الصابئين المقدس كنزاً مباركا اسمه وبشر به {بقوة} بجد {وأتيناه الحكم} النبوة {صبيا} ابن بضعة شهور حين اخذته الملائكة النورانية الملاك أنش اثرا والملاك هيبيل زيوا وهو بعمر ثلاثين يوماً ليصبغونه باليردنا اي بالماء الجاري وليمنحه الله الحي العظيم النبوة وليكون معلماً ناصوراً مؤمناً ونبياً بأمر الحي القيوم لديانة الله التوحيدية الأولى الصابئة المندائية ، {وحناناً} رحمة للناس {من لدنا} من عند الله { وزكاة } صدقة عليهم {وكان تقياً} نزيهاً ، متديناً ، فلم يعمل ذنب ، {وبراً بوالديه} محسناً

(١) تفسير مقاتل : ٢ / ٣٠٨ .

إليهما ، ومجانبته عقوقهما ، قولاً وفعلاً وأمرًا ونهيًا { ولم يكن جباراً } كان متواضعاً ومؤمناً ولم يكن متكبراً { عصياً } ولم يكن عاصياً لربه ، { وسلامٌ عليه } أمان و محبه من الله الاوحد عليه { يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً } هو في آمان يوم ولد بمعجزة ، ويوم سعدت روحه الطاهرة إلى ربه بمعجزة ، ويوم يبعث مرة أخرى لهذا العالم لانقاذ الصابئة، فدائماً سيرافقه أمان ومحبة ونور الله الحي العظيم. وبعد ان اصبح عمره ثلاثين يوماً ، جاء الملاك هيبيل زيوا بأمر من الحي العظيم ذي الوقار إلى جبل مادي ، مصطحباً معه الملاك أنش اثرا الذي يقيم أيضاً بجبل مادي ، وذهبوا إلى جبل بروان حيث الوليد يهيا يهانا واقاموا له صباغته ، ثم وضعوا الطفل قرب الشجرة المرضعة للاطفال، وبعد ان اصبح ابن السابعة من العمر جاء اليه انش اثرا وكتب له الابدعية المندائية، وعندما اصبح ابن الثانية والعشرين من العمر اتقن كل المعرفة الناصورائية . وبعد ذلك وبأمر الرب التقدير ذي الوقار كرس له تاجاً وأجلسه انش اثرا في سحابة من النور^(١).

وكذا أشارت سورة البقرة إلى ذكر الكتاب المقدس الذي أنزل مع النبيين بالحق ، قال تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(٢).

قال الآلوسي : { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } متفقين على التوحيد مقرين بالعبودية لله حين أخذ الله تعالى عليهم العهد، وهو المروي عن أبي بن كعب أو بين آدم وإدريس

(١) جوهرة آدم :
(٢) سورة البقرة / ٢١٣

عليهما السلام بناء على ما في «روضة الأحاب» أن الناس في زمان آدم كانوا موحدين متمسكين بدينه بحيث يصافحون الملائكة إلا قليلاً من قابيل ومتابعيه إلى زمن رفع إدريس ، أو بين آدم ونوح عليهما السلام على ما روى البزار وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما/ أنه كان بينهما عشرة قرون على شريعة من الحق ، أو بعد الطوفان إذ لم يبق بعده سوى ثمانين رجلاً وامرأة ثم ماتوا إلا نوحاً وبنيه حام وسام ويافت وأزواجهم وكانوا كلهم على دين نوح عليه الصلاة والسلام ... { فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ } أي فاختلّفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وإنما حذف تعويلاً على ما يذكر عقبه .

{ مَبَشِّرِينَ } من آمن بالثواب. { وَمُنذِرِينَ } من كفر بالعذاب.. { وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ } اللام للجنس ومعهم حال مقدرة من الكتاب فيتعلق بمحذوف ، وليس منصوباً بأنزل والمعنى أنزل جنس الكتاب مقدراً مقارنته ومصاحبته للنبيين حيث كان كل واحد منهم يأخذ الأحكام إما من كتاب يخصه أو من كتاب من قبله ، والكتب المنزلة مائة وأربعة في المشهور أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثين ، وعلى إدريس خمسين . ومن تفسير الآية القرآنية الكريمة يتضح أن الأمة في زمن آدم كانت موحدة وتمسكه بشريعة الله الأولى الصابئية وكانوا أمة واحدة مؤمنين بما أنزل الحي الأزلي جل جلاله بكتاب الصابئة المقدس كنزاربا ووصاياها التي أمر بها نبيه آدم عليه السلام ، وأرسل لهم الانبياء والرسول آدم وشيتل بن آدم وانوش و إدريس ونوح وسام بن نوح وإبراهيم وآخرهم نبي الله ورسوله يحيى بن زكريا عليهم السلام ، وأنزل معهم كتابه المبارك ليوضح للناس تعاليمه ووصاياها ، وفي الآية يوضح ان هناك انشقاقاً حدث بين البشر نتج عنه ديانات اخرى بدءاً باليهودية وتلتها اديان أخرى ، لكن الثابت ان الصابئة على دينهم التوحيدى الاول منذ زمان الرسول والنبي آدم عليه السلام إلى يومنا^(١) .

(١) تفسير روح المعاني : ٢ / ١٠٠

ورد ايضاً ذكرُ آخر لانبياء الصابئة نوح ويحيى بن زكريا، وكتاب المندائيين المبارك (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آقَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ).^(١)

جاء في تفسير البغوي للآية هذه : {أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} الكتب المنزلة عليهم، {والحكم} يعني : العلم والفقه . وكما هو واضح من قراءة الآية القرآنية الكريمة ان بعض انبياء الصابئة (إبراهيم، نوح، زكريا، يحيى) عليهم السلام قد ذكروا بالآية هذه ، وهم من الصالحين ولهم كتبهم المنزلة عليهم اي بلا شك كتاب الصابئة الاقدس الكنز العظيم كنزاربا وورد ذكر آخر بكتاب المسلمين القرآن الكريم بآياته الكثيرة لاتباع الدين الصابئي ضمن الديانات الموحدة المعروفة بـ(اهل الكتاب- الذين أوتوا الكتاب) او (اهل الذمة) -

قبل بيان بعض الآيات التي ذكر فيها اهل الكتاب فأننا نتوقف قليلاً عند تفسير ومعنى هذه الكلمة في (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ

(١) سورة الإنعام : ٨٣ - ٩٠

مُسْلِمُونَ) ، تفسير الآية الكريمة: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وجه الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب (اي الصابئة وغيرهم) ، أن أهل الكتاب مؤمنون بالله غير مشركين به ، { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } فإن هم قابلوا الحسنى بصددها انتقل الحكم إلى الاستثناء الذي في قوله : إلا الذين ظلموا منهم ، { وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهِنَّا وَإِلَهُكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } اي يؤمن (المقصود يؤمن المسلمون) بما انزل عليهم وهو القرآن الكريم ، وعليهم ان يؤمنوا (يؤمن المسلمون) بالكتاب الذي انزل على اهل الكتاب (ككتاب الكنز اربا الذي انزل على نبينا آدم مبارك اسمه) ، وإلههم وإله الصابئة واهل الكتاب هو الله (اي اله جميع البشر هو الله) (١) .

وفي بيان معنى قوله تعالى: { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } (٢) .

قال محمد الأمين الشنقيطي موضحاً دلائل ومضامين الآية المباركة ما نصه :

(من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) ، ذكر هنا من صفات هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب أنها قائمة ، أي : مستقيمة على الحق وأنها تتلو آيات الله آناء الليل (ساعاته) ، وتصلي ، وتؤمن بالله ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. { وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } تعني لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء -

وذكر في موضع آخر أنها تتلو الكتاب حق تلاوته وتؤمن بالله ، وهو قوله : الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ، وذكر في موضع آخر أنهم يؤمنون

(١) تفسير البغوي : ٢ / ١١٢

(٢) سورة آل عمران / ١٣-١٥

بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليهم ، وأنهم خاشعون لله لا يشترون بآياته ثمنا قليلاً ، وهو قوله : وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلاً

كما هو واضح من ان الآية الكريمة اعلاه حول الصابئة اصحاب اول كتاب مُنزل ، لانهم يؤدون الصلاة صباحاً وعصراً وليلًا . وكما جاء في صحف الله الأولى كتاب الصابئة.^(١)

قوله تعالى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} ^(٢)

وفي بيان الإمتداد الديني للصابئة في الآية المباركة وعلاقتهم بالأنبياء ذكر أبو السعود ما نصه :

وهو أي : (النبي إدريس) سبط شيث وجد أبي نوح فإنه نوح بن ملك بن متو شلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب (إنه كان صديقاً) ملازماً للصدق في جميع أحواله (نبياً) خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبياً (ورفعنا مكاناً علياً) هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابع روى عن كعب وغيره في سبب رفع إدريس عليه السلام أنه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يا رب إني قد مشيت فيها يوماً وقد أصابني منها وأصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف

(١) أضواء النبيان : ١ / ٢٠٦ .

(٢) سورة مريم / ٥٦ - ٥٧ .

عنه من ثقلها وحرها فما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبتة قال يا رب أجعل بيني وبينه خلة فأذن الله تعالى له فرفعه إلى السماء^(١).

ثم أن الله تعالى إنما مدحه بأن رفعه إلى السماء لأنه جرت العادة أن لا يرفع إليها إلا من كان عظيم القدر والمنزلة، ولذلك قال في حق الملائكة: { وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ }- يسمى النبي إدريس عليه السلام بهرمس أيضاً وفي المندائية الآرامية دنانوخت ، وفي السريانية الآرامية إينوخ، وفي العبرية اخنوخ وتختلف لفظة التسمية حسب المنطقة واللغة

وجاء في سورة الحديد ذكر لنبي الصابئة نوح وإبراهيم عليه السلام: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ }^(٢).

ذهب الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة بقوله : ولقد أرسلنا أيها الناس نوحاً إلى خلقنا، وإبراهيم خليله إليهم رسولاً { وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ } وكذلك كانت النبوة في ذريتهما، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة تفسيرها واضح أن في ذرية إبراهيم ونوح أعطيت النبوة والكتاب.^(٣) يبدو أن المقصود بذريتهم ، الصابئة المندائيون، وكتابهم المبارك (الكنزاربا) لأنهم يدينون بشرعهم و متمسكين بزمام نبوتهم وسائرهم على هداهم .

(١) تفسير أبي السعود : ٥ / ٢١٧ .

(٢) سورة الحديد / ٢٦ .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٣ / ٢٠٢ .

المبحث الثاني

آراء الفقهاء المسلمين والباحثين والعلماء:

- أقوال الفقهاء في الصابئة :

قد اضطربت اقوال الفقهاء في اجراء الأحكام على الصابئة على اقوال كثيرة وسبب هذا الاضطراب هو اشتباه أحوالهم وتكتمهم في دينهم واصرارهم على اخفاء تعاليمهم ، وامتناعهم عن الدعوة إلى دينهم ، واعتقادي ان دينهم خاص بهم لا عام لكل الناس ، وميلهم إلى الانزواء والابتعاد عن غير أبناء دينهم وتحريمهم تزوج النساء من غير الصابئين ، وايضا بسبب ما دخل على دينهم من التخليط بسبب قهر الأمم التي تغلبت على بلادهم ، ولذلك أحيطوا بكثير من الغموض و اكتنفتهم الأسرار.

- القول الاول :

واختاره الامام ابو حنيفة والامام أحمد ، واستدل الامام ابو حنيفة عليه بقول أبي العلية، والربيع بن انس، والسدي، وابي الشعثاء، وجابر بن زيد والضحاك واسحاق بن راهويه. أنهم من أهل الكتاب، فيعدونهم طائفة من أهل الكتاب لأنهم يقرأون الزبور، ولا يعبدون الكواكب، ولكن يعظمونها كتعظيم المسلمين للكعبة في الاستقبال اليها، فأجروا عليهم الاحكام التي تختص بالكتابي، من ذلك أن للمسلم أن ياكل من ذبائح الصابئة وأن يتزوج من نسائهم، بناء على أنهم لا يعبدون الكواكب ، وانما يعظمونها كتعظيم المسلمين للكعبة وهذا القول منسوب للصابئة المندائيين وصابئة حران الموحدين ..

- القول الثاني:

قال ابن همام: الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه مبني على القول بحقيقة أمرهم، فلو اتفق على تفسيرهم اتفق الحكم فيهم.

قال الصحبان من الحنفية: انهم ليسوا من اهل الكتاب؛ لأنهم يعبدون الكواكب، وعابد الكوكب كعابد الوثن فأجروا عليهم الأحكام التي تنطبق على المشركين من ذلك أنهم ألا تحل نساؤهم ولا ذبائحهم وهذا القول منسوب إلى اصحاب الهياكل واصحاب الاشخاص.

-القول الثالث:

واما الشافعية، وهو ما صححه ابن قدامة من الحنابلة فقد تردوا فيهم ، قال النووي: المذهب انهم ان خالفوا النصارى في أصل دينهم فليسوا منهم، وألا فهم منهم. قال: وهكذا نص عليه (اي نص عليه الشافعي)، والمراد بأصل دينهم: سيدنا عيسى والإنجيل، وما عدا ذلك فروع، أي: ان كانوا يتبعون عيسى(عليه السلام) ويؤمنون بالإنجيل فهم من النصارى ولو خالفوا النصارى في الفروع، مالم تكفرهم النصارى بالمخالفة في الفروع فأن كفروهم فليسوا منهم، يقال: وفي نهاية المحتاج: لو خالفوا النصارى في أصل دينهم ولو احتمالا كان نفوا الصانع أو عبدوا كوكبا حرم نساؤهم علينا، وهذا التردد في امر الصابئة عند الشائعة إنما هو في الصابئة المشابهة للنصارى(وهم المسمون المندائيين).

أما الصابئة عباد الكواكب وهم الحرائية (اصحاب الهياكل واصحاب الاشخاص؛ فهؤلاء مجزوم بكفرهم؛ فلا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم قولاً واحداً، فقد جزم الرملي بان الخلاف لا يجري فيهم^(١).

أضاف ابن تيمية، وابن القيم ان الصابئة فرقتان الاولى هي كانت قبل التوراة والانجيل، كانوا موحدين؛ قال: فهؤلاء هم الذين أثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله اليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال: فهؤلاء كالمتبعين إبراهيم - عليه السلام - امام الحنفاء قبل نزول التوراة والانجيل، هم الذين اثنى عليهم الله تعالى، فيكون الصابئة على هذا قسمين: القسم الأول: صابئة حنفاء موحدون وهم الصابئة المندائيون وصابئة حران، القسم الثاني: مشركون، فالقسم الأول: هم الذين أثنى الله عليهم بهذه الآية فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من هذه الملل الأربع: المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، فاليهود كانوا يدينون بالتوراة قبل النسخ والتبديل، وكذلك الذين دانوا بالإنجيل قبل النسخ والتبديل، والصابئون الذين كانوا قبل هؤلاء كالمتبعين لملة ابراهيم امام الحنفاء قبل نزول التوراة والانجيل، ومنهم قدماء الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً ويؤمنون بان الله محدث لهذا العالم ويقرون بمعاد الأبدان، فأولئك من الصابئة الحنفاء الذين أثنى الله عليهم.

قال الطببائي: "ذكرهم مع أهل الأديان يدل على انهم كانوا يدينون بدين سماوي: "وذكرهم إلى جانب المؤمنين واليهود والنصارى يدل على أنهم كانوا يدينون بدين سماوي ويؤمنون بالله واليوم الآخر" وهذا القول منسوب إلى الصابئة المندائيين".

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢٥٤/١: "وقال ايضاً" من مجموع ماسبق يتبين أن الصابئين كانوا في الأصل أتباع احد الأنبياء وأن اختلف المحققون في تعيين نبيهم^(٢).

(١) كتاب التوحيد لواقع التاريخ لشرك العرب، المسألة الحادية عشر، تاريخ الصابئة وفرقهم.
(٢) الأمثل (٢٥٧/١).

وقال أبراهيم القطان: "والصابئة فرقتان: جماعة المندائيين أتباع يوحنا المعمدان، وصابئة حران الذين عاشوا زمننا في كنف الأسلام، ولهم عقائدهم وعلمائهم، ومن أشهرهم أبراهيم بن هلال الصابي الأديب الكبير، والعالم بالفلك والفلسفة الرياضية^(١).

وقال القرطبي من المالكية: "الذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض علمائنا: أنهم موحدون، يعتقدون تأثير النجوم، وأنها فعالة. والسؤال، كيف عبد الصابئة المندائيون الكواكب؟ وكتابهم يقول: "بأسم الحي العظيم، أشرق نور الحي، وتجلي منداهي بأنواره فضاء جميع الأكوان، حطم إلهية الكواكب، وأزال أسيادها من مواقعهم" (٣٥).

بأسم الحي العظيم

(٢٠٧) لاتمجدوا الشمس والقمر. هو الله الذي امر (٢٠٨). فكان لهما وللكواكب هذا الضياء (٢٠٩). لكي ينيروا به الظلماء. فإذا نادى الحي العظيم (٢١٠)، سقطت كلها في قرار بهيم). الحي المزكى الكنزا ربا اليمين ص ٢٣.

بأسم الحي العظيم

(لاتسبحوا للشمس والقمر اللذين ينيران العالم). الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

بأسم الحي العظيم

(لا تعبدوا الشمس التي اسمها شامش) الحي المزكى الكنزا ربا اليمين

وكيف عبد الصابئة المندائيون الأصنام والأوثان وكتابهم يقول: "من يقدم الضحايا والقرايين تعقد خطاه في جبل الظلام (جهنم) فلا يرى نور الله، أما من آمن وأتقى فله من النور مرتقى حتى يبلغ بلد النور" (٣٦).

(١) تيسير التفسير، أبراهيم القطان: ٢٢/١، ٤.

بأسم الحي العظيم

(٦٤) لا تسجدوا للشيطان، ولا تعبدوا الاصنام والاثوان). الحي المزكى الكنزا
ربا اليمين (ص ١١).

بأسم الحي العظيم

(٦٥) من يسجد للشيطان، فمصيره النار، بئس المنتهى، وبئس القرار، خالداً
فيها إلى يوم الدين .. ساعة خلاص العالم. ساعة يحاسب الديان، نشمtha كل
انسان). الحي المزكى الكنزا ربا اليمين
(١١٥) امسكوا ركبكم عن السجود للشيطان ولاصنام الزيف). الحي المزكى
الكنزا ربا اليمين)) ص ١٤.

وهم قبل أن تحرم على الأصطخري الخمر حرموها بالقول: "وليعلموا ان
الخمرة يوضع شاربها في قيود واقفال، وتثقل عليه السلاسل والأغلال" (٣٧).
ويقترب الشيخ محمد جواد مغنية من الصواب عندما قال في الصابئين: "قوم
يقرون بالله وبالعباد وبيعض الانبياء، ولكنهم يهتدون بتأثير النجوم في الخير والشر،
والصحة والمرض، ومنهم طائفة في العراق الآن". وعلى خلاف من أشقت تسميه الصابئة
من صبا العبرانية أي غطس وتوضأ، وجد مغنية أن التسمية مشتقة من "صبأت النجوم
أي طلعت"، ويعددهم بأقدم الأديان في التاريخ. ويبدو لي أن مغنية اطلع على سلسله
المقالات التي حبرها الأب أنستاس الكرمللي في مجله "المشرق" في العام ١٩٠٠-١٩٠١،
وذهب فيها إلى أشنتقاق تسميتهم من الضوء.

وابتداءً من صاحب اكبر موسوعة فقهية "جواهر الكلام" النجفي، من أعلام القرن
التاسع عشر، وانتهاءً بالسيد السيستاني، المرجع الشيعي الحالي بالنجف، لم نجد رأياً
محرصاً في التعامل ضد أهل هذا الدين بل أن آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي

اعتبرهم من أهل الكتاب، وقدم مرشد الدولة الإيرانية آية الله علي خامنئي بحثاً مفصلاً عليهم عدّهم من أهل الكتاب ومن الأديان الموحدة.

كان أكثر اختلاط المندائيين بالمذهب الشيعي في جنوب العراق مقارنة بالأديان والمذاهب الأخرى، وكانوا سبباً في حياة المنطقة الاقتصادية، فهم لفترة طويلة ظلوا منتجي وسائل الإنتاج، من أدوات الصيد والزراعة والنقل. فلا بد أن يحدث احتكاك لتعالجه فتوى الفقهاء.

قال آية الله أبو القاسم الخوئي "الصابئي كان من أهل الكتاب كما هو الظاهر" (٥٠) جاء ذلك في أمر رجل صابئي أشهر أسلامه معتنقا المذهب الجعفري، وطالبته زوجته بالنفقة في محكمة من محاكم بغداد الشرعية.

وطرح آية الله علي خامنئي جملة أمور بشأنهم، فلهم بإيران طائفة كبيرة كانت جزء من سكان العراق قبل قطع الأهواز عنها، لهذا نظر مرشد الدولة الإيرانية يأمرهم عن قرب، باحثاً في كتبهم المترجمة إلى الفارسية والعربية، وربما كان أول فقيه يبتعد عن النصوص ظاهرة، وليطلع على كتبهم ويتابع ممارستهم الدينية عن كثب، فقال: "نتيجة البحث في النقطة الأولى: أن الأقوى والظاهر بحسب الأدلة أن الصابئيين يعدون من أهل الكتاب".

أثر العداوات في تشويه الأديان والمذاهب

لقد شوه النظام الصدامي السابق مذهب التشيع بتلفيق التهم والافتراءات للمذهب الجعفري كما شوه بعض المقربين دين الصابئة المندائيين، فمن ينسى تشويهات جريدة "الثورة" بقلم صحافي النظام السابق عبد الجبار محسن، ربيع ١٩٩١ ضد الشيعة في جنوب العراق، وأهل الأهوار عامة، وكان المقال تحت عنوان "التعصب الشيعي، فساد

أخلاق أهل الأهوار" وجاء في المتن: "من المعروف أن الكثير من الذين أعدموا بقرارات من محكمة الثورة جراء الزنا بالمحارم هم من بين هذا الصنف من الناس".
ومن منا ينسى مانشرته جريدة عدي صدام حسين "بابل" من تشويهات وافتراءات ضد الشيعة؟ ووردت في صفحة حوارات موضوع يبرئ هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان من دم الحمزة عم النبي، وموضوع آخر يشوه عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر، وفي طقوس عاشورا(٦٥).

وكان آخر هذه التشويهات ضد الشيعة ما جاء على لسان جريدة عربية صادرة بلندن، وهي من بقية تمويل النظام الزائل، حاولت تحسين صورة صدام حسين وعهده المظلم بأنه رفع راية الإسلام عاليا وبني المساجد وقضى على الدعارة وأماكن الفسق في بعض المدن: "اشتهرت بتعدد أماكن اللهو فيها منذ الستينيات، وخاصة في المدن الجنوبية بحكم انفتاح الشيعة فيها، وقد حصل في مجلس صدام حسين حديث عما يحصل في هذه الأماكن من جرائم خلقية حتى اصبحت مرتعا للفساد والأفساد".

فلماذا يقع صاحب الرسالة في التوهم نفسه ويرى المندائيين جماعة مفسدة من دون أن يقرأ كتابهم وتشددهم ضد الشعوذة والزنا، ووداعتهم ومعاشرتهم الطيبة لأبناء المذهب الشيعي ومواطنيهم من العراقيين عامة، ولو حصل أن مندائيا واحدا او مجموعة أفسدت فهل يعني هذا أن الدين المندائي راضٍ بما يفعلون، وهل أن اتباع الأديان والمذاهب الأخرى كافة يلتزمون تعاليم أديانهم ومذاهبهم^(١).

أراء العلماء والباحثين حول الصابئة المندائيين

١- قال: البيروني: ان قصة ابن سنكلا النصراني ليست صحيحة ودافع عن الصابئة بقوله: ونحن لانعلم منهم الا انهم اناس يوحدون الله وينزهونه عن القبائح

(١) الصابئة المندائيين في الفقه وتاريخ الاسلام، رشيد خيون .

ويصفونه بالسلب (منزّه من الصفات) لا بالايجاب كقولهم: لا يُحد ولا يُرى ولا يظلم ولايجور ويسمونه بالاسماء الحسنى مجازاً اذ ليس عندهم صفة بالحقيقة. وينسبون الظواهر الطبيعية إلى الفلك وأجرامه ويقولون باثرها في الاحداث والتكوين ويعظمون الانوار. مقاله البيروني صحيح وينطبق تماما على المندائيين اليوم كأنهم لا يحسبون للكواكب هذا الحساب الامن باب التنجيم .

٢- وفي دوائر المعارف تحت كلمة المندائية انهم قوم موحدون والخالق عندهم اسمه الله بصيغته في العربية وهو نور السموات والأرض. وفاضت منه المخلوقات. والمندائية يقولون (انّ نصارى) وينكرون ان يكون المسيح ابن الله. وكتابهم ((الكنزا ربّاً)) اي الكنز العظيم - يطرح نظرية الخلق على مثال ما في سفر التكوين. وتحت كلمة المغتسلة: وهم الصابئة. وقيل ان المندائية اخذوا عنهم ويطبقون شريعة موسى (١٠). في القول المذكور (انّ نصارى) لم يقل به أحد من المندائيين. فالمندائيون لم يقولوا انهم نصارى. والنقطة الثانية هي الخلط بين المغتسلة. والمندائيين، فالحقيقة ان مصطلحي (المغتسلة والمندائيين) يشيران لمفهوم واحد.

٣- وقد ربط اهل الاخبار بين هؤلاء الصابئة المذكورين في القرآن الكريم وبين صابئة حرّان وصابئة العراق وجعلوهم طائفتين في الأصل. طائفة هم صابئة حنفاء وهم في نظرهم أصحاب ابراهيم كان بحرّان وممن كان على دعوته. وصابئة مشركون وهم ممن فسدوا من الصابئة فأشركوا وأعتقدوا بالكواكب.

٤- وتحدث عبد الحميد عباده عن اعتقاد الصابئة بالله قائلاً: تعتقد الصابئة في الله انه علة الكائنات والوجود، حي بنفسه ، أزلي أبدي لاتدرکه الابصار ولاتناله الحواس مننزه عن الهيولي.

٥- ويشير الباحث المندائي سليم برنجي إلى العلاقة بين يحيى والمندائيين وإلى اعتقادهم بالله واليوم الآخر فقال: ان الصابئة اتباع نبي الله يحيى ويعترفون بالله رب

العالمين وباليوم الآخر وبالعمل الصالح. وهذا الدعاء الذي يقرأه المندائي عند التعميد يؤكد عبادتهم الخالصة لله وانهم يرفضون الكواكب والعبادة لها رفضاً قاطعاً. فالمندائي يقول عند خروجه من الماء: بسم الله اني خرجت من الماء الجاري والطاهر للنهر بروح طاهرة وهادئة وحررة وأديت مناسك التعميد كما اداها سيدنا شيتل ابن آدم ابو البشر الذي كان يقتدي بالطريقة الآلهية. ونحن الصابئة اليوم وعملاً بوصيته الآلهية نؤدي هذه الفريضة وبعملنا هذا نحمد الله ونعبده ونجدد العهد مرة ثانية معه ونرفض اي شيء غير (عبادة الله). وان هذه الاعمال التي نؤديها كانت اعمالاً ربانية استناداً لارادة الله القادر ولادخل للشمس فيها. أذن من يجرؤ على عبادة الشمس وهي جزء من الاجرام السماوية وهي مضيئة بامر من الله الاحد لتكون نوراً مسخراً لنا وهي تفتقد لأي ارادة او قدرة تجاه البشر وقد قال الله سبحانه وتعالى ان الشمس فاقدة للربوبية وعبادتها باطله جملة وتفصيلاً.

ويقول المندائي عند أداء الصلاة:

بسم الحي العظيم:

سلام الله وتحيته عليك يا صاحب دار الراحة والوقار.

سلام الله وتحيته عليكم يا اجدادنا الصالحين.

سلام الله وتحيته عليكم ايها الكتب المقدسة.

سلام الله وتحيته عليك ايها الملك (ماري ادربوثا اليثا) (رب العظمة).

سلام الله وتحيته عليك ايها الملك منداهي برنيصبيتون عارف الحياة ابن

التكوين الاول.

٦- وتحدثت عنهم الليدي دراور واصفة إياهم انهم من اهل الكتاب وهم من عبدة الله

الحق فقالت: انهم نجوا من الاضطهاد إلى حد ما بسبب ان المسلمين يعتبرونهم من

اهل الكتاب. والصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم هم من عبدة الله الحق وهم يزعمون ان صلة روحية تقوم بين عقائدهم وبين المسيحية لذا يسمونهم البعض بمسيحيي القديس حنّا. وتؤمن الصابئة ايمان المسلمين والمسيحيين بالله الواحد الحق ولا يعبدون غيره

٧- وازافت الليدي دراور قائلة: يفهم مما تقدم ان الصابئة الساكنين في البطائح هم المقصودون في القرآن الكريم وانهم هم الذين خضعوا للجزية شأنهم في ذلك شأن جميع اهل الذمة من الكتابيين. وان الحرانيين انما استفادوا من هذا التسامح المفروض لصابئة البطائح، فاتخذوا أسم الصابئة واحتموا به.... ان دين الصابئة المعاصرين ليس ديناً وثنياً باي حال من الاحوال، بل هو دين يؤمن بالله الحي الأزلي وباليوم الآخر... اما من حيث اعتقادهم باليوم الآخر فقد يكونون من اكثر الاديان وضوحاً وتشدداً في هذا الشأن. فالعالم الديوي في عقيدتهم ما هو الا منفى وسجن مؤقت للروح التي ستبعث بعد الموت متحررة من سجنها المادي لتلتحق بالملا الأعلى. ووفق وزن توزن به، فاما إلى الجنة كما ينبغي لجميع الارواح النقية الطاهرة أو إلى المطهر (المطراثة) حيث تعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى ان تتطهر من ذنوبها فتلحق بالملا الأعلى هي ايضاً. فالنفس في عقيدتهم خالدة والجسم فان

٨- وتحدث السيد عبد الرزاق الحسني عن اعتقاد الصابئة المندائيين بالخالق وبانه واحد أزلي أبدي لا اول لوجوده ولانهاية له. منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي اليه مخلوق وانه لم يلد ولم يولد وهو علّة الوجود للاشياء ومكوناتها ولا يختلف اعتقادهم هذا عن اعتقاد سائر المسلمين فيه .

٩- وأفصح الباحث المندائي غضبان رومي عن أمور هي جوهر عقيدة الصابئة فقال: ان جوهر الدين الصابئي ينحصر في التوحيد قبل كل شيء، وتقديس قوانين الحياة والخصب.... وان الدين الصابئي ليس ديناً وثنياً باي حال بل هو دين يؤمن بالله

- الحي الرزاق الأزلي وباليوم الآخر. وان هذا الأعتقاد لا يختلف عن اعتقاد اهل
الاديان الموحدة. واخيراً انهم لايعظمون الكواكب وان اتهامهم بالكفر نابع عن
جهل الاخرين بمعتقداتهم ودياناتهم.
- ١٠- قال عنهم ابو حنيفة انهم ليسوا بعبدة اوثان وانما يعظمون النجوم كتعظيم المسلمين
الكعبة ويؤمنون بدين نبوي ويقرون بكتاب.
- ١١- وافتى الاصطخري بأراقة دماء الصابئة رغم ان امامه ومؤسس مذهبه الشافعي قال في
باب الجزية: الصابئون والسامرة مثلهم يؤخذ من جميعهم الجزية ولايؤخذ الجزية
من اهل الاوثان ولامن عبَدَ ماأستحسن من غير اهل الكتاب.
- ١٢- وقال صاحب تفسير الميزان: ان عقيدتهم مزيج من المجوسية واليهودية مع اشياء
اخرى من الحرانية هذا هو اجتهاد العلامة الطباطبائي بيد ان هذا الرأي لم يحض
بالقبول من لدن علماء كثيرين كما راينا. وأقترب جداً من الحقيقة العلامة محمد
حسين فضل الله الذي قال: فرقتان، المنديا او نصارى يوحنا المعمدان، وصابئة
حران الوثنيين وأضاف: وهذا هو المهم، ان الصابئة الذين ذكرهم القرآن الكريم إلى
جانب اليهود و النصارى من اهل الكتاب، يعدون من المنديا.
- ١٣- ونعتهم السيد علي الخامنئي باهل التوحيد وانهم يصرون عليه فقال: فمن جملة
عقائدهم - اي الصابئة- التي يدعونها ويصرون عليها، التوحيد.
- ١٤- اما الشيخ محمد جواد مغنيه فقد قال عنهم: انهم أقدم الاديان ويقرون بالله وبالمعاد
وببعض الانبياء، ولكنهم يهتدون بتأثير النجوم في الخير والشر والصحة والمرض
ومنهم طائفة في العراق الآن.
- ١٥- وذكرهم الامام الخوئي اذ قال: الصابئي كان من اهل الكتاب كما هو الظاهر، جاء
ذلك في امر رجل صابئي أشهر أسلامه معتنقاً المذهب الجعفري وطالبته زوجته
بالنفقة في محكمة من محاكم بغداد الشرعية.

- ١٦- ووصفهم ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) وهو حنبلي المذهب فقال: الصابئة احسن حالاً من المجوس فاخذ الجزية منهم تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق الاولى؟ فان المجوس أخبث الأمم ديناً ومذهباً ولا يتمسكون بكتاب ولا ينتمون إلى ملّة ولا يثبت لهم كتاب ولا شبه كتاب. ان هذا اعتراف ضمنى عن فقيه حنبلي كبير في مذهبه وتلميذ شيخ الاسلام ابن تيميه (ت ٧٢٦هـ) بكتب او شبه كتاب للصابئة.
- ١٧- واعترف ابو حنيفة النعمان لهذه الطائفة بمعاملة اهل الكتاب وذكر ذلك مفتي بغداد ابو الثناء الالوسي في تفسيره روح المعاني عند تفسيره الآية (٦٢) من سورة البقرة وقد وصفهم بما وصفهم الشهرستاني وزاد قليلاً. والامام ابو حنيفة يقول: انهم ليسوا بعبدة اوثان وإنما يعظمون النجوم كما نعظم الكعبة.
- ١٨- وانصفهم العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في كتابه حسن المحاضرة، ان النبي ادريس دعا الخلق إلى الله (فأجابوه وكانت عقيدة الصابئة وهي توحيد الله) والطهارة والنوم وغير ذلك.
- ١٩- ويعدُّ صابئتنا الحاليون كتابهم كتاب آدم وبعدون إدريس ونوح من عظمائهم. ويذكر المسعودي - غير الرواية الخاصة بالمندائيين الحاليين - أن الصابئة "تزعم أنخوخ بن يرد هرمس، ومعنى هرمس عطار، وهو الذي أخبر الله في كتابه أنه رفعه مكاناً علياً، وكانت حياته في الأرض ثلاثمائة سنة، وهو أول مَنْ درز الدروز، وخاط بالإبرة، وأنزلت قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة، و أنزلت على شيت تسع وعشرون صحيفة، فيها تهليل وتسبيح".
- ٢٠- تقترب رواية المسعودي إلى حد كبير من قصة "الكنزاربا"، فأخوخ بن يرد هو دنانوخ نفسه وهو هرمس، وهرمس هو إدريس، وهو الذي عرج إلى السماء السابعة، المكان العلي، ونزلت عليه الصحف، التي كان يحتفظ بها في غرفة مغلقة، ثم نزلت عليه ثمانية كتب أخرى، لم يصح منها غير الكتاب الثامن .

٢١- ورد معراج إدريس (دنانوخت) في "الكنزاري" والقرآن الكريم، وقصته واحدة من المتوافقات بين الكتابين. ورد في الآية: "وأذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيا، ورفعناه مكاناً علياً". وفي صلة إدريس بالصابئة وينفي عنهم عبادة النجوم أو الأصنام قال السيوطي: "إن النبي إدريس، عليه السلام، دعا الخلق إلى الله تعالى فأجابوه، وكانت عقيدته الصابئة، وهي توحيد الله تعالى والطهارة والصوم وغير ذلك من رسوم التعبدات".

٢٢- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) جاء ذكر الصابئة المندائيين عنده وسنذكرها لأهميتها التاريخية بل المخالفتها الواقع، ونميل إلى أن ابن بحر كان يقصد المندائيين بالذات، فهو من البصرة إذ ديارهم في جنوب العراق، وابن بحر كأديب، صاحب نثر فني، يدخل ما يعرض من أخبار وطرائف بلا تمحيص، وربما خلق الرواية خلقاً، كتب تحت عنوان (خصاء الصابئة): وأما الصابئون وانتحل من الديانة والعبادة بخصاء الولد التام، وبأدخاله النقص على النسل، كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي، وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ويسمعون منه، ويستمر عندهم.. وقد خصى نفسه من الصابئين رجال، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم وصفاتهم وأحاديثهم. إن كلام الجاحظ مردود من ألفه إلى يائه، إذا كان الأمر يتعلق بالصابئة المندائيين، فقد حرمت عقيدتهم الجنة على من يعزف عن الزواج، ولا يولون عاقراً منصباً دينياً، والبوثة (الآية) التالية من كتابهم المقدس كفيلة بهذا الرد: "أيها العزاب أيتها العذارى، أيها الرجال العازفون عن النساء، أيتها النساء العازفات عن الرجال، هل وقفتم على ساحل البحر يوماً؟ هل نظرتم إلى السمك كيف يسبح أزواجاً؟ هل سعدتم إلى ضفة الفرات العظيم، هل تأملتم الأشجار واقفة تشرب الماء على ضفافه وتثمر؟ فما بالكم لا تثمرون؟ وجاء في البوثة: "الرجال الزاهدون في النساء، والنساء الزاهدات في الرجال كذلك يموتون، ومصيرهم الظلام

حين من أجسادهم يخرجون"، والبوثة: "اثمروا إن أردتم أن تصعدوا حيث النور".
فهل تكفي الجاحظ بوث "الكنزاربا" الكثيرة في تقديس الصابئة الخصب؟ أورد أبو فرج النديم أموراً هامة أخرى، لها صلة بكتاب الصابئة المقدس، ذلك الكتاب الذي رفعه رئيس كهنتهم، المدعو دنقا، يوم دخول العرب المسلمين العراق، ليبين لهم أن قومه من أهل الكتاب. قال النديم عن أحمد بن عبد الله بن سلام مولى هارون الرشيد: "ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء، وهم الصابيون الإبراهيمية، الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام، وحملوا عنه الصحف، التي أنزلها الله عليه، وهو كتاب فيه، إلا أنني اختصرت منه ما لا بد منه ليعرف به سبب ما ذكرت منه اختلافهم وتفرقهم، وأدخلت فيه ما يحتاج إليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار، التي جاءت عن الرسول (ص) وعن أصحابه، وعن مَنْ أسلم من أهل الكتاب".

٢٣- وقال المترجم أحمد بن سلام أيضاً: "ترجمت هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل، وكتب الأنبياء والتلامذة، من لغة العبرانية والصابية وهي لغة أهل الكتاب إلى اللغة العربية، حرفاً حرفاً، ولم اتبع في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف، ولم أزد على ما أوجدته في الكتاب الذي نقلته، ولم أنقص إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب" (٩٥).

وعد مولى هارون الرشيد الكتب السماوية، وما ادعتها الصابئية منها، منذ ذلك الزمان وبالتالي: "جميع ما أنزل الله تعالى من الكتب مائة كتاب وأربعة كتب، من ذلك مائة صحيفة أنزل الله تعالى فيما بين آدم وموسى، فأول كتاب أنزله الله جل اسمه على شيث عليه السلام، وهي إحدى وعشرون صحيفة، والكتاب الثالث أنزله الله على

أخنوخ (مصحف من الاسم المندائي دنانوخت) وهو إدريس عليه السلام، وهو ثلاثون صحيفة، والكتاب الرابع أنزله جل اسمه على إبراهيم عليه السلام وهو عشر صحائف".
يذكر الشيخ ستار جبار حلو رئيس طائفة الصابئة المندائية: «قوميتنا مندائية آرامية، نحن مندائيون آراميون ونمتلك الخصائص القومية، لغتنا هي المندائية، وهي فرع من الآرامية. لدينا تاريخنا، ووجودنا يسبق الآشورية، لدينا دين، لدينا تراث، لدينا شعب. فالآرامية تشمل الكلدان والسريان والآشوريين والمندائيين.

يقول ياسين الناشئ في بحثه الصابئة المندائيون: (اللغة المندائية هي اللغة التي وردت بها المخطوطات الصابئية، فكل الكتب الدينية ما تحتويه من تعاليم وصلوات وتراتيل مكتوبة بهذه اللغة، وأول من قرأ الأبجدية المندائية هو آدم وبقية المختارين الأصفياء، ومنهم يحيى بن زكريا، وهي مقدمة عند جميع الصابئة. واللغة المندائية هي لهجة من الآرامية التي تنتسب إلى المجموعة السامية كالبابلية والآشورية والكلدانية).

أمّا غضبان الرومي فيقول: اللهجة المندائية هي أقرب اللهجات إلى السريانية.

المبحث الثالث

المشتركات بين المسلمين والصابئة المندائيين

- ملامح التشابه بين الطقوس الاسلامية والمندائية^(١):

يلاحظ المتابع والمقارن بين الديانة المسلمة والديانة الصابئية أن هنالك كثيراً من أوجه التشابه في كثير من القضايا في مجمل الأحكام والإعتقادات سنأتي عليها تباعاً وبما يسع له البحث :

١- ذكر اسم الله قبل الطعام و قبل كل شئ و خاصة ذبح الذبيحة اذ لا يأكل كلاهما من المذبوح إلا الحلال المسمى عليه بأسم الله .

ذكر هذا المعنى في القرآن الكريم والذي يتعبد به المسلمون ، قال تعالى : {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ^(٢)}

فالصابئة تقول: (بسم الحي العظيم) والمسلمون يقولون (بسم الله الرحمن الرحيم) وعند المسلمين (الله) هو الحي العظيم ، فكلاهما يذكران إسم الله تعالى عند الذبح.

٢-الوضوء في الإسلام هو طبق الأصل (الرشامة) لدى المندائي ، أي غسل الأعضاء و قراءة آيات أثناء الغسل .

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا^(٣)}

١- الحج: كانت الصابئة الحرائية والإبراهيمية تحج، واما الصابئة المندائية لا تعد فريضة الحج ركناً من اركان الدين الاساسية.

(١) الاسلام والصابئة للباحثة لميعة عباس اعمارة، مجلة مندائي، امريكا.

(٢) سورة الأنعام / ١٢١

(٣) سورة المائدة / ٦

قال تعالى : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا }^(١).

٤- الإيمان بالملائكة - ولهم أسماء و أشهرهم جبرائيل- و للموت ملاك يراه الإنسان قبيل الموت ، و أسماء لكل الملائكة المكلفين بأعمال معينة ، وفي الإسلام "إن كل نفس لما عليها حافظ"

قال تعالى : { فَنادتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ }^(٢).

وقال تعالى : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }^(٣).

٥- الإيمان بالآخرة و الحساب و إن هناك جنة و ناراً و مطهراً ، و يسمى بالدين المندائي (المطرائي) و فيه تتطهر الروح من الخطايا الصغيرة .

قال تعالى : { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }^(٤).

٦- النبي من منظور الصابئة و الإسلام بشر ، يهدي لعبادة الله ، يسمو بالخلق و الرياضة الروحية ، إضافة إلى ذلك ينقل رسالة السماء إلى العباد و عن طريق الوحي ، أي أن النبي يوحى له من قبل خالقه .

قال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }^(٥).

(١) سورة آل عمران / ٩٧

(٢) آل عمران / ٣٩

(٣) البقرة / ٢٨٥

(٤) البقرة / ٢٠١

(٥) فصلت / ٦

٧- الصلاة خمس مرات في اليوم ثلاثة في النهار واثنين في الليل عند المسلمين.

قال تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} (١).

١- صوم شهر في السنة ، و الصابئة صيامهم ٣٦ يوم يفرقون أيامه و يصومون عن اللحم والسمك والبيض فيها فقط.

- أما عند المسلمين :

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٢).

٩- القرآن إسم مشتق من الفعل الآرامي المندائي قره ، قاري فيكون معناه مجموعة الأدعية والسور المنزلة، فهو بذلك يماثل الكنزا ربا كتاب الصابئة المندائيين بأنه مجموعة من السور(البوث) المنزلة من قبل العظيم والتي أرسلت عن طريق الملاك جبرائيل الرسول (جبريل).

قال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} (٣).

(١) الإسراء / ٧٨

(٢) البقرة / ١٨٥

(٣) القيامة / ١٧-١٨-١٩

وقال تعالى: {وَإِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (١).

١٠- الاغتسال من الجنابة و الحيض و لمس الميت .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٢).

١١- صفات الله الرحمن الرحيم الغفور الواحد العالم لا يأتيه غيظ و لا حقد ، العزيز الحكيم العليم البصير العليم لا يرى و لا يحد و لا كفو له بعظمته و عند المسلمين (و لم يكن له كفواً احد) في الاسلام.

قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٣).

١٢- الدعوة إلى السلام و ما ظاهرة السيف في الإسلام إلا لضرورة و اضطرار و خيار أن يكون أو لا يكون لقد اضطر الإسلام أن يدافع عن وجوده باستمرار وجود النبي و اضطرته الإخطار المحدقة و المهدة لاستمراره أن يرفع السيف و يحمي نفسه و

(١) يونس / ١٥

(٢) المائدة / ٦

(٣) الحشر / ٢٢-٢٣-٢٤

لولا تلك الظروف لرأيناه كما الصابئة يحرم القتل و يشرك المقتول بجريمة القاتل
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١).

لم يبق من الصابئة إلا أعدادٌ قليلة في العراق وإيران، يحتفظون بلغتهم الدينية التي
تسمى الآرامية المندائية، أي أنها إحدى لغات جنوب الجزيرة العربية القديمة. وقد
يكون الصابئة قدموا من تلك المناطق بعد أن تعرضوا للإضطهاد والذبح من قبل اليهود،
على إعتبار أن اليهود وجدوا في جنوب جزيرة العرب.

قال تعالى : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ
مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا} (٢).

(١) المائدة / ٦٩

(٢) النساء / ٩٣-٩٤.

المبحث الرابع

الصابئة المسلمون المؤمنون

وورد في نص مندائي: ((يا شلماني وامهيمني.. يا امهيمني وشلماني.. لا تيفخون من مملا لخون)) أي: ((أيها المسلمون المؤمنون، وأيها المؤمنون والمسلمون، لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدتم الله عليه)). وهذا النص تشير إلى المعنى ذاته حول مفهوم الإسلام والإيمان الذي تشير إليه الآية القرآنية: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(١)، كما يفهم منها ان ديانة إبراهيم الخليل الحنيفية.

كل كتب التاريخ تسجل ان إبراهيم سابق اليهودية، ودينه وصفه سابقه لكل الأديان. ومنه اشتقت الأديان وإليه انتسبت، يقول كتاب الله العزيز:

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) صدق الله العلي العظيم

ولعل من المفيد أن نذكر أن معنى الأحنف تعني عيب في الجسم أو ميلان.

كما أن الحنفاء أعطوا نفس المعنى لكلمة الصابئة التي هي بالأصل الصابغة فأكسبوها بالتداول معنى الانحراف والميلان والخروج عن الدين الأصلي وهكذا افترق المذهبان التوأمان.

لعل المرجح المتيسر عن الفرق بين الأحناف والصابئة في العقائد وهو كتاب الملل والنحل للشهرستاني وهو مؤرخ مسلم عدد فروقاً تتعلق بمعتقد الصابئة والأحناف أهم هذه الفروق أن الأحناف تقول بوساطة النبي بين الله والبشر والصابئة تقول بوساطة الأرواح

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

النورانية (الملائكية) بين الله والبشر وهي التي تنزل على النبي وتعلمه بالوحي ولا اتصال مباشر مع الخالق ان كل ما ذكر الشهرستاني صحيح وبالإضافة إلى ما ذكر أن الفرق بين رأبي هو التعميد (الصابغة) فأتباع إبراهيم (ع) ممن تيسر لهم العيش على ضفاف دجلة والفرات والنيل والأردن ونهر الكارون وفروعه في إيران يمارسون العماد بالماء والتطهير بالماء الجاري في حين أن أتباع إبراهيم (ع) من الأحناف تخلو تدريجياً عن عادة المبالغة بالاغتسال بسبب ظروفهم الجغرافية وقد كانوا يتعمدون بآبار مقدسة في الجزيرة إلى فترة طويلة ثم كرهوا هذا الطقس المعقد أو اضطروا إلى تركه في بيئة يفتقدون فيها إلى ماء الشرب.

ومن هنا نشأت الاختلافات الرئيسية فالمؤمن المتبع لملة إبراهيم (ع) لا بد أن يتعمد بالماء الجاري منذ طفولته (على رأي الصابئة) وبالتعميد يصبح مندائياً.

ومن كتاب الكنزا ربا أيضاً: ((ظن آدم انه سيد الدنيا، ونهض ووقف وقال: أنا ملك بلا نظير، أنا سيد كل الدنيا، تجول، نظر إلى جبل، رأى شلال ماء، قال: لكني لم أخلق هذا؟! لا بد أن يكون هنالك خالق أعظم مني، وها أنا أصلي وأدعو أن أقتدي به وأن يكون صديقي)). ويذكر كتاب كنزا ربا كيف أن الله الخالق العالي أنزل على آدم الملاك جبريل، أي رجل الله، فعلمه كل شيء، فهو الذي عرف كل شيء، واقتبست هذه العبارة بملحمة كلكامش لتكون بدايتها، والعبارة ذاتها وردت في القرآن الكريم: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)^(١).

ولم يكن الإسلام اسماً جديداً بظهور النبي محمد (ص)، فكل أنبياء الله السابقون ومن آمن بهم واتبعهم هم من المسلمين، أي انهم نقيض المشركين بالله، قال تعالى في القرآن الكريم: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

(١) سورة البقرة: الآية ٣١.

المُشْرِكِينَ^(١)، وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا)^(٢).

فالمسلم، وفقاً للقرآن الكريم هو من أسلم وجهه لله وآمن به، وهذا هو الإسلام دين الله (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)^(٣)، الذي يتبعه كل من آمن بالله وسلم به، فكل موحد هو مسلم، سليم من الشرك والكفر. ولذلك فالمندائيون يسمون أنفسهم المسلمين منذ أقدم عهودهم. جاء في الكتاب المندائي المقدس:

- ((وشوما لكلهم شلمانيا قشطا ومهيمننا)) أي: واسمه لكل المسلمين قسط وإيمان. ويتابع قائلاً:

- وذكروك برؤية حق، وآمنوا بك بقلب مسلم وباركوك بغم مملوءة بالتسبيح.

- يا مسلمون ومتدينون، يا متدينون ومسلمون لا تخذعوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس البشرية.

- لأن من في قلبه بغض لا يعد مسلماً.

- واسمه ملاً أفواه المسلمين بالحق.

- طوبى للمسلمين المؤمنين الذين يأملوك وعرفوك فسموا مزكين مبصرين النور.

- كلكم يا مؤمنون ومسلمون يا من تصطبغون، باركوا الخبز وكلوه وباركوا الماء واشربوه.

- أيها المختارون المسلمون كونوا لطفاء وليرحم أحدكم الآخر بالحق. (كنزا ربا).

هذه بعض الآيات التي تذكر صفة المؤمن بأنه مسلم، والمسلمون صفة المؤمنين وهناك العديد من الآيات.

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

إن ما نستخلصه من التقارب بل والتماثل أحياناً كثيرة بين الطقوس والتشريعات والمحرمات والفرائض في الديانة المندائية وبين مثيلاتها في الديانة الإسلامية بل وفي كل الأديان السماوية، هو أن هذه الأديان من مصدر إلهي واحد، ولذلك فهي تتشابه في كثير من جوانبها، أما الاختلافات البسيطة بينها فلما جرى عليها تغيير عبر الزمن وساهم فيه الانعزال وعدم التفاعل بينها. ومع كل ما هو موجود من خلافات بينها فان الله سبحانه يأمر بالعدل والإحسان في التعامل مع الجميع، بل انه سبحانه يأمر صراحة باحترام أهل الكتاب وحتى الجدل معهم يكون بالتي هي أحسن: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَؤُلَاءِ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)^(١).

ويفرض القرآن الكريم أسس عالية الشفافية في التعامل مع أهل الكتاب وحتى مع المشركين، يقول تعالى مخاطباً النبي محمد (ص): (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)^(٢)، ويقول أيضاً: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)^(٣)، ومؤمنين هنا تعني الإيمان بما جاء بدعوة النبي محمد (ص) وليس بمعنى الإيمان بالله، لأن الإيمان بالله قائم منذ القدم، بل ان السائد منذ خلق آدم (ع)، وما الشرك إلا نشوز عن فطرة الله التي فطر عليها الناس. وفي كل الأحوال فان الله لم يفوض سلطته في الحكم على عباده وخلقه، من هو مؤمن ومن هو كافر لأحد، بل انه هو وحده متولي ذلك الحكم، يقول تعالى في كتابه الكريم: (وَإِنْ

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٩.

جَادِلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^(١).

إن إله الناس واحد، هو رب السموات والأرض، ونحن جميعاً — وإن تعددت دياناتنا — له مسلمون، أي مقرون بربوبيته بالخالص السريرة. فإسلام المندائيين يعني إسلام وجههم لله لا لغيره، كما قال تعالى في كتابه الكريم: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)^(٢). كما أن إسلام الوجه لله هو الإقرار بربوبيته وبكونه واحداً أحداً، ولأن التوحيد قديم، فهذا يعني أن الإسلام قديم أيضاً، وليس محدداً بكل من آمن بدعوة النبي محمد (ص) فقط، بل هو وصف أطلقه الله من قبل على كل من آمن بالرسول الذي بعث في زمنه، وبكل من وحد ربه وأسلم وجهه وقلبه وأمره كله لرب العالمين. فدين الله منذ القدم هو دين الإسلام، قال تعالى في كتابه الكريم: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)^(٣)، وقال تعالى أيضاً على لسان نبيه نوح: (وَأُمرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٤).

وبالنهج نفسه يصف الرب المزكى اسمه في كتاب المندائيين المقدس (كنزا ربا) المسلمين، ويعرف الإسلام لله والإيمان به: يقول عن الرب الخالق: ((اسمه ملء أفواه المسلمين والمؤمنين بالحق)). ويقول كذلك: ((طوبى للمسلمين المؤمنين الذين تأملوك وعرفوك)). وفي كل نواهي الرب عن فعل الباطل وأوامره بفعل الخير يردد: ((يا مسلمون ومؤمنون))، و((يا مؤمنون ومسلمون)). ويقول أيضاً: ((كلكم يا مؤمنون

(١) سورة الحج: ٦٨ – ٦٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٤) سورة يونس: الآية ٧٢.

ومسلمون، يا من تصطبغون باركوا الخبز وكلوه، وباركوا الماء واشربوه، تغفر خطاياكم وحبواؤكم))، والمباركة تتم بذكر اسم الله عليه. وأيضاً يقول: ((أيها المختارون المسلمون، كونا لطفاء، وليرحم أحدكم الآخر بالحق، وستصعد رحمتكم إلى باربيكم)). إن هذه الإشارات لذكر كلمة الإسلام والمسلمين في النصوص المقدسة للديانة المندائية تعد أقدم إشارة إلى ورود الكلمة بلفظها، حيث كان يظن كثيرون بأن هذه التسمية لم تأت هذه التسمية لم تأت صريحة إلا في نصوص الديانتين اليهودية والمسيحية. بل ان بعضهم كان يحصر ورود هذه الكلمة أولاً في القرآن الكريم، إلا ان ذكرها في كتاب المندائية بما له من قدم ثابت، وبلغته المندائية القديمة يقدم لنا دليلاً على صدق ما أشار إليه القرآن الكريم من قدم التسمية، بقوله تعالى: (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)^(١)، وعلى هذا فان من آمن بالديانة التي جاءت بدعوة النبي محمد (ص) إنما يكون مسلماً ملتحقاً بكل المسلمين الذين آمنوا بالله وبالرسول الخاص الذي بعث لهم كل في زمانه. كما أن آية (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(٢)، تعني نفس المعنى، بل وتؤكد. وجاءت آخر آيات القرآن الكريم لتختتم وتتم معنى الإسلام، ولتكون نصاً صريحاً بأن الدين الذي أكمله الله سبحانه هو ما أنزله على النبي محمد(ص)، بأنه ارتضى لهؤلاء الذين آمنوا بالإسلام الذي ارتضاه لجميع المؤمنين منذ أن بعث أول رسول للناس، قال تعالى في كتابه الكريم: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)^(٣).

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣.

من هو الطاهر؟ ومن هو النجس؟

يوماً تطال أبناء الطائفة المندائية أنواع لا حصر لها من الشتائم، فما من مندائي لم يعير ويقال له: (صبي نجس)، يحدث هذا في الشارع أو في المدرسة، بدون استثناء صغيراً كان أم كبيراً، وخاصة في حالة حدوث أي خلاف، أو بدونه أحياناً مع إختوتهم في الوطن والإيمان بالله. وأحياناً تصدر هذه العبارة من مثقفين ورجال دين يعتمدون على فهمهم الخاطي للآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)^(١)، وهي الآية التي تحرم على المشركين أن يدخلوا المسجد الحرام بعد عام تسع من الهجرة، وهو العام الذي أذن فيه الإمام علي (عليه السلام) ببراءة، ومنع طواف البيت عرياناً، ومنع دخول المشركين في المسجد الحرام. وحول هذه الآية جاء في تفسير الميزان^(٢): ((والنهي عن دخول المشركين المسجد الحرام بحسب المتفاهم العرفي يفيد أمر المؤمنين بمنعهم عن دخول المسجد الحرام، وفي تعليقه تعالى منع دخولهم المسجد بكونهم نجساً اعتبار نوع من الطهارة والنزاهة للمسجد الحرام))، ويوضح تفسير البرهان^(٣): أن المشركين (نجس) لأنهم لا يغتسلون للطهارة. وهذا ما أكدته تفسير الطبري^(٤) بقوله: ((واختلف أهل التأويل في معنى (النجس) وما السبب الذي من أجله سمّاهم بذلك، فقال بعضهم: سمّاهم بذلك لأنهم يجنبون فلا يغتسلون، فقال: هم نجس، ولا يقربوا المسجد الحرام لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد. حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، في قوله: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) لا اعلم قتادة إلا قال: (النجس)

(١) سورة التوبة: ٢٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، تفسير سورة التوبة.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تفسير سورة التوبة.

(٤) البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، تفسير سورة التوبة.

الجنابة))، إضافة لكل ذلك فقد ورد في الحديث الشريف قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب والكافر الجنب))^(١).

نستخلص من كل ذلك أن النجس هو غير المتطهر من الجنابة، وبذلك قد يكون المسلم نجس أو غير طاهر عندما يحدث وقبل أن يغتسل، والنجاسة هنا لا تدل على صفة شخصية بل هي حالة عرضية، تمنع دخول المسجد الحرام فقط، كما في النص، بينما باقي المساجد مختلف في دخوله إليها. إن رفض المندائيين لوصف بعض الجهلة لهم بـ(النجس) بدون حق، هو ترجمة لقول النبي يحيى (عليه السلام): ((رأس طهارتك أن لا ترمي نفسك بالنجاسة))^(٢)، فهم يدركون مدى طهارتهم كما هي طهارة كل أتباع الأديان السماوية. وينتظرون من المتنورين العلماء أشقائهم في الإيمان بالله أن يكونوا عوناً لهم في التصدي لهذه المقولة الظالمة، والتي تنكرها الشرائع والقوانين الوضعية وحقوق الأنسان.

ثم هناك شيء آخر فالمندائيون موحدون بالله كما سلف وأثبت في هذا الكتاب، والتوحيد جزء أساسي من دينهم. كما أنهم أصحاب كتاب ولهم نبي سبقه عدة أنبياء يؤمنون بهم جميعاً، كما يؤمن بهم كل أتباع الديانات السماوية، والقرآن الكريم لم يفصل كل شيء حول النبوات والأنبياء، قال تعالى في كتابه الكريم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)^(٣)، وقال في محكم آياته: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)^(٤). والمسلم مطالب بالإيمان بكل الكتب التي أنزلها الله وبكل الرسل

(١) رواه أبو داود، عون المعبود: ٢٦٧/١.

(٢) أقوال يحيى بن زكريا: ٢٨.

(٣) سورة غافر: ٧٨.

(٤) سورة فاطر: ٢٤.

الذين ارسلهم وإلا فهو الضلال الكبير وفق أمره سبحانه وتعالى بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)^(١). إن المسلم ذو الإيمان الحقيقي لا يفرق بين كتب الله تعالى ولا بين رسله، وبالتالي لا يُحقر أتباع الرسالات الأخرى، بل يحترمهم كمؤمنين بالله، قال تعالى في محكم آياته يصف الإيمان الحقيقي للمسلم: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)^(٢).

- مواجهة الاضطهاد بالانفتاح:

إن الطائفة الدينية المندائية من جانبها يترتب عليها مقابل الاضطهاد الحالي الذي تتعرض له، أن تكون أكثر انفتاحاً، فكل أو معظم ما تعانيه بسبب جهل الآخرين بحقيقة المندائية، ويبدو أن الطائفة تدرك هذا تماماً، فقد تمكنوا من تجاوز ما كان رجال دينهم يحرصون عليه لعهود طويلة، من تكتمهم على الكتب الدينية لحرصهم عليها من التحريف، وقامت محاولات جادة لترجمة هذه الكتب الدينية بشكل مباشر من المندائية إلى العربية، فتمت ترجمة الكتاب المقدس (كنزا ربياً) والبقية تأتي تباعاً، لكنها تحتاج إلى وقت وجهد ودعم مالي كبير. ولكن إذا اكتمل المشروع وترجمت كل الكتب المندائية البالغ عددها ٢٦ كتاباً، لوصلت الطائفة إلى أعلى حد من الشفافية، وأخرست جميع الألسن التي تتهمها بالوثنية وعبادة الكواكب والنجوم، أو بأنهم خليط من أديان الحضارات القديمة.

(١) سورة النساء: ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٥.

ابتهال مبارك اسمه (للحي العظيم)

إلى خالق السموات والأرض

ربّ سبحانك

بأسم الحي العظيم، معظّم النور السماوي

امنحني يا رب الصحة والنزاهة، واغفر لي خطاياي، أنا (الملواشة أو الاسم
الذني) وتقبل دعائي وتسبيحاتي يا ارحم الراحمين، أنت الخالق الذي مدّ بصري
لآبائي، ورسخ فكري وعقيدتي للحياة الأزلية. استسمحك يا خالق الحياة ألا تبعد
سائلاً فقيراً عنك. بكل تواضع استسمحك وبمعزل عن وجود السبعة يا خالق
السموات، الخالق الذي تقبل ارتجائي وصلاتي وتسبيحاتي، أن أقول: لتكن عدالتني
من عدالتك، ارزقني مكاناً في ملكوتك، وأقم لي سكناً في عالمك ولا تحملني عبء
أخطائي التي أثقلت كاهلي بهذا العالم. ارعني كي أتبرأ أمامك، كي أتحمّل الظلم
لأجلك، أنت أنهيت عنائي لأنني عبدك وخرسك والابن الذي عاش لأجلك. أنا الذي
تكلمت بقلبي، وعظمت عقيدتي، وحنيت قامتي وظهري أمام عدالتك. أنت الحاكم
الهادي الذي من فوق الضياء قادم. أنت النور الني الذي يعلو كل الأنوار. يا خالق
الرايات المتقنة، ويا خالق النظم الخفية، ورب جميع رسالات الحق، ورب التسبيح،
أقرّ لنا دعاء الأثريين، وتقبل تسبيحات الملائكة، وأسند فكري، وامنح القوة والعزم
لي ولكل محبي اسمك. ضعني تحت أنظارك، وأحببني بقلبك، وارعني بقوتك،
وألبسني من بهائك، واكسني من نورك، ولا تحرمني من قربك. أبعد عني المصائب،
والخوف، والغثيان. أنقذني من سطور الكواكب السبعة، والأبراج الاثني عشر.
أبعدني عن قبضة الشر حررني من قيود حبال الموت. لا تحرمني من قربك. سلحني

ضد الشر، وأسوار الغضب، وسلط الحق على رقاب مفسدي هذا العالم، واكبح الشر، وأبعد عني العوز والفقر، والحظ السيئ، وغفوة الخاسرين، وساعة الغضب، وأيام السوء، والمصائب التي تحدث في كل وقت. امنحني الحياة الأزلية، واسقني ماء الحياة المنعش، وأمر لي مستودع الصدقة، وأمنحني الحظ السعيد، واجعلني مع أخواني الناصورائيين كي يكونوا بقربي، وكي يغرسوا لي غرساً هادئاً، ومع زوجتي وأبنائي وتلاميذي، واجعل شيخوختي مباركةً دون أن ابتعد عن نظر أبنائي وسهر طلابي. بهذا الدعاء والصلاة ارتجي غفران الخطايا لي ولأبي ولأمي ولعلمي ولزوجتي ولأبنائي وتلاميذي ولكل الأنفس التي نهضت بأسم الحي العظيم ولأجله، واستقر اسم منداد هبي داخل قلوبها الصادقة والمفعمة بالإيمان. نعم للحي العظيم، وحقاً للحي العظيم، والحي العظيم يزكي كل محبي اسمه، ولا يجافيهم، ويجمعهم تحت رباط الحياة المقدس. الحياة تعرفنا، والحياة تثقفنا، والحياة للرجال الذين يرشدوننا. والحي عظيم في مقامه، ويزكي كل الصادقين الصالحين.

المبحث الخامس

الصابئة في فتاوى المسلمين

لم يهمل الفقه الإسلامي طائفة الصابئة المندائيون ، إذ مامن فقيه إلا وتناول حكم هذه الطائفة المؤمنة وكيفية التعامل معها ، لكونها تمثل شريحة مهمة في إطار التعايش السلمي بين المجتمعات ، وكونها شريحة مرتبطة بدين سماوي مؤمنة بأحد أنبياء الله ورسله ، ويؤمنون بالله والآخرة والقيامة والجزاء ، ويستنون بسنة نبيهم ، يحيى بن زكريا(ع) ، ويتلون ما أنزل إليهم من كتاب وحكمة (الكنزا ربا العظيم) ويطبقون ما فيه من عبادات ومعاملات وأحكام وديات .

الإمامية الإثني عشرية

آية الله العظمى السيد الخوئي (رض) :

يشير إلى أنهم من أهل الكتاب ، و ذلك عندما استدل بقوله تعالى : (إن الذين امنوا و الذين هادوا و النصرارى و الصابئين من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون) ، حيث يرى إنها ديانة مستقلة ، باعتبار أن هذه الآية جعلتهم في عداد الديانات المعروفة و لذا جعل السيد الخوئي أهل الكتاب أربعة طوائف : اليهود ، النصرارى ، المجوس ، الصابئة .

– آية الله العظمى السيد علي السيستاني :

قال السيد علي السيستاني في فبراير ٢٠٠٦ أجابة على السؤال التالي : يعتبر الصابئة المندائيون من سكنة العراق الأوائل الموحدين بالله ، و لهم كتابهم المقدس (الكنزا ربا) و لهم علاقات متميزة مع كافة المسلمين و خاصة من الشيعة ، ما هو رأي الإمام

علي السيستاني بالدين المندائي والمندائيين ويعتبرون من أهل الكتاب أم من أهل الذمة حسب نظركم ؟.

وقد أجاب آية الله العظمى السيد علي السيستاني بإجابة تحمل ختماً من (لجنة استفتاء مكتب سماحته و تقول(بسمه تعالى، قد يقال بأنهم طائفة مثل النصارى فيلحقهم حكمهم، ومع الشك فلا حكم بنجاسة ملاقيهم).

- آية الله العظمى السيد علي الخامنئي :

ذهب السيد الخامنئي (حفظه الله): إلى (أنهم ديانة مستقلة ، و إلى أنهم من أهل الكتاب ، بناءً على أن أهل الكتاب مفهوم عام، لا يختص باليهود و النصارى ، بل يشتمل كل من له كتاب سماوي).

- آية الله العظمى الشيخ المنتظري (ره) :

ذهب : الشيخ المنتظري إلى القول :

بأن المندائيين يعتقدون بنبوة يحيى، بل هو عندهم من أعظم المؤمنين والكهنة المندائية الذي كان يشفي أرواح الناس وأجسادهم، وهو الذي غير بعض مراسيم المندائية، ومن جملة ذلك أنه جعل الصلوات الخمس ثلاث صلوات . والمندائية يعتقدون بارتداد المسيح . وتسموا مندائية لعرفانهم ، والصابئة المغتسلة لارتماسهم في الماء واغتسالهم فيه . وهؤلاء هم الصابئون المذكورون في القرآن. وملخص عقائدهم أنهم يعتقدون بالله الواحد الأزلي الأبدي الذي لا نهاية له، ويكون منزها عن المادة والطبيعة ، وأنه يوجد له بعدد أيام السنة قوى روحانية يكونون جنوده في خلقه وأعوانه ولكل منهم منطقة خاصة به . ويوجد في دينهم مظاهر الثنوية، حتى أن وجود الإنسان مركب من الروح الذي يكون من عالم النور والجسم الذي يكون من عالم الظلمة. وأصح الكتب عندهم: " كَنَزَا " ويحسبونه صحف آدم. وأساس دينهم على الغسل والغسل ويخفون مراسيمهم الدينية عن أعين

الناس. ولهم ثلاثة أنواع من الغسل. والغسل الكامل يقع في اليوم الأحد وبعد الولادة وعند الازدواج والمرض السفر في حضور الكاهن. الصوم عندهم حرام كما في مذهب زردشت. والصلاة عندهم رائجة في كل يوم ثلاث مرات في ثلاثة أوقات. ومن أنبيائهم هرمس الحكيم. التوراة عندهم كتاب ضلال، وهم لا يعبدون الأجرام السماوية ولكنهم يعدونها من عالم النور. ويحرم عندهم قتل النفوس وشرب الخمر واليمين الكاذبة والأكل والشرب في حال الجنابة قبل الغسل، وقطع الطريق والسرقعة والعمل في الأعياد ولا سيما في اليوم الأحد والغيبية والزنا والاختتان ومطل الدين وأكل لحوم الحيوانات التي لها ذنب، التزوج بنساء الأجانب ولبس الثوب الأسود وشهادة الزور وأكل الربا والخيانة في الأمانة واللواط والقمار.^(١)

ذهب السيد الخامنئي و الشيخ المنتظري إلى (انه مع بقاء الشك في حالهم . فلا حوط إقرارهم على دينهم و اخذ الجزية منهم حفظاً للدماء) .

– آية الله العظمى السيد كاظم الحائري:

ارسل احد المواطنين سؤالاً إلى مكتب السيد اية الله العظمى كاظم الحائري هذا نصه: إلى مكتب سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد كاظم الحسيني الحائري (دام ظله) السلام عليكم ورحمة الله و بركاته أما بعد .. هل سماحة السيد الحائري (دام ظله) يقول بطهارة جميع طوائف الصابئة أو إن بعض طوائفهم يشركون بالله و يعبدون الكواكب والهيكل أفوتونا وفقكم الله ...

– وكان جواب السيد كاظم الحائري ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته و بعد :

(١) دراسات في ولاية الفقيه : ٣ / ٤٠٥

الصابئة المندائيون طاهرون ١١ صفر ١٤٢١هـ

- فتاوى حول صابئة الأهواز بإيران :

كيف تمثل المرجع الشيعي الإيراني الأول اليوم الصابئة في مقال ضمن سلسلة البحوث "فقه الحكم الإسلامي"؟

يرى "آية الله العظمى السيد علي الحسيني الخامنئي أن"النظام الإسلامي أولى الأقليات الدينية عناية فائقة...".، ويواصل فيقول إن "القول بجريان أحكام أهل الذمة أو عدم جريانها عليهم يحتاج إلى زيادة فحص في الأدلة والحكم وأيضا إلى بحث وتتبع جادين في معرفة الموضوع، إذ عمدة الإشكال في حكمهم ناشئ من عدم المعرفة بحالهم وحقيقة دينهم واعتقادهم"، ويشير إلى قول الأوزاعي فيهم : "فأما الصابئون فمنفردون بمذاهبهم ممن عدناهم... ويعتقدون في الفلك وما فيه الحياة والنطق والله المدبر لما في هذا العالم والدال عليه... وهؤلاء بالقياس إلى مشركي العرب وعباد الأوثان أقرب من المجوس لأنهم وجّهوا عبادتهم إلى غير الله سبحانه". كما يشير آية الله الخاميني إلى اختلاف الفقهاء في أمرهم وخاصة قول أبي سعيد الاصطخري بشأنهم: "لا تؤخذ منهم جزية ولا يُقرُّون على دينهم" وإصدار هذا الفقيه فتوى بقتلهم في حكم الخليفة العباسي خلال القرن الرابع للهجرة، وهو في هذا مخالف لجمهور الفقهاء الذين قالوا بأخذ الجزية منهم. ومن هنا يستدل المرجع الشيعي على أنّ الصابئة من أهل الكتاب أو أنّ لهم شبهة كتاب وليسوا من الكفار ولا يجوز أن نطبق عليهم الآيات القائلة فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (التوبة، ٥) وفادًا لقيتُم الذين كفروا فصرّب الرقاب(محمد، ٤)، وقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (التوبة، ٢٩).

ويقدم المرجع آراء الطبرسي في تفسيره وقوله الذي يتجه إلى عدم قبول الجزية منهم، مشيراً في ذات الوقت إلى حكم ابن الجنيد بدخول الصابئة في "من يؤخذ منهم الجزية". ويلاحظ غياب الإجماع في المسألة قائلاً: "إن الموضوع في هذه المسألة مما لا يُنقح من قبل فقهاءنا، لا بالفحص الخارجي، بل بالتتبع في أحوال منتحلي هذه النحلة واستماع عقائدهم منهم أو فهمها من كتبهم وأسفارهم ... حتى يحصل ما يمكن الركون إليه في معرفة هذه الفرقة". ثم يضيف ناقلاً رواية الواسطي: "والشبهة تقوم في مقام الحقيقة في ما بُني على الاعتباط، فحرمت دماؤهم للشبهة، بخلاف من لا كتاب له ولا شبهة كتاب".

واستدلّاه بأنّ للصابئة شبهة كتاب استدلال بحكم المجوس، لأنّ قوله "من لهم شبهة كتاب" يشمل المجوس وغيرهم من الفرق التي يكون فيها مثل ما كان في المجوس من الشبهة. ومن هنا، يخلص إلى رأي مفاده: "إنّ حكم الجزية يشمل هذا الفرد المشكوك كونه كتابياً بمفهوم الأولوية... وذلك باعتبار اشتغال كتبهم على عقائد لا تُعدّ إلاّ من الأديان الحقيقية الإلهية كعقيدة التوحيد والمعاد وتسمية الله ونسبة كلّ شيء إلى إرادته" (نشير في هذا الصدد إلى أن من أهم كتبهم كتاب الكنزارباً أي "الكنز العظيم"). ما نلاحظه إذاً هنا هو أنّ المرجع الشيعي قام ببحث حول الصابئة، قبل الإفتاء في أمرهم، إضافة إلى اهتمامه بانتظام الطائفة الداخلي عبر دراسة عقائدها وطقوسها من خلال المصادر الإسلامية من كتب تفسير وفقه وأيضاً من

خلال العودة إلى الطائفة و نصوصها. وهو ما يعني أخذ المرجع الشيعي الإيراني إنسانية الطائفة بعين الاعتبار.

– آية الله محمد حسين فضل الله:

ويعد السيد محمد حسين فضل الله، من المفكرين والكتاب المهتمين، يقول: أن الصابئة فرقتان: المنديا أو نصارى يوحنا المعمدان وصابئة حران الوثنيين، ويذهب مستفيداً من بحوث أخرى، على الأرجح من بحث "الصابئة المندائيون" لليدي دراوور، إلى أن "الصابئة الذين ذكرهم القرآن إلى جانب اليهود والنصارى من أهل الكتاب يعدون من المنديا، ولا شك في أن اسم الصابئة مشتق من الأصل العبري (ص ب أ) أي غطس، ثم سقط الغين، وهو يدل بلا ريب على المعدادانيين.

ولعل آية الله فضل الله ينفرد من بين علماء الدين والمفسرين بتحفظه على قبول نسخ الآيات التي ورد فيها اسم الصابئة بالآية: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، إذ قال: "نتحفظ على هذا الجواب، لأن مدلول هذه الآية لا يتنافى مع مدلول تلك، حتى نفرض نسخ الثانية للأولى، لأن الظاهر إرادة الإسلام بمعناه المصطلح، كما يلوح ذلك من صدرها، وهو الالتقاء على قاعدة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. وهذا ما تقره الأديان المشار إليها في الآية .

– الشيخ محمد جواد مغنیه :

ويقترح الشيخ محمد جواد مغنیه من الصواب عندما قال في الصابئين: "قوم يقرون بالله وبالمعاد وبعص الأنبياء، ولكنهم يهتدون بتأثير النجوم في الخير والشر، والصحة والمرض، ومنهم طائفة في العراق الآن. وعلى خلاف مَنْ اشتق تسمية الصابئة من صبا العبرانية أي غطس وتوضاً، وجد مغنیه أن التسمية مشتقة من "صبأت النجوم أي طلعت"، ويعددهم بأقدم الأديان في التاريخ. ويبدو لي أن مغنیه اطلع على سلسلة المقالات

التي حبرها الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة "المشرق" في العام ١٩٠٠ - ١٩٠١،
وذهب فيها إلى اشتقاق تسميتهم من الضوء .

لأنه نظر في واقع هذا الدين، لا فيما كُتب وقيل، نفى خامنئي أن يكون الصابئة
ديانة متفرعة من الأديان الأخرى بل نظر إليها كديانة مستقلة. قال: "الصابئة يعدّون
من شعب بعض الأديان الثلاثة: اليهود والنصارى والمجوس، أو إنهم نحلة أخرى
غير هؤلاء؟ والجواب على ذلك: قد علم من بعض ما ذكرنا في توضيح النقطة الأولى،
فلا دليل على ما قيل، وقد مضى ما نقلناه من كلمات بعض الفقهاء، من أنهم شعبة من
اليهود أو أنهم مجوسيون وأمثال ذلك مما نقله في الجواهر عن غير واحد من الفقهاء
كالشافعي، وابن حنبل، والسدي، ومالك وغيرهم، بل لعل مقتضى ما ذكرنا الجزم
بخلافه.

ولعل الخامنئي في كلمته التالية قدم نقداً غير مباشر للفقهاء الذين لم ينظروا في أمر
هذا الدين وهو حيٌّ بينهم، قال: "والحق الذي ينبغي الاعتراف به هو أننا لا نعرف
من المعارف والأحكام الدينية لهذه النحلة التاريخية، والتي أصبح المنتمون إليها
موجودين بين أيدينا وفي عقر بلادنا، شيئاً كثيراً تسكن النفس بملاحظته إلى معرفة
أصحابها، والباحث في هذا الموضوع يجد في حقل البحث الموضوعي فيه فراغاً كبيراً لم
يسدّ مع الأسف.

وبعد الاطلاع على ما نشر من "درفش" (كلمة فارسية تعني العَلَم وإحدى صحف
الصابئة، قابلت فيما بعد محررها المندائي الحلالي سالم جحيلي من صابئة الأهواز)
قال الخامنئي: "فمن جملة عقائدهم التي يدعونها ويصرون عليها التوحيد. ويستشهد آية
الله الخامنئي من بوثة التوحيد النص المندائي التالي: "إلهي منك كل شيء، يا عظيم يا
سبحان، يا حكيم يا عظيم، يا الله المتعال الكريم، علا قدرتك على كل شيء، يا من

ليس له شبيهه، ولا نظير ، يا راحم المؤمنين، يا منجي المؤمنين، يا عزيز يا حكيم،
يا من ليس له شريك في قدرته، اسبح بأسمك.

إن ما أكده مرشد الدولة الإيرانية في حكم الصابئة المندائيين هو "أن في عقائدهم
جملة من العقائد التوحيدية الحقّة المقبولة، وزمرة من الأباطيل المنافية للعقيدة التوحيدية
الخالصة. ويعني بالأباطيل المنافية للتوحيد الخالص هو "اعتقادهم بما يسمى منداهيي
الذي يقولون عنه بأنه أول من سبّح الله تعالى وحمده، وأنه أحد الملائكة المقربين ويقرون
أسمه في بعض البوثات(الآيات) بأسم الربّ تعالى، ومن ذلك ما يرى التوسل بالملائكة
الذين يسمونهم بأسماء عندهم ويعتبرونهم من المقربين، ويذكرون اسم آدم أبي البشر
ويحيى عليه السلام في عداد الملائكة، ويسلمون على الأنهار المقدسة والأماكن المقدسة
وعلى الحياة وسكان عالم الأنوار وغير ذلك.

كل ما أفصح به آية الله علي الخامنئي في أمر الصابئة كان صحيحاً، لكنه ربما لم
يسمع منهم تأويل علاقتهم بالماء الحي وتعريفهم لعالم النور، وأي دين يخلو مما لدى
الصابئة من العلاقة بالماء والضياء؟ فهم إذ يجعلون للماء منزلة في طقوسهم، كوسيلة
للعباداة، لا يسلمون على الأنهار وإنما يذكرون الحي القديم وهم وسط النهر. وقد لا
ينفصل اهتمام آية الله خامنئي بالصابئة المندائيين عن مهامه كمرشد لدولة يقطنها المسلم
والمسيحي واليهودي والمندائي والزرادشتي والبهائي، وهو بذلك تفوق على سلفه آية الله
الخميني في معاملة أهل الكتاب والأديان الأخرى، فالزرادشتيون بإيران يظهرون في
المجالس الرسمية بثيابهم البيضاء الناصعة، مع أنهم على دين منسوخ بالإسلام .
كان هذا التجاهل والجهل قديماً بأمر الصابئة، والسكوت عما شاع بنجاستهم بين
العامة في جنوب العراق، وعانى المندائيون ما عانوا منه، رغم ذكرهم في القرآن.

- من الحنابلة: ابن قيم الجوزية:

وصفهم ابن قيم الجوزية (ت - ٧٥١هـ) وهو حنبلي المذهب فقال: الصابئة أحسن حالاً من المجوس فاخذ الجزية منهم تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق الأولى؟ فان المجوس أخبث الأمم ديناً ومذهباً ولا يتمسكون بكتاب ولا ينتمون إلى ملّة ولا يثبت لهم كتاب ولا شبه كتاب. ان هذا اعتراف ضمنى عن فقيه حنبلي كبير في مذهبه وتلميذ شيخ الإسلام ابن تيميه (ت - ٧٢٦هـ) بكتب أو شبه كتاب للصابئة.

- الحنيفة: أبو حنيفة النعمان:

اعترف أبو حنيفة النعمان لهذا الطائفة بمعاملة أهل الكتاب وذكر ذلك مفتي بغداد أبو الثناء الآلوسي في تفسيره روح المعاني عند تفسيره الآية (٦٢) من سورة البقرة وقد وصفهم بما وصفهم الشهرستاني وزاد قليلاً. والإمام أبو حنيفة يقول: أنهم ليسوا بعبدة أوثان وإنما يعظمون النجوم كما نعظم الكعبة. وأنصفهم العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في كتابه حسن المحاضرة، أن النبي إدريس(ع) دعا الخلق إلى الله: فأجابوه وكانت عقيدة الصابئة وهي توحيد الله والطهارة والنوم وغير ذلك.

وفي الختام نقول آ ن الأوان أن يُرفع الظلم والإجحاف عن جميع الطوائف والملل ومنها طائفة الصابئة المندائيين وان يأخذوا حقهم أسوة ببقية الطوائف العراقية المخلصة.

- الشافعية:

اما الشافعية فذهبوا إلى ان الصابئة يجوز ان تعقد لهم الذمة بالجزية ان لم تجز مناكحتهم لان مبنى تحريم النكاح الاحتياط .

- المالكية :

قالوا بجواز إقرارهم كذلك وإن الجزية يجوز أن تضرب على كل كافر كتابياً أو غير كتابي .

س/ هل يحل للمسلمين أكل ذبائح الصابئة ؟

ج/ الصابئة التي تؤمن بالتوحيد و لا تقر بالوثنية و قد ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في المواضع التالية(البقره: ٦٢ ، المائدة: ٦٩، الحج: ١٧) و يعتبرهم أهل كتاب مساوياً بينهم و بين اليهود و النصارى و المسلمين أنفسهم، و قد أفتى الإمام أبو حنيفة بأخذ الجزية من صابئة العراق على هذا الأساس، و وافقه على ذلك الإمام أبو يوسف و مثل ما جاء في سورة المائدة (اليوم احل لكم الطيبات و طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم و طعامكم حل لهم) (المائدة : ٥)

هذه الآية الكريمة قد دلت على حل طعام أهل الكتاب و المراد عن ذلك ذبائحهم . قال القرطبي: والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء أنهم موحدون ، ويعتقدون تأثير النجوم وأنها فاعلة . واختار الرازي : أنهم قوم يقصدون الكواكب ، بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء ، أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها . وبناء على هذا اختلفت آراء الفقهاء في حكم التزوج منهم . فمنهم من رأى أنهم أصحاب كتاب دخله التحريف والتبديل ، فتاوي بينهم وبين اليهود والنصارى ، وأنهم بمقتضى هذا يصح الزواج منهم لقول الله عز وجل: (اليوم أجل لكم الطيبات، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الآية . وهذا مذهب أبي حنيفة وصاحبيه .

وجاء في الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة وجود خلاف بين العلماء في مسألة الإقرار مع أخذ الجزية وذلك على غرار المواقع الشيعيّة، إذ يرى البعض أنه لا يجوز إقرارهم في جزيرة العرب كسائر المشركين وأهل الكتاب، في حين ذهب أبو حنيفة إلى جواز إقرارهم في بلاد الإسلام وأخذ الجزية منهم بناء على أنّهم نصارى، وأنّ تعظيمهم للكواكب ليس من باب العبادة لها .

المبحث السادس

الوصايا والاحاديث النبوية الشريفة

بالمعاهدين من أهل الديانات التوحيدية

- الديانات التوحيدية:

- الأولى : حرمة القتل بغير حق :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : عَنْ النَّبِيِّ (ص) قَالَ : ((مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا))^(١).

ودلالة هذا الحديث واضحة على تأكيد اهمية الإسلام ورعايته لإهل الذمة وحفظ ذمارهم وأنفسهم وأموالهم ، لإنهم في كنف الإسلام ورعايته وحفظه. ودل أيضا على خروج المسلم من إسلامه باعتدائه أو قتله للذمي بحيث لا يرى الجنة ولا يشم ريحها.

- الثانية: حرمة القذف:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَنْ قَذَفَ ذِمِّيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسِيَّاطٍ مِنْ نَارٍ قِيلَ لِمُكْحُولٍ : مَا أَشَدُّ مَا يُقَالُ ، قَالَ : يُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ الْكَافِرِ^(٢).

وهذا المعنى الذي إستقاه رسول الأنسانية النبي محمد (ص) من القرآن الكريم الذي يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }^(٣).

(١) عمدة القاريء ، العيني : ٢٤ / ٧٢

(٢) مجمع الزوائد الهيثمي : ٦ / ٢٨٠

(٣) الحجرات / ١١

– تحريم ظلم الذمي :

عن عبدالله بن جراد، ان رسول الله قال: ((من ظلم ذمياً مؤدياً الجزية ، مقراً بذمته، فأنا خصمه))^(١).

وهذا ينطلق من كلام الباري في كتابة العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٢).

وفي ذلك يقول يقول كولدتسيهر: "في ظلم أهل الذمة، وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين، وكان يحكم على من ظلمهم بالمعصية وتعدي الشريعة. ففي بعض المرات عامل حاكم إقليم لبنان الشعب بقسوة عندما ثار ضد ظلم أحد عمال الضرائب، فحكم عليه بما قاله الرسول : (من ظلم معاهداً، وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة). وفي عصر أحدث من هذا ما رواه بورتير Porter في كتابه (خمس سنين في دمشق) أنه كان في هذا الموضع مسجد هدمه عمر لأن الحاكم قد اغتصبه من يهودي ليبنى عليه هذا المسجد!".

– موقف الدولة الاسلامية من الموحدنين من الديانات الأخرى:

أهل الذمة – من الديانات التوحيدية الأخرى – هم الأقليات من أهل الكتاب داخل الدولة الإسلامية ..

(١) اسد الغابة ، ابن الأثير : ٣ / ١٣٣

(٢) الحجرات / ١٢ - ١٣

يقول السيد المنتظري: في بيان عظمة الإسلام واحترامه للأديان التوحيدية الأخرى ومنها الديانة الصابئية: إن الأديان السائدة في العالم حاليا كثيرة، إلا أن الأديان المعروفة التوحيدية التي يؤمن أتباعها بوحداية الله وعالم الغيب والقيامة الكبرى، والبعيدة عن المادية وعبادة الأوثان ليست سوى ثلاثة، وهي: اليهودية و النصرانية والإسلام. وقد وصلت إلينا هذه الأديان عن طريق التواتر (أي جيلا بعد جيل)، حتى لم يبق لدينا شك في كونها إلهية، وقد أيد القرآن الكريم اليهودية والنصرانية و كتابيهما التوراة والإنجيل، كما ان ظاهر القرآن وإن كان على تأييد الصابئة أيضا ، إلا أن هذا يستدعي بحثا مطولا لا يسعنا التطرق اليه هنا .وقد طبقت الأحاديث الواردة وفتاوى الفقهاء أحكام أهل الكتاب على المجوس - أتباع الديانة الزردشتية - أيضا . ومن خلال الدراسات الكثيرة التي قمت بها ، وجدت أن الدين الاسلامي أكمل وأجمع وأسمح الأديان التوحيدية ، وبعبارة أخرى : ان الدين الاسلامي هو خاتم الأديان الإلهية ، وآخر مرحلة من هداية الناس في حياتهم الفردية والاجتماعية من خلال منهج صحيح ومسير جامع ، يريهم من خلاله سبل الوصول إلى الغاية من خلقهم^(١).

- ويروي الشيخ الصدوق ما يناله أهل التوحيد من غفران الذنوب ودخول الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق بشيرا لا يعذب الله بالنار موحدا أبدا ، وإن أهل التوحيد ليشفعون فيشفعون ، ثم قال عليه السلام : إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار ، فيقولون يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنا نوحدهك في دار الدنيا ؟ وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا ؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلا أنت ؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفرناها لك في التراب ؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك، فيقول الله جل جلاله : عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا

(١) ظ: الشيخ المنتظري، من المبدأ إلى المعاد، حوار بين طالبين / ١٠١

فجزاؤكم نار جهنم ، فيقولون : يا ربنا عفوك أعظم أم خطيئتنا ؟ فيقول عز وجل : بل عفوي ، فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا ؟ فيقول عز وجل: بل رحمتي ، فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا ؟ فيقول عز وجل : بل إقراركم بتوحيدي أعظم ، فيقولون: يا ربنا فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كل شئ ، فيقول الله جل جلاله ، ملائكتي وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إلي من المقرين لي بتوحيدي وأن لا إله غيري ، وحق علي أن لا أصلي بالنار أهل توحيدى ادخلوا عبادي الجنة^(١).

– شهادات علماء الغرب في الإسلام بالموحدين من أهل الكتاب:

يقول أدوار بروي: "فاليهود والنصارى الذين هم أيضاً من أهل الكتاب، حق لهم أن يتمتعوا بالتساهل وأن لا يضاموا. وكان لابد من وقوف هذا الموقف نفسه من الزرادشتية والبوذية والصابئة.. وغيرها من الملل والنحل الأخرى. والمطلوب من هؤلاء السكان أن يظهروا الولاء للإسلام ويعترفوا بسيادته وسلطانه ، وأن يؤدوا له الرسوم المترتبة على أهل الذمة تأديتها.. وفي نطاق هذه التحفظات التي لم يكن لتؤثر كثيراً على الحياة العادية، تمتع الذميون [في الإسلام] بكافة حرياتهم"

ويقول: مونتكومري وات: "إن تعامل المسلمين كان مختلفاً تجاه اليهود والمسيحيين والزرادشتيين و الصابئة وغيرهم ممن اعتبرت دياناتهم شقيقة للإسلام، رغم الدعوى القائلة بأن الأتباع المعاصرين لتلك الديانات قد ابتعدوا عن جوهرها. ومهما كان الأمر فقد كان بالإمكان قبولهم نوعاً من الحلفاء للمسلمين في معظم الأقطار التي فتحتها العرب. لذلك فإن غرض الجهاد لم يكن يهدف إلى تحويل أولئك السكان نحو الإسلام بقدر ما كان يهدف إلى اعترافهم بالحكم الإسلامي وبمنزلة أناس يحميهم الإسلام. وبعامه فإنهم (أهل الذمة)".

(١) ظ: التوحيد / ٢٩

" وكانت الطائفة الذمية مجموعة من الناس تعتنق ديانة واحدة لها استقلالها الداخلي برعاية رئيس ديني كالبطريك أو الرابي ، وكان على كل فرد من أفراد المجموعة الذمية دفع ضريبة شخصية إلى الحاكم المسلم.. وكانت تلك الضرائب أحياناً أقل وطأة من الضرائب التي كانت تدفع للحكام السابقين. وكانت حمايتهم بصورة فعالة بالنسبة للدولة الإسلامية تمثل كلمة شرف تلتزم بها الدولة وتنفذها".

١ - حرية الموحدين غير المسلمين في الاعتقاد:

يقول "روم لاندو": "على نقيض الإمبراطورية النصرانية التي حاولت أن تفرض المسيحية على جميع رعاياها فرضاً، اعترف العرب بالأقليات الدينية وقبلوا بوجودها. كان النصارى واليهود والزرادشتيون والصابئة يعرفون عندهم ب(أهل الذمة)، أو الشعوب المتمتعة بالحماية. لقد ضمنت حرية العبادة لهم من طريق الجزية.. التي أمست تدفع بدلاً من الخدمة العسكرية. وكانت هذه الضريبة مضافاً إليها الخراج، أقل في مجموعها من الضرائب التي كانت مفروضة في ظل الحكم البيزنطي. كانت كل فرقة من الفرق التي تعامل كملة، أي كطائفة نصف مستقلة استقلالاً ذاتياً ضمن الدولة. وكانت كل ملة تخضع لرئيسها الديني".

٢ - حرية الديانات الأخرى في ممارسة الشعائر :

يقول ول ديورانت: "كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيراً لها في المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم.. وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم".

٣- التكافؤ في الدية:

ويقول "آدم متز" "كانت حياة الذمي عند أبي حنيفة وابن حنبل تكافئ حياة المسلم، ودية المسلم، وهي مسألة مهمة جداً من حيث المبدأ.. ولم تكن الحكومة الإسلامية تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة، بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحض مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصيانتهم.. وكذلك ازدهرت الأديرة بهدوء..".

٤ - رعاية المسلمين لأهل الذمة في المعاملة:

يقول آرثر ستانلي تريتون: "ولما تدانى أجل (عمر بن الخطاب) أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم) وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة (عيثويابه) الذي تولى كرسي البطركية من سنة ٦٤٧ إلى ٦٥٧م إذ كتب يقول: (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، أنهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقدسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا). والظاهر أن الاتفاق الذي تم بين (عيثويابه) وبين العرب كان من صالح النصارى، فقد نصّ على وجوب حمايتهم من أعدائهم، وألا يحملوا قسراً على الحرب من أجل العرب، وألا يؤذوا من أجل الاحتفاظ بعاداتهم وممارسة شعائرهم، وألا تزيد الجزية المجبأة من الفقير على أربعة دراهم، وأن يؤخذ من التاجر والغني اثنا عشر درهماً، وإذا كانت أمة نصرانية في خدمة مسلم فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها أو إهمال صلاتها والتخلي عن صيامها".

٥ - الاستعانة بهم في أجهزة الدولة:

يقول آدم متز: "ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية" وقد كان عمر بن الخطاب يستخدمهم في كتابة الدواوين والترجمة.

المبحث السابع

التأثيرات المندائية في التراث الإسلامي

الطقوس الدينية :

إن فكرة الشفاعة عن طريق الملائكة، أو التقرب بهم لله، التي كانت شائعة لدى عرب ما قبل الإسلام، هي فكرة مندائية بالأساس، ومع أن المندائية لا تنظر إليهم على أنهم شركاء لله في ملكه، - بل كانت تركز على الهدف الأسمى من خلالهم، ألا وهو عبادة الله الصانع المبدع الذي خلقهم وخلق كل شيء. وإذا كان الإسلام قد رفض فكرة الشفاعة تلك وعدّها شركاً، فلأن عرب الجاهلية نسبوا ملائكتهم التي حولوها إلى أصنام، إلى الله على أنهم أبنائه أو شركائه، وكان منطلق الإسلام في الرفض هو التوحيد الخالص لله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد -.

ولكن التأثيرات المندائية تجاوزت مرحلة الجاهلية ودخلت بعض الحركات الإسلامية ومنها: تحريم الختان، فقد حرمت بعض الفرق السرية الإسلامية الختان للسبب نفسه الذي تحرمه من أجله المندائية، وهم عدم إنقاص ما خلق الله في الجسد. فقد شاع عن عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب انه شرّع لأصحابه، وهم جماعة من الشيعة، وقال لهم مقولة المندائيين: ((إن المختن راغب عن خلق الله، ولولا الشعر والظفر ميتان وعلى الحي مفارقة الميت ما قلمنا ظفراً ولا خففنا شعراً))^(١).

في طقس الختان يقف المندائيون واليهود على طرفي نقيض، ففي الوقت الذي جعلته اليهودية شرطاً أساسياً من شروط الديانة، جعلت المندائية ممارستها خروجاً عن الديانة.

(١) الصابئة المندائيون، العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم حتى اليوم، محمد نمر المدني: ١٥٥.

فالذي لا يختتن لا يكون يهودياً، والختان أصبح علامة انتماء للشعب اليهودي، وعلامة عهد بين الله وهذا الشعب. بينما في المندائية الذي يختتن ليس مندائياً، لأنه تجاوز فطرة جسد الأنسان، ولا يجوز إنقاص خلقه الله. وفي الإسلام لم يذكر الختان في القرآن، وإنما أقره الفقهاء كسنة بين واجب وغير واجب، فهو واجب لدى الشيعة الإمامية والزيدية، ومن أهل السنة أوجبه الشافعية والحنبلية والأباضية، إلا انه لا وجوب له لدى المذهبيين الحنفي والمالكي. أما ختان أو خفض البنات فلا يراه واجباً إلا المذهب الشافعي والزيدي.

عموماً، إن تحريم الختان من قبل المندائيين لم يعد مخالفة كبيرة للمحيط، مادام هناك مسلمون وغير مسلمين، مثل المسيحيين، لا يقرون بوجوبه، وبعض العقائد لا تجيزه إلا بعد البلوغ. ومن جانب آخر هناك معارضة كبيرة ضده في العالم الآن وذلك لآلامه وما يتعلق بعذاب الأنسان، وقد انتقلت معارضة الختان إلى داخل إسرائيل معقل اليهودية التي هي أساس نشر فكرة الختان^(١).

- المندائية والإسماعيلية:

انتقلت معتقدات مندائية إلى بعض المذاهب الإسلامية ذات الطبيعة الباطنية بمقادير متباينة، وتلاحظ بصفة خاصة عند طائفة الإسماعيلية، فلا تكاد تخفى تلك المؤثرات المندائية ذات الطبيعة الغنوصية عند الإسماعيلية، وعلاقة المندائيين بالإسماعيلية رغم انها ليست محققة بسبب ما يكتنف نشاط دعاة الإسماعيلية الأوائل من الغموض والسرية، إلا انه يصعب القول بأن دعاة الإسماعيلية في طورها الباكر تركز ما بين البصرة والأهوار وخوزستان، وهي المناطق نفسها التي كان المندائيون يشكلون ثقلها سكانياً بها، ومن ثم فان المظاهر الغنوصية التي نجدها عند الإسماعيلية هي معتقدات مندائية بامتياز،

(١) الصابئة المندائيون، العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم حتى اليوم، محمد نمر المدني: ١٥٥.

فنجد النزعة الباطنية السرية عند كلتا الطائفتين نفسها، فكلتاها تقوم على قاعدة واحدة وهي منع الأغبيار عن الاطلاع على حقائق الديانة ودقائقها، مع فارق جوهري فرضته طبيعة طموح الدعوة الإسماعيلية السياسي.

إن المندائية ليست دعوة تبشيرية بالأساس، على العكس من الإسماعيلية التي كانت تطمح إلى توسيع قاعدة المؤمنين بدعوتها، كما نجد عند الفرقتين النظرة الغنوصية المعرفية نفسها، والقائمة على أن الخلاص يكمن في معرفة الله، وقد بالغ الإسماعيليون في تقدير قيمة تلك المعرفة حتى قالوا: بأن من يعرف الله حق المعرفة تسقط عنه الفروض والسنن. تأثر الإسماعيلية أيضاً بالمندائيين بشكل تام في تراتيبهم في مدارج العلم، فنحن نجد المبدأ نفسه عند كلتا الطائفتين وهو تحريم اطلاع العامة على الكتب الدينية المقدسة، ونجد أيضاً هيكل التراتبية الكهنوتية عند المندائيين، قائماً بشكله المميز عند الإسماعيلية، وهي تراتبية تبدأ بالتحصيل المكتسب والنمو العقلي المعرفي التراكمي. وتنتهي بالعلم اللدني الموهوب، فالكهنوت عند المندائيين يبدأ تصاعدياً بالتلميذ (ترميدا)، ومن حقه الاطلاع على كتب الشروحات الدينية حتى مستوى معين، ولا يجوز اطلاعه على كتب الأسرار الدينية الخاصة، لأنه لم يبلغ بعد درجة الاستيعاب لتلك الأسرار، وتقتصر دراسته على بعض كتب الدين الأولية وخاصة تلك ذات الطابع الطقسي، والذي يجب أن يكون على دراية به ليؤديه على الوجه الأكمل، ثم يرقى الترميدا إلى رتبة ابن الكنز (كنزفرا)، وبالتالي يستطيع الاطلاع على كتب الشروحات والتفاسير الدينية بالإضافة إلى وجوب حفظه لكتاب (كنزا ربا) عن ظهر قلب، ثم يرقى بعد ذلك إلى درجة (ريش أما) وهو منصب رفيع في سلم الكهنوت المندائي، ولا حد للكتب الدينية السرية التي يمكن أن يطلع عليها رئيس الأمة، ومن يصل إلى هذا المنصب من الكهنة المندائيين يؤخذ الدين من فمه.

وعند الإسماعيلية نجد مثيلاً مطابقاً تماماً مع تلك التراتبية المندائية، فيتم إعداد الدعاة الإسماعيليين وفقاً لترتيب مماثل يبدأ من مرحلة (المجتهد)، وفيها يطالع الطالب المبتدئ ما يسمى بكتب الظاهر، وهي كتب عامة في المذهب لا تحرم مطالعتها بوجه من الوجوه على أتباع المذهب، لكنها تحرم مطلقاً على الأغيار من غير الطائفة، ثم يرتقي المجتهد في مراتب العلم ليصل إلى مرحلة (المأذون)، عندئذ يصبح من حقه أن يطالع على كتب السر وهي كتب معينة يجوز أن يقرأها المأذون ويمنع منعاً باتاً على غيره أن يطالع عليها وعلى أسرارها، وعندما يصل المؤمن إلى درجة (الراسخ في العلم) يسمح له بمطالعة الكتب المكتومة العليا وهي وقف على تلك الطبقة، ولا يطالعها غيرهم.

ومن أهم تأثر الإسماعيلية بالمندائيين بوجه عام تقديس الإسماعيلية لدوائر الفلك والكواكب والنجوم، ومن قد فقد عرفوا بالمسبعة نتيجة تقديسهم للرقم سبعة، والذي يتطابق مع عدد الكواكب السيارة المعروفة وقتئذ والتي اعتبروها قوى كونية فعالة ذات تأثير في مصائر البشر، وهذا بحد ذاته يتطابق مع معتقدات المندائيين والحرثانية على السواء، وقد ربط الإسماعيلية دورة الأجرام السماوية في السماء بدورة الأئمة اللانهائية على الأرض والتي يبدأ من آدم (عليه السلام)، ويحتل فيها الإمام السابع دورياً مكانة رفيعة، فجميع من سبقوه من الأئمة الستة صامتون، أما الإمام السابع فهو تجسيد للإرادة الإلهية، وهو المفسر والناطق، وهو قادر على نسخ شرائع من سبقوه من الأئمة، ولما كان للفلك العلوي اثنا عشر منزلاً (برجاً) فانه يلزم أن يكون لكل إمام اثنا عشر نقيباً ينتشرون في الأرض بأمر الإمام، يتولون الدعوة له، وهم بمثابة حجج الإمام الناطقة.

لقد لفت ذلك التشابه في العقائد أنظار العلماء المسلمين، حتى ان بعضهم نسب الإسماعيلية بالجملة لعبادة الكواكب والنجوم(١)، وبطبيعة الحال يشوب هذا الاتهام مبالغة مفرطة، ولكنه في الوقت نفسه يعد ملاحظة دقيقة ونافذة للعديد من عوامل

(١) الفصول في الأصول، احمد بن علي الرازي الجصاص: ٣٥٦.

التشابه بين عقائد الفرقتين. ليس هذا فحسب بل ان بعض علماء المسلمين قد نسب القرامطة - وهم فرقة أخرى من غلاة الإسماعيلية - إلى صابئة حران، واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية القرامطة كان ينحدر من أصول حرانية، واستدل أيضاً على قوله هذا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم والباطنية أيضاً يفعلون ذلك^(١). وبطبيعة الحال لا نستطيع تحقيق ما إذا كانت أصول حمدان قرمط تمت بصلة إلى صابئة حران أم لا، بسبب ما يكتنف الدعوة الإسماعيلية - لاسيما وان دعوة القرامطة ظهرت أول ما ظهرت بل ونمت أيضاً بقلب سواد العراق، أي في المناطق نفسها التي عاش فيها المندائيون، وليس من المدهش أن يشير حمدان قرمط في منشوره الأول الذي أصدره إلى أتباعه ببشرهم فيه ببدء طور الدعوة الظاهرة وترك التقية إلى أن روح يحيى بن زكريا (عليه السلام) قد تجسدت فيه^(٢).

- المندائية والغنوصية:

الغنوصية مشتقة من الكلمة اليونانية *Gnosis*، أي معرفة، وهي عقيدة دينية فلسفية، فيها مزيج من اللاهوت المسيحي وأديان الشرق الوثنية، مع تأثير كبير بالأفلاطونية المحدثة والفيثاغورثية، وقد انتشرت في القرون الميلادية الأولى. فيما بعد، تشكلت معتقدات عديدة بأسم الغنوصية، تقول بدور العقل والتفكير في الوصول إلى المعرفة، وان إدراكها يتم بالكشف أو الفيض الإلهي، وكانت تنشد تحرير النفس البشرية من الجسد الذي وضعتها فيه قوى الظلام. ولذلك تعتقد بدور المخلص الذي يساعد الأنفس البشرية للخلاص من الجسد، ومغادرته للتحاق بالجوهر، وهو العقل الإلهي. وبشكل عام، نشأت الغنوصية بتأثير يوناني، غلب دور العقل والفلسفة على الرمز

(١) تأويل النص الشرعي، قحطان عبد الرحمن الدوري: ٤٧٧.

(٢) الصابئة المندائيون، العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم حتى اليوم، محمد نمر المدني: ١٧٤.

والغيبيات الشرقية، وتمتد جذورها عميقاً في الزمن نحو معظم الديانات القديمة في مصر وبابل وفارس.

وفي مجال التأثيرات المتبادلة بين الغنوصية والمندائية، فإننا نجد كما، لا نستطيع متابعته بدقة، فالتطابق يبدأ من العنوان الرئيس لكليهما، وهو المعرفة أو العرفان، حيث تقابل كلمة (غنوص) اليونانية كلمة (ناصرثا) المندائية، التي تطلق على المندائيين، أو المؤمنين بالمندائية. وحتى في التسمية، نجد أن كلمة مندائ، التي جاء منها مندائي، تحمل معنى الغنوصي، حيث ان الجذر دا، أو ادا بأصله الآرامي معناه عرف أو عِلْم، وبالتالي، فان مندائ الآرامية تقدم مرادفاً آخر لغنوص، وبالمعنى ذاته. وفي الحقيقة، فان الغنوصية، القائمة على فلسفة المعرفة، كانت من أهم المؤثرات التي طبعت وطورت الفكر الديني المندائي حتى عدت المندائية فرقة دينية غنوصية.

وفي مجال المعتقدات والطقوس، نجد ان شيت أو شيتل من الشخصيات المقدسة في الغنوصية، وهم يتجهون بقبلتهم نحو الشمال المجدد، ودليلهم إليه نجم القطب، بينما يعتقدون بأن الجنوب مقر مملكة الشر والظلام. وفي الغنوصية الإنسان نفس وروح وجسد، والنفس هبة من العالم العلوي، بينما الروح والجسد أرضيان، وهذا يطابق معتقدات المندائيين تماماً.

وفي كتاب الكنزا ربا تتردد مصطلحات غنوصية كثيرة للمعرفة الخفية، مثل كلمة: بهثا، التي تعني الخبز، فلها عدة معان باطنية، منها: يوحى، يبدع، ينشأ. والمندائيون - بشكل عام، كالغنوصيين - يُدارون معتقداتهم، ولا يناقشونها مع غريب، حتى ضمن الطائفة، فان رجل الدين لا يفصل المعتقدات للعامة. وتتجلى الغنوصية في أقدم شخصياتهم، فآدم قد خُلِق، بشكل سري، وليس كما في قصص الخلق الأخرى، فهو صيحة، أطلقت في الفجر، فتجلى منها الإدراك.

وإضافة إلى تمجيد وتقديس العقل، فإننا نجد في المندائية كثيراً من الثنائيات والمتضادات المترابطة الغنوصية، مثل: الخير والشر، الماء الحي والماء الراكد الآسن، آدم بغرا، أي الطيني أو الأرضي. وآدم كسيا الخفي أو الروحي السماوي. إضافة لعالم أرضي، له ما يوازيه تماماً، بكل ما فيه في السماء. كذلك نجد الشعارات الرئيسية للغنوصية منقوشة على خاتم (شكن دولة) أو سكن دولة، وهي: العقرب والنحلة والأسد، وحولهم تلتف الحية، وهو الذي يختم به الكاهن سرّة المولود الجديد. لكن المندائية لم تتوقف عند التأثيرات الغنوصية، بل تابعت تطورها بالتفاعل مع معظم الأديان التي جاورتها في العراق حتى ان التأثيرات الإسلامية اللاحقة، لا تخفى.

- المندائية والمعتقدات الرافدية القديمة:

ربما بسبب وجودهم في العراق، ورث المندائيون كثير من الطقوس الدينية الرافدية القديمة، والتي يستطيع البحث المقارن أن يكشف الكثير منها، ابتداءً من المقدسات، وحتى الطقوس اليومية المعتادة.

بالرغم من الفارق المهم بين التوحيد المندائي وتعدد الآلهة البابلي، فإن الحي العظيم في المندائية نكاد نراه - بشكل ما - صورة عن الإله البابلي الشامل الأكبر إيل. ومع ان المندائية صنفت أيل ضمن جوقة الشر في عالم الشياطين، ولكنها - أحياناً - تستعير اسمه لأقدس مقدساتها، حيث تنعت ماراد ربوثا ب: (ايل رباً) بمعنى الرب العظيم، أو رب العظمة، وأحياناً تصوره بعض النصوص كملاك اثري نوراني. ونجد كثيراً من التسميات، وعبر مختلف الأديان في الشرق القديم تتعلق بالإله إيل، حيث يأتي اسمه مضافاً لصفة من صفاته، فهيبيل المندائية هي: هيب - ايل، وهابيل الإسلامية هي: هاب - إيل، والفرق بينهما وفق اللهجات، وهو بكلا الحالات بمعنى هبة إيل، أو هبة الله. وكذلك جبرائيل الرسول في المندائية الذي هو - أيضاً - هيبيل

زيوا، فهو في الكنعانية جبر - إيل، أي رجل الله، كما أن غالب أسماء الملائكة تأتي مضافة لإيل الرب الأعظم، في كل تلك الديانات.

ولم تكتفِ الشخصيات الدينية المندائية باتخاذ أسماء الآلهة الرافدية، بل تقمصت الكثير من أفعالها، حيث نجد منداد هبّي يتمثل بإله الطقس الأكادي أدد، ثم الآرامي حدد، فيكون قدومه ممتطياً كالغيوم^(١). كما نجد أن التعداد الكبير للآلهة الرافدية، وخلودهم، وأعمالهم الخارقة، كل ذلك تحول في المندائية إلى الأثريين الذين حملوا الصفات ذاتها. والوجبة الطقسية في المندائية على أرواح الموتى (طبوثا) هي طقس رافدي قديم، حظي بأهمية كبرى في العهد البابلي. كما أن الطقس المندائي في خبز القربان (البهثا) مماثل لطقس فتح الغم البابلية.

وفي الأساس، فإن كل العبادات المرتبطة بالماء أساسها عبادات خصب، وكل الشعوب الرافدية كانت تقدر الماء الجاري، وتقيم له طقوساً واحتفالات كبرى في عدة مناسبات، منها تطهير الوليد بماء النهر. وقد ورد مفهوم التطهير بماء النهر في العديد من النصوص المسمارية، فالمشكنا - وهو بيت التطهير المندائي، بل وحتى المندا - تشبه المعابد الأولى في حضارات الرافدين، وكانت تسمى في البابلية (بيت إيل)، أو بيت الله. إن طقوس التطهير بالماء التي كانت تتم في هذه الأكواخ المبنية من القصب والطين بجانب مجاري الأنهار قد استمرت منذ أقدم العصور على ضفاف الرافدين، تتوارثها الأديان والأجيال بلا انقطاع.

تحدد أسطورة الخلق البابلية (ايلوما ايليش) عصور ثلاثة، تقابلها الفئات الثلاث في قصة الخلق المندائية. وكذلك تتكرر قصة الصراع بين عالم النور والعالم الأسفل عالم الشر والظلام، ففي الرواية البابلية، نجد أن آلهة العالم السفلي ابسووتيامات وابنهم

(١) {فأرى باب السماء قد انفتحت، وغيمة نور سبحت كل من أبصرها ارتجف خشوعاً.. أما أنا.. أنا أنوش الصغير.. فحين رأيتها علمت أن منداد هبّي فيها أتٍ} كنز اربا - يمين، الكتاب ١٣، أنوش.

مومقابل اثان وقن وابنتهم الروهة وابنها أور. في الرواية البابلية، ينزل الإله مردوخ او بل للعالم الأسفل برحلة مشابهة لرحلة هيبل زيوا، وتدور الأحداث بكاملها في الروايتين البابلية والمندائية عن صراع عالم النور مع عالم الظلام.

إن مفهوم العالم السفلي في المندائية مستمد بكامله من الديانات الرافدية القديمة التي كانت الرحلة إلى ذلك العالم جزءاً مهماً من معتقداتها، فالآلهة نينار الأكديّة التي هي عشتار البابلية، تعد رائدة النزول للعالم السفلي، عالم الأموات وقوى الشر والشياطين، لإنقاذ الإله تموز من الموت، ومع ان سبب نزول هيبل زيوا للعالم السفلي كان مختلفاً، فهو للاطلاع على أسرار قوى الشر ومحاربتها ولجمها، فان فكرة المخلص والفادي هي ذاتها هنا وهناك.

ومن المعتقدات والطقوس إلى العادات، فأن إطالة شعر الرأس واللحي هي عادات بابلية، فالشعر كان يعد رمزاً لأشعة الشمس، وقصه خطيئة ضد النور. وبما يماثل اللباس المندائي الأبيض كان الكهنة البابليون يلبسون الكتان الأبيض. وكما كانت الكهانة وراثية في كل الأديان الرافدية، فكذلك هي في المندائية.

- المندائية والمانوية:

ببساطة، يستطيع المتابع أن يلاحظ تأثير المعتقدات والطقوس المندائية بمختلف الأديان التي سادت في بلاد فارس، ومن أقدمها التأثيرات الزردشتية التي جعلت عدة طقوس تكاد تتطابق بينهما، فطقس التطهر الذي هو من أهم الطقوس المندائية يعتقد المندائيون بأنهم أخذوه عن (بهرام) أي إبراهيم، بلفظه الفارسي، ويقولون بأن يحيى اصطبغ بصبغة بهرام، وانهم حتى اليوم يتابعون الاصطباغ بصبغة بهرام، مما يشير إلى طقس التطهر الزردشتي.

لكن التفاعل والتاثيرات المتبادلة بين المندائية والأديان الفارسية كان أهمها مع المانوية التي خرجت من رحم المندائية، يقول ابن النديم(١): ((إن أبا ماني انضم إلى المغتسلة في دست ميسان، واعتنق مذهبهم. وان ماني ولد وعاش بينهم حتى عمر الرابعة والعشرون^(٢)، حيث ترك دينهم، ودعا لمذهبه الخاص)). مما يعني بأن المعتقدات المندائية كانت القاعدة الأساسية التي انطلقت منها دعوة ماني وأفكاره الدينية الجديدة، وان خرج عنها، وخالفها في بعض الجوانب. وفي المقابل، نجد ان اسم ماني أو مانا قد دخل المقدسات المندائية، فهو يشير إلى العقل التي يعد ميزة الأنسان الكبرى والمقدسة في المعتقدات الغنوصية.

اعترف ماني بنبوة المسيح، ولم يعترف بموسى، وعد بوذا وزرداشت ويسوع رسلاً سابقين ضمن تسلسل رسالته، وشرع عقائداً، هي بين الزردشتية والمسيحية. وقد كتب ماني عدة كتب، من بينها إنجيله الذي دعاه: (كنز الحياة)، ربما لتأثره بأسم الكنزا ربا. وجمع فيه مفاهيم ومعتقدات غنوصية وزردشتية ومندائية، وتتقارب بشدة النصوص المقدسة المانوية مع النصوص المندائية، وأحياناً تتطابق. وكذلك كان التعميد بالماء من طقوس المانوية المهمة.

تعد المانوية من العقائد الثنوية، فهي تقول بأن العالم مركب من أصلين قديمين: النور والظلام، وان عرش الإله انتصب في مملكة النور، ثم خلق روح الحياة التي انبثق منها الأنسان، الذي هو - دائماً - بحاجة للخلاص من الجهل عن طريق المعرفة، ومن هنا، تأتي ضرورة المُخلص لتحرير الروح من سجنها الجسدي، ومساعدتها، لتتصعد إلى مملكة النور. وكل ذلك يتطابق مع الغنوصية والمندائية.

(١) ابن النديم، الفهرست: ٤٤٨.

(٢) واد ماني عام ٢١٦م في لعراق ببلدة دست ميسان التي كان غالبية سكانها من المندائيين.

إن العقيدة الثنوية المانوية هي ذاتها الثنوية المندائية، حيث نلاحظها تتجلى في كثير من نصوص الكنزا ربا(١)، من خلال المتقابلات الخيرة والشريرة: الضياء والظلام، والماء الحي والماء الآسن، الأثريون والشياطين... الخ. وكذلك يقابل كل مخلوق أرضي مخلوق نوراني سماوي، فادكاس زيوا، أي آدم النوراني، ويسمى أيضاً: آدم الخفي (آدم كسيا) أو آدم البهي، هو الشخصية الملائكية النورانية المقابلة لآدم الأرضي، أو آدم الجسد (آدم بغرا). هذه الثنائية الدينية التي تقول بعالم أرضي، له ما يوازيه تماماً، بكل شخوصه في السماء هي من المعتقدات المشتركة مع المانوية، والتي جميعها مستقاة من أصل واحد، هو الغنوصية العرفانية.

ولكن لا بد من القول بأن المانوية تختلف مع المندائية، بل وتتناقض معها في أمور أخرى، منها: تحريم شهوات الجسد الحسية، وأكل اللحم، والتخلي عن الزواج والمعاشرة، أما الإنجاب، فهو من الآثام الكبرى، فهي تعد أن الجسد ورغباته شر، لأنهما يمنعان الروح من الخلاص، ولذلك تشجع المناوية على الزهد والرهبة.

- المندائية واليهودية:

ما تذكره نصوص الكنزا ربا حول بناء أورشليم وملك داود وسليمان(٢) لا يدل — فقط — على أن بدايات المندائية كانت في فلسطين، بل على أنها كانت على صلة وثيقة باليهود، فربما بدأت فرقتي دينيتين متقاربتين، أو أن إحدهما انشقت عن الأخرى. ويبدو بأن المندائيين بطقوسهم لم يكونوا الوحيدين في ذلك الزمان والمكان؛ إذ تشير الأبحاث التاريخية انه — على الأقل — كانت هناك مجموعة دينية أخرى يهودية الأصل، تنتسب ليوحنا المعمدان، وتمارس طقوس العمادة في نهر الأردن.

(١) كنزا ربا، يمين، الكتاب الثالث، التسبيح الأول: ما قاله الصالحون لكبار زيوا.
(٢) كنزا ربا يمين، الكتاب الثاني، التسبيح الأول: {ويولد الملك سليمان بن داود، ملك يهودا العظيم، وحاكم أورشليم... عندها يتهدم حصن أورشليم، ويحل السبي العظيم}.

لم تقتصر علاقة المندائية باليهودية على تبادل التأثير، بل تعدتها لتبادل الكره والحق على الأقل من جانب المندائيين، الذين تعرضوا لقهر اليهود، واضطهادهم، ومن ثم تهجيرهم من فلسطين. جاء في رسائل يحيى (سيدرا اد يحيى): ((لم أرغب، ولن أرغب، في النزول إلى مدينة أورشليم، مدينة الشر، المدينة التي كلها إثم، مدينة الخاطئين، المدينة التي بناها ادوناي، والتي ملأها بالأكاذيب... وحدثت فيها الاضطهادات ضد أتباعي)). ونتيجة لذلك يقيم المندائيون في كل عام وليمة طقسية (لوفاني) في أول يوم من شهر سرطان الذي يدعى (عاشوري)، لأرواح المصريين الذين هلكوا في البحر الأحمر، وهم يطاردون اليهود بعد أن شقته الروهة ملكة الشر أمامهم. وبمقابل هذا الاحتفال الحزين، نجد بأن اليهود والمسلمين يحتفلون بيوم عاشوراء، فهو اليوم الذي نجى فيه الله موسى وقومه بمعجزة عبورهم البحر.

وفي الكنزا ربا، نجد كثيراً من النصوص التي تنتقد اليهود، وتؤكد على ضرورة مخالفتهم، منها: ((إن الذين يسجدون لأدوناي، ويحرقون النداء الأول(١)، قد ألقوا بهم كتاباً. لا تكونوا معهم، ولا تختتنوا... فمن هؤلاء أنبياء كذب.. فيكتبون كتاب الزيف.. مَيِّزُوا كلمات هؤلاء.. النبي يُكذِّب النبي، والملك يطعن الملك)) (٢).

وبالمقابل، توجد شواهد أكثر من أن تُحصى، تدل على تقارب في بعض المعتقدات والطقوس بين المندائية واليهودية، نجل منها:

يستخدم اليهود كلمة ناصوري وناصرائيين أو ناصريين لوصف المؤمنين، كما في المندائية تماماً. وفي بعض الطقوس والشعائر التعبدية اليهودية والمندائية، نجد أنه من الضروري وجود نبات الآس. الضفائر المجدولة المسبلة للرجال من العادات المشتركة بين المندائية واليهودية، والتي اقتصرت - الآن - على المتدينين ورجال الدين. كذلك،

(١) هذا ما قاله القرآن تماماً عن اليهود: (مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) (النساء: ٤٦).

(٢) كنزا ربا يمين، الكتاب الأول، التسبيح الثاني.

فالمندائية كاليهودية لا تقبل مؤمنين جددًا، ولا تسمح بالزواج من خارج الطائفة. وتعتقد كلا الطائفتين بأن الملائكة خُلقت لتنفيذ أوامر الرب. وفي الكنزا ربا، كما في التوراة، فإن الملاك يتجسد على هيئة إنسانية لمقابلة البشر. وكما يقدر المندائيون الشمال، ويعدونه أرض الأنوار المقدسة، فلدينا ما يشير إلى الفكرة ذاتها في التوراة(١).

ومع أن المندائية قد اتخذت لأولاد آدم أسماء: هيبيل وشيتل وأنوش، لكن، لا علاقة لهم بأولاد آدم وفق الرواية التوراتية إلا بتقارب الأسماء. ومع الاتفاق على اسم الملاك المرسل: جبرائيل: الروح القدس، رجل الله، جبار إيل، لكنه في اليهودية ملاك مكروه، فهو مسلط للعذاب والدمار، وربما لذلك قدسته المندائية.

- المندائية والمسيحية:

في حرّان وما حولها، حيث أقام المندائيون احتكوا بالمسيحيين النساطرة، وكان بينهم تأثيرات متبادلة في مجالات عدة، ويبدو أن ناصوري وناصرانيين المندائية كانت الأساس الذي استقى منه السريان المسيحيون كلمات نصراني ونصرانيين لوصف المؤمنين. ونجد تطابقًا، لا تفسير له بين أعمال، قام بها أنوش الذي كان راعياً وطبيباً شافياً، بلا أجر، فقد شفا العمي والصم والبكم والبرص والمقعدين وأحيا الموتى، وبين أعمال السيد المسيح التي هي نفسها. وكذلك قام منداد هيبى بطلب العمادة من يوحنا المعمدان كالمسيح، لذلك لا تستغرب أن تتشابه - بشكل كبير - طقوس العمادة المندائية (مصبتا) وعمادة المسيحيين السريان، وعلى العموم، فإن التطهر بالماء، وهو بديل عن التوضيحية بالدم، بدأت طقوسه على ضفاف نهر الأردن، وكانت تتم بذكر اسم الله الحي فقط، ومورس هذا الطقس بأيام المسيحية الأولى، ثم تطور فيما بعد، بينما بقي على حاله في المندائية، لكنه لازال يعني في الديانتين: التطهير الجسدي والروحي.

(١) حيث تقول: {ارفع كرسي فوق كواكب الله، واجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال}، (سفر أشعيا/ ١٤: ١٣).

والمسيحيين، يعظم المندائيون يوم الأحد، ولا يعملون فيه شيئاً سوى العبادة، ومثلهم يحرمون الطلاق، بخلاف الإسلام الذي أباحه.

وتشبهه (اللوف) أو المشاركة المندائية طقس المناولة المسيحي. والمسيحيون مثل المندائيين، وبعكس اليهود، يجلبون جبرائيل؛ لأنه نقل بشارة ميلاد المسيح. وإذا طالعنا نصوص الكنزا ربّاً، فسيلفت نظرنا — بشدة — كلمات ومفاهيم عديدة، تتكرر فيه، تشبه ما ورد في الأناجيل، منها: أبناء النور، وأبناء الظلام، الماء الحي، الحياة الدائمة، خبز الحياة، الراعي والأغنام، الصياد والسماك.

لكن، رغم كل هذا التقارب، فقد ورث المسيحيون كره المندائيين لليهود، ربما لأنهم عدّوا المسيحيين فرقة يهودية جديدة. فلم يعترف المندائيون بنبوة المسيح، وقالوا انه اقتبس من عقيدتهم ما ادعاه لنفسه، جاء في نصوص حرّان كويثا: ((الرب الذي هو أدوناي إلى أن يكون في بيت إسرائيل شيء ما لم يوضع جاء في رحم ماري ابنة موسى، لقد كان مختفياً في رحمها لمدة تسعة أشهر، وكانت تحتفظ بسرّها، إلى أن تمت الأشهر التسع، وجاءها المخاض، فولدت مسيحاً، دعا الناس إلى نفسه، وتكلم عن موته، واستلب بعض أسرار الوجبة الطقسية^(١)، وامتنع عن تناول الطعام المقدس، واتخذ لنفسه قوماً^(٢)، ودعي بأسم المسيح^(٣)). ويؤكد الكنزا ربّاً ظهور المسيح في أورشليم، لكنه ينفي ملكه، أي نبوته، وإلهيته: ((فتجلّى منداد هبّي ليهودا، وظهرت الكرمة في أورشليم، لا شك فيها، ولا اشتباه. لم يكن تاج الملك على رأس صاحبها، ولا هيئة الإلهية فيه^(٤))).

(١) يقصد الطبوثا المندائية.

(٢) أي التلاميذ أو الحواريون.

(٣) نصوص حرّان كويثا، ١.

(٤) كنزا ربّاً يمين، الكتاب السادس، التسبيح الأول.

وتتكرر الرموز الغنوصية ذاتها بين المسيحية والمندائية، ومنها الكرمة، يقول رسول النور^(١): ((دالية أنا. دالية الحياة. الكرمة التي بها تمتلئ الحياة. الكرمة المطهرة))^(٢). ويقول السيد المسيح: ((أنا الكرمة لحقيقية وأبي الكرام.. أنا الكرمة وأنتم الأغصان))^(٣). ومنها الكلمة، حيث نجد في المندائية بأن أنوش هو الكلمة^(٤)، بينما في المسيحية السيد المسيح هو الكلمة^(٥).

- بماذا تنفرد المندائية:

أوردنا الكثير من التقارب والتماثل والتأثر بين المندائية ومعظم أديان المنطقة، والذي يبلغ ذروته في القصص الدينية والتاريخية، وأبرزها قصة الطوفان العظيم ونوح والفلك التي تكررت في تراث غالبية الأديان، فهناك الطوفان السومري الذي نجا منه (زيوسودا) وزوجته فقط، والطوفان البابلي الذي كان بطله اوت نابشتيم وفق ملحمة جلجامش، كما وردت قصة الطوفان في الكنز ربا، وفي التوراة، وفي الإنجيل، وفي القرآن، والناجي المنجي للحياة فيها جميعاً هو (نوح)، والخلافات في التفاصيل بينها جميعاً بسيطة جداً. مع كل ذلك التقارب أو التطابق في عديد من الشرائع والطقوس والقصص، فإن المندائية تنفرد عن الأديان السماوية، بعدة خصوصيات، لم يشاركها فيها أي منهم:

تبدأ قصة الخلق المندائية بآدم، بينما تبدأ اليهودية بخلق السموات والأرض، أما المسيحية، فتقول بأن البدء كان بالكلمة، التي رمزا بها - فيما بعد - للسيد المسيح، في

(١) رسول النور: فسرت على انه آدم، فهو الصرخة التي أطلقت في الدنيا، ولكن، يبدو من ختام النص انه منداد هبّي.

(٢) كنزاً ربا يمين، الكتاب الثاني، التسبيح الثالث.

(٣) إنجيل يوحنا/ ١٥: ١ و ٥.

(٤) كمزاً ربا يمين، الكتاب السابع عشر، التسبيح الأول.

(٥) جاء في العهد الجديد: {الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس}

(يوحنا/ ٥: ٧)، ويؤكد الإسلام ذلك: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ)

(النساء: ١٧١).

حين، تتحدث قصة الخلق الإسلامية عن خلق آدم وخلق السموات والأرض كحدثين منفصلين بلا أولوية. ثم ان خلق الكون وآدم تما في المندائية بتكليف الحي العظيم للملائكة الذين قاموا بالعمل، بينما تم الخلق في التراث اليهودي والإسلامي مباشرة بقدرة الله، كذلك في المندائية، كان خلق حواء مثل آدم من الطين، وبذلك تختلف عن اليهودية وعن الإسلام، حيث يقولان بخلق حواء من ضلع آدم. ويستمر الخلاف، ليشمل هبوط آدم من الجنة، فهو في المندائية قد هبط بقرار إلهي لاعمار الأرض، وليس بسبب ذنب اقترفه، كما ورد في التراث الإسلامي واليهودي.

تشير الكنزا ربًا إلى ثلاث فئات أصابت الأرض، ثم يعود البشر للتكاثر من جديد بواسطة زوج وزوجة، بينما الأديان السماوية لا تشير إلى أحداث كهذه. وفي المندائية لا حياة أخرى للجسد، الذي يعود للتراب بمجرد خروج النفس منه. وفي المعتقد المندائي لا يوجد من يخلد في العذاب، فالمذنب يعود للمطهر، وبعدها يمكن أن يصعد إلى سموات النور. كما يختلف الصوم المندائي - تماماً - عن الصوم اليهودي والمسيحي والإسلامي. في المندائية، للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء، بقدر ما تسمح ظروفه. وليس للرجل غير المتزوج من جنة، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ولذلك نجد المندائيين يؤمنون بنوع من التناسخ، فإذا توفي شخص دون أن ينجب أولاداً، فإنه يمر بالمطهر، ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى حالته البدنية مرة أخرى، حيث تتلبس روحه في جسم ما، ليتزوج، وينجب أطفالاً.

أما تعلق المندائيين بالماء ولباسهم الأبيض ورفع الدرفش^(١) ووضع إكليل الآس والتوجه نحو الشمال، فهي أمور ينفردون بها عن الأديان السماوية، وكذلك نفورهم من

(١) لكن الحقيقة إذا تعمقنا في البحث، وتحرينا التراث الشعبي الدين، فسنجد كل هذه الأشياء التي نقول بان المندائية انفردت بها موجودة - بشكل، أو بأخر - في الأديان الأخرى، وعلى سبيل المثال (الدرفش)، فالفرق الصوفية الإسلامية في احتفالاتها ترفع ما يسمى: السنق أو السيارة، وهو راية مثلثة الشكل، عليها آيات قرآنية، وزخرفات نباتية. ولكن المشكلة هنا أن الرموز المندائية قد لا تكون الوحيدة ولكنها هي الأقدم، وكل ما جاء بعدها انعكاس لها.

اللون الأزرق حتى انهم يتجنبون ملامسته. كما تختلف نظرة المندائيين للخميرة، فهي تعني سر الحياة أو النطفة التي يُحرص عليها كالكنز، حتى لا تنقطع الحياة من المعمورة^(١)، في حين كان استعمال الخميرة محظوراً في التقدّمات للمعبد اليهودي؛ لأنها ترمز للفساد^(٢)، ومثل ذلك في المعتقدات المسيحية التي تعدّ الخميرة رمزاً للتعاليم الفاسدة^(٣)، ولذلك يصنع خبز القربان في الكنيسة الكاثوليكية بدون خميرة، لكن الكنيسة الأرثوذكسية تضيف الخميرة؛ لأنها تمثل خطايا العالم التي حملها السيد المسيح. وتمتاز المندائية بدعوتها لعدم الاقتراب من الحكام، وعدم الثقة بهم، ونصوص الكنزا ربّاً تحدد مآلهم في النار^(٤)، ربما لكون المندائيين، في كل تاريخهم، لم تكن لهم دولة خاصة، بل هم رعايا دول، على الدوام، وغالباً حكام هذه الدول لم يكونوا ودودين مع من يخالفهم الاعتقاد، بينما كل الأديان الشرق أوسطية، إلا ما ندر، أقامت دولاً دينية.

ونتيجة لكل تلك الملاحظات عن تبادل التأثيرات بين الأديان، والتشابه في الكثير من طقوسها، يستخلص القارئ المنفتح الذهن البعيد عن التعصب الأعمى، ان الأديان كلها خرجت من بوتقة واحدة، وتسعى لأهداف واحدة، هي خير الأنسان، وتنظيم علاقته الروحية بالله، وكل الاختلافات بينها بعيدة عن الجوهر الذي هو الإقرار بوجود خالق أعظم، وقد نشأت معظم الاختلافات نتيجة الظروف التاريخية والحياتية المتنوعة التي مرت بها تجربة أتباع كل دين، ومن يحاول اليوم التركيز على هذه الاختلافات، التي تبدو قليلة بجانب التشابه والتماثل، فانه يعارض مشيئة الله التي اختارت لكل إنسان دينه وقومه وأسرته، فالغالبية العظمى من أتباع الديانات — الآن — هم متبعين لأديان أهلهم، ولا فضل لهم باختيار هذا الدين أو ذاك.

- (١) كنزا ربّاً يمين، الكتاب ١٣، أنوش: {سيأخذون من الخميرة المحفوظة في بيت الكنز؛ ليصير منها العالم مرة أخرى}.
- (٢) سفر اللاويين ٢، الآية ١١.
- (٣) إنجيل متي/ ١٦: ١١، وإنجيل مرقس/ ٨: ١٥.
- (٤) {لا تقربوا الملوك والسلاطين والمردة في هذا العالم، ولا تثقوا بهم... إلى النار يذهبون} كنزا ربّاً يمين، الكتاب الأول، التسبيح الثاني.

المبحث الثامن

العلاقة الأنسانية بين الصابئة المندائيين والمسلمين

من روائع نهج البلاغة للأمام علي (عليه السلام)

التي دعمت وجود الصابئة واهل الكتب الأخرى

(الناس صنفان : اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق).

(ان الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، هي كلمة خلّدها التاريخ وستبقى على مر الزمان متوهجة لاتنطفئ، لانها منطلقة من روح الكتاب السماوي(القران) ومن اخلاق وسلوك النبي محمد(ص)الذي قال (الخلق عيال الله واحبهم إلى الله احبهم إلى خلقه)...

ولانها خرجت من قلب مفعم بالايمان، وعقل منفتح على الجنس البشري ، فلا فرق بين البشر فالكل سواسية ولا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى، فلا استغلال ولا عبودية ولا هيمنة لفئة او أمة على اخرى، وانما العبودية المطلقة إلى الله عز وجل، فالكل احرار كما قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا).

فاين هذه الكلمة اليوم، ممن نصب نفسه محاسبا ومقيّما لايمان وسلوك البشر...فقسّم الناس: هذا مشرك لانه يتوسل بالأنبياء والصالحين يجب قتله وسلب امواله!...وهذا على غير مذهبنا ومعتقدنا فيجب قتله!.

ألا يعلم هؤلاء الجهلة ان الرسالة الالهية قد قدست حياة الأنسان، قال تعالى(من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما

قتل الناس جميعا ومن احيائها فكأنما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون^(١).

ان القلب ليعتصر ألماً على ما يفعله جهلة هذه الامة بأبناء امتهم في العراق وافغانستان والصومال والحجاز وغيرها من البقاع الاسلامية، وابناء الامم الاخرى من قتل وتعذيب بحجج واهية تدل على جهلهم بالإسلام و بالمبادئ الأنسانية التي احتوتها الشريعة السمحاء، ناسين او متناسين انه لا يجوز قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق ولان البشر كما قال الامام علي صنفان فأما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق ، فلأبي صنف انتسبت؟ فلا يجوز لك ان تقتل (المسلم)، لانه اخ لك في الدين، ولا يجوز لك ان تقتل (غيرالمسلم) لأنه نظير او شبيه لك في الخلق فهو انسان يجب ان تحترمه و تعيش معه بسلام وتتعايش معه اذا لم يؤذك او كما قال الله تعالى :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين).^(٢)

- اما الذين يؤذون المسلمين فحكمهم كما قال تعالى :

(انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون).^(٣)

اذن، اذا اراد المسلمون ان يكسبوا احترام الامم الاخرى لهم، عليهم اولا وقبل كل شيء ان يحترموا الامم الاخرى وذلك بتطبيق المبادئ الأنسانية التي جاءت بها عقيدتهم على انفسهم اولا ولكي يكونوا فعلا (أمة وسطا) كما قال الله تعالى :

(١) المائدة / ٣٢

(٢) الممتحنة / ٨

(٣) الممتحنة / ٩

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

شهيذا)^(١) .

فالتعايش السلمي اذن يجب ان يكون هو هدف المسلمين في هذه المرحلة الدقيقة التي يمرون بها انطلاقا من التشريع الالهي وليس من الامزجة المتقلبة للبشر، وما عليهم الا طرح مفهوم التعايش كما جاء في القران الكريم حصرا، ليكون ذلك بابا لتقرب الامم الاخرى إلى هذا الدين الأنساني الذي يجهل تعاليمه معظم البشر ومنهم الكثير من المسلمين.

ويحسن بنا بعد التطرق إلى خلاصة كتاب الامام علي إلى واليه على مصر (مالك الاشر).

قال الإمام علي بن أبي طالب (ع) في عهده لمالك الأشر عندما ولاه على مصر (اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور . وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده . فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح . فأملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت . وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه))^(٢) .

(١) البقرة / ١٤٣ .

(٢) نهج البلاغة : ٣ / ٨٤

-الصابئة وذكرى عاشوراء :

أكد كثير من المواطنين من المسلمين والصابئة على مشاركة الصابئة الفعالة في احياء شعائر عاشوراء وتدل هذه المشاركة في مجملها على التفاعل الحيوي والأنساني بين المندائيين واخوانهم من الشيعة في احياء ذكرى استشهاد الامام الحسين(عليه السلام) في واقعة الطف، وكانت مشاركاتهم لا تقتصر على النزول إلى مواكب العزاء، بل و تمتد إلى زيارة الاربعين، ناهيك عن تبرعهم إلى الحسينيات التي تقدم الخدمات للمشاية في كل عام، وكان هذا السلوك و لم يزل نابعاً من قيم التفاعل الاجتماعي وسمة اتصف بها المندائي اينما وجد نفسه في عاشوراء، وفي اي مكان من جنوبي العراق الذي استوطنه قبل اكثر من الفي عام، ان الدوافع الاساسية لدى المندائيين لم تكمن وراءها غاية نفعية بل كان حس الجوار الذي يتمتع به مع اخوانه المسلمين عاملاً اساسياً في جعل ذلك التفاعل نابعاً من روح الاحترام لشعائر الآخرين وقد لفتت هذه الممارسات انتباه الآخرين، ومنهم المحتلون البريطانيون.

- امثلة على مشاركة الصابئة المندائيين اخوانهم المسلمين الشيعة في عاشوراء

- خلاوي ناصح عبد الله - ١٨٦٧-١٩٥٧ ميسان / قضاء المجر الكبير:

الامام الحسين (عليه السلام) و خلاوي

اشار الاستاذان قاسم سلمان وعلي العقابي إلى: كان المندائي خلاوي و هو من مواليد ١٨٦٧ يسكن منطقة الشذيرية في احوار العماره، و كان يمضي مع اخوانه المسلمين إلى المزارع المحيطة ببيوت القصب، وقد اعتاد المندائي خلاوي ان يشارك جاره المسلم كل عام بما يساهم به من أموال وغيرها في عاشوراء، ولم يتخلف عن ذلك يوماً ما، وبينما كان هو وجيرانه من المزارعين في الحصاد، شاهدوا نيراناً في بيوت القصب التي يسكنوها، وكانت الرياح شمالية، وبلغ إلى سمعهم الصياح والعويل، وتسارعت اقدام

المزارعين باتجاه بيوتهم، الا ان المندائي خلاوي وقف حائراً وتوجه إلى حيث يكون اتجاه مقام الامام الحسين (عليه السلام) و كشف رأسه وقال معاتباً بلهجة المحب و بلفظ محلي "ها يا حسين انا واين صحبتي وياك يا ابا عبد الله الحسين وقبل ان يتم المفردة الاخيرة، تحولت الرياح الشمالية إلى عكس اتجاهها، ولم تصل السنة اللهب إلى بيت خلاوي المندائي، فادرك ان عتبه وصل، و ان الامام الحسين (عليه السلام) لم ينس محبيه، و زاده ذلك يقيناً ليكون هو وسائر المحبين قد أدركوا عظمة العلاقة والإرتباط الروحي بين المندائي ((خلاوي)) و((الإمام الحسين)) سبط رسول الله (ص)، و شاعت حكايته بين جيرانه المسلمين لتنتقل شفاها إلى يومنا هذا. وهذا من أبر ملامح التعايش السلمي بين الصابئة المندائيين وأخوتهم المسلمين الشيعة .

ومما يبرز التعايش السلمي والمجتمعي بي الصابئة المندائيين والمسلمين ما يعبر به الشاعر الصابئي المندائي المبدع عبد الرزاق عبد الواحد، اذ ينشد للإمام الحسين بن علي (ع) شهيد كربلاء، بقصيدة رائعة يعبر بها عن مدى حبه وارتباطه بالإسلام والمسلمين وقضاياهم ومنها ملحمة كربلاء الخالدة .

فكانت قصيدة في رثاء الامام الحسين (عليه السلام)، في ملحمة الطف إذ لم تكن تخص الشيعة فقط وانما تجاوزت بعدها ونبل نضالها إلى ارجاء المعمورة وكل انسان ينشد العدل والحرية وبتفياً بظلال الحق فهذا الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، الصابئي الذي يحتمي بمباديء الحسين (ع) مذ كان طفلاً ينهل من علمه الذي لا ينضب ، فكان الحسين (ع) ملاذاً آمناً ومستقراً مطمئناً لمن يحتمي بأسواره مستنيراً بضوئه الساطع على الناس أجمعين.

قصيدة الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد

في رثاء ابا الاحرار الامام الحسين(ع)

قدمت وعفوك عن مقدمي - اسيرا كسيرا حسيرا ضمي
قدمت لاحرم في رحبتيك - سلام لثواك من محرم
فمذ كنت طفلا رأيت الحسين - منارا إلى ضوءه انتممي
و مذ كنت طفلا عرفت الحسين - رضاعا و للآن لم افطم
و مذ كنت طفلا وجدت الحسين - ملاذا بأسواره احتممي
سلام عليك فأنت السلام - و ان كنت مختضبا بالدم
وانت الدليل إلى الكبرياء - بما ديس من صدرك الأكرم
وانك معتصم الخائفين - يا من من الذبح لم يعصم
لقد قلت للنفس هذا طريقك - لاقى به الموت كي تسلمي
و خضت و قد ضفرالموت ضفرا - فما فيه للروح من مخرم
و ما دار حولك بل انت درت - على الموت في زرد محكم
من الرفض و الكبرياء العظيمة - حتى بصرت و حتى عمي
فمسك من دون قصد فمات - و ابقاك نجما من الانجم
ليوم القيامة يبقى السوال - هل الموت في شكله المبهم

هو القدر المبرم اللايـرد - - ام خادم القدر المبرم
سلام عليك حبيب النبي - - وبرعمه طببت من برعم
حملت اعز صفات النبي - - و فزت بمعياره الاقوم
دلالة انهم خـيروك - - كما خيروه فلم تثلم
بل اخترت موتك صلت الجبين - - و لم تتلفت و لم تندم
وما دارت الشمس الا و انت - - للألاءها كالاخ التوأم
سلام على آلك الحـوم - - حوالياك في ذلك المضرم
وهم يدفعون بعري الصدور - - عن صدرك الطاهر الارحم
ويحتضنون بكبر النبيين - - ما غاص فيهم من الاسهم
سلام عليك على راحتين - - كشمسين في فلك اقتم
تشع بطونهما بالضياء - - و تجري الدماء من المعصم
سلام على هالة ترتقي - - بالألاءها مرتقى مريم
طهور متوجة بالجـلال - - مخضبة بالدم العندم
تهاوت فصاحة كل الرجال - - امام تفجعها الملهم
فراحت تززع عرش الضلال - - بصوت باوجاعه مفعم
و لو كان للارض بعض الحياء - - لمادت باحرفها اليتم

سلام على الحر في ساحتك - - و مقحمة جل من مقحم
سلام عليه و عتب عليه - - عتب الشغوف به المغرم
فكيف و في الف سيف لجمت - - و عمرك يا حر لم تلجم
و احجمت كيف و في الف سيف - - و لو كنت وحدي لم احجم
و لم انتظرهم إلى ان تدور - - عليك دوائرهم يا دمي
لكنك انتزعت حدود العراق - - و لو ان ارسائهم في دمي
لغيرت تاريخ هذا التراب - - فما نال منه بنو ملجم
و يا سيدي يا اعز الرجال - - يا مشرعا قط لم يعجم
و بن الذي سيفه ما يزال - - انا قيل يا ذا الفقار احسم
يحس مروة مليون سيف - - سرت بين كفك والمحزم
و تمسك انت وترخي يديك - - و تنكر زعمك من مزعم
فاين سيوفك من ذي الفقار - - و اينك من ذلك الضيغم
علي علي الهدى والجهاد - - عظمت لدى الله من مسلم
ويا اكرم الناس بعد النبي وجهها - - و اغنى امرئ معدم
ملكتم الحياتين دنيا و اخرى - - و ليس ببيتك من درهم
فدى لخشوعك من ناطق - - فداء لجوعك من ابكم

قدمت وعفوك عن مقدمي - - مزيجاً من الدم والعلقم
وبي غضض جل ان ادرييه - - و نفس ابت ان اقول اكظم
كأنك ايقظت جرح العراق - - فتياره كله في دمي
الست الذي قال للباترات - - خذيني وللنفس لا تهزمي
و طاف باولاده و السيوف - - عليهم سوار على معصم
فضجت باضلعه الكبـرياء - - و صاح على موته اقدمي
كذا نحن يا سيدي يا حسين - - شداد على القهر لم نشكم
كذا نحن يا ايها الرافدآن - - سوارتنا قط لم تهدم
لان ضج من حولك الظالمون - - فانا وكلنا إلى الاظلم
و ان خانك الصحب والاصفياء - - فقد خاننا من له ننتمي
تدور علينا عيون الذئباب - - فنحتار من ايها نحتمي
لهذا وقعنا عراة الجـراح - - كبارا على لؤمها الالام
فيا سيدي يا سنا كربـلاء - - يالئى في الحلك الاعتم
تشع منائره بالضياء - - و تذخر بالوجع الملهم
و يا عطشا كل جذب العصور - - سينهل من ورده الزمزم
ساطبع ثغري على موطنيـك - - سلام لارضك من ملثم

الصابئي المندائي

الترميذا

امجد حميد عبيد

في ذكرى استشهاد الحسين

والعيون ما نامت

تبكي في تشرين

حسين والماتم النواح وأبوك الحزين

شهداء وسبايا ام البنين

تحت الريح والامطار

دون ثياب

وأب ينام في المطار

والصغيرة ماتت بلا ظفرة

والحوراء مقيدة اسيرة

عام والف عام

نكبر ونعظم مذبحه ابناء الضرغام

نكفر ونأثم ونلعن صعاليك وشياطين الشام

وفي الليل الحزين عاشوراء الحزين

ناحت ووترمدت عيون المشردين

وماتت ازهار البنفسج واشجار التين

بكت عصفير الطف وانتحرت في تشرين

على مذبحه اقترفها امير الشياطين

ونادت يا امامنا الصادق الامين

اسمك عطر الافهواه وطهر الطين

والذباح الاثيم تاريخ الشرك وعنوان الكافرين

الشاعر: الصابئي المندائي: سلام عزيز الزهيري

العراق / العمارة ٢٧/٣/٢٠٠٨

شعاع النور

للأمام المهدي (عجل الله فرجه)

حملت الدنيا بغيبتك
بانة دلائل جيتك
چانت الوادم يوالي
صبرت وما تحمل بعد
الكفر كلها تواعدت
اشوكت تظهر يقائم
يبهر الناظر حسنھا
ترسخ الايمان بيھم
وتشلع النبتة الخبيثة
وتملی ارضك بالقسط
بالقدس حقق مرادك
بالقران تحکم امتك
زرع بذرة بزجيتھ
انته ابن حيدر على
وانته ابن عسكر حسنھا
سبحان من نزلک
تعطی کل البشر
وترشد ضلاله وكفر
سبحان من صورك
عجل ظهورك يغايب

تنتظر ساعة فرج
وبينت كل الحجج
والله تعبہ الهرج
والصبر بالدم اندمج
صرصر بكل ساعة تعج
واشعاع وجناتك تلج
وخلی احبابك تبتھج
والضلالة عنهم تهج
وتعدل المالت عوج
ومصباح عدلك يوج
ويه انصارك تحج
ويصير دستور ونھج
يوم للباري عرج
ايمانہ بالحق انولج
ومن نسل نوره انفلج
على كل الخلايق هدى
نور ومحبة وهدى
وتعم طريق الهدى
وال هالمظالم تفج
ظاكت ومن الله الفرج

ظاكت ومن الله الفرج

مصادر الكتاب

* القرآن الكريم.

* كنتزا ربا .

* درانشا يحيى (يهيا يهانا).

- ١- الآثار الباقية، للبيروني المتوفي سنة ٥٤٤٠هـ.
- ٢- الآثار الباقية، للبيروني المتوفي سنة ٥٤٤٠هـ.
- ٣- أحكام الزواج والطلاق في الإسلام، للشيخ بدران، والأحكام الإسلامية في الأحوال الشخصية، الشيخ البرديسي.
- ٤- أحكام الزواج والطلاق في الإسلام، للشيخ بدران، والأحكام الإسلامية في الأحوال الشخصية، الشيخ البرديسي.
- ٥- أخبار الحكماء، القفطي.
- ٦- أخبار الحكماء، القفطي.
- ٧- أخبار الزمان.
- ٨- أخبار الزمان.
- ٩- أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، الأب جرجيس داود، ط٢، ١٤٠٨/٥١٩٨٨م.
- ١٠- أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، الأب جرجيس داود، ط٢، ١٤٠٨/٥١٩٨٨م.
- ١١- أسد الغابة، ابن الأثير.

- ١٢- أسد الغابة، ابن الأثير.
- ١٣- أسرار الصابئة وذهب تقديس العبادات في حران، جورج سيغال، ترجمة: يوسف إبراهيم جبران.
- ١٤- أسرار الصابئة وذهب تقديس العبادات في حران، جورج سيغال، ترجمة: يوسف إبراهيم جبران.
- ١٥- الإسلام والصابئة، لميعة عباس عمارة.
- ١٦- الإسلام والصابئة، لميعة عباس عمارة.
- ١٧- أصول الصابئة (المندائيون) ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٦٩م.
- ١٨- أصول الصابئة (المندائيون) ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٦٩م.
- ١٩- أضواء البيان.
- ٢٠- أضواء البيان.
- ٢١- إمتاع الأسماع، المقرئزي.
- ٢٢- إمتاع الأسماع، المقرئزي.
- ٢٣- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف.
- ٢٤- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف.
- ٢٥- بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.

- ٢٦- بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.
- ٢٧- تاريخ ابن خلدون.
- ٢٨- تاريخ ابن خلدون.
- ٢٩- تاريخ العرب البائدة، عبد الفتاح الزهيري، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٣.
- ٣٠- تاريخ العرب البائدة، عبد الفتاح الزهيري، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٣.
- ٣١- تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي.
- ٣٢- تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي.
- ٣٣- تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي، ط ١٩٨٣م، دار المعارف بمصر.
- ٣٤- تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي، ط ١٩٨٣م، دار المعارف بمصر.
- ٣٥- تاريخ الملل والنحل، الشهرستاني (ت ٥٥٤٨هـ)، صححه وعلق عليه الأستاذ احمد فهمي محمد المحامي الشرعي، ط ١، ٥١٤٦٧، نشرته مكتبة الحسين التجارية بمصر.
- ٣٦- تاريخ الملل والنحل، الشهرستاني (ت ٥٥٤٨هـ)، صححه وعلق عليه الأستاذ احمد فهمي محمد المحامي الشرعي، ط ١، ٥١٤٦٧، نشرته مكتبة الحسين التجارية بمصر.
- ٣٧- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس، أبو الفرج المعروف بابن العبري.
- ٣٨- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس، أبو الفرج المعروف بابن العبري.

٣٩- التاريخ والفكر المندائي ، الدكتور نوري المرادي.

٤٠- التاريخ والفكر المندائي ، الدكتور نوري المرادي.

٤١- التبيان.

٤٢- التبيان.

٤٣- تفسير ابن أبي حاتم الرازي.

٤٤- تفسير ابن أبي حاتم الرازي.

٤٥- تفسير ابن زمين.

٤٦- تفسير ابن زمين.

٤٧- تفسير أبي السعود.

٤٨- تفسير الأمثل.

٤٩- تفسير البغوي.

٥٠- تفسير البيضاوي.

٥١- تفسير البيضاوي.

٥٢- تفسير الرازي.

٥٣- تفسير الرازي.

٥٤- تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي.

٥٥- تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي.

٥٦- تفسير روح المعاني.

٥٧- تفسير مقاتل.

٥٨- تفسير مقاتل.

- ٥٩- التنبيه والإشراف.
- ٦٠- التنبيه والإشراف.
- ٦١- التوحيد.
- ٦٢- التوحيد.
- ٦٣- تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان.
- ٦٤- تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان.
- ٦٥- جامع البيان، ابن جرير الطبري.
- ٦٦- جامع البيان، ابن جرير الطبري.
- ٦٧- جوهرة آدم.
- ٦٨- جوهرة آدم.
- ٦٩- حقيقة الصابئة المندائيين في أمة حاضرة منسية، حامد نزال سعودي.
- ٧٠- حقيقة الصابئة المندائيين في أمة حاضرة منسية، حامد نزال سعودي.
- ٧١- حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ط ١١، دار المعارف بمصر.
- ٧٢- حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ط ١١، دار المعارف بمصر.
- ٧٣- دراسات في ولاية الفقيه.
- ٧٤- دراسات في ولاية الفقيه.
- ٧٥- الدولة الفاطمية في مصر، أيمن فؤاد سيد.
- ٧٦- الدولة الفاطمية في مصر، أيمن فؤاد سيد.
- ٧٧- ديوان ابانثر، مخطوطة.
- ٧٨- ديوان ابانثر، مخطوطة.

- ٧٩- ديوان الألف والاثني عشر سؤالاً، مخطوطة.
- ٨٠- ديوان الألف والاثني عشر سؤالاً، مخطوطة.
- ٨١- ديوان حران كويثا، ترجمة: نعمي بدوي.
- ٨٢- ديوان حران كويثا، ترجمة: نعمي بدوي.
- ٨٣- رسائل إخوان الصفا.
- ٨٤- رسائل إخوان الصفا.
- ٨٥- زاد المسير.
- ٨٦- زاد المسير.
- ٨٧- الصابئة المندائيون في الفقه والتاريخ الإسلامي، عبد الحميد عبادة.
- ٨٨- الصابئة المندائيون في الفقه والتاريخ الإسلامي، عبد الحميد عبادة.
- ٨٩- الصابئة المندائيون.
- ٩٠- الصابئة المندائيون.
- ٩١- الصابئة المندائيين في الفقه وتاريخ الإسلام، رشيد خيون.
- ٩٢- الصابئة المندائيين في الفقه وتاريخ الإسلام، رشيد خيون.
- ٩٣- صابئة حران وإخوان الصفا، محمد عبد الحميد.
- ٩٤- صابئة حران وإخوان الصفا، محمد عبد الحميد.
- ٩٥- صابئة حران والتوحيد الدرزي، الدكتور محمد عبد الحميد.
- ٩٦- صابئة حران والتوحيد الدرزي، الدكتور محمد عبد الحميد.
- ٩٧- الصابئة في القرآن وصابئة حران، ميشيل تارديو.
- ٩٨- الصابئة في القرآن وصابئة حران، ميشيل تارديو.

- ٩٩- الصابئة من ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، الدكتور احمد العدوي، ط١، القاهرة.
- ١٠٠- الصابئة من ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، الدكتور احمد العدوي، ط١، القاهرة.
- ١٠١- الصابئون في القرآن قراءة موضوعية، د. قيس مغشغش.
- ١٠٢- الصابئون في القرآن قراءة موضوعية، د. قيس مغشغش.
- ١٠٣- صبح الأحشى، للقلقشندي.
- ١٠٤- صبح الأحشى، للقلقشندي.
- ١٠٥- الصحاح، الجوهري.
- ١٠٦- الصحاح، الجوهري.
- ١٠٧- الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، رافد الشيخ عبد الله، ط١، بغداد، ١٩٨٨م.
- ١٠٨- الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، رافد الشيخ عبد الله، ط١، بغداد، ١٩٨٨م.
- ١٠٩- الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، الأذفوي، تحقيق: سعد محمد حسن، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ١١٠- الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، الأذفوي، تحقيق: سعد محمد حسن، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ١١١- العرب واليهود في التاريخ، الدكتور سوسة.
- ١١٢- العرب واليهود في التاريخ، الدكتور سوسة.

- ١١٣ - عمدة القارئ، العيني.
- ١١٤ - عمدة القارئ، العيني.
- ١١٥ - فتح القدير.
- ١١٦ - فتح القدير.
- ١١٧ - فتح خيبر وتطهيرها من اليهود.
- ١١٨ - فتح خيبر وتطهيرها من اليهود.
- ١١٩ - فرق الصابئة، د. سامي عطا.
- ١٢٠ - فرق الصابئة، د. سامي عطا.
- ١٢١ - الفهرست، ابن النديم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- ١٢٢ - الفهرست، ابن النديم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- ١٢٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب.
- ١٢٤ - في ظلال القرآن، سيد قطب.
- ١٢٥ - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير.
- ١٢٦ - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير.
- ١٢٧ - كتاب التوحيد لواقع التاريخ لشرك العرب، المسألة الحادية عشر، تاريخ الصابئة وفرقهم.
- ١٢٨ - كتاب التوحيد لواقع التاريخ لشرك العرب، المسألة الحادية عشر، تاريخ الصابئة وفرقهم.

- ١٢٩- كتاب الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، أبي منصور عبد الله البغدادي المتوفي ٥٤٢٩هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة الحلبي بمصر، د.ت.
- ١٣٠- كتاب الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، أبي منصور عبد الله البغدادي المتوفي ٥٤٢٩هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة الحلبي بمصر، د.ت.
- ١٣١- الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا.
- ١٣٢- الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا.
- ١٣٣- كتاب انكي، الأدب في وادي الرافدين، الدكتور خزعل الماجدي.
- ١٣٤- كتاب انكي، الأدب في وادي الرافدين، الدكتور خزعل الماجدي.
- ١٣٥- كنزا ربا اليسار، ترجمة أستراليا (طباعة سدني).
- ١٣٦- كنزا ربا اليسار، ترجمة أستراليا (طباعة سدني).
- ١٣٧- لسان العرب،
- ١٣٨- لسان العرب،
- ١٣٩- ليدي دراور، الصابئة المندائيون (الكتاب الأول)، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، الطبعة الثانية، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٧م.
- ١٤٠- ليدي دراور، الصابئة المندائيون (الكتاب الأول)، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، الطبعة الثانية، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٨٧م.
- ١٤١- مجمع البيان.
- ١٤٢- مجمع البيان.
- ١٤٣- مجمع الزوائد، الهيثمي.
- ١٤٤- مجمع الزوائد، الهيثمي.

- ١٤٥- مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر.
- ١٤٦- مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر.
- ١٤٧- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي.
- ١٤٨- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي.
- ١٤٩- مروج الذهب، المسعودي.
- ١٥٠- مروج الذهب، المسعودي.
- ١٥١- مسند أحمد.
- ١٥٢- مسند أحمد.
- ١٥٣- معاني القرآن.
- ١٥٤- معاني القرآن.
- ١٥٥- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين.
- ١٥٦- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين.
- ١٥٧- معجم الأدباء، ياقوت الحموي.
- ١٥٨- معجم الأدباء، ياقوت الحموي.
- ١٥٩- معجم البلدان، ياقوت الحموي، الطبعة الأولى، ١٩٠٦م.
- ١٦٠- معجم البلدان، ياقوت الحموي، الطبعة الأولى، ١٩٠٦م.
- ١٦١- معجم العلوم الاجتماعية، أشرف على تحريره: الدكتور إبراهيم مذكور، ط١، ١٩٧٥، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

- ١٦٢- معجم العلوم الاجتماعية، أشرف على تحريره: الدكتور إبراهيم مذكور، ط١، ١٩٧٥، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- ١٦٣- مفتاح الأبواب، ميرزا محمد مهدي خان رئيس الحكماء.
- ١٦٤- مفتاح الأبواب، ميرزا محمد مهدي خان رئيس الحكماء.
- ١٦٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الطبعة الثانية، يناير ١٩٧٨، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد.
- ١٦٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الطبعة الثانية، يناير ١٩٧٨، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد.
- ١٦٧- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، د. طه باقر.
- ١٦٨- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، د. طه باقر.
- ١٦٩- المقنع، الشيخ الصدوق.
- ١٧٠- المقنع، الشيخ الصدوق.
- ١٧١- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، د. احمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي بمصر.
- ١٧٢- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، د. احمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي بمصر.
- ١٧٣- من المبدأ إلى المعاد، حوار بين طالبين، الشيخ المنتظري.
- ١٧٤- من المبدأ إلى المعاد، حوار بين طالبين، الشيخ المنتظري.
- ١٧٥- المندائيون الصابئة، محمد الجزائري.
- ١٧٦- المندائيون الصابئة، محمد الجزائري.

- ١٧٧- موسوعة العيون المعرفية.
- ١٧٨- موسوعة العيون المعرفية.
- ١٧٩- الميثولوجيا المندائية، الدكتور خزعل الماجدي.
- ١٨٠- الميثولوجيا المندائية، الدكتور خزعل الماجدي.
- ١٨١- النشوء والخلق في النصوص المندائية، كورت رودولف، إعداد وترجمة:
الدكتور صبيح مدلول السهيري، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٤م.
- ١٨٢- النشوء والخلق في النصوص المندائية، كورت رودولف، إعداد وترجمة:
الدكتور صبيح مدلول السهيري، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٤م.
- ١٨٣- نهج البلاغة.
- ١٨٤- نهج البلاغة.
- ١٨٥- يتيمة الدهر، الثعالبي.
- ١٨٦- يتيمة الدهر، الثعالبي.

احد الأطفال الصابئة الطنائين تتعمد في ميسان على نهر دجلة



طبع هذا الكتاب على نفقة خضر حميد عبید الزهیري ميسان/ سوق الصاغة
يوزع مجاناً على روح المرحوم والدي حميد عبید سلمان الزهیري

طبع في العراق سنة 2019